



جامعة الجزائر 2

أبو القاسم سعدالله

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم علم الاجتماع



التربية الروحية للطرق الصوفية وتأثيرها على السلم الاجتماعي

دراسة سوسيودينية للمريدين (الطريقة التجانية والشاذلية نموذجا)

بولاية الاغواط

أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور

محمد رؤوف قاسمي الحسني

إعداد الطالب الباحث

تواتي خضرون

السنة الجامعية 2018/2017

إهداء

أهدي نتاج عملي إلى روح أبي الطاهرة رحمة الله عليه

إلى أمي الغالية ملهمتي إلى زوجتي الصبورة التي كانت سنداً لي في هذا العمل

إلى ولدي الحبيب صهيب قرّة عيني إلى من تقاسمت معهم حلول الحياة ومرها إخوتي الأعزاء

إلى رفقة دربي إلى كل من أحبهم و أحبوني

إلى كل طالب علم يأمل أن ينال منتوجه المعرفي كل تقدير واعتبار

إلى كل من يجد ويجتهد ويزرع فعلاً من أجل أن يحصد عملاً

إلى القارئ الفهم وإلى كل باحث علمي جاد وجواد بفكره

إلى كل باحث يسعى إلى تحقيق الكمال فيما يكتبه

إلى كل من قدم ويقدم خدمات جليّة للبحث العلمي

إلى كل باحث عن الحقيقة والخير لما يفيد

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره

إلى الراسخون في العلم

تواتي

شكر وعرّفان

نحمد الله تعالى الذي أشرق لنور وجهه الظلمات و نحمده سبحانه

أن وفقنا و أعاننا على إتمام هذا العمل

وعرّفان منا للمساعدات التي تلقيناها، أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساعدنا

أتقدم بالشكر والعرّفان إلى أستاذي المشرف الدكتور محمد رؤوف قاسمي الحسني

الذي شرفنا بمتابعة هذا المجهود من أوله وكان نعم الموجه والمرشد وعلى تسهيلات ونصائحه

التي قدمها لنا و حرصه الشديد على الجد و الإشتهااد و الاستمرارية في العمل

كما أشكر كل الذين بذلوا الكثير وحملوا معي العناء و وقفوا إلى جنبي وذلّوا بعد الله الصعاب

أبلغ شكري وامتناني وخالصة مودتي إلى زوجتي الكريمة

و إلى الأخ محمد مليك و الأخ بولرياح عثمانى

كما يسعني أن أشكر أعضاء و مشايخ الطريقة التيجانية و الشاذلية

على تقديم التسهيلات و المعلومات اللازمة في البحث

تواتي

الفهرس

الباب الأول : الدراسة النظرية	
أ	مقدمة
المدخل المنهجي للدراسة	
06	1. الإشكالية
08	2. الفرضيات
09	3. أسباب اختيار الموضوع
09	4. أهداف الدراسة
10	5. تحديد المفاهيم
16	6. الدراسات السابقة
27	7. صعوبات الدراسة
الفصل الأول: دور الطرق الصوفية في تنمية التربية الروحية	
29	تمهيد
30	المبحث الأول: دراسة نظرية للتربية
30	1.1. مفهوم التربية
31	1.2. أهمية التربية
33	1.3. أهداف التربية
33	المبحث الثاني: دراسة نظرية للروح
33	1.2. مفهوم الروح في القرآن الكريم
37	2.2. مفهوم الروح في الفكر الاسلامي
38	المبحث الثالث: متركبات التربية الروحية
38	1.3. مفهوم التربية الروحية في الاسلام
39	2.3. أهمية التربية الروحية في الاسلام
45	3.3. الاثر التربوي للعقيدة الاسلامية في تنمية التربية الروحية
49	4.3. الاثر التربوي للعبادة الاسلامية في تنمية التربية الروحية
51	المبحث الرابع: دور الطرق الصوفية في تنمية التربية الروحية
51	1.4. صفات الشيخ المري وآداب المريد معه
55	2.4. أساليب مجاهدة النفس عند المتصوفة
57	3.4. مفهوم الحرية النفسية عند المتصوفة
59	4.4. أهمية مرحلة الطفولة في الإسلام
62	5.4. دور الشيخ المري في تنمية الجانب الروحي لدى المريدين
63	6.4. الطرق التي يتبعها الشيخ المري لتنمية الجانب الروحي لدى المريدين

الفهرس

65	المبحث الخامس: المنهج التربوي الروحي عند الصوفية
65	5.1. المنهج التربوي للمتصوفة
67	5.2. البعد الاخلاقي للتربية الروحية لدى المتصوفة.
70	5.3. البعد الاجتماعي للتربية الروحية لدى المتصوفة.
71	5.4. شروط الانضمام إلى الطريق الصوفي.
73	5.5. طرق الرياضة الروحية الصوفية
74	5.6. عقبات الطريق الصوفي.
75	5.7. نقد الانحراف الصوفي.
79	ملخص
الفصل الثاني: تاريخ حركة التصوف والطرق الصوفية والزوايا	
81	تمهيد.
82	المبحث الأول: حركة التصوف
82	1.1. نبذة حول ظاهرة التصوف .
84	2.1. نشأة الصوفية في المشرق العربي.
87	3.1. من أهم الشخصيات الصوفية.
93	4.1. ظهور التصوف المغرب العربي
99	المبحث الثاني : الطرق الصوفية:
97	2.1. عوامل نشأة الطرق الصوفية.
98	2.2. خصائص ومميزات الطرق الصوفية.
100	2.3. وظائف الطرق الصوفية.
102	2.4. أهم الطرق الصوفية.
110	2.5. أنواع الطرق الصوفية.
111	المبحث الثالث: ظهور الزوايا:
111	3.1. تعريف الزوايا.
112	3.2. نشأة الزوايا وتطورها.
114	3.3. إنتشار الزوايا ومراكزها الكبرى عبر الجزائر.
115	3.4. أنواع الزوايا في الجزائر.
117	3.5. وظائف الزوايا.
121	ملخص .
الفصل الثالث: ثقافة السلم الاجتماعي	
123	تمهيد

الفهرس

124	المبحث الأول: البعد المعرفي لثقافة السلم الاجتماعي وتطوره
124	1.1. البعد المعرفي لثقافة السلم الاجتماعي
128	1.2. التطور التاريخي لثقافة السلم الاجتماعي
131	1.3. مفهوم السلم في الفلسفات القديمة
134	1.4. مفهوم السلم في الفكر الاسلامي
136	المبحث الثاني: العنف وثقافة السلم في الجزائر
136	1.2. ظهور اللاسلم الاجتماعي والعنف
138	2.2. أسباب العنف وأخطاره
140	2.3. موقف العلوم الانسانية من ظاهرة العنف
141	2.4. ثقافة السلم في تاريخ الجزائر وتطوره
144	2.5. البناء القيمي في المجتمع الجزائري : الخصائص والمتغيرات
149	2.6. الإجراءات والتدابير المتخذة لإحلال ثقافة السلم في الجزائر
152	المبحث الثالث: ثقافة السلم لدى المتصوفة
152	3.1. فلسفة السلم في التصوف الاسلامي
153	3.2. مقومات السلم في التصوف الاسلامي
155	3.3. الصحة الايمانية للتربية الصوفية والسلوك
157	3.4. أثر التربية الروحية الصوفية في تهذيب السلوك
159	3.5. أهمية التربية الروحية لدى المتصوفة في نبذ العنف والتشدد
161	3.6. اختصاصات المتصوف وفائدته على السلوك
164	ملخص
الباب الثاني: الدراسة الميدانية	
الفصل الرابع مدخل منهجي للدراسة الميدانية	
166	تمهيد
167	أولا: الإطار التحليلي (المقارنة النظرية المتبناة)
169	ثانيا : الإطار المنهجي
170	1. المنهج المستخدم
173	2. أدوات جمع المعلومات
181	3. مجالات الدراسة
185	4. كيفية معالجة وتحليل البيانات والمعطيات
187	ثالثا : عرض و تحليل معطيات الفرضيات
187	1. بيانات شخصية تعريفية

الفهرس

193	2. محور مساهمة الآباء في نقل القيم الدينية الصوفية للأبناء والسلم في المجتمع
224	3. محور مساهمة الأفكار والتوجهات الدينية الصوفية في ترسيخ ثقافة السلم الإجماعي
269	4. محور مساهمة الأذكار والأورد في الالتزام الديني والتهذيب الروحي في السلم الإجماعي
289	5. قيم المحبة والعدالة والعيش في كنف الجماعة و السلم الاجتماعي
327	خلاصة واستنتاجات
344	الاستنتاج العام
	قائمة المراجع
	الملاحق

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى العمري	187
02	توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى التعليمي	188
03	توزيع أفراد العينة حسب متغير الحالة العائلية	189
04	توزيع المبحوثين حسب الوظيفة	190
05	توزيع المبحوثين حسب الطريقة الصوفية المنتمي إليها	191
06	توزيع المبحوثين الأقدمية في اتباع المنهج الصوفي	192
07	توزيع المبحوثين واتباع أحد الوالدين للطريقة حسب العلاقة مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف	193
08	توزيع المبحوثين حسب علاقة الوالد بالطريقة المنتمي إليها و العلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف	195
09	توزيع المبحوثين حسب مساهمة الوالد في اتباع الطريقة والعلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف	198
10	توزيع المبحوثين حسب حرص الوالدين على اتباعك للطريقة وطريقة التعامل مع شخص مختلف فكريا معهم	201
11	توزيع المبحوثين والطرق التي يتبعها الوالد في سبيل حرصك على الطريقة حسب محاربة سلوك العنف في المجتمع	203
12	توزيع المبحوثين حسب الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة والدعوة للسلم والأمن في المجتمع	205
13	توزيع المبحوثين والاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة وما يرغب به المرید خلال عيشه في المجتمع	207
14	توزيع المبحوثين والاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة حسب القيام بتعبئة النفوس والعقول لبند العنف	209
15	توزيع المبحوثين والاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة و الايمان بثقافة السلم في المجتمع	211
16	توزيع المبحوثين وأسباب الحرص على اتباع الطريقة حسب أساس بناء العلاقات مع الآخرين	213
17	توزيع المبحوثين حسب سبب الحرص على اتباع الطريقة والدعوة إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل	215
18	توزيع المبحوثين حسب سبب الحرص على إتباع الطريقة والنصح عند رؤية العنف	217
19	توزيع المبحوثين حسب سبب الحرص على إتباع الطريقة ووجهات نظر الغير مقتنعين بالتصوف	219
20	نوع الكتب التي يفضلها المبحوثين للمطالعة حسب محاربة سلوكات العنف في المجتمع	224
21	توزيع المبحوثين حسب مطالعة كتب المتصوفة وعلاقتهم بالتغيرات الحاصلة في الانظمة السياسية للبلاد	226
22	توزيع المبحوثين حسب مطالعة كتب المتصوفة وتصرفهم حيال الخلافات مع المنتمين لطوائف اخرى	228
23	توزيع أفراد العينة حسب مطالعتهم لكتب المتصوفة وحالتهم النفسية حيال قضايا العنف في المجتمع	230
24	توزيع أفراد العينة حسب الحرص على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها وحب الوطن رغم الظروف الراهنة	232
25	توزيع المبحوثين و الحرص على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها وتصرفهم حيال المشكلات ولها صلة بالسياسة	234
26	توزيع المبحوثين حسب عدد الكتب المطالعة للطريقة المتبعة وتأثير الانتماء للطريقة الصوفية على الموالاتة للسلطة الحاكمة	236

قائمة الجداول

238	عدد الكتب التي يطالعها المبحوثين الخاصة بالطريقة المتبعة حسب علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف	27
240	الفائدة المرجوة للمطالعة لدى المبحوثين حسب الدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع	28
242	توزيع أفراد العينة حسب أنواع الكتب التي يركزون على مطالعتها وعلاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف	29
244	توزيع المبحوثين حسب المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة و التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية	30
246	توزيع المبحوثين حسب المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة و طبيعة معاملتهم للمختلفين فكريا معهم	31
248	توزيع المبحوثين حسب المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة ورأيهم في الجماعات التي تمارس العنف	32
250	متابعة المبحوثين للأمور الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف	33
252	متابعة المبحوثين للأمور الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية	34
254	متابعة المبحوثين للأمور الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت وتعاملهم مع أحد المنتمين لطائفة أخرى في حالة خلاف	35
256	متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب دفاعهم عن مصالح بلدهم لانتمائهم لطريقة صوفية	36
258	رأي المبحوثين في قضية التحكيم في حال وأن نشبت مشاكل بين المرید وشخص آخر	37
259	تصرف المرید حيال ما يعترضه من مشاكل لها علاقة بالنظام	38
260	متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب طبيعة نفسياتهم حيال قضايا العنف في المجتمع	39
262	متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف	40
269	توزيع أفراد العينة والالتزام بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد حسب الموالاتة للسلطة	41
271	توزيع أفراد العينة والالتزام بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد حسب الاحساس بالفخر بالولاء والانتماء للوطنك	42
273	توزيع أفراد العينة والالتزام بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد حسب طبيعة معاملتهم مع الاشخاص المختلفين معهم في فكر التصوف	43
275	توزيع أفراد العينة والاذكار التي يذكرونها دائما حسب دعوة الآخرين إلى السلم في المجتمع	44
277	توزيع أفراد العينة والاذكار التي يذكرونها دائما حسب رأيهم في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف	45
279	توزيع أفراد العينة ومواظبتهم على أداء الأوراد حسب أسس بناء العلاقات مع الآخرين	46
281	توزيع أفراد العينة ومواظبتهم على تلاوة القران حسب علاقتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف	47
283	توزيع المبحوثين ومواظبتهم على تلاوة القران حسب نصحتهم للأشخاص الذين يقومون بسلوك عنف	48
285	توزيع المبحوثين و تلاوتهم للحزب الراتب مع الجماعة حسب الأمور التي يرغبون فيها حيال عيشهم في المجتمع	49
287	المبحوثين وتلاوتهم للحزب الراتب مع الجماعة و تصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم ولها علاقة بالسياسة	50
289	توزيع المبحوثين وحضورهم للاحتفالات الخاصة بالطريقة حسب النصيح عن سلوكات العنف في المجتمع	51
291	توزيع المبحوثين وحضورهم للاحتفالات الخاصة بالطريقة حسب تعبئة النفوس والعقول من أجل نبذ العنف	52

قائمة الجداول

293	توزيع المبحوثين وتفضيلاتهم في اختيار الأصدقاء حسب العلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف	53
295	توزيع المبحوثين وتفضيلاتهم في اختيار الأصدقاء وتصرفهم مع غير المنتمين للتصوف في حالة حدوث خلاف	54
297	توزيع المبحوثين والمواضيع التي يناقشونها مع الأصدقاء المتصوفة حسب محاربتهم لسلوك العنف في المجتمع	55
299	توزيع المبحوثين والمواضيع التي يناقشونها مع الأصدقاء المتصوفة والأمور التي يرغبون فيها حيال عيشهم بالمجتمع	56
301	توزيع المبحوثين و زيارتهم للأصدقاء والأحباب المنتمين للطريقة حسب العلاقة مع غير منتمين إلى التصوف	57
303	توزيع المبحوثين وتفضيلاتهم في عقد صداقات جديدة حسب علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف	58
305	توزيع المبحوثين وتفضيلاتهم في عقد صداقات جديدة حسب معاملتهم لأشخاص مختلفين معهم فكريا	59
307	توزيع المبحوثين و دعوتهم الآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع وما تؤدي إليه علاقتهم بالأحباب من نفس الطريقة	60
309	توزيع أفراد العينة حسب علاقتهم بالتغيرات الحاصلة في البلاد	61
311	توزيع المبحوثين بانتمائهم للطرق الصوفية عليهم الموالاة للسلطة	62
312	توزيع أفراد العينة حسب تأثير الانتماء للطريقة الصوفية على الدفاع عن مصالح البلاد	63
313	سلوك المريدين في حال نشوب مشاكل ضد أمور متعلقة بشؤون البلاد	64
314	رأي المبحوثين حول سبب امتناعهم عن المشاركة في المظاهرات ضد النظام هل سببه انتمائهم للطريقة الصوفية	65
315	رأي المبحوثين في قضية انتمائهم السياسي	66
316	رأي المبحوثين في قضية نشاطهم الجمعي في المجتمع	67
317	رأي أفراد العينة في الجماعات التي تمارس العنف اللفظي والغير اللفظي في المجتمع	68

مقدمة :

في دراسة سابقة والتي جاءت في إطار نيل شهادة الماجستير تحت عنوان "القيم الدينية للطرق الصوفية والتنشئة الاجتماعية"¹.¹ توصلنا إلى مجموعة من النتائج نذكر منها أنه كلما زاد التزام الأب المريد بقواعد ومبادئ الطريقة زاد نقل القيم الدينية المتحصل عليها من الطريقة إلى الأبناء، وأنه كلما زاد ولاء الآباء المريدين لمشايخ ومرجعيات الطريقة زاد نقل القيم الدينية المتحصل عليها من الطريقة التيجانية إلى أبنائهم.

وبما أن من خصائص العلم أن نتائجه قابلة للتبديل والتغيير وأنه تراكمي، فإننا في الدراسة السابقة والتي كانت حول الطرق الصوفية كنا قد توصلنا إلى مجموعة من النتائج أردنا استكمال الدراسة في هذا الحقل بمتغيرات جديدة كمتغير السلم الاجتماعي، انطلاقاً من القضايا النظرية التي انتهينا إليها والتي كانت منصبه على ظاهرة الطرق الصوفية، إلى البحث في ظاهرة السلم الاجتماعي لأتباع الطرق الصوفية، حيث تعتبر ظاهرة الطرق الصوفية من الظواهر الاجتماعية الجديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان، فحول موضوعها اشتغلت مدراس العلوم الاستعمارية بكثافة بهدف استكشاف محتواها التركيبي والعقائدي، لتعرف قدراً لا بأس به من المداخلات في المناقشة العلمية حول ظهور عدة طوائف وجماعات وفرق إسلامية ولكل منها منهجيتها وطريقتها الخاصة في التفكير والتعبير وتنظيم شؤونها، وبانتشار هذه الطرق الصوفية كان على أصحابها أن يقيموا مكاناً خاصاً لتثبيت أفكارهم الصوفية لتقدم لمختلف فئات المجتمع وكان المكان المخصص لهذه الطرق الصوفية محددًا بجزء يدعي بالزواية وهو معروف بالمغرب العربي، وبالرباط أو الخنقاة في المشرق العربي، بما نظام خاص وبرنامج يسير شؤونها فكانت بمثابة مراكز التعليم، حيث فتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة وأنفقت عليهم وإذا ما نظرنا من الناحية الاجتماعية فنجد أن الطرق الصوفية عملت على إزالة الخلافات بين مختلف فئات المجتمع وفك النزاع بين العشائر والقبائل وإزالة الفوارق، وظهرت في المدن وفي الأرياف في بداية نشأتها وساهمت بأدوار اجتماعية كإيواء العجزة والمساكين والغرباء، ليكون بذلك الشيخ الذي يتأسر أو يمثل الطريقة الصوفية هو بمثابة المسؤول والحاكم بين الأفراد، والذي يفصل في جميع القضايا والخلافات الاجتماعية، ولقد تناولت الكثير من الدراسات تاريخ هذه الطرق الصوفية فمنهم من يرى أنها مجتمع مغلق مبني على عصبية دينية قبلية، ومنهم من يرى أنها فئة تشبه الجماعة الضاغطة، تستند على الدين لتحقيق أهداف دنيوية في السياسة والمصالح الدينية، ومنهم من يرى أنها في زواياها أوكارا للبدع والخرافات وبؤرا للمفاسد ومنبعا للعادات السيئة التي تشد الفرد إلى الوراء، وفي المقابل هناك من يرى أن هذه الطرق الصوفية مركزاً للإشعاع الروحي والعلمي ومنبعا للهداية والفضيلة والأخلاق والقيم النبيلة وهناك من يرى بأنها رؤية

1- نواتي خضرون، القيم الدينية للطرق الصوفية والتنشئة الاجتماعية، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع التربوي الديني، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2012/2013.

جديدة للدين تهدف إلى ترسيخ تعاليم الإسلام والدعوة، والعودة إلى السنة المحمدية في الحياة، ونريد نحن هنا رؤية ودراسة الطرق الصوفية ومرجعياتها في ممارسة السلم الاجتماعي والدعوة إليه.

هذه الطرق الصوفية كان مقرها الزاوية التي تطورت عبر الزمن فمن الرباط إلى الزاوية ومن الإجهاد إلى الإيواء وأيضا كان لها نصيب في التربية والتعليم وذلك بتحفيظ القرآن وتربية النشء على الأخلاق الإسلامية وتعدت ذلك أيضا بالمحافظة على الثوابت الوطنية وكذا لها أدورا أخرى مثل الوظيفة الاقتصادية المتمثلة في جمع الزكاة والصدقات وتوزيعها على المحتاجين، وتقوم بإيواء الفقراء والمساكين والمشردين واليتامى ويقصدها عابري السبيل، هذا ما نلمسه في العديد من الزوايا التي عمل علمائها أيضا على غرس القيم الدينية والأخلاق الحميدة والآداب الإسلامية الفاضلة في نفوس مريديها، ويتضح ذلك من خلال مناهج هذه الطرق التي بذلت جهودا مقدرة في تنمية الجانب الروحي للفرد المسلم وتوجيهه إلى أن يكون إنسان صالح في المجتمع ومسالما والاهتمام بالجانب المعنوي الذي هو الأهم في حياة الإنسان، والجانب الأخلاقي وضبط سلوكهم، ويعلو على المادية الحسية ويتطلع إلى الجانب المضيء في بنائه الشخصي وهو الروحي .

وفي هذا السياق اعتبرت دراسة دوكايم عالم الاجتماع التي كانت حول الطوطم والتي خصصها لمعرفة أصل الدين، كنموذج لتقديم المنهج الملائم لدراسة الظاهرة الدينية، وكذلك اهتم كل من راد كليف براون وإيفانز بريتشارد بتقديم تفاسير للظاهرة الدينية في أبحاثهم التي كانت تركز على المعتقدات والطقوس والأساطير واعتبرت العديد من الدراسات وغيرها من الأبحاث التي كان الدين أحد أهم محاورها تبين مدى اهتمام علماء الاجتماع و الانثروبولوجيا بدراسة الظاهرة الدينية كتجربة روحية ومدى تأثيرها على الفرد وانعكاسها على العلاقات داخل التنظيم وعلى الحياة الاجتماعية.

كل هذه الدراسات تتفق من حيث التعريف أن للدين جانبان، جانب ظاهري تمثله مجموعة من الطقوس والشعائر والممارسات وجانب باطني تمثله تلك النزعة الروحية التي تربط الإنسان بخالقه على حد تعريف جيمس فرينزر: "الاعتقاد في الأرواح العلوية"¹

أما الباحثة منال عبد المنعم جاد الله تؤكد هذه العلاقة: "الدين ليس إيمانا ومعرفة فحسب، بل هو فوق ذلك إلفاف روحي متبادل وهو رابط من الطاعة والولاء ومن الرعاية بين المتدين وبين الحقيقة العليا التي يؤمن بها، التي يجوز أن يطلق عليها "التجربة الدينية" التي تشمل الجانب الداخلي الباطني لعلاقة الإنسان بالله وتفكره فيه وتوجهه إليه"²

إن هذه التجربة الصعبة التحقق كلفت الإنسان الكثير من الجهد والطاعة لأجل الاتصال بالعالم الإلهي وقد كان الصوفية أول الممارسين لهذه التجربة في التاريخ الإسلامي حتى أنها أصبحت تنعت بالتجربة الصوفية

1 - جيمس فرينزر، الفصن الذهبي، ترجمه كمال أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ج2، 1971، بتصرف، ص782.

2 - منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، نشأة المعارف بالإسكندرية، ب ت، ص84.

التي نالت مساحة واسعة من الدراسة في جميع التخصصات، من الفلسفة إلى علم الديانات، إلى علم النفس والاجتماع التي تحاول في الفترة المعاصرة تقديم تفسيراً اجتماعياً لظاهرة التصوف وتجدر الإشارة هنا إلى تلك المصادر التي درست التصوف وحاولت أن تفهم هذه التجربة الصوفية، سواء عند بعض المستشرقين "ككارل برو كلمان" في تاريخ الشعوب الإسلامية الذي حاول أن يعرف التصوف، أو "كجان شوفيلي" الذي وضع تعريفاً للتصوف ورجالاته وغيرهم من درس التصوف.

من المصادر التي تناولت التصوف كتاب "الملل والنحل للشهرستاني" و"الفرق بين الفرق للبغدادي" و"الرسالة القشيرية"، وكتاب "التعريف لمذهب أهل التصوف"، وغيرها من المصنفات التي حاولت أن تقدم صورة عن التصوف ولكنها كانت في كثير من الأحيان تسقط في دوالب التاريخ وتعمل على الاكتفاء بذكر مراحل تطور الظاهرة أو تركيزها على الاختلاف الجوهرى الموجود بين المتصوفة وغيرهم سواء من المسلمين كالشيعة والخوارج أو غير المسلمين من مسيحيين وهنود.

ولهذا حاول علماء الاجتماع اقتحام هذا الميدان الروحي محاولين إيجاد تفسير لهذه الظواهر اكتفوا بالجانب الشكلي من طقوس وممارسات وشعائر وذلك لأن طبيعة البحث عندهم تعتمد على الجانب المادي الملموس والمرئي يمكننا القول إن ميدان التصوف يحتاج إلى دراسة عميقة واهتمام بالغ من طرف علماء علم الاجتماع الذين اكتسبوا تقنيات ومهارات أهلتهم إلى إخراج الظاهرة الاجتماعية من تحت الجهر المادي مراعاة للجانب الباطني أو الروحي الذي أهمله علماء الاجتماع.

وقد سخر علم الاجتماع لأجل التعمق في دراسة الظاهرة الدينية على الخصوص، تقنية الملاحظة بالمشاركة التي تعتبر إحدى التقنيات الحديثة، حيث يمكن الباحث مع العينة المبحوثة زمناً يمكنه من متابعة حيثيات موضوعه عن قرب وبالارتباط المباشر، وبهذه الطريقة يمكن الباحث من اكتساب مكانة في لب العينة، وبالتالي يستطيع أن يقتحم فضاءاتهم الباطنية ومن خلال مشاركتهم في الطقوس والممارسات فإنه يتحول إلى جزء من الموضوع فينتابه نفس شعور الجماعة المبحوثة والمعروف عن التجربة الصوفية أنها ذوقية روحية، حتى يتمكن أي باحث من دراستها أو الحكم عليها، عليه معاشتها أو الاندماج فيها، فيعيش هذه التجربة عن قرب حتى ينهل من نفس النبع الذي ينهل منه أهل هذا الطريق.

في هذه الدراسة نحاول اقتحام فضاء التصوف من خلال البحث والتعمق والتنقيب عن ما مدى تأثير الجانب الروحي في ترسيخ ثقافة السلم لدى مردي بعض الطرق الصوفية، لأنه لا يمكننا الوقوف على كل الطرق الصوفية المنتشرة، وذلك لاختلافها ولوجود فوارق تطبيقية بين طريقة وأخرى، لهذا حاولنا تسليط الضوء على طريقتين صوفيتين متقاربتين من ولاية الأغواط هما الطريقة التيجانية والشاذلية لأنهما يحملان الخصوصية الجزائرية ولا يختلفان عن بعضهما .

أيضا سنحاول تسليط الضوء على الجانب التربوي في هاتين الطريقتين المبني أساسا على القيم الدينية الإسلامية وأثر ذلك على ترسيخ ثقافة السلم الاجتماعي من السلوكيات والممارسات السلمية لمريديها وأتباعها.

اعتمدنا في بحثنا على الخطوات التالية، قسمنا البحث إلى الباب الأول وهو الباب المنهجي والنظري المشتمل على الفصل الأول فيه عرض للمدخل المنهجي يتضمن تحديد الموضوع وأسباب اختياره والهدف من دراسته ثم يأتي طرح الإشكالية التي بني عليها البحث والتي وضحنا فيها التساؤلات والنتائج التي نريد أن نصل إليها كما تم تحديد المفاهيم أو المصطلحات التي يتكرر استعمالها كالتصوف، والزواوية والسلم الاجتماعي العنف الاجتماعي، التربية الروحية... وآخر نقطة في الفصل ذكرنا التقنية والمنهجية المتبعة والدراسات السابقة والصعوبات التي صادفت مراحل إنجاز هذا البحث. الفصل الثاني يتضمن الحديث عن التربية الروحية ومراكزها، ودور المؤسسات التربوية في تنمية التربية الروحية ثم دور الطرق في تنمية التربية الروحية المنهج التربوي للطرق الصوفية، أما الفصل الثالث تضمن مدخل تاريخي حول أصول نشأة الزوايا وتفرعها من التصوف وأهم الطرق الصوفية في الجزائر. وتوجهاته الفكرية والدينية ومصادرها وتعريف و نشأة الزوايا والمراحل التي مرت بها والأدوار التي قامت بها في فترات مختلفة مع برامج التعليم وطرق التدريس والتغيير الذي طرأ على الزوايا والدور الذي لعبته في التربية والتعليم ومصادر تمويلها. وفي الفصل الرابع يقتصر الحديث عن البعد المعرفي لثقافة السلم الاجتماعي ثم العنف وثقافة السلم في الجزائر ثم ثقافة السلم لدى المتصوفة سنتكلم عنها بالتفصيل ثم الفصل الميداني والذي تطرقنا فيه إلى مساهمة الآباء في نقل القيم الدينية الصوفية للأبناء والسلم في المجتمع ثم مساهمة الأفكار والتوجهات الدينية الصوفية في ترسيخ ثقافة السلم الاجتماعي ثم مساهمة الأذكار والأوراد في الالتزام الديني والتهديب الروحي والسلم الاجتماعي .

المدخل المنهجي للدراسة النظرية

1) الإشكالية:

يعتبر الاهتمام بموضوع الطرق الصوفية من قبل الباحثين محاولة لفهم أصول الصوفية ونشأتها في الإسلام وتطورها عبر التاريخ من أجل التحليل السوسيولوجي والفهم المعمق لمعرفة أثرها على المجتمع بصفة عامة وعلى الأفراد بصفة خاصة، فلا تزال الطرق الصوفية تحتل مكانة هامة في التراث الإسلامي على الرغم من تعددها وتفرعها والاهتمام بهذه الطرق قديم يرجع إلى دراسات المؤرخين والعلماء العرب والمسلمين كالتوسلي والكلاباذي والقشيري وغيرهم، أما عن ابن خلدون فنجد أنه قد عقد لنا فصلاً ممتازاً في كتابه القيم "المقدمة" سماه علم التصوف هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى .

كما برزت الزوايا الصوفية وأصبحت مركزاً للذكر وتلاوة أحزاب وقراءة الأوراد فأصبحت لكل طريقة زاوية يجتمع فيها مریدوها، وكثيراً ما تتصل الطرق الصوفية بمفهوم التنشئة التي يكتسب من خلالها الفرد القيم الدينية والروحية فهي تساعد أيضاً على التزود بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالدين وتقوم أساساً على الاهتمام به ليصبح موجهاً حقيقياً في تعامل الأفراد مع واقعهم، بالاعتماد على منطلقات هذا الفكر الديني ومسلماته ومبادئه فقد قال أحد المستشرقين الأوائل في أوربا " إن الصوفيين ليسوا بحاجة إلى نشر حبهم القلبي ولكنهم يستخدمون أدواتهم الروحية في علاقاتهم وبناء على ذلك كسبوا أعداد هائلة لطريقتهم في آسيا الوسطى وفي إندونيسيا وجنوب شرق آسيا وتركيا وحتى أوربا "

فالتصوف في منهج هذه الطرق هو الجانب الأخلاقي في الإسلام، فإن الالتزام به أشق على النفس من الالتزام بسائر تعاليم الإسلام الأخرى، باعتبار أن ترويض النفس على الأخلاق الفاضلة يستدعي مجاهدة أهوائها وشهواتها هذا ما يشدد عليه شيوخ هذه الطرق ويلقنوه لأتباعهم، وهذا سر عزوف الكثيرين عن سلوك طريق التصوف وتعثر بعض السالكين للطريقة.

مما يجعلنا نركز هنا على الجانب التربوي الصوفي الذي أصبحت موضوع جدل ولازال بين مؤيد متحمس، لكن خارج التجربة وخارج مجالها العملي والعلمي، وبين معارض منكر، هو الآخر من خارج المجال نفسه، مما صيغ تلك المعارف المتأتاة من ذلك الجدل بصيغة أيديولوجية قدحيه نزاعية أكثر مما هي علمية موضوعية، ويكفي أن نرصد ما تنشره تلك النزعتان من مواضيع في مواقع الانترنت وما تصدره في دور النشر، لنقف على حقيقة تلك المعارف غير أن هناك نزعتين أخريين كانتا وإلازالتا تنتجان المعارف العلمية حول الموضوع، إما عن تجربة عملية، وإما عن تأمل نظري، إنما يدل على أن التربية الصوفية صارت الآن في بؤرة اهتمام الدرس

الإطار المنهجي للدراسة

الفلسفي والدرس النفسي والاجتماعي والديني، خاصة بعد الإفلاس الفكري والانفلات السلوكي الذي أصاب الحركات الإسلامية، وبعد انحسار القيم الأخلاقية والإنسانية بفعل اقتصاد الوفرة والرفاه المادي. وعليه، فإن فلسفة السلم في التصوف الإسلامي ليست فلسفة نظرية فحسب بل هي كذلك فلسفة عملية تتجلى بوضوح في مدونة السلوك الصوفي القوي والفعلي وهو سلوك سلمي تصالحي، مع الذات ومع الآخر ومع المجتمع ومع العصر، وتتأسس ثانيا على أن هذا السلوك السلمي ألتصالحي إنما هو نتيجة جهد تربوي منهجي ذي مبادئ ومفاهيم وقيم وأهداف .

وانطلاقا من هذا التأسيس، فإننا سنعتبر هذه العلاقة المرتبطة بين التربية الصوفية وبين السلوك السلمي والتي يشي بها عنوان الدراسة من المبادئ المؤطرة معرفيا لفلسفة السلم في التصوف الإسلامي ومع ذلك، فإننا لن نغفل ذلك التفاعل الديالكتيكي بين هذه العلاقة وبين العلاقات المطروحة الأخرى التي تناقضها أو تناظرها من مثل ما هو شائع ومتداول حول سلبية السلوك الصوفي، ومن مثل ما أصبح في حكم المسلم به خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حول عنف ولا سلمية الإسلام، والواقع، إن هذه العلاقات اللزومية : بين التربية الصوفية والسلوك السلمي، وبين التربية الصوفية والسلوك السلمي، وبين تربية الحركة الإسلامية والسلوك اللاسلمي، إنما تعكس مواقف وقناعات حاصلة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا تجاه الحركة الصوفية من جهة، وتجاه الحركات الإسلامية من جهة أخرى وهي مواقف وقناعات تجدد ما يسندها وما يسوغها في سلوكيات هاتين الحركتين اللتين تجهد كل واحدة منهما نفسها ، من أجل التأسيس إسلاميا لمنظومتها التربوية، وهنا المفارقة : إذاً كيف أمكن - معرفيا وبيداغوجيا ومنهجيا - لهاتين المنظومتين التربويتين اللتين تمنحان أصولهما ومبادئهما من مصدر واحد أن تنتجا سلوكين متناقضين؟

وما يحدث في الوقت الحالي من مظاهر وظواهر اجتماعية بادية للعيان من حروب وثورات وأعمال إجرامية في بعض البلدان العربية والإسلامية وتغيرات في الخارطة العربية وأفعال عنف وتقتيل وإجرام وغيرها مظاهر تشد الانتباه للدليل على ذلك، فنجد أن وسائل الإعلام تجمع بأن أسباب هذا العنف أنه راجع إلى التطرف الديني الذي يصدر عن بعض الجماعات والتوجهات الدينية، ومن المعروف أن هناك العديد من التوجهات الدينية المختلفة والمتخالفة حسب مرجعياتها الدينية وتوجهاته الفكرية ومصادره الرئيسية، وهناك بعض التوجهات الدينية في المجتمع بعيدة كل البعد عن هذا التطرف الديني وعمما يحدث من تغيرات في الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلدان العربية والإسلامية بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة وهذا ما يتمثل في ظهور بعض الجماعات التي تدعو إلى التغيير عن طريق العنف الاجتماعي والعنف المسلح وعلى غرار هذا فإن غايتنا من هذه الدراسة ليس البحث فقط، في هذه الإشكالية ، بل تتجاوز ذلك إلى البحث أولا عن ما يمكن الاستفادة منها ، وإلى البحث ثانيا عن كيف يمكننا توظيف ذلك كله في منظومتنا التربوية واستثماره من أجل ترسيخ قيم السلم وإعادة تبحير تقاليد السلوك السلمي في مجتمعنا .

الإطار المنهجي للدراسة

ف نجد الطرق الصوفية تنأى عن مثل هذه الممارسات في المجتمع وهذا ما دعانا إلى طرح العديد من التساؤلات بغية الإجابة عليها في نتائج بحثية من خلال التعرف على توجه الطرق الصوفية إلى ترسيخ ثقافة السلم في المجتمع وما هي مصادره وحلقاته الدينية وغيرها كثير من المتغيرات. ومن خلال ما سبق تبادر في الذهن تساؤل رئيسي مؤداه:

- هل تؤثر التربية الروحية على ترسيخ ثقافة السلم الاجتماعي لدى أبناء مريدي الطرق الصوفية؟

وتتفرع من هذه الإشكالية بعض التساؤلات الجزئية التالية :

- ما طبيعة الدور الذي تؤديه هذه الطرق في تنشئة أبناء الأسر المنتمين إليها .
- هل توجد أساليب تربوية معينة تعتمد عليها هذه الطرق الصوفية ؟
- هل يعمل الآباء المنتمين للطرق الصوفية في ترسيخ قيم وقواعد أخلاقية لأبنائهم ويتحدثون معهم عن نهي الإسلام وأوامره فيما يخص التسامح والسلم والعفو في أوقات كثيرة حتى ترسخ في ذهنهم ؟
- هل ينقل مريدي هذه الطرق القيم الدينية التي تلقوها من علماء مسالكهم ومناهجهم التربوية في تنشئة أبناءهم؟

(2) الفرضيات:

من أهم مرتكزات البحث صياغة الفرضيات، لذا يقوم الباحث بربط الأسباب بالمسببات وهذه تحتاج جهدا من الباحث إضافة إلى الوقت اللازم لذلك، لهذا ووفقا للأهداف المتوخاة من محاولة الكشف عن مدى تأثير التنشئة الدينية للطرق الصوفية على ترسيخ ثقافة السلم الاجتماعي لدى أبناء المريدين، سوف نحاول صياغة فرضية عامة مفادها.

الفرضية العامة:

يسعى الآباء المنتمون للطرق الصوفية إلى تربية أبناءهم وفق المنهج الديني التربوي للطرق الصوفية القائم على تعاضد الجهود والقدرات لخدمة المجتمع وترسيخ ثقافة السلم الاجتماعي لديهم.

والتي تفرعت عنها فرضيتين جزئيتين

الفرضيات الجزئية:

- 1- يساهم الآباء في نقل القيم الدينية الصوفية وتلقينها لأبنائهم وهذا ما ينعكس على سلوكياتهم وأفعالهم لممارسة السلم في المجتمع
- 2- تساهم الأفكار والتوجهات الدينية المستنبطة من المنهج الصوفي المستمدة من الكتب الصوفية الأصلية للمشايخ في ترسيخ ثقافة السلم الاجتماعي لدى المريدين.
- 3- تساهم الأذكار والأوراد في الالتزام الديني والتهديب الروحي الأمر الذي أدى إلى اتخاذ سبيل السلم في علاقاتهم وممارساتهم في حياتهم الاجتماعية.

3) أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيار الموضوع إلى سببين أساسيين.

3-1) السبب الذاتي:

كشف النقاب عن هذه المعالم من تراثنا الثقافي، وإبراز ضياء منارات حافظت على كتاب الله الكريم والثقافة الإسلامية في عممة الاستعمار وحملات التنصير والتجهيل التي قادها الاستعمار والميل الشخصي لدراسة موضوع يشوبه الغموض سوسولوجيا وتطرح عنده العديد من الاستفهامات وهو التنشئة الدينية لمريدي الطرق الصوفية، أيضا قلة الدراسات الميدانية والمتعلقة بهذا الموضوع ذات الطابع التربوي الديني وأيضا الانبهار في سلوك أتباع الطرق الصوفية وخلفائهم المتصوفة وقدرتهم على امتصاص السلوك السلبي وتحويله الى سلوك ايجابي داخل المجتمع .

3-2) السبب الموضوعي:

بعد الاطلاع على عدد من الكتب التي تناولت الطرق الصوفية والاستطلاع الميداني لمسنا أن معظمها اعتمدت على الوصف لهذا أردنا إجراء هذه الدراسة الميدانية حتى تكون دراسة أكاديمية وأيضا موضوع الطرق الصوفية لم يلقى الحظ الوافر من حيث الدراسات السوسولوجية ولم يحظ باهتمام يفني بحجم الرسالة التي تبنته، كما كان للطرق الصوفية دور عظيم في الحفاظ على الكتاب العظيم واللغة العربية و مقاومة التنصير، كذلك هذا الموضوع يصب في مجال التخصص إذ ليس من الموضوعية في علم الاجتماع التربوي الديني أن نترك قضايا جوهرية من هذا القبيل على الهامش دون دراستها. ومحاولة إثراء المكتبة الجامعية بدراسة أولية عن الطرق الصوفية وتحديد الطرق الصوفية المتواجدة بولاية الأغواط، أيضا محاولة معرفة ما إذا كانت الطرق الصوفية كظاهرة دينية اجتماعية قد توسعت بؤرتها إلى أن وصلت الى الحقل السياسي، ومعرفة مدى تأثير هذه المؤسسة على أذهان الأفراد في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها الجزائر .

4) أهداف الدراسة:

تتطلب طبيعة الإشكالية استعمال المنهج الوصفي التحليلي الذي ينطلق من الواقع " فهو يستمد معلوماته من واقع الظاهرة وهو يصفها" ¹.

الهدف منه هو محاولة الإجابة عن الأسئلة الواردة في الإشكالية وهي:

- غموض المدلول الحقيقي للتربية الروحية بالنسبة للكثير من المثقفين في المجتمع الاسلامي وما علاقة ذلك بالثشبع بثقافة السلم ونبذ العنف داخل المجتمع.
- ضرورة التعرف على الوسائل المؤدية الى تحقيق التربية الروحية لدى المسلمين
- وجود بعض المظاهر السلبية في مجتمعاتنا الاسلامية نتيجة لإغفال جانب التربية الروحية السلامية.

1- تحسين أحمد، منهجية البحث العلمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، بط، 1998، ص188 .

الإطار المنهجي للدراسة

- الوقوف على عملية نقل القيم الدينية لأبناء مريدي الطرق الصوفية وذلك بالتعمق في فهم عملية التنشئة وتحليلها من الجانب السوسيو ديني، لإضافة مساهمة ولو بسيطة إلى المساهمات التي قدمت في هذا المجال
- إعطاء لمحة تاريخية عن الطرق الصوفية، عن نشأتها وتطورها وانتشارها وعن تأسيسها والمراحل التاريخية التي مرت بها
- الوقوف على مدى تأثر أبناء مريدي الطرق الصوفية بالقيم الدينية التي يتلقاها آباؤهم ، أمام العولمة التي هي أخطر مظاهر التبشير وهي غزو اقتصادي وتبعية في الأفكار وفرض قيم أجنبية على الثقافة والدين الإسلامي وتربية الأبناء، وما علاقة ذلك بالسلم الاجتماعي .
- إيضاح رسالة الطرق الصوفية في الحفاظ على دورها التعليمي والتثقيفي والحفاظ على كيانها كثرات ثقافي ومحلي متميز ومستمر.

5) تحديد المفاهيم:

5-1) التصوف:

- لغة:** لم تعرف كلمة التصوف في لغتنا اشتقاقا واحدا يتفق عليه، إذ قيل أنها مشتقة من صفاء القلوب وقيل أنها مشتقة من الصفة أو صفة المسجد مكان في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يجلس فيه متعبدون زهاد.¹
- أو من الصف وهو اشتقاق مشكوك فيه كثيرا وهو الصف الأول في المسجد (أمام الله) أو من اللفظ اليوناني "صوفوس" أي حكيم²
- أما الاشتقاق الشائع أو المعروف على حد قول ابن تيمية فهو نسبة إلى لبس الصوف وهذا القول يؤيده "السهرودي" مدلا على ذلك أنه اقتداء بالأنبياء والرسول ويؤيده "ابن خلدون" فيما بعد.
- اصطلاحا:** إذا كان الاشتقاق اللغوي قد تعدد فإن التعريف الاصطلاحي سيزداد تعددا وتنوعا وقد أحصيت في "الرسالة القشيرية" وحدها أكثر من خمسين تعريفا ركزت أغلبها على وصف الرجل الصوفي وسلوكاته حتى تكاد تتخلص في القول بأن التصوف هو الأخلاق.³
- كما يقول ابن عجيبة أن التصوف هو صدق التوجه إلى الله بما يرضاه ومن حيث يرضاه، ولقد كادت كتب التصوف تجمع على أنه صدق التوجه المشروط برضى الله سبحانه وتعالى.⁴

1- ساعد خميسي، حول حقيقة التصوف، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاجتماعية، قسنطينة، مطبعة البعث، العدد 12، 2002، ص 75.

2- الفرد بل، الفرق الإسلامي في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987، ص 374.

3- ساعد خميسي، نفس المرجع، ص 77.

4- السيد يوسف هاشم الرفاعي، الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة، دار النشر غير موجودة الكويت، الطبعة الأولى، 1999، ص 33.

5-2) الطريقة الصوفية:

لغة: الطريقة أو السبيل أو المنهج

اصطلاحاً: هي منهاج كل واحد من الأولياء و الطريقة و أوراده التي يلقتها إلى تلاميذه. هي السيرة والطريقة أيضا المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات¹. ويعرف "بديع الزمان سعيد النورسي" الطريقة الصوفية بأنها سبيل معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني، بخطوات القلب وصولاً إلى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود². وذكر الإمام الغزالي أن الطريق "الطريقة" أول شروطها تطهير القلب بالكليّة عما سوى الله تعالى وبعبارة أخرى تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى³.

تعريف إجرائي: هي السبيل الذي يعبره السالك إلى الله بإتباع منهاج واحد من أولياء الصوفية في طريقته والتخلي عن كل خلق سيء والتحلي بكل خلق حسن.

5-3) الزاوية: مأخوذة من الفعل انزوى، و ينزوي، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد وقد أدرك خلفاء المسلمين الأوائل حاجة المعتكفين إلى هذا الانزواء وأصبحت في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون المصلون ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر⁴.

والزاوية كما يقول عنها الدجاني: "... المركز التعليمي للقبيلة، ففيها المدرسة القرآنية، التي يتلقى فيها أطفال القبيلة العلم، والمسجد الذي تقام فيه الصلوات، وتلقى الدروس التي يحضرها أفراد القبيلة"⁵. أما أحمد بن نعمان فيحدد الزاوية على أنها "مدرسة كبرى، تقع عادة في المناطق غير الحضرية، وهي ذات نظام داخلي، يتلقى فيها الطلبة دروساً لغوية ودينية، وبعض المبادئ في العلوم والرياضيات... وتتمول من أملاك موقوف عليها من طرف بعض المصلحين"⁶.

تعريف إجرائي: هي بيت أو مكان يشبه المسجد تقام فيه الصلوات ويعقد فيه المريدين اجتماعاتهم أين يذكرون الله ويدرسون فيه العلوم الدينية كما تعتبر مأوى للفقراء والضيوف ويتولى إدارتها مشايخ الطريقة الصوفية.

- 1- السيد محمد عقيل المهدي، دراسة في الطرق الصوفية، دار الحديث، القاهرة، طبعة الثانية، بدون سنة، ص 12.
- 2- سعيد عيادي، التنشئة السياسية بين المدرسة والبيئة الثقافية، رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1990-1991، ص 20.
- 3- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، الجزائر، الطبعة الثالثة، بدون سنة، ص 84.
- 4- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، 1967، ص 423.
- 5- سعيد عيادي، مرجع سابق، ص 16.
- 6- الصالحين الحفني، دور التعليم الديني في الحفاظ على التراث، مجلة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامي، قسنطينة، مطبعة البعث، العدد 23، 2004، ص 221.

4-5) الطريقة:

هي المسيرة وطريقة الرجل و مذهبه يقال: ما زال فلان على طريقة واحدة أي حال واحدة وفلان حسن الطريقة والطريقة حال¹.

في القرن الثالث والرابع الهجري، كانت الطريقة عبارة عن منهج أخلاقي يحدد عملياً ضروب السلوك الفردي وبعد القرن الخامس الهجري أصبح عبارة عن جملة مراسيم للتدبير الروحي المعمول به من أجل المعاشرة في الجماعات الإخوانية التي بدأت تظهر منذ ذلك التاريخ².

الطريقة في النظم الاجتماعية هي تجسيد المنهاج في المجال الديني على شكل تنظيم هرمي لإتباع ذلك المنهج تحت توجيه رائد ملهم وإشرافه يدين له أتباعه بالتعظيم والتبعية الفكرية والروحية، ومن أشهرها في الثقافة الإسلامية الطرق الصوفية التي تعد بمثابة مدارس فكرية يجمع بين أتباعها أورايد ومنهج سلوكية وأساليب تعبدية يصعد عن طريقها المرید على سلم المقامات والأحوال، وقد تكونت عدة طرق بالشرق والمغرب العربيين كالطريقة الجيلالية نسبة إلى عبد الرحمن الجيلالي، والطريقة الرفاعية والطريقة الأحمدية نسبة إلى أحمد بدوي والطريقة القادرية والسنوسية والرحمانية وغيرهم كثير.

ولبعض الطرق الصوفية تاريخ سياسي بجانب نشاطها الديني كالطريقة المهديية ومؤسسها المهدي زعيم الثورة السودانية كما أن لكل طريقة طابعها الخاص وبعض الطقوس التي تؤدي بها أذكارها وكم أدخلوا أمور أعدها بعض الفقهاء بدعا وكانت موضع نقاش بينهم وبين الصوفية ولا يزال للطرق الصوفية شأنها ونفوذها لدى عامة الشعب في كثير من البلاد الإسلامية³.

تعريف إجرائي:

الطريقة منهاج يسلكه أتباع شيخ معين وهو نظام دقيق في السلوك الروحي يحيون من خلاله حياة جماعية في الزوايا والرباطات والخانقات.

الطريقة التزام روحي واجتماعي لمنهاج الشيخ الأصلي

5.5) تعريف الدين:

لغة: يقول الباحثون في أصل هذه التسمية أن كلمة تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه (دانه يدينه) وتارة من فعل متعد باللام (دان له) وتارة من فعل متعد بالباء (دان به) وباختلاف الاشتقاق تختلف الصور المعنوية.

فإذا قلنا : (دان له) أردنا أنه طاعه وخضع له فالدين هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع وكلمة (الدين لله) يصبح منها كلاً المعنيين الحكم لله أو الخضوع لله.

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، دار الطباعة والنشر، بيروت، ص221.

2- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون طبعة، 1983، ص218

3- مذكور إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بدون طبعة، 1975، ص115.

اصطلاحاً:

اختلف الباحثون في علم الاجتماع حول تحديد معنى الدين ويثير أحد الباحثين إلى أن (جيمس لويبا) أورد عام 1912 حوالي 49 تعريفاً للدين¹.

فيرعفه (ماكس مولر) " بأنه محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير فيه، هو التطلع إلى اللاهائي، هو حب الله².

كما يعرفه (شيلر ماخر) بأنه خضوع الإنسان لوجود أسمى منه أما سبنسر فيقول: الدين هو الإحساس الذي نشعر به حينما نعوص في بحر الأسرار وقد عرفه فقهاء الدين الإسلامي بأنه الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة ويعرفه علماء الكلام من المسلمين التدين بأنه الإيمان والاعتقاد بذات غيبية علوية لها شعور واختيار ولها تدبير وتصرف وتحكم في الشؤون التي يعنى بها الإنسان، وأن هذا الاعتقاد يتطلب مناجاة تلك الذات الإلهية السامية في رغبة ورهبة وخشوع وتبجيل واحترام³.

5.6) تعريف التربية:

التربية لغة: جاء في لسان العرب، ربا الشيء : زاد و نما، و ربيته: نميته⁴، وفي القرآن الكريم، " و يربي الصدقات" أي يزيدها، و ربوت في بني فلان: نشأت فيهم. وفي المعجم الوسيط، تربي : تنشأ وتغذي وتتقف ورباه : نمى قواه الجسمية والعقلية و الخلقية⁵، وهكذا فإن المعنى القاموسي في لغتنا العربية لكلمة تربية، يتضمن العناصر التالية : النمو التغذية التنشئة و التثقيف. أما في اللغة الفرنسية فإننا نجد كلمتين، الأولى: تربية والثانية : بيداغوجيا. الأولى من أصل لاتيني والثانية من أصل يوناني.

يقول إميل دوركايم (1858-1917): لقد دخلت كلمة تربية إلى اللغة الفرنسية بفضل علماء عصر النهضة حينما أوردها Robert Estienne في قاموسه اللاتيني الفرنسي عام 1549، بمعنى التغذية Nourriture، ثم يذكر Foulquié في معجمه التربية، أن الفعل اللاتيني Educare يشير إلى معنى التنشئة Elever، تستخدم كذلك لغير الإنسان وخاصة في مجال تربية بعض الحيوانات. أما كلمة Pédagogie فإنها مكونة من مقطعين يونانيين الأول Ped وأصله Pais أو Pedos بمعنى طفل والمقطع الثاني Agogie وأصله ogôg بمعنى القيادة و التوجيه. إذا فكلما بيداغوجيا تعني توجيه الأطفال و قيادتهم⁶.

1 - حسن علي مصطفى حمدان، نشأة الدين بين التصور الانساني والتصور الاسلامي، قسنطينة، مؤسسة الإسرائ، الطبعة الأولى، 1991، ص 08.

2 - محمد إبراهيم الغيومى، محاضرات في منهج الدين المقارن، المعهد العالي للدراسات الاسلامية، 2007، ص 10.

3 - حسن عبد الحميد أحمد رشوان، تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع، المكتب الجامعي، الاسكندرية، ط4، 2003، ص 93.

4- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 14، بيروت، 1968، ص 122.

5- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جلد 1، القاهرة، 1960، ص 182.

6 - Dictionnaire de la langue pédagogique, P. FOULQUIE, P.O.F, 1971, p253.

التربية اصطلاحاً

لقد حاول كثير من المربين، قديماً و حديثاً، أن يعرفوا التربية تعريفاً جامعاً مانعاً، لكنهم اختلفوا في ذلك اختلافات كبيرة لاختلافهم في تحديد الغرض من التربية وأهدافها في المجتمع. و من بين التعاريف التي يمكن اقتراحها في هذا الصدد¹.

- أفلاطون (427 - 348 ق م)، و من آرائه : " إعطاء الجسم كل جمال و كمال ممكن، و دور المعلم لا يقوم على فرض العلوم، إنما بتوجيه التلميذ بالمناقشة و الأسئلة ".²

- أرسطو (384 - 322 ق م)، و من آرائه : " التربية إعداد العقل للكسب، كما تعد الأرض للنبات و الزرع ".²

- إمانويل كانت (1724 - 1804)، و من آرائه : " الغرض من التربية الوصول بالإنسان إلى الكمال الممكن، و مهمة التربية أن تحترم حرية الفرد الطبيعية وتساعد على تحقيق إنسانيته ".³

- جون جاك روسو (1778 - 1812)، و من آرائه : " الغاية من التربية، ألا نخشو رأس الطفل بالمعلومات، إنما نهدب قواه العقلية، ونجعله قادراً على تثقيف نفسه بنفسه ".³

- بيستالوتزي (1746 - 1827)، و من آرائه : " التربية هي تنمية كل قوى الطفل تنمية كاملة و متكاملة "، و هو يذهب مذهب روسو، أن التربية الناجحة تلك التي تحترم مؤهلات الطفل³ .
وفي هذا السياق سنختار تعريف أفلاطون ونركز عليه كأنسب تعريف لأنه يتماشى والدراسة.

5-7) تعريف الروح

الروح لغتاً: الروح في اللغة تعني الأحياء من الموات، يقول ابن منظور في لسان العرب : والروح بالضم في كلام العرب النفخ ، سمي روحاً لأنه ربح يخرج من الروح، وقد أطلقت كلمة روح في القرآن، علي عدة أشياء كل منها يبعث نوعاً من أنواع الحياة ، ومن بينها : القرآن نفسه لأنه يحيي موات القلوب و جبريل عليه السلام لأنه هو الذي ينفخ الأرواح في الأرحام، والوحي لأنه نزل القرآن، و الإسلام لأنه به تحي الشعوب ونبي الله (من الحياة يمكن أن نصفه بأنه روح عيسي عليه السلام لأنه كان يحيي الموتى بإذن الله .

اصطلاحاً: الروح عبارة عن مصطلح ذي طابع ديني وفلسفي يختلف تعريفه وتحديد ماهيته في الأديان والفلسفات المختلفة، ولكن هناك إجماع على أن الروح عبارة عن ذات قائمة بنفسها، ذات طبيعة معنوية غير ملموسة ويعتبرها البعض مادة أثيرية أصلية من الخصائص الفريدة للكائنات الحية، استناداً إلى بعض الديانات والفلسفات فإن الروح مخلوقة من جنس لا نظير له في عالم الموجودات وهو أساس الإدراك والوعي والشعور

1- روني أوبر، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، 1967، ص23.

2- توفيق حداد و زملاؤه، التربية العامة، دار وائل للنشر، القاهرة، 1977، ص9.

3- صالح عبد العزيز، التربية الحديثة مادتها مبادئها تطبيقاتها العملية، الجزء الثالث، دار المعارف، مصر، 1969، ص113.

وتختلف الروح عن النفس حسب الاعتقادات الدينية فالبعض يرى النفس هي الروح والجسد مجتمعين ويرى البعض الآخر إن النفس قد تكون أو لا تكون خالدة ولكن الروح خالدة حتى بعد موت الجسد.¹

5.8) التربية الروحية:

1) المفهوم : إن المقصود بالتربية الروحية في الإسلام أو تزكية النفس أو السير إلى الله سبحانه وتعالى أو غير ذلك من المصطلحات التي نجدها عند الصوفية وفي كتب التربية الروحية عموماً، تصب كلها في وعاء واحد وهدف واحد هو الانتقال من نفس غير مزكاة إلى نفس مزكاة، ومن عقل غير شرعي إلى عقل شرعي ومن قلب قاس مريض إلى قلب مطمئن سليم ومن روح شاردة عن باب الله غير متذكرة لعبوديتها وغير متحققة بهذه العبودية، إلى روح عارفة بالله قائمة بحقوق العبودية له، ومن جسم غير منضبط بضوابط الشرع إلى جسم منضبط بشريعة الله عز وجل، وبالجملة من ذات أقل كمالاً إلى ذات أكثر كمالاً في صلاحها وفي إقتدائها برسول الله قولاً وفعلاً وحالاً².

2) من مظاهر التربية الروحية : ومن مظاهر هذه التربية أن يتحكم الإنسان في نفسه، فلا يجده الله حيث نجاه، ولا يفقده حيث أمره، ولا يظهر منه ما يغضب الله عز وجل، فهو كالغيث أينما وقع نفع، صالح في نفسه مصلح لغيره، مفيد لمجتمعه وأمته، وعلى العموم هو باقة من الفضائل والمثل الرفيعة والقيم الصالحة القائمة على العلم والمحاسبة والمراقبة والمجاهدة الذاتية والإيثار والتضحية، وحب الآخرين، فهو كله خير ولا يعرف الشر إليه سبيلاً.

والتربية الروحية بهذا المفهوم، وبهذه المظاهر لا تعني الانسلاخ من المجتمع والهروب من دنيا الناس فالذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، ولأن الإسلام لا يضحى بمصالح العباد في الدنيا من أجل الفوز بالآخرة، ولا يعرف الخصام بين المعاش والمعاد، ولا خصاماً بين الروح والجسد. بل هذا الخصام مفتعل ، وضعه القاصرون في فهم الدين ، والإسلام منه بريء³

إن الحياة الصحيحة للإنسان في هذه الدنيا هي أساس تكريمه وخلوده في الآخرة ، وإذا انهارت دنياه بسبب انحرافه انهارت آخرته ، قال تعالى : " ومن كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً"⁴ وجسد الإنسان هو وسيلة في بلوغ غاياته ، فإذا وهن الجسد واعتل ، قصر المرء في تحقيق ما يريد ، فما استطاع تعلماً ولا جهاداً ولا سعياً لنفع نفسه أو نفع أمته⁵

1 - فيصل قريشي، علم النفس الاسلامي، الموقع الالكتروني <http://www.acofps.com> يوم 2016/10/15، على الساعة 11.30.

2- سعيد حوى، تربيته الروحية ، مطبعة رحاب ، الجزائر، 1996 ، ص 69 .

3 - محمد الغزالي، هذا ديننا ، دار الكتب ، الجزائر، ط1، 1988 ، ص 48.

4 - سورة الإسراء : آية : 72

5 - سعيد حوى، مرجع سبق ذكره ، ص 22 .

6) الدراسات السابقة:

تندرج هذه الدراسات في الإطار السوسولوجي و الأثنوبولوجي في إطار علم الاجتماع الديني الذي يعتبر من الفروع الناشئة فبالرغم من الاهتمام الذي لاقاه هذا الميدان في البداية عند العلامة ابن خلدون وبعد ذلك كونت و إميل دوركايم و علماء الأثنوبولوجيا، إلا أن هذا الجانب ظل لفترة طويلة محبوس بين الأدراج ولم يلقى اهتمام كبير من طرف بعض الرواد و الأكاديميين و الباحثين بالرغم من كل هذا إلا أن هناك بعض الدراسات التي يجب ذكرها و التي استندنا عليها و التي نحاول أن نقدمها ابتداء من دراسة ابن خلدون ثم دراسات علماء الاجتماع وصولا إلى دراسات جزائرية، وأخيرا الدراسات الاجتماعية الحديثة .

- نظرا لطبيعة الموضوع والذي يعالج ظاهرة الطريقة الصوفية من جهة والتربية الروحية لها و تأثير ذلك في ثقافة السلم الاجتماعي لدى الأفراد بالمجتمع الجزائري من جهة أخرى ونظرا للحدية وجدنا بعض الدراسات السابقة التي عاجلت ولو جزئا من موضوعنا، سوف نقدمها ، وقد تم توظيف بعضها منها في دراستنا هذه نظرا لأهميتها العلمية والسوسولوجية والأثنوبولوجية .

الدراسة الاولى: لعبد الرحمان ابن خلدون بعنوان : "شفاء السائل في تهذيب المسائل "

بعد تطور التصوف وظهور مختلف مظاهره مثل الكشف والتخلي والوحدة، أصبح المرید في حيرة وحاجة الى تنويره في الطريق الذي يسلكه من أجل أن لا يقع في "بحر التلف" حسب تعبير عبد الرحمن ابن خلدون ومن هنا برزت للوجود قضية ضرورة الشيخ المريني لكن إجابة ابن خلدون لم تكن مقتصرة على هذه المسألة (الشيخ) بل تعدتها لتشمل ظاهرة التصوف بصفة عامة : مفهومه و نشأته وتطوره واتجاهاته مع تحليل كل هذه الظاهرة.¹

في هذا الميدان، ألف ابن خلدون قبل المقدمة ، كتاب "شفاء السائل في تهذيب المسائل" أثناء إقامته في فاس بين 774 و776 هـ. وهو الكتاب الذي يعتنق فيه مذهب القائم على أساس أن أعمال المكلف المسلم لها وجهان: وجه ظاهري سلوكي (أعمال الجوارح) ووجه باطني (أعمال القلوب) مع اعتقاده بأن مجال الصوفي مقتصر على شؤون الآخرة فالتصوف بالنسبة لابن خلدون "هو رعاية حسن الآداب مع الله في الأعمال الباطنية والظاهرية بالوقوف عند حدوده مقدما الاهتمام بأفعال القلوب مراقبا خفاياها، حريصا بذلك على النجاة.² من الناحية المنهجية، يقوم تحليل ابن خلدون لظاهرة التصوف على استقراء المصادر و المؤلفات الخاصة بهذا الميدان من أجل معرفة أطواره ومدارسه واتجاهاته كما أن التصوف مبني بالنسبة لهذا المؤلف على المحاهدات الثلاثة الآتية: مجاهدة القوى القائمة على الابتعاد عن الترف المعيشي و التعصب الذهني. تأتي بعد

1 - عمار طالبي، التصوف عند ابن خلدون من خلال كتاب "شفاء السائل لتهذيب المسائل" مجلة الخطاب الصوفي، عدد خاص الأول حول الخطاب الصوفي بين الرؤية الجمالية والبعد الصوفي، جامعة الجزائر، 2007، ص 65.

2- عبد الرحمان ابن خلدون، شفاء السائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1996، ص121.

الإطار المنهجي للدراسة

ذلك مجاهدة الاستقامة المرتبطة أساسا بمخالفة الهوى و مداواة النفس و شهوتها . وأخيرا مجاهدة الكشف والاطلاع وتمثل في محو الصفات البشرية و تعطيل القوى البدنية بالرياضة حتى تصفو النفس و ينكشف الحجاب وتظهر أسرار العوالم و حقائق العلوم واضحة للعيان .¹ من جهة أخرى، يرى ابن خلدون أن المتصوفة "المتأخرين" الذين يفرقهم عن المتصوفة الأوائل، ينتمون إلى مذهبين أساسيين: مذهب "التجلي" وموقف "الوحدة" المعروفين، أما موقفه من "شيخ التربية" فهو يربطه بالمجاهدات الثلاثة التي سبق وأن ذكرناها: فمجاهدة التقوى لا يحتاج إلى شيخ لأن المكلف يأخذ أحكام الله وحدوده من الكتب مباشرة، أما مجاهدة الاستقامة فهي تحتاج إلى شيخ لكن غير واجب بالضرورة أما المجاهدة الثالثة الخاصة والمرتبطة بمجاهدة الكشف، فهي تحتاج بالضرورة إلى شيخ التربية لأن الطريق شاق وصعب المنال "فلا بد من الشيخ الذي ميز بذوقه أعيانها وفرق بين ضارها ونافعها".² وأخير يذكر أن لعبد الرحمن ابن خلدون فتوى خاصة بالمدرستين التي سبق و أن ذكرناهما: مدرسة "التجلي" ومدرسة "الوحدة" وهي فتوى فقهية شديدة في مبنائها ومعناها.³

الدراسة الثانية: بعنوان "القيم الدينية للطرق الصوفية والتنشئة الاجتماعية دراس ميدانية لعلاقة الآباء بالأبناء في الزاوية التجانية" وهي عبارة عن دراسة سابقة قمنا بها لنيل شهادة الماجستير تحت إشراف الاستاذ عبد العزيز خواجه والتي حاولنا فيها البحث عن ما مدى تأثير الآباء بآبائهم داخل الزاوية التجانية في ما يخص الالتزام والحرص على أداء ما هو مفروض في الطريقة والولاء لمشايخ ومرجعيات الطريقة ومدى حرص الآباء على أبناءهم في الصهر على إبتاعهم للمنهج التربوي الصوفي الذي هو من صميم الاسلام الذي يستهدف تزكية النفس وتطهيرها من رذائلها الخلقية وتزويدها بفضائل الاسلام، هذا ما عمل عليه علماء الطريقة التجانية وهو غرس القيم والأخلاق والآداب الفاضلة في نفوس مريدي الطريقة التجانية، من هذه النقطة نجد أنه قد تبلورت لدينا تساؤلات كثيرة تدور حول هذه الطريقة الصوفية وما تقدمه من منهج تربوي ديني لأتباعها وكيف أن هؤلاء الأتباع ينقلون ما نهلوه من قيم دينية لتنشئة أبناءهم، من خلال ذلك ارتأينا طرح الاشكالية التالية: هل الآباء المريدون المنتمون للطريقة التجانية ينشئون أبناءهم وفق القيم الدينية والتربوية التي يتلقونها من الطريقة؟.

وكانت الفرضية العامة: يسعى الآباء المنتمين للطريقة التجانية إلى تربية أبناءهم وفق المنهج الديني التربوي للطريقة والتي تفرعت عنها فرضيتين جزئيتين

- كلما زاد التزام الاب المريد في الطريقة التجانية زاد نقله للقيم الدينية لأبنائه

- كلما زاد ولاء الاب المريد لمرجعيات الطريقة التجانية زاد نقله للقيم الدينية لأبنائه

1- عمار طالي ، التصوف عند ابن خلدون، مصدر سابق، ص 75.

2- عبد الرحمان ابن خلدون ، شفاء السائل، مصدر سابق، ص 130.

3- طالي عمار، مصدر سابق، ص 95.

أما عن المنهج المتبع في الدراسة فهو المنهج الوصفي الكمي والذي يتمشى مع طبيعة الموضوع كونه يتلائم مع طبيعة الدراسة فكانت النتائج المحصل عنها هي

أنه كلما التزم الأب المريد بأداء الورد المعلوم في وقته زاد هذا من حرص الأبناء على حفظ هذا الورد. و التزم الآباء المريدين بأداء الصلاة مع الجماعة وفي الزاوية يزيد من حرص الأبناء على أدائها في وقتها . والتزام الآباء المريدين بالذهاب إلى مجلس الذكر زاد هذا من حرص الأبناء على حضور هذا المجلس . وكذلك التزم الآباء المريدين بحضور احتفالات المولد زاد من حرص الأبناء على حضور هذه الاحتفالات. وإن كان سبب إتباع الطريقة هو الأسرة يزيد هذا من ولاء الأب المريد لمرجعيات ومشايخ الطريقة. وكذلك كلما كانت علاقة الأب المريد مع والديه في موضوع إتباعه للطريقة جيدة زاد ذلك من قوة ومتانة علاقته مع أبنائه في هذا الموضوع أيضا. وكلما كان تقبل النقد من الشيخ يصدر ربح عزز هذا من مكانة الأب المريد في أسرته وإمكانية تنشئة أبنائه على القيم الدينية بدرجة أكبر. وكلما كان سن الآباء المريدين يتراوح ما بين [46-55] أثر هذا في ذهاب الأبناء إلى مجالس الذكر. وكلما كان اعتزاز الأب المريد بانتمائه للطريقة قلل هذا من صعوبة تعلم مبادئ الطريقة على الأبناء. وكلما كان سبب البقاء في الطريقة للحاجة الروحية في العبادة زاد هذا من قراءة الأبناء للقرآن الكريم. وكلما ارجع الأب المريد تخاصم زملائه إلى الشيخ ليصلح بينهم زاد هذا من تغير الأبناء من ناحية التزامهم بالواجبات والفروض الدينية .

إن هاته الدراسة ركزت على علاقة الآباء مع الأبناء في ما يخص التنشئة الدينية وما مدى تأثر الأبناء بالقيم الدينية التي يلقنها لهم الآباء.

الدراسة الثالثة: لمحمد رؤوف القاسمي الحسني تحت عنوان "زاوية الهامل المسار التاريخي والتحولات الهيكلية دراسة سوسولوجية منوغرافية"¹. يصعب توجه هذه الدراسة التحليلية لمؤسسة الزاوية في اتجاه بحث أكاديمي، إلا أنها ترصد الحقائق بطريقة علمية وتجنبها طبي الضياع من جانب، ومعرفة طبيعة و نوعية الضغوطات وقلة الاهتمام بأبعادها الروحية والعلمية و التربوية والاجتماعية من جانب آخر .

كما تساعد الدراسة المنوغرافية للزاوية على تصنيف الأحداث و تبويبها، وتقديم رؤية تحليلية لواقع الزاوية منذ تأسيسها، وترصد التحولات و الحركات التي أثرت في تفعيلها، و تشخيص مختلف الفاعلين، واستراتيجيتهم وعلاقتهم بالاختيارات وما تعرض له الواقع الجزائري من أحداث .

إن استحضار دراسة الزاوية في كون أنها توضح جانبا مهما في معرفة القيم الثقافية التقليدية التي كانت عليها بنية الجماعات القبلية من جانب، وتساعد في إحضار القيم الموروثة عن "السلف " في شقه الروحي التربوي والنموذج الواقعي، أو بين المأمول والواقعي من جهة أخرى.¹

1- محمد عبد الرؤوف القاسم الحسني، مؤسسة زاوية الهامل، المسار التاريخي و التحولات الهيكلية، دراسة سوسولوجية-منوغرافية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006-2007 .

الإطار المنهجي للدراسة

تساعد دراسة الزاوية كذلك على توضيح جانب لواقع التمدن في أسسه و خصائصه، ووظيفتها الدينية خاصة فيما يتعلق بتوطين السكان و استقرارهم فالزاوية في القرية ووظيفتها العدالة والقضاء لفك الخصومات وكان الدين فيها غير منفصل عن تقاليدهم الموروثة .

يصب اتجاه الدراسة على بنية وتحليل نموذج مؤسسة زاوية الهامل من الفترة التأسيسية المتزامنة مع فترة الاضطرابات و الضغوطات عليها في عهد الاستعمار الفرنسي مع تبيان إمكانيات وقدرات "أولياء أمور الزاوية" في المحافظة عليها منذ التأسيس وفي "خضم" وتصدي الصراع الحضاري وصولاً إلى الحالة الراهنة¹ . من الناحية المنهجية يرى الكاتب أن القصد من المحاولة هو توضيح بعض الحقائق "الغائبة و المغيبة" وجمع المعلومات من الكتب والمؤلفات والوثائق و الرسائل و الخطابات المدونة، التي تعتبر أدوات تعرف "صيورة" شيوخ الزوايا و ما تركوه من آثار. وهي محاولة من أجل تفسير وفهم ظاهرة عرفت اهتماماً من طرف المؤلفين و الباحثين والكتاب في القرن التاسع عشر، ويتمثل هذا في ظاهرة "الطريقة" وما قامت به "الشخصية العلمية" الصوفية، عميد ومؤسس زاوية الهامل التي عرفت شهرة، وساعدت في زيادة أتباع الطريقة الرحمانية وتأسيس 29 زاوية جديدة في الجزائر .

شخصية سيدي الشيخ محمد القاسمي مؤسس الزاوية، هي متعددة الجوانب و الأبعاد، وهي "شخصية ثرية" تتطلب الإمام بكل الجوانب من أجل تقديم صورة تاريخية واضحة المعالم . وهاته الدراسة هي وصفية منوخرافية ، استنتج من خلالها الباحث زيادة الاهتمام بالدراسة موضوع التصوف في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. لقد عرف المجتمع الجزائري عدة تحولات نظراً للأزمة المتعددة الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أدت إلى دفع ديناميكية حركة الإسلام التاريخية. في هذا الإطار بقيت مؤسسة الزاوية، موضوع الدراسة، محافظة في السياق و المضمون العام على رسالتها، مسيرة لتتطابق الميراث التاريخي، متكيفة مع الأحداث وفق ثوابتها الخاصة، راجعة دائماً إلى التوجه الذي أحدثه الخطاب الصوفي عبر مسيرته التاريخية، لقد تعرضت الزاوية عبر مسيرتها منذ 1863 إلى 1975 إلى ضغوطات كتوقيف نشاطاتها العلمية و غلق معهداتها و تهميم المدرسة القرآنية و بيوت الطلبة و مصادرة أسلحة و رسائل الأمير عبد القادر في عهد الرئيس هواري بومدين² . بينت الدراسة ما قامت به مؤسسة زاوية الهامل في الفترة الاستعمارية وتضامنها مع السكان³ ودورها التعليمي والديني والخدمي والسياسي الجهادي في كل الانتفاضات والثورات بما في ذلك ثورة التحرير وهكذا كانت الزاوية بمثابة "ميزان المجتمع" لقد استوطنت الزاوية في مركز ريفي حتى أصبحت "قلعة علمية" امتد إليها العمران وتوسعت منشآتها، لتقوم بذلك بدور اجتماعي من أجل تأطير السكان.⁴

1_ المرجع نفسه، ص3.

2- المرجع نفسه، ص 584.

3- نفس المرجع السابق، ص 585.

4- نفس المرجع السابق، ص 586.

الإطار المنهجي للدراسة

بينت الدراسة كذلك، أن الزاوية ساهمت في ترسيخ التعاليم الإسلامية والابتعاد عن "البدع والخرافات والتدجيل و الشعوذة"، مع التزامها "بالتصوف السني" ونشر القرآن، ليتخرج منها حفظة القرآن و"علماء" احتملوا مراكز ومناصب، وتصبح "جامعة شعبية"¹.

يذكر الباحث الصراع الذي وقع بين شيوخ زاوية الهامل وحركة "المرابطين" والطرق الصوفية من جهة وبين "جمعية العلماء المسلمين" من جهة أخرى فلم تستطع جمعية العلماء التقليل من نفوذ شيوخ الزاوية وتأثيرهم في المجتمع والانفتاح عنه ومسايرة الأحداث وتسجيل وجودها حتى في جمعية العلماء نفسها مع انتخاب عبد القادر القاسمي عضوا فيها². ليعود الصراع مرة ثانية بعد الاستقلال بطريقة غير مباشرة خاصة حول قضية "يوم العلم" الذي يرى "الطريقيون" أنه يحمل في طياته "التنافر والتباعد" وأن مصير هذا اليوم يكون مصير تاريخ 19 جوان.

لقد بينت نتائج السياسات المتعاقبة عن تفشي مظاهر الفساد والانحراف، مما ساعد على الرجوع إلى "المنطلق التاريخي" للزوايا وإدراج الواقع الصوفي مع حركة المجتمع. بعد أحداث أكتوبر 1988. وظهور القوانين الجديدة للجمعيات، تكيف الزاوية مع هذا الإطار القانوني، وقامت كذلك بتأسيس الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية من أجل توحيد جهود الزوايا وتنسيق تعاونها³.

الدراسة الرابعة: لعبد العزيز رأس مال⁴ تحت عنوان "الولاية الرباط بين شرف الأنساب وكرامة المناقب" إن دراسة المقدس (Le sacré) والنسب (Généalogie)، لها بعدين حسب الباحث، البعد الرمزي والتاريخي باعتبار أن هذه الدراسة تخص المقدس (حكايات الأولياء وكراماتهم)، والبعد الإمبريقي الميداني المتمثل في إخضاع الدراسة "للملاحظة بالمشاركة" والمقابلة والدراسة الوصفية والاستمارة مما استلزم اللجوء إلى العينة الممثلة لشريحة من السكان، وهو الفضاء الروحي "للمساحات" (أولاد سيدي الشيخ وأولاد سيدي المجذوب).

لقد جاءت إشكالية البحث تقريرية أكثر منها تساؤلات لأن الباحث استفاد من معطيات وذلك "من خلال البحوث والدراسات المتشابهة، أو من خلال السياق الرمزي والواقعي الذي أفاده في تفكيك المعطيات وتحليلها"⁵. ومن هنا جاءت الفرضيات "تقريرية" أيضا، جاءت على شكل إجابات مؤقتة.

1- نفس المرجع السابق، ص 590.

2- نفس المرجع السابق، ص 593.

3- نفس المرجع السابق، ص 584.

4- عبد العزيز رأس مال، الولاية و الرباط بين شرف الأنساب و كرامة المناقب - دراسة للفضاءات الروحية للمساحات (أولاد سيدي أحمد المجذوب أولاد سيدي الشيخ أولاد التاج)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع - جامعة الجزائر - كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية (2008-2009).

5- عبد العزيز رأس مال، مرجع نفسه، ص 3.

الإطار المنهجي للدراسة

في الباب الأول، المتعلق بالإطار النظري للدراسة، تطرق الباحث إلى النظريات الكبرى الخاصة بالبنيات الاجتماعية والذهنية، مع الاستدلال ببعض الاثنوبولوجين مثال : راد كليف براون ، وابفونز بريشارد، إميل دور كايم، جاك بيرك، و غيليتير، وطوالي، ولطفي عيسى .

وهكذا حاول الباحث أن يحصر الفكرة في " التناقض " بين التيار الإصلاحية المتأثر بالحركة الوهابية والتيار الصوفي المضاد له بزعامة شيوخ الطرق الصوفية ومريديهم وقد تطرق إلى العلاقة التي تربط بين الولاية والنسب من خلال الأشراف و " البويكرية " (أبناء الخلفية أبي بكر الصديق)، وحاول تبيان تاريخ الجزائر المتعلق بالمقدس الذي يرتبط بشكل كبير بالبعد النسبي والروحي - الرمزي - مع تحليل البعد التاريخي لهذا الموضوع. في الباب الثاني المتعلق بالجانب الميداني، درس الباحث " وثاق رسمية " تبين اهتمام إدارة الاحتلال الفرنسي بالزوايا والطرق الصوفية في الفترة الزمنية الممتدة من 1898 و 1959 مع محاولة تلخيصها .

تطرق الباحث بعد ذلك إلى المواعيد الاجتماعية والدينية، والكرامات و " الممارسة المنقبة " وفي ميدان "الدراسة الكمية"، تناول الباحث الموضوع من خلال الإجابة عن أسئلة الاستمارة المتعلقة بممارسة الذكر والمديح الديني والحضرة، عند "السماحات" (نسبة إلى أبي سماحة) ورؤيتهم للفضاء ومكانة الأولياء من خلال الزيارات والتواصل.

من استنتاجات هذه الدراسة، حسب الباحث ، ظهور العلاقة بين الرموز (Symboles) والشيء المرمز (Symbolisé) في محتوى المقابلات التي تتعلق بالكرامات والمناقب، عن زيارة الأولياء تبدأ من "مصطلح النية" المتجدر في المجتمع الجزائري . يظهر هذا لدى المريدين و حتى " المتعاطفين " الغير ممارسين للأوراد و الأذكار . إن " المجتمع القروي والبدوي (الداخل) " هو الأكثر تمسكا بهذه الممارسات، وهذا راجع لطبيعة تكوينه و مرجعيته وهويته .¹ يبرز المرابط أو الولي الصالح أو الشيخ العارف، ليس بخلوته وانعزاله عن الناس واكتسابه "للصفات السلبية" كالكسل والتواكل، وإنما بمشاركته في الحياة العامة للناس وخوضه للتجارب والممارسات الحياتية الاجتماعية، لقد شوه الاحتلال دور المرابطين والقبائل التابعة.

لقد عادت هذه " المرجعيات " التي كانت تقدر المعنى، لقد عادت بقوة مع عودة " الروح " إلى الزوايا والمدارس القرآنية، والاعتقاد بكرامة أولياء الله الصالحين. لقد " وجد " الباحث أن ذكر مناقب الأولياء وكراماتهم يرتبط بالبيئة الاجتماعية والثقافية والروحية بالإضافة إلى الأصول النسبية عن " الاعتراف " بالأولياء الصالحين هو نتيجة لتأثير الطرق الصوفية، على عكس " التيار السلفي " الذي يرتبط "بمرجعية خارجية" أكثر مما هو يرتبط " بالإصلاح " ومحاولا بذلك فرض منطلق القوة .

الدراسة الخامسة: بن لباد الغالي بعنوان : " الزوايا في الغرب الجزائري التجانية والعلوية والقادرية " أطروحة لنيل دكتوراه تخصص الثقافة الشعبية. استهل فيها الباحث موضوع التصوف والزوايا والطرق الصوفية

1- نفس المرجع السابق ، صفحة 422.

الإطار المنهجي للدراسة

بالغرب الجزائري . فإشكالية البحث تحدثت عن مدى تأثير التصوف على العلاقات الفردية وبالتالي مدى انعكاسها على الحياة الاجتماعية. أما عن الفرضيات فكانت تدور حول استمرارية الزوايا إلى يومنا هذا مع قيامها بعدة وظائف فكيف أن السيطرة الباطنية لها أثر على تغيير المستوى الفردي أو الجماعي من خلال تحليل الرموز الصوفية من حضرات وممارسات طقوسية وشعائرية .

والمنهج الذي انتهجه هذا الباحث هو المنهج الوصفي المونوغرافي واعتماده على المدونات التاريخية وصفوره الدائم في الاحتفالات الدينية التي تقيمها الزوايا واعتماده أيضا على الملاحظة بالمشاركة، وإجراء المقابلات مع المبحوثين. أما عن نماذج الدراسة، فقد اختار الباحث الزاوية التجانية والعلوية والقادرية نموذجا وهذا بالغرب الجزائري حيث قسم دراسته إلى ثلاث فصول : الفصل الأول طغى عليه الجانب الأثنوغرافي وذلك بالتعريف بالموقع الجغرافي للزوايا الثلاث مع تركيز على الجانب البشري . الفصل الثاني تحلله مجموعة التعريفات والتي تعالج مسألة القرابة داخل مؤسسة الزاوية. الفصل الثالث حاول اقتحام فضاء مقدس داخل الزاوية . الفصل الرابع فقد خصصه لدراسة المنهج التربوي داخل مؤسسة الزاوية ، وقام بمقارنة مفصلة بين المناهج التربوية التي تعتمدها المؤسسات الثلاث . فقد حاول الباحث في الجانب تعريف التصوف، والطرق الصوفية والزوايا . ثم قام بدراسة أثنوغرافيا للزوايا الثلاث، من موقع جغرافي، المستوى المعيشي، التركيبة السكانية والاجتماعية . أهم الرحلات التاريخية لمشايخ الطرق الصوفية الثلاث . فقبل قضية العلاقات القرابية داخل مؤسسة الزوايا تعرض أيضا لوظيفة المقدس داخل مؤسسة الزاوية وطقوس كل الطرق الصوفية الثلاث، تناول أيضا المناهج التربوية والتعليمية داخل الزاوية، الأذكار آداب المريد التربية الروحية بأذكار الطريقة الصوفية ويختتم دراسته، بمجموعة من النتائج نذكر أهمها : أن هذه المؤسسات التي قام بمعاينتها ميدانيا لاحظ فيها الأبعاد الثلاث: حاولت هذه المؤسسات إضفاء فكرة العجز والتلاشي بل ظلت تبحث على الإشعاع من خلال استقطاب أكبر عدد من المريدين والتابعين البعد الثاني علاقة الشيخ بالمريد وتحول التصوف فردي وكل مالك للورد له أسطورة أو ما شابه ذلك .

ولقد عملت الزاوية عبر فترة زمنية طويلة على تكوين ثقافة عجيبة خارقة للعادة في التجمعات الشعبية وكما وظفت بقية الرموز حتى تفتح عقول البسطاء واستعملت وسيلة المسكوت عنه في خطابها العامي في بعض الأحيان والغامض في الكثير من المرات . اعتماد مؤسسة الزاوية على الثابت سواء في علاقة النسب التي تشترك فيها الشعبية أو عن طريق الترقى وفي منهج تربية المريد فإنها تعتمد على الشيخ رمز للقداسة.¹

1- بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري، التجانية، العلوية والقادرية، أطروحة لنيل الدكتوراه تخصص ثقافة شعبية، جامعة أوبوكر بقائد، تلمسان 2008-2009 ص 213.

وفي الأخير أكد على الزاوية أو الطريقة الصوفية مستعدة لخلق فضاء ثقافيا وروحيا كما أنها مستعدة أن تنشئ شيء طيب وفعالا في الحياة الاجتماعية . ولكن عليها أن تعمل على تطوير مستويات التعليم والتربية فلا بد للتصوف في الزمن المعاصر أن يتخطى الجانب النفعي ويسعى من أجل هدف محدد ومراقب.¹

الدراسة السادسة: بوعتو بشير تحت عنوان : "تاريخ التصوف في الجزائر للطرق الحديدية والهيرية والرحمانية و الأويسية"، إن الإطار الذي دار حوله موضوع دراسة هذا الباحث هو دراسة التصوف والطرق الصوفية ككيان اجتماعي ذات طبيعة دينية تكونت وتطورت عبر تاريخ الثقافة الإسلامية. حيث طرح عدة أفكار للنقاش أهمها أن الأفراد والمسلمين في وقتنا الحالي هم في أشد الحاجة إلى الأخلاق الصوفية وآدابهم وتربيتهم، وذلك نظرا للانحراف الذي تعرفه المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية. فدراسة هذا الباحث كانت دراسة وصفية تحليلية تضمنت بابين نظري وباب ميداني . وإذا ما رجعنا إلى إشكالية هذه الدراسة: على شكل عرض لمجموعة من أسئلة طرحت: في عشرة أسئلة. أهم هذه الأسئلة - كيف تعيش الحركة الجموعية الأخوية (الطرق الصوفية الزوايا) في الوقت الراهن؟ . - ما مدي تأثيرها على المجتمع الجزائري من النواحي الاجتماعية و الثقافية و السياسية ؟ وصولا إلى تساؤل مفاده : - ماهي طبيعة العلاقة و إن وجدت بين الزوايا و ظاهرة العولمة حاليا .² وقدم عدة إجابات في شكل فرضيات: افترض واقترح فيه عدة اقتراحات، قدم فيها البحث و الاهتمام الحالي بالتصوف مرتبط بحاجة و ضرورة روحية. أيضا تحدث على أن في ظل التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري أصبحت وظيفة الزوايا لا تقتصر على الجانب الروحي بل تعدته لتشمل وظائف أخرى منها السياسية والاجتماعية . ثم التطرق في الباب الأول دائما إلى الفصل المنهجي الذي تعرض فيه إلى الإجراءات المنهجية للدراسة تبيان أسباب اختيار الموضوع وأهدافه وأهميته، أيضا تناول تحديد المفاهيم، تعرض لتحديد مفهوم: الظاهر الباطن، الحضرة ، الحقيقة الإنسان الكامل الجهاد، الكشف، الخلوة الرباط، الزاوية الطريقة، الشيخ المقدم المرید أو السالك والورد... الخ.

الفصل الثاني: تطرق إلى الدراسات السابقة: بداية بدراسة ابن خلدون ثم الدراسات الأجنبية من طرف الإدارة الفرنسية (في عهد الاستعمار) تعرض أيضا لدراسات بعض الرواد و المستشرقين ليختمها بدراسات جزائرية أكاديمية لمجموع الباحثين في ميدان التصوف والطرق الصوفية. الفصل الثالث : خصصه الباحث لعلم الاجتماع الديني، كيف أنه عالج هذه الظاهرة الدينية، محاولة منه معرفة دور الدين في الحياة الاجتماعية والوظائف التي يؤديها، أي معرفة تأثير نسق الاعتقاد على السلوك الاجتماعي تعرض في هذا الفصل إلى كارل ماركوس وابن خلدون وماكس فيبر، جوزيف بياربور دون، أميل دور كايم، مارسل موس وأرائيهم حول هذه

1- نفس المرجع السابق، ص 216.

2- بوعتو بشير، تاريخ التصوف في الجزائر دراسة وصفية تحليلية للطرق الحديدية و الهيرية و الرحمانية والأويسية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه تخصص علم الاجتماع جامعة الجزائر 02، (2012،2011)، ص14.

الظاهرة الدينية . بالنسبة للفصل الرابع كان بمثابة مدخل إلى علم التصوف بما في ذلك مفهومه على أنه بشكل روحاني للدين الإسلامي ومن خلال هذا الفصل دائما تعرفنا على الطرق الصوفية وشيوخها. الفصل الخامس هو مدخل لتاريخ التصوف في الجزائر بمثابة انطلاق من ميلاد هذه الظاهرة بالمغرب العربي مرورا بالطرق الصوفية ومناهج تنظيمها، والوظائف التي تقوم بها، بالإضافة إلى الدور والمشاركة في هذا المجال . الفصل السادس خصصه الباحث للتصوف وعلاقته بالتغيير الاجتماعي انطلاقا من علم الاجتماع بالنظر للظواهر الاجتماعية على أنها كائنات متحركة ، تطرق أيضا إلى المجتمع الجزائري منذ بداية القرن العشرين ثم مرحلة ما بعد الاستقلال، وصولا إلى التصوف في الوقت الحالي تعرض أيضا إلى الباب الثاني : بمثابة الدراسة الميدانية : تناول الأسس المنهجية للدراسة مع تبيان مجالاتها على المستويات الجغرافية و البشرية و الزمنية بالإضافة إلى المناهج و التقنيات المستخدمة والعينة ثم سلط الضوء على عرض شبكات الملاحظة مع تحليلها عرض المقابلات الخاصة بشيوخ الزوايا أيضا عرض مقابلات خاصة بالمريدين والهدف من كل هذا هو الذهاب إلى فحص وتدقيق حول الفروض التي وصفها الباحث و ذلك من أجل الإجابة عن التساؤلات التي طرحها في بداية الدراسة .

ومن استنتاجات هذه الدراسة :- أن الطرق و الحركة الصوفية التي نشأت عبر التاريخ في المجتمعات الإسلامية ومنها المجتمع الجزائري، هي ذاتها توجهات سلوكية روحية تتعلق بالعالم الآخر . - للحركة الصوفية رؤية دينية تختلف عن الرؤية الإسلامية من حيث تصورهما لعلاقات بين عالم الدنيا وعالم الآخرة وأن الحركة الصوفية و إبداعها في الميادين الأدبية والفلسفية و الفنية و الثقافية، قد تدهورت في مرحلة من المراحل التاريخية لظروف اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية . - إن الزوايا كمؤسسات اجتماعية دينية نشأت عبر تاريخ المجتمع الجزائري تقوم على أساس وأسلوب تسيير خاص. - إن العودة إلى التصوف التي تطرح اليوم، تعد ضرورة تملئها اعتبارات الحداثة ومتطلبات العولمة من جهة وهي وعي اتخاذها نمط حياة جديد لنقد شكل أو أشكال معينة من جهة أخرى . تطرق إلى نقطة مهمة مفادها أي الرجوع إلى إعادة ظهور الأخويات خاصة بعد وفاة الرئيس هواري بومدين كان يوحي بأن السلطة التي جاءت من بعده كانت تحتاج إلى التطابق من بعد ديني . إن ميزان القوي الذي كان يواجهه عدة تيارات من بينها مناصري الاشتراكية، والمدافعين عن الإسلاموية وجامعة العروبة ظهر نقاش بين هذه القوي المتناقضة في ذلك الوقت ليتطور هذا النقاش إلى حد الوصول إلى الأحداث التي عرفها المجتمع الجزائري خلال التسعينات خاصة، و اليوم لماذا هذه العودة إلى أصول المجتمع مع العلم أن الكثير من البيئات التقليدية للنظام الاجتماعي كانت تقود الطرق خلال فترة الاستعمار والاستقلال كذلك، و الساحة اليوم تحتلها قوتان على المستوى الديني و الثقافي طبعاً : الطريقة إن صح التعبير والإسلاموية، ما هو الفرق بينهما ؟ يبدو أن أصحاب المذهب الأول يجلبون إسلام الحب والطبيعة، أما أصحاب المذهب الثاني فهم منغمسون في العنف من أجل "تنظيف" المجتمع من الدنس . المذهبان إذن

الإطار المنهجي للدراسة

يهتمان بالمجتمع، وهذا ما جعل كل منهما يستقطب أنظار السلطة السياسية - الحاجة إلى التصوف والزوايا تكمن اليوم في أنها تقوم على الوسطية و عدم الغلو والتطرف و نشر ثقافة التسامح و إظهار إنسانية الإسلام لأن العباد كلهم إخوة¹. هذا هو واقع الزوايا اليوم حسب رأي الباحث.

بعد هذا العرض لأهم الدراسات السابقة التي تطرقت إلى عدة تفاصيل تاريخية و كذا مراحل تطور الطرق الصوفية و الزوايا من حيث البناء و النظام الداخلي ووصولاً إلى التغيرات التي تحصل في المجتمع بمختلف أنواعها. إضافة إلى ذلك أن هذه الدراسات السابقة كانت بمثابة دعم تاريخي، ساعدنا كثيراً في تحليل بعض الجوانب والقضايا الاجتماعية و السياسية التي تعرض لها المجتمع الجزائري منذ زمن وصولنا إلى يومنا هذا الذي تعيش فيه الجزائر تغيرات شتى اجتماعية و سياسية و اقتصادية وهذه الظاهرة المعقدة والمتشابكة التي كتب عنها الكثير من الرواد ابتداء من العلامة ابن خلدون - وبعض الرواد الغربيين والمستشرقين وصولاً إلى دراسات جزائرية اتسمت بالحدأة و العلمية و الموضوعية المذكورة سابقاً . ومن هذا المنطلق وبعد عرضنا للدراسات السابقة المذكورة سالفاً و التي ساعدتنا في معظم الأحيان خاصة في الجانب التاريخي، والجانب النظري لموضوعنا و بالرغم من حدأة و جدية موضوع دراستنا إلا أننا حاولنا التعمق في هذه الدراسات السابقة والاستفادة منها خاصة في الجوانب المتعلقة بتاريخ التصوف والطرق الصوفية و ظاهرة الطريقة و السياسات المتعاقبة في المجتمع الجزائري هذا المجتمع الذي يتسم بالتغير الاجتماعي و السياسي مثله مثل باقي الدول العربية

الدراسة السادسة: زيزاح سعيدة: التي يدور موضوعها حول " الطريقة في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية في المجتمع الجزائري المعاصر (دراسة ميدانية لخمس طرق صوفية بولاية الاغواط) " وتهدف إلى معرفة أبعاد الطريقة التيجانية والكشف عن حقيقة ما إذا كانت الطرق الصوفية كظاهرة دينية اجتماعية توسعت بؤرها إلى إن وصلت إلى الحقل السياسي باستعادتها مكانتها السياسية مثلاً بالدولة ومعرفة مدى تأثير هذه المؤسسة على أذهان الأفراد في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها الجزائر، منذ نهاية التسعينات من القرن العشرين إلى غاية تولي الرئيس بوتفليقة الحكم، وكيف أن هذا الأخير اهتم بها لتعيش بذلك فترة من الانتعاش والنشاط ولتواصل بذلك أدوارها ووظائفها وكيف أنها تطورت وأصبحت تواكب العصرنة والعولمة في ظل التحديات السياسية والاجتماعية الراهنة، وكيف أن الطريقة كظاهرة دينية اجتماعية ساهمت في محافل اجتماعية في اتخاذ قرارات سياسية لها علاقة بمصالح الفرد والمجتمع. فدراسة هذه الباحثة كانت دراسة وصفية تحليلية تضمنت بابين نظري وباب ميداني . وإذا ما رجعنا إلى إشكالية هذه الدراسة فكانت على النحو التالي: هل دخلت الطرق الصوفية في ممارسة النشاط السياسي الرسمي في المجتمع الجزائري المعاصر؟ ومن هذا المنطلق تفرعت الإشكالية العامة إلى تساؤلات جزئية

- هل يعني الرجوع إلى الطرق الصوفية هو إعادة توظيف هذه المؤسسات الدينية للصالح العام ؟

1_ بوعتو بشير، ، المرجع السابق، ص526.

- هل يشارك الأفراد الطرق الصوفية قضاياها الاجتماعية والثقافية في ظل التحولات السياسية التي يعيشها المجتمع الجزائري ؟ وقدمه عدة إجابات في شكل فرضيات : افترضت واقترحت فيها عدة اقتراحات. الفرضية العامة: قوة تأثير الطرق الصوفية بشيوعها ومقدميها على الأفراد يؤدي بالسلطة الرسمية الى احتواء وإعادة تفعيل هذا النوع من المؤسسات للمصالح العام

الفرضيات الجزئية: - حاجة أفراد المجتمع الجزائري للتنظيم الاجتماعي والسياسي والديني أدى بالطرق الصوفية للظهور مجددا في الساحة السياسية . - استعادة الطرق الصوفية لوظائفها في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية زاد من إقبال الأفراد عليها. تكلمت الباحثة في الفصل التمهيدي عن الإطار العام للدراسة ثم الفصل الأول تناولت فيه الإشكالية والفرضيات وتحديد المفاهيم ثم المنهج المتبع وهو الوصفي، والفصل الثاني كان بمثابة الربط بين النظريات الدينية المفسرة للظاهرة الدينية وتناولت فيه ماهية التغير الاجتماعي السياسي عوامله وخصائصه وأنواعه وتطرقت لأهم نظريات التغير تناولت فيه أيضا السلطة والمجتمع في ظل التحولات التي مر بها المجتمع الجزائري، وفي الفصل الثالث حاولت الباحثة أن تعرج على نقطة مهمة في هذه الدراسة والتي تتمثل في الجانب التاريخي أو السوسيو تاريخي لظاهرة التصوف وظهور الصوفية في المشرق العربي وصولا الى المغرب العربي وتطرقت الى أهم الشخصيات الصوفية في العالم العربي لتصل الباحثة الى الفصل الرابع والأخير وهو امتداد للفصل الثالث والذي تمثل في الطرق الصوفية بين النشأة والتطور وأهم الطرق الصوفية والتاريخ السياسي للزوايا، مراحل المقاومة الشعبية والتوظيف السياسي للطرق الصوفية، والطريقة في ظل النظام السياسي المعاصر، وصولا الى الصوفية في عهد الرئيس بوتفليقة، وصولا الى الجانب الميداني فقد توزع بين الفصل الخامس والسادس الأول احتوى على المجال الزمني والمكاني والبشري للدراسة، كيفية اختيار العينة ثم عرض الجداول، والسادس استخدمت فيه الأدوات الإحصائية في معالجة الجداول المركبة للفرضيات ثم تفسير الجداول والقراءات السوسيوولوجية ثم التحقق من الفرضيات . توصلت الباحثة الى أن المجتمع الجزائري بحاجة الى هذا النوع من المؤسسات التي تساعد في حل مشاكل العامة خاصة الروحية منها والتربوية وأنها تنظم شؤونه الاجتماعية والنتيجة الأخرى هي أن الأفراد هم الذين ألهوا على رجوع هذا النوع من المؤسسات الى الساحة السياسية الرسمية لأنها تساعد أو تشارك في اتخاذ القرارات المناسبة . وترى الباحثة أن هناك اهتمام كبير بالطرق الصوفية والدليل على ذلك هو إعادة بعث هذا التراث الديني والاجتماعي الذي يتعلق بطبيعة الممارسات الصوفية، لأن هذا النسق مبني على تدعيم الجوانب الروحية، في مقابل جعل الحياة الاجتماعية تخضع للطبيعة الروحية للفرد، وترى الباحثة أن الطرق الصوفية أصبحت تمارس أدوار أخرى تعدت المجال الديني والروحي والاجتماعي إلى أن وصلت الى المجال السياسي بإشراكها في المشاريع الوطنية والإصلاحية السياسية الهدف منه التواصل والحوار بين الأفراد على أساس الاحترام المتبادل ونبذ العنف والصراع الذي يؤدي الى الخراب، فالطرق الصوفية تسعى الى تنظيم شؤون الأفراد، فالحاجة الى التصوف اليوم والتي تقوم على الوسيطية

والابتعاد عن التطرف ونشر ثقافة السلم والتسامح بين الأوساط الشعبية والسعي الى الاتفاق والائتلاف الاجتماعي.

7 صعوبات الدراسة:

لكل بحث جاد عراقيل وصعوبات تعترضه في العديد من المرات هذه الصعوبات تجعل الباحث يتخلى عن إنجاز بحثه، بينما تخلق لبعض الباحثين دافعا قويا لإتمام دراسته أهم الصعوبات التي واجهتنا وكانت سببا في تأخير هذه الدراسات و كانت منها الذاتية و الشخصية وأخرى موضوعية، تمثلت في عدم وجود دراسات شبيهة بدراستنا نظرا لحدثة هذا الموضوع الحساس الذي يربط بين الشق الديني والاجتماعي، ومدى تأثيرها على ظاهرة الطريقة في المجتمع الجزائري المعاصر الذي يتعرض الى العديد من التحولات و التغيرات في جميع الأصعدة .

- و خلال قيامنا بدراستنا هذه تعرضنا لصعوبات نظرية أهمها قلة المراجع و الأبحاث التي درست و بحثت في ظاهرة الطريقة وبخاصة الجانب الروحي مربوطا بالجانب الاجتماعي، وغالبا ما نجد كتابات غريبة عن هذا الموضوع أو كتابات معادية للطرق الصوفية والزوايا، وأخرى مدافعة عنها وبذلك تنعدم الموضوعية في هذا النوع من الكتابات ، مما عرقل لنا السير العادي للدراسة لان اغلب الدراسات في هذا السياق انكبت على الجانب التاريخي والصورورة الزمنية للطرق الصوفية.

- واجهتنا صعوبات ميدانية نذكر منها تهرب بعض المبحوثين من المقابلة للإدلاء بالمعلومات التي تخدم و تثري موضوع الدراسة، ورداءة الجو التي صاحبت فترة النزول الى الميدان والتردد الدائم لشيوخ و مقدمي الطرق والمريدين كلفنا وقت وجهد كبيرين إذ أن الذهاب و لإياب ليس بالأمر الهين فهذه الزيارات و الاتصالات كلفتنا مجهودات كبيرة ووقت طويل وبعد مقرات الزوايا عن السكن وقلّة وسائل النقل المؤدية الى هناك مما صعب من الإمام جيدا بالجانب الميداني .

- حساسية و تعقد وتشابك ظاهرة الطريقة في المجتمع الجزائري أدي ببعض المبحوثين الى التخوف من الإجابة عن أسئلة في الخرجات الاستطلاعية، إضافة الى أهمية الموضوع وتاريخه العميق الممتد منذ فترة قرون وطبيعة دور الزوايا الشامل لكل الميادين، وبالأخص في الجانب التربوي الروحي، لم يكن باستطاعتنا الإمام بكل جوانبه بصفة مفصلة ولعظمة الدور التربوي وتنوع جوانبه .

- صعوبة أخرى تمثلت في اللغة إذ أن معظم الدراسات التاريخية الاستعمارية و النظريات المفسرة للظاهرة الدينية كانت باللغة الفرنسية فكان علينا ترجمتها مما استغرق وقت كبير.

- بالرغم من كل الصعوبات التي واجهتنا خلال البحث و التقصي كانت بمثابة المحفز والدفع الى الأمام ورفع التحدي أمام هذه العراقيل و الصعوبات فكلها ذابت في مقابل إتمام هذه الدراسة العلمية والأكاديمية والتي تبقى بمثابة دراسة سابقة للباحثين في هذا المجال في المستقبل.

تمهيد:

إن للقيم الدينية أثر على سلوك المريدين يتمثل في الضبط والتوجيه من خلال التزامهم بها في سلوكهم العام، داخل وخارج الزاوية، وذلك يكون في الأقوال والأفعال، مثل الالتزام بأداء الصلاة مع الجماعة والمحافظة على الأذكار، حضور مجلس الذكر، حضور احتفالات المولد، إن الطرق الصوفية تساهم في عملية دعم وتنمية القيم الدينية الإسلامية في نفوس الأفراد المنتمين إليها، هذا ما دلت عليه الالتزامات التي يقوم بها المريدين وأبنائهم داخل الزاوية، وتغرس في نفوسهم حب التعاون والصبر والأمانة والالتزام بآداب السلوك، الصدق الأخوة، حب الوطن، احترام الغير، الاهتمام بالمظهر بالحرص على النظافة، والحرص على اكتساب العلوم يعتبر من واجبات الفرد نحو الذات كل هذا عن طريق التنشئة الروحية المبنية على قيمة الطاعة في سلوك المريدين من خلال تقبلهم لتوجيهات الشيخ وتقبل نقده لهم، ما يعطى قيمة للمريد داخل الزاوية وفي أسرته وحتى بين رفاقه فالتربية الروحية ناتجة عن توعية دينية تربوية في تصحيح بعض المفاهيم وإعادة شرح الأدوار التربوية والدينية التي تقوم بها الزوايا بشكل مرن في أوساط مريديها بدون تعصب مع نشر القيم مثل التآخي والمحبة بين أفراد المجتمع على اختلاف أطيافهم. وزيادة الاهتمام بالجانب الروحي من أولويات الطرق الصوفية وتوفير كتب خاصة لأجل الإحاطة أكثر بهذا الموضوع فعمل القائمون على الزوايا في تطوير طرق ومناهج الدراسة والعمل على إدخال الوسائل التكنولوجية المواكبة للعصر خاصة الإعلام الآلي لاستقطاب الأجيال الجديدة. ووفروا معلمات ومرشديات في الزوايا لتعليم الإناث مبادئ ومناهج الطرق الصوفية لكي تسهل عملية التنشئة الدينية على الآباء وغرس القيم الدينية التربوية لدى النشء وترسيخها لدى الأبناء، الغرض من هذا كله إنتاج جيل يتمتع بتربية روحية سمحاء تعمل على ترسيخ قيم التسامح والمؤاخاة.

المبحث الأول: دراسة نظرية للتربية

1.1. مفهوم التربية

مما لا شك فيه أن طبيعة البحث تفرض علينا احترام المنهجية المعتمدة فيه، والتعرض لكل مصطلح بما يسمح بفهمه وبيان أبعاده وبما يبرر صياغته في النص، وإدراجه في خطة البحث. لذلك ونحن نتناول موضوع التربية الروحية للطرق الصوفية والسلم الاجتماعي نجد أنفسنا ملزمين بحكم العنوان أن نتعرض ولو بإيجاز لمفهوم التربية كمدخل للصوفية باعتبارها صلب البحث ومقصوده، هنا فإنه يمكن القول بأن مفهوم التربية: هي تبليغ الشيء إلى كماله أي تنمية الوظائف النفسية بالتمرين، حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً نقول ربيت الولد، إذا قويت ملكاته، ونمت قدراته، وهذبت سلوكياته، حتى أصبح صالحاً للحياة في بيئة معينة ونقول: تربي الرجل إذا أحكمته التجارب، ونشأ نفسه بنفسه ومن شروط التربية الصحيحة، أن تنمي شخصية الفرد من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادراً على المؤالفة الطبيعية، يجاوز ذاته على إسعاد نفسه وإسعاد الناس وتعد التربية ظاهرة اجتماعية، تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها¹، والتربية والوراثة متقابلتان والفرق بينهما:

1- أن التربية لها خاصية التغيير والتبديل والتجديد، فإذا كان الموجود الحي يتغير بتأثير غيره تارة وبمؤالفة الظروف التي يعيش فيها تارة أخرى، فمرد ذلك إلى التربية .

2- أما الوراثة : فلها خاصية الثبوت، التي يمكن توارثها بين الأفراد مثل اللون، وأحياناً حتى المواهب مثل الذكاء، وعليه إذا وجدنا المرء يميل بفطرته إلى الاتصاف بصفات نوعه في اللون، أو الجنس، فمرد ذلك إلى الوراثة. وللتربية طريقتان :

أ- موجهة: وهي أن يربي المرء بواسطة مربي، المعلم والمرشد، حتى يسلك الطريق ويكتسب المعارف في تدرج حسب سنه، وقدراته. وبهذا تكون التربية عملاً موجهاً يتم في بيئة معينة وفقاً لفلسفة معينة.

ب- تلقائية: وهي أن يربي نفسه بنفسه، بمعنى أن يترك الفرد بدون سجيته ليتعلم من نشاطه الخاص وبعضاميته الذاتية، ولعل هذا النوع من التربية الطبيعية هو ما أشار إليه ابن طفيل - في كتابه حي بن يقضان في الصفحة الخامسة والثلاثين، كما ذكر ذلك الدكتور جميل صليبا في معجمه - بقوله "ونحن نصف هنا كيف تربي، وكيف انتقل في أحواله، حتى بلغ المبلغ العظيم، فترى الطفل ونماً، واغتذى بلبن تلك الظبية... فأعلمه حي بن يقضان أنه لا يدري لنفسه ابتداء، ولا أباً ولا أمماً أكثر من الظبية التي ربتة"². لكن هذا النوع من التربية لم يخلو من التدخل الخارجي، وذلك بوجود الطفل في المجتمع البهائي، مما جعله يكتسب حيوانيته منه، أما التربية وخصوصاً في مناهجها الحديثة فهي التي تقوم على مراعاة الفروق الفردية، والقابلية الشخصية

1- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، 1965، ص-ص 19-86.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار اللبناني، ط1، 1978، ص266.

فهي حركة إصلاحية تهدف إلى العناية بالجسم والروح. إذن فلا بد لها من تأديب ورعاية، ورقابة لان الناس متفاوتون في المواهب فمنهم النبهاء القادرون على اكتشاف الحقائق والتعمق في البحث، ومنهم دون ذلك ولكن على الجميع أن يدرك ويتعلم مالا بد منه لكن لا يكون ذلك إلا وفق منهج، وتعهد ومرشد.

1.2. أهمية التربية

يمكن القول أن للتربية أهمية بالغة التأثير في حياة الفرد والمجتمع، وأن تلخص في العناصر الآتية:

1- قابلية الإنسان باعتباره كائنا حيا للنمو والتكيف والتأقلم مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها. فمن الملاحظات البسيطة والمألوفة، أننا نشاهد الكائنات الحية نباتا، أو حيوانا، يطرأ عليها في كل يوم بل وفي كل لحظة مظاهر من التغيير، إما بزيادة أو بنقصان. وكثير منا من حاول في وقت من الأوقات أن يضع " بذرة " في حوض به تربة أو يضع فرعاً صغيراً من شجرة زهرية، ثم بتعهده بالري يوماً بعد يوم، فإذا بهذه البذرة الضئيلة، وهذا الفرع الصغير، قد استحال إلى شجيرة صغيرة، يلاحظ الإنسان نموها يوماً بعد يوم حتى تؤتي أكلها بعد حين، وكثيراً ما يحدث أن يغفل هذا الإنسان عن الشجيرة الصغيرة، فلا يداوم على سقيها ولا يعتني بتقليب تربتها، فإذا بها تدبل و ينحني عودها و يجف ورقها. والإنسان وهو أرقى الكائنات الحية له القابلية الفطرية للتغيير، زيادة ونقصا.

2- الظروف " الداخلية والخارجية " التي يمر بها الإنسان، والمقصود بالظروف الداخلية: عوامل الوراثة، أو عوامل الفطرة التي يولد الإنسان مزوداً بها، وبالظروف الخارجية: عوامل البيئة الطبيعية، والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية، وغيرها مما يحيط بالفرد ويؤثر فيه تأثيرات مختلفة، ويشترك الإنسان مع بقية الكائنات الحية في القدرة على التشكل والتكيف مع البيئة الخارجية حسب مقتضيات الحال، يأخذ منها كما يعطى لها، ولا يستطيع الفرد كائنا ما كان أن يعيش بمفرده مستغنيا عن الجماعة، ولعل هذا ما قصده ابن خلدون بقوله " الإنسان مدني بطبعه ¹ ". أي ميال إلى الاجتماع بالغير والحياة في معيشة مشتركة، وعليه نستخلص مما سبق : أن التربية هي عملية إحداث تغيير في شخصية الفرد، بحيث يؤدي هذا التغيير إلى تشكيل الشخصية ونموها في شتى الجوانب وفي الطريق المرغوب فيه فردياً واجتماعياً كما أنها، أي التربية : ضرورة اجتماعية، فلا بد أن يكون الفرد عضواً نافعا في المجتمع الذي يعيش فيه، يتفاعل معه ويأخذ منه ويعطيه، كما يسهم في بنائه وتطوره وأنها تظل معه طوال حياته، طالما كان مستمرا في تفاعله مع الحياة.

من هنا كانت وظيفة التربية وظيفة جليلة، يتوقف تحقيقها على مدى وعي المرابي وإدراكه لأهداف رسالته من أجل ذلك جعل الغزالي للمربي أو المرشد أو المعلم وظائف عدة فقال " : وظيفة المعلم الأولى الشفقة

1- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مكتبة الحاج عبد السلام شقرون، ب ط، القاهرة، 1957، ص140

على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى أهل بيته لقوله - عليه السلام: (إنما أنا لكم مثل الوالد لولده) ¹ بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين لولدهما من نار الدنيا "وهو يلخصها فيما يلي:

1 - الشفقة والرفق : أي يأخذ مريده ويحنو عليه حنو الوالد على ولده فيتدرج معه حتى يشتد ويقوى.

2 - أن يقصد إنقاذه من النار، أي يجنبه كل فعل يقربه من النار.

ولذا صار حق المعلم أو الشيخ أعظم من حق الوالدين للصلب، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر في الحياة الفانية، والمعلم سبب الإعداد للحياة الباقية قال تعالى : (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ² . ولولا المعلم لانساق ما حصل من الأب إلى الهلاك الدائم، وإنما المعلم هو الموجه والدال على الخير المفيد للحياة الباقية الدائمة يستوي في ذلك معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا بنية العمل ورجاء الثواب في الآخرة، حتى يحصل بين الطلاب الحب والتعاون بعيدا عن الحسد والتباغض الذي هو سمة مطالب الدنيا والتناحر عليها.

3- أن يراعي خصائصه الفطرية :وهي أهم مبادئ التربية، وذلك بمراعاة المستوى العقلي للطلاب فلا يكلفه مالا طاقة له به و ذلك اقتداء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم) ³ . أي فلا نعطيهم من المعارف إلا ما يمكنهم استيعابه، فقد قال علي - رضي الله عنه -وهو يشير إلى صدره " :إن هنا لعلوم جملة لو وجدت لها حملة ⁴ ". فهو يعني أن قلوب الأبرار قلوب الأسرار، فلا ينبغي أن يفشي المعلم كل ما يعلم إلى كل احد، هذا إن كان يفهمه المتعلم، فكيف فيما لا يفهمه، و قال عيسى - عليه السلام : "لا تعلق الجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهرة ومن كرهها فهو شر من الخنازير" ⁵ . وقال كذلك " كل لكل عبد بمعيار عقله و زن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وتنتفع به وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار ⁶ "وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت رسول الله - صلى الله عليه و سلم يقول : "من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ⁷ "فقال اترك اللجام واذهب فإذا جاء من يفقه وكتمته فليلجمني. قال الله تعالى: (ولا توثؤوا السفهاء أموالكم) ⁸ تنبيهها على أن حفظ العلم ممن يفسره، و يقره أولى من المال، و ليس الظلم في إعطاء غير المستحق ، بأقل من الظلم في منع المستحق.

1- رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة.

2- سورة الأعلى، الآية 17.

3- رواه أبو هريرة.

4- آية الله الملائ زين العابدين، أنوار الولاية، مؤسسة آل البيت، بط، إيران، 1409هـ، ص 372 .

5- آية الله الملائ زين العابدين، المرجع نفسه، ص372.

6- الغزالي، تهذيب الإحياء، دار إحياء التراث العربي ، ج1، ط1، بيروت، 1989، ص21 .

7- رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة.

8- سورة البقرة، الآية 05.

1.3. أهداف التربية

التربية هي أعظم مجهود إنساني يتوقف عليه استشراق مستقبل الفرد والمجتمع، ومن ثم كانت رسالة المرابي مقرونة برسالة الأنبياء والرسل، وإلا جاءت على يده البصائر حولاً، ونذكر من هذه الأهداف ما يلي:

- 1- إعداد الفرد إعداداً روحياً يقربه من الله تعالى.
 - 2- الاستعداد للحياة الأخروية بما يقدمه من صالح الأعمال.
 - 3- إعداده بما يجعله أن يكون نافعاً ومؤثراً في مجتمعه.
- وعليه فكل تربية تهدف إلى تحقيق هذه الغايات فهي التربية المنشودة عند الغزالي، لذلك نجد يدعو إلى التربية الدينية التي قوامها الحشونة والتقشف والابتعاد عن ملذات الدنيا حتى البدنية منها كالطعام الجيد واللباس الجميل والفرش الوثير، لاعتقاده أن إعداد النشء للدنيا يؤدي إلى التحاسد والتباعد والهلاك، وعليه فإنه يمكننا إن نستخلص مما بينه الإمام الغزالي - باعتباره من أعلام الصوفية - من مراحل التربية وأهدافها وغاياتها¹، أنها أي التربية:

- 1- بمثابة القاسم المشترك بين مختلف المريدين السالكين لأي نهج قويم.
 - 2- وكلما كانت المناهج فيها محكمة، والأهداف واضحة، والنوايا صادقة، جاءت ثمارها يانعة.
- إن الطالب لمراد الصوفية إذا كان صادق العزم، وهو يتلقى إرشادات شيخه، ويسمع نصحه، ويتفانى في تجسيد ذلك ميدانيا ملتزماً بأداء أوراده من الأذكار والعبادات وحسن المعاملات، كان حقاً مدركاً لمرامي التصوف التي وصف الله بها نبيه الكريم فقال جل من قائل: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)²

المبحث الثاني: دراسة نظرية للروح

1.2. مفهوم الروح في القرآن الكريم:

قال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"³، سؤال خالد يلازم الفطرة البشرية ويلح عليها في كل وقت ما الروح؟ وما حقيقتها؟ وكيف هي؟ وأسئلة أخرى غيرها سأل عنها أصحاب الملل وغيرهم في القديم وفي الحديث، واحترار الكل في أمرها وجاء اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن روح فجاء الرد الحاسم الجازم "قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي" الذي يقطع في عجز حاملها مع عظم شأنها وعظيم خالقها. وهذا ما ورد في فتح الباري بشرح صحيح البخاري: "حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمشي، قال: حدثني إبراهيم عن علقمة بن عبد الله رضي الله عنه قال "وبينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض

1- الغزالي، المرجع السابق، ص 21-22 بتصرف.

2- سورة القلم، الآية 04.

3- سورة الإسراء، آية 85.

سلوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت انه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا".¹

قال الإمام القرطبي في قوله تعالى: "قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي". دليل على خلق الروح وهو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى مبهما تاركا تفصيله ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجوده وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان عجزه عن إدراك حقيقة الله أولى.²

والباحث في هذا المقام يرغب في توضيح كلمة الروح كما وردت في القرآن الكريم وكما فهمها العلماء، ثم يقرر الرأي المعتمد في ذلك والذي هو المعنى في هذا البحث. ذكر الإمام ابن القيم إن الروح في القرآن الكريم وردت على عدة أوجه.³ إحداهما: الوحي والقرآن الذي أوحاه الله إلى رسوله. قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ".⁴

وقال تعالى: "يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ".⁵

الثاني: الروح بمعنى القوة والثبات والثمرة التي يؤيد بها الله من يشاء من عباده المؤمنين. قال تعالى: "أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ".⁶

الثالث: جبريل عليه السلام هو الروح، قال تعالى: "وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ".⁷

الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود فؤجيبوا بأنها من أمر الله وقد قيل: أنها الروح المذكورة في قوله تعالى "يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ".⁸ وإنها المذكورة في قوله تعالى: "تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ".⁹

الخامس: المسيح بن مريم عليه السلام هو الروح. قال تعالى: "إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ".¹⁰ وقد اختلفوا العلماء في تحديد مفهوم النفس وارتباطها بالروح فبعضهم يغاير بين النفس والروح وبعضهم يرى إنهما لفظان لمعنى واحد.

1- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، ج8، القاهرة، ص 401.

2- أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، ج10، القاهرة، ص 324.

3- ابن القيم الجوزية، الروح (المسألة السابعة عشر)، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1982، ص- ص 206-207.

4- سورة الشورى آية : 52.

5- سورة غافر: آية 15.

6- سورة المجادلة : آية 22.

7- سورة الشعراء، الآيات 192-194.

8- سورة نبا، آية 38.

9- سورة القدر : آية 04.

10- سورة النساء: آية 171.

قال ابن العربي: اختلفوا في الروح والنفس فقليل متغايران وهو الحق وقيل هما شيء واحد قال: وقد يعبر بالروح من النفس وبالعكس كما يعبر عن الروح والنفس بالقلب وبالعكس. وقال السهيلي: يدل على مغايرة الروح والنفس قوله تعالى: "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29)".¹
وقوله تعالى: "تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ"². فإنه لا يصح جعل إحداها موقع الآخر ولولا التغاير لساغ ذلك".³

فالنفس تطلق في الغالب ويراد بها الذات الإنسانية بجملة المؤلف من الروح والجسد كما جاء في قوله تعالى: " فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ ".⁴ وقوله تعالى: "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجُودِلٍ عَن نَّفْسِهَا".⁵ وقوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينًا".⁶ والروح في الغالب تطلق على ذلك الجوهر اللطيف الذي يحس أثره ولا يدرك كنهه فإذا قام بالبدن كانت الحياة وإذا فارقت انعدمت كما في قوله تعالى: "أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ".⁷ وقوله تعالى: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ".⁸ وقوله تعالى: "وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى".⁹ إذن النفس تطلق على أمور فيتحد مدلولها تارة ويختلف تارة أخرى فالنفس تطلق على الروح ولكن غالباً ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن وإما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها.¹⁰ وإليك بعضاً من أقوال العلماء في النفس والروح.¹¹

1. ذهب طائفة إلى أن مسماها واحد وهذا رأي جمهور العلماء.
2. وذهبت طائفة من أهل الحديث والفقهاء والتصوف إلى أن النفس غير الروح قال مقاتل بن سليمان: "للإنسان حياة وروح ونفس فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء وتبقى الحياة والروح في الجسد".
3. وذهبت طائفة إلى أن النفس طينية نارية والروح روحانية.
4. وانتهى ابن القيم إلى أن الروح التي تتوفى وتقبض هي روح واحدة وهي النفس وأما ما يؤيد الله به أوليائه من الروح أخرى كما في قوله تعالى: "أولئك كتب الله في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه".¹²

1- سورة الحجر: آية 29

2- سورة المائدة: آية 116.

3- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، ص 403.

4- سورة النور: آية 61.

5- سورة النحل: آية 111.

6- سورة المدثر: آية 38.

7- سورة الأنعام: آية 93.

8- سورة الفجر: آية 27.

9- سورة النازعات: آية 40.

10- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، بط، 1392 هـ، ص 444.

11- ابن القيم الجوزية، الروح المسألة العشرون، مرجع سبق ذكره، ص - ص 292 - 293.

12- سورة المجادلة: آية 22.

وكذلك الروح التي أيد بها روحه المسيح عيسى بن مريم كما في قوله تعالى: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرِي نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ".¹

وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده هي غير الروح التي في البدن. وذكر ابن حزم "أن النفس والروح اسمان لمسمى واحد واستدل بالحديث الذي روي عن ابن هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال: "أكلأ لنا الليل فغلبت بلالا عيناه فلم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظا فقال: يا بلال فقال: أخذ بنفسي الذي أخذ نفسك بابي أنت وأمي يا رسول الله، وقال الله تعالى: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى".² وفي رواية عن أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا إنا نحمد الله لم نكن في شيء من أمر الدنيا يشغلنا عن صلاتنا ولكن أرواحنا كانت بيد الله عز وجل فأرسلها إن شاء "فعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنفس وبالأرواح عن شيء واحد".³

وهذا القول من ابن القيم وابن حزم هو الذي أيده الباحث في بحثه إلى أن الروح لا تطلق على النفس فالروح التي تتوفى وتقبض هي واحدة غير متعددة وإن تعددت صفاتها فتسمى كل صفة باسمه هذا وفي القرآن الكريم ذكر للنفس الآدمية في كل أحوالها:

- النفس الفاجرة والتقية: قال تعالى "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها"⁴
- النفس الأمارة بالسوء: وهي التي فيها دوافع السوء على دوافع الإحسان، قال تعالى: "وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ"⁵
- النفس اللوامة: وهي التي غلب عليها الخير ولامت نفسها على فعل الشر. قال تعالى: "لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ"⁶
- النفس المطمئنة: قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي".⁷ وبعد هذا الموجز من الروح والنفس في القرآن الكريم نأتي على تعريف العلماء للروح:

1- سورة المائدة: آية 110.

2- سورة الزمر: آية 42.

3- ابن محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، المحلى، دار الفكر، ج 1، د ت، ص 5-6.

4- سورة الشمس: الآيات 7-10.

5- سورة يوسف: آية 53.

6- سورة القيامة: آية 201.

7- سورة الفجر: الآيات 27-30.

2.2 مفهوم الروح في الفكر الاسلامي:

1. وأوضح الشرباصي تعريفات بعض العلماء للروح قال: "وقد عرف الروح بعض العلماء من المسلمين وقالوا: إنها جسم نوراني علوي حي مخالف للجسم المحسوس وبوجودها تكون الحياة موجودة في هذا الجسم". وقال بعضهم: إنها ذات لطيفة كالهواء في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر وكما أن الماء هو الحياة للشجر وبدونه يموت كذلك جعل الله الروح حياة للإنسان وببُعدها عنه يموت.¹
2. ذكر سعيد حوي: إن الروح هي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهي لطيفة ربانية روحانية وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو الذي أراده الله بقوله: "قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي" وهو أمر عجيب رباني تعجز العقول عن إدراك حقيقته.²
3. وذكر القرضاوي: إن الروح هي تلك اللطيفة الربانية التي تسكن هيكل الإنسان العادي وتحركه وتأمرة وتنهائه.³
4. وذكر محمد قطب: إن الروح طاقة مجهولة مبهمه غامضة محجوبة عن الإدراك ومع ذلك فهي حقيقة وهي التي يتصل بها الإنسان بالغيب المحجوب عن الحواس ووظيفتها هي الاتصال بالله وهي مهتدية إلى الله بفطرتها فهي من روح الله أودعها قبضة من الطين قال تعالى: "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ".⁴ ومهمة العقيدة هي مساندة الفطرة وتوجيهها ومساعدة الفطرة في الاهتداء إلى الله مهمتها أن تطلق الروح الروح من أسرها لكي ترى الله.⁵
- إذا فهذا كلام بعض العلماء في التعريف بالروح وهو كلام لا يعدو وصفها ببعض وظائفها أو صفاتها وهو تعريف بالعرض لا بالجوهر لأن الجوهر لا يعلمه إلا الله، وهو من أمره تعالى وحده لا شريك له. والباحث لا يسعه إلا أن يقف عند قوله تعالى: "قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي".⁶
- لكنه ممن يستحسن الإيمان بان الروح سر الله في خلقه وهي أمر غيبي يشعر به كل إنسان دون أن يراه، كما قال ابن سينا الفيلسوف:

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة من كل مقلة ناظر
وهي التي سفرت ولم تتبرقع.⁷

1- أحمد الشرباصي، يسألونك في الدنيا والحياة، دار الجيل، بيروت، ط2، 1977، ص 662.

2- سعيد حوى، تربيتنا الروحية، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 1399هـ، ص 40.

3- يوسف القرضاوي، التربية الإسلامية ومدرسة حسن ألبنا، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1979، ص 15.

4- سورة الحجر: آية 29.

5- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الجزء الأول، ط3، دار الشروق، جدة، ص- ص 40-41.

6- سورة الإسراء: آية 85.

7- عبد الكريم الخطيب، الإنسان في القرآن الكريم، دارا لفكر العربي، ط1، 1979م، ص 57.

نعم إنها الجانب الآخر في الإنسان هو الذي يسمو بالإيمان ولا يمكن من رؤيته أو تحديده ماهيته مع كونه في غاية الوضوح والبيان.

وهو موضوع بحثنا هنا "التربية الروحية للطرق الصوفية والسلم الاجتماعي".

المبحث الثالث: مرتكزات التربية الروحية

3.1. مفهوم التربية الروحية في الإسلام:

نعني بالتربية التعهد والرعاية والتأديب قال أهل اللغة: ¹ رب الولد، وليه وتعهدده بما يغذيه وينميه ويؤدبه. ورب الشيء: أصلحه ومنتنه. ورب الدهن: طيبة وأجاده. فالتربية فيها معنى الإصلاح والتعهد والرعاية والتأديب بما يمكن أن يكون المرابي طيبا وصالحا. والتربية الروحية هي أن تغذي الروح وتنمو لكي تصلح وتؤدب وتكون طيبة نافعة. والباحث يود الآن أن يتساءل: كيف تكون تربية الإنسان تربية روحية إسلامية وكيف تكون غير إسلامية وما مقتضيات التربية الإسلامية؟ ولتوضيح ذلك يمكن القول: تكون التربية إسلامية إذا زودت الروح بمبادئ الإسلام ومقتضيات الإيمان وتحلت بالأخلاق الإسلامية. وتكون تربية الروح غير إسلامية إذا تشربت الروح مبادئ أخرى لا صلة لها بالدين الإسلامي. فالإنسان إذا تفاعل مع الدين عقيدة وشريعة وأخلاقا وسلوكا فقد تربي تربية روحية إسلامية. وإن من مقتضيات هذه التربية أن يجعل الإنسان نفسه عبدا لله في كل تصرفاته في كل عمل وكل شعور وكل فكر، أي في كل شيء فهو دائم الصلة بربه ومربيه والمتصرف في كل شؤون حياته وهو الله سبحانه وتعالى.

ولقد رسم الإسلام منهجا واضحا في تربية الروح الإنسانية يقوم على أساس أن النفس أو الروح إذا صلحت صلح الفرد وإذا فسدت فسد الفرد. هذا يعني أن تربية الروح من أخطر المهام التي تتعلق بها مستقبل الإنسان بل مستقبل المجتمع بأسره. فإذا اعترف الإنسان بالخالق عز وجل وشعر بأنه في قبضة الله وفي ملكه واعترف بعظيم قدرته وسلطانه واعترف بنعمة الله التي لا تحصى وأيقن بأن التوجه إليه في كل شيء فمن هذا الاعتراف يولد في الروح الشعور بالحب والخشية والطاعة والرضا والشكر والحنين والطمأنينة والأمن وغير ذلك مما سنراه من الحديث عن ركائز التربية الروحية الإسلامية والأثر التربوي للعقيدة والشريعة في النفس الإنسانية وتأثير ذلك على الإنسان في مجتمعه وما يحيط به.

إن الكثير من أفراد المجتمع الإسلامي أغفل اليوم فهم التربية الروحية فقد فهموا من ذلك: الاستسلام للنظريات والفلسفات الحديثة باعتبارها نشأت في عصر التقدم والتطور، بينما الإسلام مر عليه زمن طويل. وقد أدت هذه الفكرة إلى نتائج خطيرة سيئة منها الابتعاد عن الخالق ونفي صلة الإنسان به ومنها تبديل مفهوم التقوى والطاعة والاستقامة والشكر إلى مفاهيم مجردة دون أن يكون فيها عوامل تأثير مما جعل الإنسان يستسلم للملذات الدنيا وشهواتها وينحرف انحرفا خطيرا في سلوكه وتصرفاته.

1- المعجم الوسيط، صادر من مجمع اللغة العربية، ج1، القاهرة، ص 321.

ولقد وضع صاحب كتاب: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية مفهوم التربية الروحية في الإسلام يقول فيه.¹ "يقصد بمفهوم التربية الروحية ترسيخ القوى الروحية لدى الناشئين وغرس الإيمان في نفوسهم إشباعاً لنزعتهم الفطرية للتدين وتهذيب غرائزهم والسمو بنزعاتهم وتوجيه سلوكهم على أساس القيم الروحية والمبادئ والمثل الأخلاقية التي تعتمد عن الإيمان الصحيح بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره".

وعندما تتم تربية الناشئين تربية روحية متكاملة تعفو أرواحهم وتركوا نفوسهم وتستنير عقولهم وتستقيم أخلاقهم وتتطهر أبدانهم وذلك لارتباطهم الوثيق برهم عز وجل الذي يراقبونه في كل حركاتهم وسكناتهم ويشعرون بأنه معهم في كل وقت وفي كل مكان فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم فيخافونه ويرجونه ويرهبونه ويطمعون فيه ويتوكلون عليه ويحسنون الظن به ويتقون في عونه وهداياته وتوفيقه وبذلك يتبين لنا مفهوم التربية الروحية الصحيحة مستمدة من الإيمان والعمل والعقيدة والأخلاق والموازنة بين مطالب الدنيا والآخرة بلا إفراط أو تفريط، إن التربية الروحية السليمة هي التي ترسم المعيار الصحيح لتنمية مختلف الشخصية الإنسانية تنمية شمولية فهي مصدر هداية العقل بالإيمان بالله عز وجل وتوحيده وصفاء النفس بسكينتها وطمأنينتها، وتركيز الأخلاق بالتحلي بالفضائل والقيم والمثل العليا وطهارة الأبدان باستعمال أعضائها وجوارحها في حقها وصونها من المعاصي والفواحش وتسخيرها للعبادة وأعمال الخير النافعة للفرد والجماعة وحسن العلاقة الاجتماعية مع الآخرين بالتكامل والتآزر والتعاون على البر والتقوى؛ وعلى الجملة فإن التربية الروحية في الإسلام هي التنشئة المتكاملة للجانب الروحي عند الإنسان على مبادئ الدين الحنيف وذلك بتأصيل مفاهيم الإسلام التربوية الروحية وترسيخ دعائمها في النفوس لكي يلتزم بها التزاماً أكيدا في كل مراحل حياته.

ولسوف تذكر أهمية التربية الروحية في الإسلام بشكل عام وكيفية تنمية هذه التربية عند أبناء مريدي الطرق الصوفية وكيفية نقلها لأبنائهم بشكل خاص.

3. 2. أهمية التربية الروحية في الإسلام:

يتبين للباحث أهمية التربية الروحية في الإسلام من حيث: أولاً: وظائف التربية الروحية في حياة الإنسان بشكل عام. ثانياً: وسائل تأصيل مفاهيم التربية الروحية وترسيخ دعائمها في نفوس الناشئين بشكل خاص. وبيان ذلك كما يلي:

3. 2. 1. وظائف التربية الروحية في حياة الإنسان:

أ- التربية الروحية تفتح منافذ العقل إلى النظر في هذا الكون فتسمو بتفكيره إلى أعلى المستويات. فلقد حرص الدين الإسلامي على دعوة الناس إلى التأمل وطالبهم بالتدبر وزودهم بمحالات التفكير والفكر فلو

1- عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، بط، ليبيا، 1984، ص ص 326-327.

تمعن الإنسان في نفسه بل لو نظر حوله، لوجد آيات وآيات كلها تشير إلى الله سبحانه وتعالى وتبين بعض مظاهر قدرته وتدل على آثار رحمته. والتأمل إنما هو وسيلة إسعاد النفس وطريقة المتعة الروحية فهو كواحة جميلة في صحراء الحياة لا بد أن يلجأ إليها الإنسان ليحس بالأمان ويشعر بالطمأنينة والسكينة. والتفكير هو الذي يقود الإنسان إلى الحقيقة الأولى في الحياة وهي أن لهذا الكون ربا وأن لهذا الكون خالقاً فإنما هو سبيل العزاء لكل نفس والراحة لكل قلب والمتعة لكل عقل.¹

فالإنسان يعيش في القرآن الكريم مع الكون وقدره الله القاهرة وعلمه الشامل لقاء دائم يدل له النفس ويمتع الحس ويطلق الروح لتسبح الله وتتطلع إلى حماه. ومما يزيد ذلك الإيمان زيادة التأمل والتفكير في ملكوت الله قال تعالى: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِعَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ".² وقوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ".³

ب- التربية الروحية تغرس في النفوس الطاعة لله والخشوع له، والخوف منه والرغبة في ثوابه، فتسلك سبيل الله وتبتعد عن سبل الشياطين. قال تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ".⁴ وقال تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفَشِّرُهُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ".⁵

ج- التربية الروحية تؤسس الفرد على المبادئ الثابتة التي تهذب النفس وترقى بالروح وتقوم الخلق فيبقى الفرد في أمن وسكينة.

قال تعالى: "الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ".⁶ قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا".⁷

1- عبد الرزاق نوفل، بين يدي الله، دار الكتاب العربي، بيروت، بط، لبنان، ص 7-8.

2- سورة لقمان: آية 10.

3- سورة البقرة: آية 164.

4- سورة المؤمنين: آية 201.

5- سورة الزمر: آية 23.

6- سورة الحج: آية 41.

7- سورة النور: آية 55.

د- التربية الروحية تكشف للفرد طريق الرحلة في هذه الحياة فتزوده بالتقوى وتدله على سبل الخير والرشاد وتقوي في نفسه الوازع في حب الخير ودفع الشر.

قال تعالى: "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (15) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم".¹

ه- التربية الروحية تقوى رابطة الأخوة بين المؤمنين وتميها وتجعل من الأمة أمة واحدة قوية وتعمل على نبد عوامل الفرقة والتمزق. قال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم".² وقال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ"³

ي- التربية الروحية تربط العبد بربه في سائر أحواله ولذا حضت الشريعة الإسلامية على ذكر الله وكان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة المثالية في ذلك فكان يذكر الله على سائر أحواله. "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ".⁴

فذكر الله هو الغذاء الروحي الذي يمد النفس الإنسانية بما تحتاجه من سكينه وطمأنينة فكلما كان الإنسان المسلم على صلة دائمة بالله عز وجل في سائر أحواله في الصباح والمساء عند قيامه من النوم وعند نومه وعند خروجه من المنزل وعند دخوله المسجد وعن خروجه منه، يعني لا تجرد حركة من حركات المسلم إلا وهناك دعاء عن الرسول صلى الله هو البلسم الشافي لكل الأمراض النفسية والجسمية والأخلاقية.

و- التربية الروحية تقوي الإنسان من الأمراض التي يؤدي إليها ترك هذا الجانب من الحياة عند الإنسان، وهذه الأمراض يمكن تقسيمها إلى قسمين.⁵

(1) أمراض مباشرة تصيب الوجدان النفسي فيشعر الإنسان بالقلق والاضطراب والحيرة والضيق والكآبة كما يشعر بالضعف أمام عوارض الحياة وأمور أخرى غيرها قد يلجأ الإنسان بسببها إلى التخلص من الحياة.

(2) أمراض أخرى جسمية ورذائل أخلاقية تؤدي على ارتكاب الجرائم وإشاعة الفوضى في المجتمع. لذلك كانت التربية الروحية خير وقاية من هذه الأمراض الحسية والمعنوية ولقد قرر هذه القاعدة رب العالمين في قوله عز وجل: "يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور".⁶ وقوله: "فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى".⁷

1- سورة المائدة: آية 15-16.

2- سورة الحجرات: آية 13.

3- سورة الحجرات: آية 10.

4- سورة الرعد: آية 28.

5- مقداد يالجن ويوسف القاضي، علم النفس التربوي في الإسلام، دار المريخ، بط، الرياض، 1401هـ، ص 336.

6- سورة يونس: آية 57

7- سورة طه: آية 123-124

3. 2. 2. وسائل تأصيل مفاهيم التربية الروحية وترسيخ دعائمها في نفوس الناشئين:

وقد حرصت التربية الإسلامية على تأصيل مفاهيم التربية الروحية في نفوس الناشئين وتثبيت دعائمها وتقوية أسسها بعدة وسائل ذكر صاحب كتاب "أسس التربية الإسلامية" منها:¹

أ. غرس الفضائل والقيم والمثل الأخلاقية في نفوس الناشئين وإبراز آثارها الإيجابية في حياة الفرد والجماعة وإظهار مساوئ الرذائل وسفاسف الأخلاق والحث على تجنبها لآثارها السيئة على الفرد والمجتمع. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الصدق يهدي إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة وأن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا وإن كذب يهدي إلى الفجور وأن الفجور يهدي إلى النار وأن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"²

ب. تلقين الناشئ منذ طفولته مبادئ دينه النظيف وتعريفه على العبادات لكي ترسخ في نفسه ويلتزم بأدائها كما يعود على ممارسة أعمال الخير وعدم الشر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع."³

ج. الحرص على أن يكون العربي قدوة للناشئ لأن القدرة تفيد في تقليد الناشئ للمربي سواء كان أبا أم معلما.

د. توجيه الناشئين إلى حسن اختيار أصدقائهم من ذوي الصفات والأخلاق الطيبة والمكارم الحميدة والسلوك القويم. قال صلى الله عليه وسلم: "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل."⁴

هـ. معاملة الناشئين بالرفق وإتباع أسلوب التيسير والتشويق والابتعاد عن التعنيف أو الضرب الشديد.

و. مراعاة المستوى العقلي للناشئين بمعنى تزويد الناشئ بالمعلومات بما يتناسب مع قدرته العقلية وقدرته على التفكير. ولكن يوضح الباحث ما التربية الروحية في الإسلام من أهمية بالغة تأمل أن تقدم بين يدي القارئ نماذج حية ضربت أروع الأمثلة في التربية الروحية فتحدث عن المربي الأول في الإسلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام من الرجال والنساء رضي الله عنهم وأرضاهم.

المربي الأول في الإسلام الرسول صلى الله عليه وسلم: الرسول صلى الله عليه وسلم هو القائد الروحي الذي نذر نفسه وجهده لمصاحبة فريق من الناس وتربيتهم وتوجيههم وتعهدهم حتى تستقيم نفوسهم، وتستقيم سلوكهم حتى استطاع أن يسير بهم في الطريق المستقيم، ويرتفع بهم حيث أراد ويعودهم على حب الخير ودفع الشر.

لقد كان عليه الصلاة والسلام مثالا حيا لسمو الروح وعظيم الخلق حتى قال الله تعالى فيه: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"⁵.

1- عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص 328-331.

2- مسلم ابن الحجاج، صحيح مسلم، ج4، ط1، دار طيبة، الرياض، 2006 ص 2012.

3- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط1، ج11، 2001، ص 36.

4- رواه أبو داود، سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، ط1، ج4، 2004، ص 402.

5- سورة القلم: آية 04 .

وكان عليه الصلاة والسلام مثالا حيا في الزهد والروحانية والورع ، وفي الصبر، والتوكل، وفي الشجاعة والفداء، وفي الإنفاق والكرم، وفي الحلم والصفح، وفي الالتزام والعمل، وفي الشدة على الكافرين والرحمة على المؤمنين، كان الأب، والزوج، والأخ، والصدیق والمعين والنصير والناصح والأمين وعرف حق الله وحق الجار وحق الأهل والولد وغير ذلك.

حقا لقد كان عليه الصلاة والسلام عدة شخصيات متكاملة ومتوازنة في شخصية واحدة وأما أصحابه الذين نشروا الحق والعدل وأزهقوا الباطل والظلم فهم الذين تربوا التربية الإيمانية الطويلة على يد المرابي الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا قمة في كل شيء، وإليك بعضا من أخبارهم:

أ. هذا صهيب لما هاجر إلى المدينة تبعه نفر من المشركين فشل فقال: يا معشر قريش أني من أركامكم ولا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفي فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه فرفضوا فعاهدتهم ودلهم فرجعوا فأخذوا ماله فلما قدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال به: "ريح البيع أبا يحيى"¹. ونزلت الآية القرآنية: "وَمَنْ النَّاسِ مِنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ"².

ب. وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول لأمه: تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا ما تركت ديني هذا لشيء إن شئت كلي وإن شئت لا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت وكانت قد طلبت منه ترك الإسلام وامتنعت عن الطعام حتى يكفر.³

ج. وهذا حبيب بن عدى عندما جاءوا به قريش إلى التنعيم ليطلبوا قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا قالوا دونك فاركع فركع ركعتين أتمها وأحسنها ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت الصلاة قال: ثم رفعوه إلى خشبة فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا.⁴ وقال: ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي.⁵

د. وهذا علي بن أبي طالب يسأل: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.

هـ. وما هم آل ياسر يضربون أروع الأمثلة في الغداء والاستشهاد.

و. وهذا بلال بن رباح يساق إلى بطحاء مكة فيطرح عاريا على الرجال المحرقة ثم يؤمر له بصخرة عظيمة فتلقى على صدره وهو لا يزيد على كلمة الحق أحد ... أحد وينجي الله الذين اتقوا فيمر الرسول صلى الله

1- ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، ج2 ، بط، بيروت، 1995، ص 188.

2- سورة البقرة: آية 207.

3- علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، دار الكتب العالمية ، ط1، 1990، ص 196.

4- ابن هشام، السيرة النبوية، مطبعة الحلبي، ج2، ط2، مصر، 1955، ص 173.

5- أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، ج1، ب ط ، مصر، 1979 ص 113.

عليه وسلم على آل ياسر وهم يعذبون فيقول صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ويمر أبو بكر على بلال فيفتديه بماله ثم يعتقه لوجه الله تعالى.

ي. وهذا زيد من الدثنة لما قدم به كفار قريش ليقتلوه قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه وأنت في اهلك؟ قال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأنى جالس في أهلي.

فعجب أبو سفيان وقال: ما رأيت من الناس أحدا يحب أصحاب محمد محمدا وقتل زيد راضيا مضحيا في سبيل الله.¹

ز. وهذا مصعب بن عمير يترك المال الوفير والغنى والجاه والبخبة في مال أمه ويقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويترك كل شيء حتى يعيش في واحة الإيمان مع الرسول وصحبه فلما كانت معركة أحد يقع مصعب شهيدا ولا يجد المسلمون ما يكفونونه به إلا ثوبه الذي لا يكفي لغطاء جسده فيغطوه بالكلاء.

ن. وهذه امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه فلما رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلال يا رسول الله.²

ك. وهذه الخنساء التي نذبت أخاها صخرا في الجاهلية وبكت عليه بكاء شديدا ولبست السواد وأقسمت أن لا تخلعه ما عاشت نراها يوم القادسية تقدم اغلي ما تملك أبناءها الأربعة وتوصيهم ألا يرجعوا إلا بإحدى الحسينين: النصر أو الشهادة. ويأتيها نبأ استشهادهم جميعا في ساعة واحدة فتخر ساجدة، شاكرة لله تعالى ثم لا تزيد على أن تقول: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم الأربعة وأرجو منه أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. وبعد فهذه نماذج لا مثيل لها في التاريخ وهذا جيل فريد في نوعه صاغته القوة الإلهية المشرفة على هذا الكون وزودته بكل وسائل الاتصال بها فكانوا صفحة ناصعة من صفحات المجد ودرة متألفة فوق جبين العظماء لله درهم كيف رقت مشاعرهم وتفتحت عقولهم وصفت أرواحهم وتطهرت أبدانهم وصلحت قلوبهم ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ومثلهم في القرآن لا شك أن سر ذلك كله العقيدة السليمة والعبادة الخالصة والتجرد الكامل في التلقي عن الرسول صلى الله عليه وسلم. فإن العقيدة السليمة والعبادة الخالصة عنصران أساسيان في تنمية الإنسان التنمية الروحية الإسلامية وهذا ما سيوضحه الباحث بعد ذلك ليبين الأثر التربوي للعقيدة الإسلامية والعبادة في تنمية التربية الروحية الإسلامية إن شاء الله.

1- ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص 172.

2- ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص 99.

3. 2. 3. ركائز التربية الروحية في الإسلام:

لقد أعطى الإسلام عناية فائقة بالجانب الروحي لأنه يمثل القاعدة والركيزة الأساسية التي بها يتجه الإنسان إلى الخير ويزرع عن شهواته ودوافعه المختلفة ترفعا يوصله إلى الكمال البشري. ونظرا لأن هدف التربية الإسلامية هو غرس العقيدة الإسلامية وتشبيتها في القلوب فقد استمد الجانب الروحي أهميته من هذا المنطلق. والتربية الإسلامية حريصة كل الحرص على ربط هذه الروح بخالقها تستمد منه القوة اللازمة لنموها وبقائها في حالة من الشفافية والطهر إلى أن يحين الأجل وترجع الروح إلى ربها راضية مرضية. ويتم هذا الربط من خلال عنصرين كل منهما متصل بالآخر وتؤثر فيه ومتأثر به وهي العقيدة الإسلامية والعبادات.

لذا وجب علينا هنا أن نستعرض الأثر التربوي للعقيدة الإسلامية وكيف أنها تمثل القاعدة التي ينطلق فيها إيمان الإنسان بالله وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقضاء والقدر كذلك فمن العبارات المفروضة من صلاة وصوم وزكاة وحج لها دور بارز ومهم في تنمية التربية الروحية وهذا سيظهر جليا عند الحديث عن ذلك.

3. 3. الأثر التربوي للعقيدة الإسلامية في تنمية التربية الروحية:

العقيدة الإسلامية مدرسة خلقية وتربية نفسية تربي في النفس فضائل الأخلاق ومحاسن الأعمال من قوة نفس ومحاسبتها والدفع بها إلى السمو والاعتلاء. والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر هو أقوى وازع للنفس يدفعها نحو الخير ويمنعها من الزلات الخلقية والسقطات البشرية لأن الإيمان هذا يحول النفس من أمارة بالسوء أو فاجرة إلى نفس لوامة عفيفة أو مطمئنة خوفا من عذاب الله في الآخرة. والباحث هنا يود أن يتساءل ما المقصود بالإيمان؟ وما أثره على النفس البشرية؟ الإيمان هو أن يوحد الإنسان ربه ويصدق بملائكته وبالكتب التي أنزلها وبالرسل واليوم الآخر مما يكون بعد الموت من بعث ونشور وعرض على الله وجنة ونار والرضا بالقدر خيره وشره. هذا هو الإيمان وهو الذي أراده الله من الإنسان وطلبه في كثير من الآيات اذكر منها قوله تعالى: "أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"¹

وقال صلى الله عليه وسلم: "الإيمان أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسوله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره".² من هذه الآية وغيرها ومن هذا الحديث وغيره يتضح لنا أن الإيمان له ستة أركان هي: الإيمان بالله والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره. وهذه الأركان يجب الإيمان بها جميعا على الوجه الذي دل عليه الكتاب وهدت عليه السنة وأن من يجحد ركنا منها يخرج عن دائرة الإيمان ويبطل عمله مصداقا لقوله تعالى "وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا"³.

1- سورة البقرة، آية 285، وانظر الآيات الكثيرة في الإيمان، سورة النساء، آية 136 / سورة البقرة، آية 177 وفي غيرها.

2- صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، ص 150.

3- سورة النساء، آية 136.

كما اتضح لنا من خلال البحث أن الإيمان ضروري للنفس البشرية وحاجة ملحة لها فطرها الله عليها (فهو ليس ترفاً في التفكير ولا نافلة للنفس إنما هو فطرة الله التي فطر الناس عليها وحاجة ملحة للنفس والروح إذا فُقد ترك فراغاً في النفس لا يملأ وجوعاً في الروح لا تسد وخراباً في الضمير لا يعمر).¹
وهنا نود أن نبين أثر الإيمان في تربية النفس.

✓ أثر الإيمان بالله في تربية النفس:

❖ الإيمان بالله ينقل الإنسان من حياة الجهل والفوضى إلى حياة العلم والنظام. فعمر بن الخطاب مثلاً كان قاسياً في الجاهلية حتى الأمة الصغيرة يعذبها عذاباً نفسياً وجسدياً لكي ترجع عن الإسلام. فلما آمن عمر بربه صار يبكي كلما سمع بكاء طفل رحمة به مما يدل على أثر الإيمان في نفس عمر.²

والإيمان بالله يغرس في النفس الثقة والشعور بالقوة والاستعلاء فوق كل طاغوت لأن الإنسان المؤمن بالله موصول به فهو يستمد قوته وثقته بنفسه من عند الله فهو واثق الخطى من غير تكبر أو تجبر بل هو متواضع وزاهد كما قال تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا".³

❖ والإيمان بالله يورث في النفس حب الله وحب رسوله وحب المؤمنين وحب الخير لهم فيعتقد الإنسان أن سعادته مرهونة بسعادة الآخرين وبتقدم العون لهم وبطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو بهذا الحب يسمو من الماديات ويرتفع عن الشهوات ويرى أن الخير في النزاهة والشرف، وحب الله ورسوله والمؤمنين ليس مشاعر طيبة في القلب فقط وإنما هو مشاعر طيبة تنبثق منها سلوك صحيح في الحياة.

❖ والإيمان بالله يزيد في تقوى الله وطاعته فيقف الإنسان عند حدود الله ويتبع أحكامه ولا يقوى على فعل المعاصي والمنكرات بل يسارع إلى الخير ولو في ظلمة الليل.

❖ والإيمان بالله يقوي في النفس تلك القوة الخلقية التي تمكن الإنسان من ضبط نفسه وتحمل المكروه وهي الصبر عن المعاصي فلا يرتكبها وعلى الطاعات فلا يتركها وعلى المصائب فلا يتضجر ويشكو ربه فيها

❖ والإيمان بالله يملأ القلب رحمة ويفتح منافذ العقل إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ويشع في النفس السكينة والطمأنينة والرضا بحياة طيبة في الدنيا والآخرة.

✓ أثر الإيمان بالملائكة في التربية النفس:

❖ معنى الإيمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بأن الله ملائكة خلقوا من نور وهم طوائف ولهم وظائف يقومون بها حسبما أمر الله.⁴ فمنهم جبريل عليه السلام ومنهم الحفظة الذين يحفظون الإنسان من أمر الله ومنهم الكتبة ومنهم الموكلون بقبض الأرواح، ومن أعمالهم التسبيح لله وتبليغ الوحي وحمل العرش وسؤال القبر

1- محمد شديد، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979، ص ص 70-71.

2- ابن الجوزي أبو الفرج، صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ج 1، ط 1، 1986، ص 282.

3- سورة الفرقان: آية 63.

4- محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، دار النصر، بط، الإسكندرية، 1989، ص 19.

وأمر أخرى غيرها تزيد عن خمس وعشرين وظيفة كما ورد في القرآن والسنة أما أثر الإيمان بالملائكة في تربية النفس فمن أصناف الملائكة ووظائفهم كما يلي:

❖ الطاعة: فالإيمان بهم يعلمنا ويعمق في نفوسنا معنى الطاعة لله ويجعلنا نتشبه بهم فإنهم "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرُوهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"¹.

❖ ومن آثار الإيمان بالملائكة المداومة على العمل الصالح من صلاة وذكر ودعاء واستقامة. قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ"².

❖ ومن آثار الإيمان بالملائكة الثبات على الإيمان والابتعاد عن المعاصي حياء منهم وإلا تسجل عليه الملائكة أعماله السيئة قال تعالى: "وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ"³.

❖ ومن آثار الإيمان بهم الثبات والشجاعة في الحرب لأن المحارب يصدق بأن الملائكة تقاتل معه أعداء الله. قال تعالى: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ"⁴. ومن آثار الإيمان بالملائكة طلب العلم لأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع. قال صلى الله عليه وسلم: "ما من خارج يخرج من بيته يطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع"⁵.

وهكذا ما يحدث من الملائكة يدعو النفس الإنسانية لأن تتشبه بهم فترق مشاعرها وتسمو إلى الآفاق العليا.

✓ أثر الإيمان بالكتب السماوية في تربية النفس:

ومعنى الإيمان بالكتب هو التصديق بوجود كتب أنزلها الله لهداية الخلق وهي حق ونور وشفاء لما في الصدور. وهي القرآن الكريم: نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والتوراة: نزلت على موسى عليه السلام والإنجيل: نزلت على عيسى عليه السلام، والزبور: نزلت على داود عليه السلام والصحف: نزلت على إبراهيم وموسى عليهما السلام، والإيمان بهذه الكتب السماوية المنزلة يشعر الإنسان بقيمته عند الله كما يشعر بالعزة والاستعلاء بالإيمان والسعادة في الدنيا.

✓ الإيمان بالرسول وأثره التربوي:

ومعنى الإيمان بالرسول هو التصديق بفريق من الناس أرسلهم الله إلى العباد لتبليغ بشريعة الله وأيدهم بما يثبت صدقهم وهي المعجزات، والتصديق بأن عددهم كبير وأن من ذكروا في القرآن (25) خمسة وعشرون نبيا وهم: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، يونس، أيوب شعيب، موسى، هارون، داود، سليمان، إلياس، اليسع، ذو الكفل، زكريا، يحيى، عيسى، محمد عليه وعليهم

1- سورة التحريم: آية 6.

2- سورة فصلت: آية 30.

3- سورة الانفطار: آية 10-12.

4- سورة الأنفال: آية 9.

5- أمد بن حجر الهيتمي، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، المطبعة السلفية، بط، بت، ص 48.

السلام. والتصديق بصفاتهم كالصدق والأمانة والعصمة من الأخطاء والعيوب والتصديق بمعجزاتهم، والعلم بأنهم جميعا دعوا إلى التوحيد، وأن أعظم أثر تربوي للنفس من وراء الإيمان بالرسول هو: الاقتداء بسلوكلهم الحسن والاتصاف بصفاتهم الحميدة والصبر كما صبروا والجهاد كما جاهدوا والتضحية .

✓ الإيمان باليوم الآخر وأثره التربوي:

ومعنى الإيمان باليوم الآخر التصديق بما يكون بعد الموت من السوء في القبر والبعث والنشور والعرض على الله والميزان ووزن الأعمال وورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم، واجتياز للصرط المستقيم، وجنة وما أعد الله فيها للمؤمنين، ونار وما أعد الله فيها للعاصين.

إن الإيمان باليوم الآخر ضرورة دائمة للنفس البشرية في كل أحوالها لأن في النفس البشرية دوافع تدفعها إلى الملك والجنس والمسكن والطعام والشراب.¹ قال تعالى: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ".²

✓ الإيمان بالقدر وأثره التربوي:

ومعنى الإيمان بالقدر التصديق بأن كل ما في الوجود من خير أو شر بقضاء الله وقدره وأن ما يصيب الإنسان وما يكون من أمره من هدى أو ضلال أو هزيمة أو نصر أو نجاح أو فلاح أو خسران أو أي شيء هو بعلم الله وإرادته وحكمته.³ وهذا المعنى هو ما وردت به الآيات التي ذكرت القدر، قال تعالى: "وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ"⁴. وقال تعالى: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"⁵.

وكما أن عقيدة القدر تثبت في النفس الرضا بكل حال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجباً للمؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له⁶. هنا يقول الدكتور محمد نعيم ياسين مبينا الأثر التربوي لعقيدة القدر في النفس والروح: "إن الرضا بالقدر والصبر على البلاء والطمأنينة إلى حكم الله عز وجل لها أهم القواعد التي يقام عليها السكن النفسي وهو من أبرز الدوافع لانطلاق جميع الطاقات البشرية للعمل في هذه الأرض ضمن منهج الله فلا التفات للوراء ولا محطات للتحسر والندم ولكن قدر الله وما شاء فعل"، ففي هذه العقيدة هدوء القلب وراحة البدن والنفس

1- محمد قطب، دراسات قرآنية، دار الشروق، بط، جدة، 1987، ص 82.

2- سورة القصص: آية 83-84.

3- محمد نعيم ياسين، الإيمان، مرجع سبق ذكره، ص 98.

4- سورة الرعد: آية 08.

5- سورة القمر: آية 49.

6- رياض الصالحين مع دليل الصالحين، ج1، ص 147.

والأعصاب ومفارقة الهم والحزن فلا تمزق ولا توتر عصبي ولا شذوذ ولا انفصام وإنما رضا وسكينة وسعادة وراحة وطمأنينة والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله وعلمه وحكمته فهو الملاذ والمعاد من الوسواس والهواجس".¹

3.4. الأثر التربوي للعبادة الإسلامية في تنمية التربية الروحية:

العبادة في الإسلام دورة روحية وبرنامج للإصلاح النفس وغذاء روحي وزاد في التقوى يؤديها المسلم على مدار الأيام والأشهر والسنين فتعطيه طاقة روحية فائقة وسموا لا ترقى إليه إلا همم الطائعين والراكعين الساجدين الصائمين، والعبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج هي أقوى وازع للنفس الإنسانية يدفعها نحو الخير ويمنعها عن الزلات والسقطات الخلقية. وهنا يطرح التساؤل: ما المقصود بالعبادة؟ وما أثرها على التربية الروحية للنفس البشرية؟

العبادة هي ما طلب الله من المكلف فعله من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك مما يقصد به إرضاء الله، فهي تشمل أركان الإسلام وكل ما يقوم به المرء بنية خالصة لله بشرط أن يكون مشروعاً من قبل الله، هذا هو المقصود بالعبادة وهو الذي خلق الله الإنسان من أجله وقد دل على ذلك القرآن والسنة. قال تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"². وقال: "قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ"³. وقال: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ"⁴. وقال: "إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي"⁵. وقال صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً"⁶. من هذه الآيات وغيرها ومن هذا الحديث وغيره يتضح أن العبادة بمعناها الخاص تشمل الصلاة والصيام والزكاة والحج ومعنى العبادة العام الذي يشمل كل ما يقوم به الإنسان تجاه خالقه من طاعة مشروعة كالجهاد والصدقة والذكر والعمل وطلب العلم، بالإضافة إلى الصلاة والصيام والزكاة والحج.

كما اتضح لنا أن العبادة أمر ضروري للنفس البشرية وحاجة ملحة ومهمة للروح لا يستغني عنها إلا كل متكبر جبار، وذلك لأن للعبادة في الإسلام مزايا اختصت بها دون غيرها من الطاعة لغير الله لكونها خالصة لله وحده تؤدي بلا وساطة بين العبد والرب وهي مظهر من مظاهر الخضوع والطاعة لله وللنية دور بارز في أدائها كما أنها ميسرة ومسهلة ولا حرج فيها ولا مشقة مما يعطي فاعلها قوة في التفكير والتأمل.⁷

1- محمد نعيم ياسين، الإيمان، مرجع سابق، ص 111

2- سورة الذاريات، آية 56.

3- سورة الرعد، آية 36.

4- سورة الزمر، آية 02.

5- سورة طه، آية 14.

6- فتحي يكن، كيف تدعو إلى الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1980، ص 134

7- محمد أمان بن علي الجامي، أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام، الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء، بط، القاهرة، 1404هـ، ص 192.

والنظر وإذا فقدت العبادة تركت فراغا روحيا رهيبا تظهر آثاره في سلوك التارك وتصرفاته وأخلاقه وقيمه وسوف نوضح هنا الأثر التربوي للعبادات المفروضة من صلاة وصيام وزكاة وحج في تنمية الجانب الروحي للفرد المسلم.

❖ **الأثر التربوي للصلاة:** الصلاة تعني الالتزام بجملة أقوال وأفعال مبدوءة بالتكبير محتومة بالتسليم، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة واثنى عشرة ركعة سنها النبي صلى الله عليه وسلم، وما شاء الإنسان من النوافل وكذلك صلاة العيدين والاستسقاء والخسوف والكسوف وصلاة الخوف، والصلاة معناها الصلة بين قلب العبد وبين ربه يظهر فيها العبد خشوعه لله ورهبته منه ورجاؤه فيه وأمله في ثوابه وطمعه في جنته، وهي عماد الدين من أقامها أقام الدين، ومن تركها هدم الدين وقطع الحبل الموصول بين قلبه وربيه، والفرق بين المسلم والكافر ترك الصلاة، وللصلاة أثر تربوي كبير بالنسبة للجانب الروحي لدى الإنسان، وفي الصلاة انقطاع الإنسان عن الدنيا وهمومها وآلامها والاتجاه إلى الله، وكيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لبلال: إذا حان وقت الصلاة: "أرحنا بها يا بلال" وكان يقول: "وجعلت قرّة عيني في الصلاة"، والملاحظ أن الصلاة فيها معنى الالتزام والانضباط التي تعود على القوة والصلابة في أوقات الشدة، ويلاحظ أيضا أن الصلاة فيها معنى الرحمة والشفقة والرغبة التي تعود على الخشوع لله.

❖ **الصوم وأثره التربوي:** الصوم معناه الإمساك من شهوتي البطن والفرج في وقت مخصوص وهو نهار شهر رمضان، وهذا فرض، وصيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء، وهذا سنة، واستحب صيام يوم الاثنين ويوم الخميس من كل أسبوع، وصيام الثلاثة أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر هجري ولما للصوم من أهمية عند الله فقد فرضه الله على الأمم السابقة.

قال تعالى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ¹. ومن آثار الصيام التربوية الروحية أنه غذاء روحي للإنسان لأن الجسد إذا جاع شبع الروح وزادت صفاء وأقبلت النفس على الأعمال الصالحة والصفات الحسنة، لذلك اختص الله نفسه بالصيام له دون سائر العبادات في الأجر، وكان لهذا الاختصاص منزلة في تقديره أجره إذ الحسنة بعشرة أمثالها إلا الصوم فتوابه مدخر له سبحانه وتعالى لا يعلم قدره إلا هو، جاء في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" ² (والصيام ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب والنساء في نهار رمضان، بل هو صيام للنفس من الداخل حين يتوجه به الإنسان إلى الله حين يحس أن كل خاطرة في نفسه وكل إحساس وشعور وكل لفتة وكل نظرة وكل سر ينبغي أن يكون هنا في هذا الشهر خاصة نظيفا متطهرا يصلح للصيام) ³.

1- سورة البقرة، آية 183.

2- النووي، رياض الصالحين، ص 351.

3- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، جدة، ط1، ج1، 1981، ص 65.

وفي الصوم مقدرة على التبتل لمن يخشى الوقوع في الفاحشة، قال عليه السلام: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء".¹

❖ **الزكاة وأثرها التربوي:** الزكاة في الإسلام معناها أن يقتطع المسلم جزءاً من ماله على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل... الخ، والزكاة فيها معنى الطهارة والنماء والبركة، ولأهمية الزكاة قرنها الله بالصلاة في كثير من الآيات. هنا سنوضح ما للزكاة من أثر تربوي على النفس البشرية. والزكاة تطهير للمجتمع كله من الأمراض التي قد تنشأ من الفقر والعوز والحاجة... ففي دفع الزكاة قطع لمادة الجريمة والجوع، والبؤس والحرمان وفي مقابل ذلك كله الأجر العظيم والرحمة الواسعة.

❖ **الحج وأثر التربوي:** معنى الحج في الإسلام التوجه إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة بقصد العبادة في وقت مخصوص، والحج هو العبادة التي جمعت سائر العبادات السابقة ففيه صلاة وصيام وصدقة وهذا يفيد في مدى الصلة بين العبد وربه أثناء الحج لذلك تجتمع في عباده الحج الآثار التربوية المترتبة على سائر العبادات، والحج إلى جانب ما يعطي الفرد من قوة ونشاط وحركة وعمل له تأثير على النفس فيشحنها بطاقة من الإيمان واليقين وتعظيم المشاعر والشعائر ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . ويحصل للحجاج تعويد وتدريب على الصبر والتحمل وترويض النفس على مفارقة الأهل والأحباب عند الحاجة، وغنى عن القول أن الحج فيه كل الآثار التربوية التي سبقت في العبادات من أخوة الإيثار وحب للخير وبذل للمال ومساواة بين المسلمين وقطع للشح والبخل والعصبية وغير ذلك، وباختصار فأن السلوك التربوي الجيد في حياة الأفراد ما هو إلا نتيجة مباشرة للعبادة في أشكالها وأنواعها المعروفة من صلاة وصيام وزكاة وحج، وانبثاق من عقيدة ربانية أساسها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره..

المبحث الرابع: دور الطرق الصوفية في تنمية التربية الروحية

4. 1. صفات الشيخ المري وأداب المريده معه:

مما هو متفق عليه عند كل الصوفية أن سالك الطريق لابد له أن يتخذ شيخاً مريباً يرافقه ويربيه، ويدله على الله، لكن ما كل من ادعى المشيخة يصلح للتربية، لأن هناك خصائص ومواصفات يجب أن تتوفر في صاحبها حتى يكون أهلاً لهذا المقام، وأهم هذه الخصائص على الإطلاق الإذن بالدعوة والإرشاد، لأن من يظهر للناس كمرب إنما يظهر كوارث محمدية، ولا يمكنه أن يدعي من هذا المقام إلا إذا جاءه الإذن الصريح من شيخه الذي تربى عليه، أو من النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما حدث بالفعل مع الإمام الجنيد، فقد كان يرى رؤى تبنته بأنه سيكون شيخاً مريباً لكنه كان يحتقر نفسه ويراهم ليست أهلاً لذلك المقام، ولندعه يروي لنا قصة رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم، فيقول "رأيت في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بعضدي من خلفي، فما زال يدفعني حتى أوقفني بين يدي

1- صحيح البخاري، كتاب النكاح، ج7، مرجع سبق ذكره، ص 3

الله، فسألت جماعة من أهل العلم، فقالوا: إنك رجل تقود العلم إلى أن تلقى الله تعالى." 1 وقد كان العارفون يشيرون إليه بالظهور للدعوة إلى الله ، لما رأوا فيه أهلية لذلك، قال: "ما تكلمت على الناس حتى أشار إلي وعلي ثلاثون من البدلاء إنك تصلح أن تدعو إلى الله عز وجل". 2 كما روى أن شيخه الإمام السقطي كان يأمره بالتكلم على الناس، لكنه كان يخشى البروز، حتى أتاه الإذن الصريح من المصطفى صلى الله عليه وسلم قال في ذلك: " وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وكانت ليلة جمعة فقال لي: تكلم على الناس فانتبعت وأتيت باب السري قبل أن يصبح، فقال: لم تصدقنا حتى قبل لك". فقعد الجنيد يرشد الناس في الجامع بالغد، فانتشر في الناس أمره، فوقف عليه غلام نصراني متنكرا وأراد امتحانه وقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى)؟ فأطرق الجنيد هنيهة وعلم، إلهام من الله، أنه نصراني ثم رفع رأسه وقال: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فدهش النصراني، وأسلم لتوه. 3 والحقيقة أن الجنيد كان ملهما منذ نعومة أظفاره، ومهياً لأن يكون مرشدا دالا على الله عز وجل ولم تغيبه الطفولة عن الوعي الديني في أرقى معانيه، والدليل على ذلك أنه كان ذات مرة يلعب بين يدي خاله، وهو في السابعة من عمره، وكان خاله قال له: يا غلام ما تقول في الشكر؟ فقال الجنيد: "أن لا تعصي الله بنعمه". 4

هذا وقد كان للإمام الجنيد نظر تربوي ثاقب، فقد استخلص، رضي الله عنه من تجاربه الروحية، أن العلم قد يثقل على النفوس ما لم يصحبه الرفق، فكان ينصح المري بأن يكون رفيقا بمريديه، فقال: "إذا لقيت الفقير فألقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه ، والعلم يوحشه". 5

وهذه قاعدة أثبت علماء التربية المعاصرون صحتها، حيث أكدوا على ضرورة إرفاق العملية التعليمية بفواصل من الترويح والتنفيس، وإلا فإن المتعلم سيستثقل المعلومات التي تقدم إليه وبملها، هذا عن التربية عموماً، فإذا تتبعنا هذه القاعدة في مجال التربية الصوفية، التي تعتبر تربية خاصة تكتنفها الصعوبات والمشقات عملنا مدى صحتها وأهميتها واكتشفنا من خلالها ما كان يتمتع به الإمام الجنيد من حس تربوي فائق النظر.

بالإضافة إلى ما سبق فإن من خصائص الشيخ المري أن يكون متواضعا لمريديه عطوفا عليهم، خدوما لهم، متنزها عن الطمع في أموالهم، مثله في مصابحتهم كمثل الرسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحابته قال الله تعالى: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" 6 .

1- ابن الأثير، المختار من مناقب الأخيار، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ج2، ط1، 2003، ص-ص 57-58 .

2- محمد الكلابادي أبو بكر، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العالمية، ط2، 2010، ص 163.

3- محمد الكلابادي أبو بكر ، المرجع نفسه، ص164.

4- أبو نعيم الأصبهاني ، مرجع سبق ذكره، ص 268

5- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، مؤسسة دار الشعب، ب ط، القاهرة، 1989 ، ص 125.

6- سورة التوبة، آية 128.

وهي تلك الخصال التي أوصى بها الإمام الجنيد صديقه الشيخ أبا يعقوب يوسف بن الحسين الرازي في رسالة أرسلها إليها: يقول له فيها: "... فأعدل رضي الله عنك إلى المريدين بهمك، وأقبل عليهم بوجهك وانصرف إليهم بحجتك وأعطف عليهم بفضلك وأثر على غيرهم بدالاتك وجميل دعائتك، وأبذل لهم منافعهم من علمك ومكين معرفتك، وكن معهم في ليلك ونهارك، وخصهم بما عاد به عليك ولك، فذلك حق القوم منك وحظهم بما وجب لهم عليك أما سمعت الله جل ثناءه وذكره وهو يقول لأعظم حلقة عنده قدرا وأعلاهم لديه منزلا: " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا" ¹ .

4.1.1. الصفات الواجب توفرها في الشيخ المربي: ²

- الأخلاق الفاضلة: فمن شروط الشيخ المربي أن يكون معروفا بالسيرة الحسنة والأخلاق المحمودة من صبر وشكر وتوكل ويقين وطمأنينة وسخاء وقناعة وحلم وتواضع ومعرفة وصدق ووفاء وحياء وسكون وتأن وأمثالها.
- الخلو من الأمراض القلبية: بحيث يكون طاهر الباطن من الأمراض الباطنية كالكبر والبخل والحسد والحقد والحرص والأمل الطويل والطيش ونحوها، سليما من التعصب وحب المال والجاه. وما لم تتوفر في الشيخ هذه الخصال أضر باتباعه، وربما أكسبهم تلك الأمراض القلبية التي لم يتخلص هو منها.
- الخبرة بعلم الرياضة الروحية: وذلك بأن يكون مجربا لأنواع الرياضات، كقلة الأكل والكلام والنوم وكثرة الصلاة والصوم والصدقة خبيرا بنتائجها، وبذلك الخبرة يستطيع أن يقدم للمريد ما يحتاجه من أنواع الرياضات ويسلك به الطريق الروحي، بحسب ما تقتضيه قدرات المريد واستعداداته.
- الإذن بالمشيخة: أن يكون مأذونا في الإرشاد الروحي، من طرف شيخ مرب، ويكون هذا الشيخ قد سلك الطريق على يد شيخ مرشد كذلك، وهكذا تتواتر سلسلة الإرشاد والمشيخة حتى تتصل بالنبي عليه الصلاة والسلام.
- وفي ضوء ما سبق ذكره من شروط المشيخة فإنه يتعين على المريد، أن يتأكد جيدا ممن يأخذ البيعة عنه ويسلم نفسه إليه لتربيتها، فإذا وفقه الله للعثور عليه وجب عليه أن يصحبه بشروط، وآداب معينة نذكرها في النقطة الموالية

1- سعاد الحكيم، تاج العارفين الجنيد، دار الشروق، ج1، ط3، القاهرة، 2007، ص 295.

2- الغزالي، كيمياء السعادة، وكالة المطبوعات، ط2، الكويت، 1977، ص426.

4. 1. 2. آداب المريـد مع شيخه:

إن الهدف المرء من سلوك الطريق الصوفي هو محاولة تغيير نفسه، وتصفية قلبه حتى يكون مؤهلاً لمعرفة الله معرفة ذوقية شهودية، وهذا التغيير ليس بالأمر الهين، لأن دونه عقبات لا بد له من اجتيازها، ولأجل هذا اشترط الصوفية صحبة الدليل وهو الشيخ المريـي، قال الجنيد: "من سلك بغير شيخ، ظل وأظل"¹. وقد يسلك بعض المريـدين على يد شيوخ، فيأخذون منهم بعض المعارف والعلوم، ثم ينفصلون عنهم مغترين بما أخذوه، ظننا منهم أنهم قد وصلوا، فتلتبس عليهم الطرق وتختلط عليهم الدروب، ويتلاعب بهم الشيطان ويرميهم في أودية الهلاك².

وفي هذه القصة قيم تربوية بالغة الأهمية، لا بد من التوقف عندها، منها أن عصيان المريـد لشيخه وانفصاله عنه قبل أوان الطعام، خطأ فادح يؤدي حتماً إلى السقوط في هاوية التلبيسات الشيطانية، ومنها أن الشيخ المريـي يحمل في قلبه محبة للناس عامة ولمريديه على وجه الخصوص، رغم ما يصدر عنهم من أخطاء . ولا بد أن نذكر شرطاً آخر يجب على المريـد الوفاء به: وهو شرط الاحترام والود لشيخه، فكلما كان المريـد محباً لشيخه متودداً به بالخدمة والتعظيم والاحترام، كلما أفاض عليه الشيخ من علومه وأسراره، ومن لم يراع ذمة شيخه عوقب بالحرمان، وابتلاه الله بالذل والمهانة بين العباد، قال الجنيد: "من حرم احترام المشايخ ابتلاه الله تعالى بالمقت بين العباد وحرم نور الإيمان"³. ومما يشترط في المريـد، أن يحكم بداية السلوك، وذلك بإتقان الضروري من علوم الدين، لأن التصوف ترجمة لمقام الإحسان، وقبل الوصول إلى هذا المقام لا بد من تصحيح مقام الإسلام، ثم مقام الإيمان، وهذا ما أكد عليه الجنيد بقوله: "لا يرتقي في الدرجات من لم يحكم فيما بينه وبين الله أول البداية، وهي الفروض الواجبة ثم الأوراد الزاكية، ومطايا الفضل وعزائم الأمر، فمن أحكمها من الله عليه بما بعدها"⁴. وقد سمع رضي الله عنه خاله السري يدعو له قائلاً: "جعلك الله صاحب حديث صوفي، ولا يجعلك صوفياً صاحب حديث". ففسر رضي الله عنه هذه الدعوة بان المريـد إذا ابتدأ بعلم الحديث والأثر ومعرفة الأصول والسنن ثم تزهد وتعبد كان صوفياً عارفاً وإذا ابتدأ بالتعبد والتقوى والحال، شغل به عن العلم والسنن فخرج إما شاطحاً أو غالطاً لجهله بالأصول والسنن، فأحسن الأحوال أن يرجع المريـد في بداية أمره إلى العلم الظاهري لأنه هو الأصل الذي يرفع عليه التصوف⁵.

1- يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، الجنيد البغدادي حياته آثاره، دار الكتب والوثائق الوطنية، ط1، بغداد، 1977، ص21.

2- سعاد حكيم، تاج العارفين الجنيد البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص194.

3- يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، الجنيد البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص21.

4- سعاد الحكيم، تاج العارفين، الجنيد البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص115.

5- أبي نصر السراج الطوسي، اللُّمَع، دار الكتب الحديثة، ج1، ط2، مصر، 1986، ص281.

4. 2. أساليب مجاهدة النفس عند المتصوفة:

ينطلق الإمام الجيلاني من مسلمة أساسية تتمثل في قابلية النفس البشرية للتربية و التغيير، وتغييرها لا يكون إلا بالمجاهدة حتى تصير **قلبا مطهرا**، ثم تترقى بعد ذلك لتصبح سرا، وفي ذلك يقول: «المؤمن إذا عمل صالحا انقلبت نفسه قلبا وأدرك مدركات القلب، ثم انقلب قلبه سرا»¹. وهذا الترتي العرفاني هو الاهتداء إلى سبيل الله الذي أشارت إليه الآية الكريمة «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» [العنكبوت: 69].

إن بداية المرید عبارة عن جهاد متواصل لا هوادة فيه، « كل من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من الطريق شمة»². وجهاد النفس هو الجهاد الأكبر الذي أوماً إليه النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»³. فالجهاد الأكبر ضروري لكل من يبتغي عبادة الله على الكمال، إلا أن نوعيته تختلف بحسب مراتب الناس « فمجاهدة العوام في توفية الأعمال، ومجاهدة الخواص في تصفية الأحوال»⁴. والمدخل الأساسي لتصفية الأحوال، هو معرفة خصائص النفس الأمانة بالسوء والتفطن إلى خدعها ومكائدها.

فالنفس الأمانة بالسوء: من خصائصها أنها «خارجة عن طاعة الله سبحانه وتعالى، متملكة متمنية، خوفها أمن، ورجاؤها أمني وصدقها كذب، ودعواها باطلة، وكل شيء منها غرور، وليس لها فعل محمود»⁵. ومن خدعها التي لا يتفطن إليها إلا فحول العلماء أنها تبحث دوماً عن مدح الناس وثنائهم وقد تحمل في سبيل ذلك أثقال العبادات، نفاقاً ورياء، ومن خدعها أيضاً أنها تتكلم بكلام الخائفين، فإذا احتاج لها صاحبها في مواطن الخوف وجدها آمنة، كما تدعي أحوال الأبرار العارفين، فإذا امتحنت بشروط التقوى ظهر شركها وعجبها ورياؤها، وهكذا كلما وزنها صاحبها بميزان الصدق، بان له كذبها وبهتانها، ولم يجد ما تدعيه، إلا كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً⁶. كما وصفها خالقها «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي» [يوسف: 53]. ولذا وجب على العاقل ألا يثق فيها، بل عليه أن يجاهدها جهادا لا هدنة فيه، بحيث يركب هواها ولا يتركه يركبه،

غير أن الانتصار على النفس والشيطان لا يتسنى للإنسان إلا إذا صحب العلماء الربانيين الدالين على الله، العالمين بالداء والدواء⁷. وأفضل أنواع الدواء ذكر الله. ولذا رتب الشيخ الجيلاني أذكارا متنوعة بحسب مقامات النفس السبعة التي يقطعها المرید وهي كالآتي:

1- عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مطابع مصر، ط1، 1864، ص 140.

2- عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، دار الكتب العالمية، ج2، ط1، بيروت، 1997، ص 208.

3- الجيلاني، فتوح الغيب، مرجع سبق ذكره، ص 131.

4- الجيلاني، الغنية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 209.

5- الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2010، ص 19.

6- الجيلاني، الغنية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 209-210.

7- المرجع نفسه، ص - ص 213 - 214.

✚ **ذكر النفس الأمارة بالسوء:** وصفاتها البخل والحرص والجهل والحسد والغضب. فما دام المرید في مرتبة النفس الأمارة بالسوء فعليه أن يردد عبارة لا إله إلا الله مائة ألف (100000) مرة.

✚ **ذكر النفس اللوامة:** عندما يترقى السالك إلى مرتبة النفس اللوامة يكون قد دخل مقام القلب، ومن خصائصها الهوى والمكر والعجب والتمني، والذكر الخاص بهذا المقام يتمثل في ترديد لفظ الجلالة (الله) ثمانية وسبعين ألفاً وأربعة وثمانين مرة (78480)

✚ **ذكر النفس الملهمة:** وصفاتها القناعة والسخاء العلم والتواضع والتوبة والصبر والتحمل، وإذا وصل السالك إلى مرتبة النفس الملهمة، يكون قد دخل مقام الروح. والذكر المتعلق بهذا المقام وهو اللفظ (هو) بعدد أربعة وأربعين ألفاً وست مائة وثلاثين مرة (44630).

✚ **ذكر النفس مطمئنة:** وفي هذه المرتبة يدخل السالك مقام السر، الذي هو عالم الحقيقة المحمدية، ومن صفات هذه النفس الجود والتوكل والتحمل والحقيقة والرضا والشكر، والذكر الخاص بهذا المقام هو اسم الله (حي) بعدد عشرين ألفاً واثنين وتسعين مرة (20092).

✚ **ذكر النفس الراضية:** وبوصوله إلى هذه المرتبة يكون قد ارتقى إلى مقام سر السر الذي هو عالم اللاهوت، ومن سمات هذه النفس الكرامات والزهد والذكر والعشق. والذكر المتعلق بهذا المقام هو الاسم (واحد) بعدد ثلاثة وتسعين ألفاً وأربع مئة وعشرين مرة (93420).

✚ **ذكر النفس المرضية:** ومن خصائصها حسن الخلق واللطف والتقرب. وفيها يرتقي السالك إلى مقام الأخفى، والذي يتطلب ذكر الاسم عزيز، أربعة وستين ألفاً وست مئة وأربع وأربعين مرة (64644) مرة.

✚ **ذكر النفس الكاملة:** وتسمى الصميمة والصفافية، وصفاته العزلة والصمت والصدق والوفاء والامتنان لأوامر الله تعالى. وفي هذه المرتبة يبلغ السالك مقام الخفاء، والذكر المطلوب منه هو الاسم (ودود) عشرة آلاف مرة (10000).

وهذا وما يجب أن ينبه عليه أن الذكر بأسماء الله الحسنى، وبالأعداد المذكورة، يتضمن أسراراً عجيبة، لا يدركها إلا أهل الاختصاص من العارفين المتمكنين، ولذلك يمنع على المرید المبتدئ أن يذكرها، إلا إذا أذن له شيخه، بحيث يهيئه لذلك «فيدخله الخلوة بشروطها»¹. ويرقيه من مقام إلى مقام، ويساعده على تحطّي العوائق وتجاوز الأحوال النفسية التي تعترضه أثناء السلوك، لذا اتفق شيوخ التربية على أن من لا شيخ له في مثل هذه المسالك الروحية، فإن شيخه الشيطان بحيث يلبس عليه الطريق ويقوده إلى المهالك، أيضاً أن تلك الأذكار ليست موجهة لكافة المریدين، بل هي متعلقة بالخواص ممن يرى فيهم مكلفون بأوراد وأحزاب يذكرونها

1- البوني أحمد بن علي، شمس المعارف الكبرى، المكتبة الشعبية، ج1، ط1، بيروت، 1985 ص 349.

فردى وجماعات، من شأنها أن تساعدهم على تزكية نفوسهم وتهيئتهم إلى مقام الخواص.¹ فيصبح عبدا ربانيا لا يتحرك الا بأمر الله وفعله. وتلك هي حالة الفناء التي يعبر عنها بالوصول.²

4. 3. مفهوم الحرية النفسية عند المتصوفة:

تختلف مفاهيم الحرية بحسب معتقدات أصحابها، وبحسب مقاصدهم منها، فهناك الحرية السياسية وهناك الحرية الاقتصادية، وهناك الحرية الميتافيزيقية، وغير ذلك من أنواع الحريات، أما الصوفية فلهم تصور آخر عن الحرية، فهم لا ينفون تلك الأنواع السابقة، ولكن يذهبون إلى أبعد مرتكز يمكن أن تستند إليه تلك الحريات، وهو الحرية النفسية، فالحرريات كلها يجب أن تنطلق من الحرية النفسية، ولا يمكن التحدث عن أي حرية مهما كان نوعها إذا كان الإنسان مستعبدا داخليا، إذا ما وصل إلى صريح الحرية من على نفسه بقية³. وما التربية الصوفية إلا سعي متواصل لتحرير الإنسان من رقبة نفسه، أولا وأخيرا ولا نعي بالذات الجانب الروحاني من الإنسان، ولكن المقصود منها الجانب الشهباني المرضي منه، والذي يسمى بالنفس الأمارة بالسوء، لقد أكد الصوفية كلهم أن النفس بهذا المعنى تحمل في جنباتها من النقائص ما لله من كمالات، ولذا يتعين على الإنسان أن لا يغفل عن تلك النقائص، فيطغى ويتجبر ويصير عبدا لنفسه من حيث يظن أنه يعبد ربه، فالمتكبر عبد لأنانيته المتوهمة، والبخيل عبد لماله، والمرائي عبد إثناء الناس ومدحهم، وهكذا إذا تتبعنا الأمراض القلبية، وما أكثرها، نجد أنها أوثان يعكف الإنسان عليها، فتستعبده، وتحول بينه وبين العبودية الخالصة لله.

وقد يتجه الإنسان إلى ربه بجسمه، فيركع له ويسجد، وهذا شيء مطلوب، ولكن عبوديته لا تكتمل إلا إذا كسر تلك الأوثان المنتصبة بداخله، كحب الدنيا والأنانية والكبر والعجب والرياء والطمع، وما إلى ذلك لأن "القلب ليس له إلا وجهة واحدة فمهما توجه إليها حجب عن غيرها"⁴. ويقدر ما يحطم الإنسان من تلك الأوثان، بدقر ما يقترب من كمال العبودية، حتى إذا ما تم له تحطيمها كلها، تحققت حرته، وخلصت عبوديته لله. ولذا قال الشيخ أبو مدين: "لا تكون به عبدا، ولغيره فيك بقية رق".

وهناك مرض آخر لا يقل خطورة عن سابقه، وهو الكبر، حيث أن "حب العلو على الناس سبب الانتكاس"⁵.

1- الجيلاني عبد القادر، سر الأسرار ومظهر الأنوار، دار السنابل، ط3، دمشق، 1994، ص 33.

2- الجيلاني عبد القادر، فتوح الغيب، مرجع سبق ذكره، ص79.

3- أبو مدين شعيب، الحكم الغوثية، دار الافاق العربية، ج1، ب ط، مصر، 1986، ص 31.

4- المرجع نفسه، ص 64.

5- المرجع نفسه، ج2، ص 73.

وأشد أنواع الكبر ما يقع لبعض العباد حين يتكبرون بعباداتهم على غيرهم ممن ابتلاهم الله بالمعاصي وعلى هذا فإنه "لا ينفع مع الكبر عمل، ولا يضر مع التواضع بطالة"¹.

لأن الهدف المتوخى من العبادة هو التذلل والانكسار لله والتواضع لمخلوقاته فإذا فقد ذلك المعنى وانقلبت تلك العبادة إلى كبر وتناول وعجب، صارت المعاصي التي تورث أصحابها تذلاً وانكساراً، أفضل وأنفع منها، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ بقوله: "انكسار العاصي خير من صولة المطيع."

وهكذا يبدو لنا أن الحرية النفسية، هي ثورة متواصلة من الإنسان على قبحه الباطني، أي على نفسه الأمانة بالسوء، بل إنها تمرد الذات على ظلامها، بقصد التحرر من جنود الشر الكامنة فيها، ثم إن الصوفية إذا تكلموا عن الفناء، فإنما يقصدون ذلك المعنى بالذات وهو موت الإنسان الحيواني الظلماني، ثم انبعثه من جديد في شكل نوراني يؤهله لشهود الله "فالحق تعالى لا يراه أحد إلا إذا مات، ومن يموت لم ير الحق" وذلك الموت قد يكون جسدياً، ولكن الموت الذي يشير إليه الشيخ، رضي الله عنه، وكل الصوفية إنما هو الموت المعنوي الذي يكمن في تلاشي جميع الأوصاف النفسانية التي تقيد الروح وتمنعها من الرجوع إلى عالمها القدسي. 2

4. 3. 1. كيف تحقق الحرية النفسية عند المرید:

إن أفضل طريقة لتحقيق الحرية النفسية هي مجاهدة النفس، وأنجع وسائل المجاهدة، ذكر الله، لقوله عليه الصلاة والسلام للصحابة رضي الله عنهم: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله تعالى"³ وإنما فضل الذكر على تلك العبادات، رغم جلالته لأن الإنسان قد يقدم عليها وهو غافل عن ربه، وقد يقوم بها وفي قلبه شيء من الرياء، والعجب، فإذا ذكر الله على الوجه الحقيقي تطهر قلبه، وانتبه من غفلته، وأقدم على تلك الأعمال بإخلاص والصفاء، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن جميع العبادات، رغم جلالته، لأن الإنسان قد يقدم عليها وهو غافل عن ربه، وقد يقوم بها وفي قلبه شيء من الرياء، والعجب، فإذا ذكر الله على الوجه الحقيقي تطهر قلبه، وانتبه من غفلته، وأقدم على تلك الأعمال بإخلاص وصفاء، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن جميع العبادات محددة بمواقيت وأمكنة معينة بينما الذكر لم يقيد بزمان ولا مكان، بل هو متيسر في كل وقت وحين كما قال الله تعالى: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ"⁴، لذا طوّل المرید بكثرة ذكر الله حتى يصفو قلبه، وتنجلي بصيرته.

1- المرجع نفسه، ص 231.

2- المرجع نفسه، ص 69.

3- القشيري، الرسالة القشيرية، مرجع سبق ذكره، ص 101.

4- سورة آل عمران، آية 191.

عَزَمَ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ¹ . لقد شملت الآيات الكريمة القواعد التربوية التالية:

- 1- توحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن الشرك لأن الشرك ظلم عظيم.
- 2- شكرا لله على نعمه بإتباع أوامره واجتناب نواهيه.
- 3- شكر الوالدين بطاعتها في غير معصية الله.
- 4- مصاحبة الوالدين بالحلم والاحتمال والبر.
- 5- إتباع سبيل المؤمنين في الدعوة إلى دين الله.
- 6- الإيمان باليوم الآخر والرجوع إلى الله الذي سيحاسب على كل عمل.
- 7- الاعتقاد بأن الله مطلع على كل شيء وكل عمل مهما كان صغيرا من خير أو شر.
- 8- التأكيد على إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- 9- الصبر على المحن والشدائد.

10- عدم التكبر على الناس وعدم الإعراض عنهم ووجوب الإقبال عليهم تواضعا لله عز وجل

11- التخلف بالآداب الفاضلة مثل التواضع في السلوك وخفض الصوت عند الحديث والاعتدال في المشي.

ولو أمعنا النظر في هذه القواعد التربوية لرأيناها شاملة لجميع الفضائل التي يحرص المربون على غرسها في نفس الطفل والتي تعده للحياة أعدادا مثاليا في عقيدته وسلوكه ومعاملته² ولا يفوتني أن أنبه أن القرآن الكريم هو مصدر التربية الأول للإنسان وأن الله هو العالم بما يصلح الإنسان في حياته. وقد اهتمت السنة النبوية بالطفولة فأكدت على أن الأطفال هم أغلى ذخيرة على وجه الأرض وهم عدة المستقبل فقد جاءت السنة تحض الأبوين على العناية بهم وحسن تربيتهم وتأديبهم وتهذيبهم والرفق بهم والعطف عليهم وتعليمهم كل ما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة.

فأول شيء يلقن في أسماع الطفل هو ذكر الله سبحانه وتعالى حيث قال رسول الهدى صلى الله عليه وسلم: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله» وقد فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك عندما أذن في أذن الحسن اليمنى وأقام في أذنه اليسرى ولعل الحكمة في التأذين هي أن يكون أول ما يقرع سمع الطفل كلمات الأذان المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام عند دخوله إلى الدنيا.³

1- سورة لقمان: الآيات 13 - 19.

2- حسن ملا عثمان، الطفولة في الإسلام، مرجع سابق، ص 68.

3- محمد بن أحمد الصالح، الطفل في الشريعة الإسلامية، مطبعة تحضة مصر، ط1، القاهرة، ص 241.

إن الإسلام يشبع حاجة الطفل إلى الحب والعطف والحنان بوسائل متعددة منها التعبير بالقبلة وضم الطفل واحتضانه ومنها حمل الطفل ومسح رأسه في رفق ومنها الاقبال على الأطفال والسلام عليهم والمشاركة الوجدانية.¹

وكذلك أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السن الذي يبدأ فيه تأديب الطفل وتعليمه فقال في حديث طويل «إذا بلغ ست سنين أدب»². وقال أيضا عليه الصلاة والسلام «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»³ واعتبر ذلك الأدب وتلك التربية أعظم هدية يقدمها أب لولده لأن الولد الصالح خير ميراث للوالدين في حياتهما وبعد مماتهما.. وأثقل في الميزان من كل صور الصبر جميعا⁴ مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم «لان يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع»⁵. وقال أيضا «ما نحل والد من نحل أفضل من أدب حسن»⁶. لقد كان الأطفال يصلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ويصطفون خلف الرجال أمام النساء فإذا نبغ الطفل وتفوق على الرجال في أمر من الأمور وجب أن يأخذ مكانه اللائق في الجماعة.⁷ وتدعيما لذلك فيما روى عن عمرو بن أبي سلمة قال: قال أبي: جئتمكم والله من عند النبي حقا قال: إذا حضرتكم الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا قال عمرو بن أبي سلمة: فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآنا فقدموني وأنا ابن ست أو سبع سنين⁽⁸⁾ رواه البخاري. إن هذا يدل على تقدير الإسلام واحترامه للطفولة، أما فيما وصى به الرسول صلى الله عليه وسلم في تثبيت وغرس مبادئ العقيدة الإسلامية في نفس الطفل حينما قال للغلام عبد الله بن عباس: «يا غلام.. أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»⁹.

ولقد نوه عليه الصلاة والسلام إلى أن حق تعليم الطفل القراءة والكتابة على الوالد حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «حق الولد على الوالد على أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا حلالا طيبا». وعقب غزوة بدر حيث جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء أسرى المشركين أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة¹⁰. كما أمر عليه الصلاة والسلام بالرفق على تلاميذ العلم والعمل

1- حسن عبد العال، تربية الطفل في الإسلام، مؤتمر التربية الإسلامية التربية والتعليم في ظل الإسلام، بيروت، ص 123.

2- أبو داود، كتاب الصلاة، مرجع سبق ذكره، ص 26.

3- ابن ماجه، كتاب الأدب، مرجع سبق ذكره، ص 3.

4- محمود محمد عمارة، تربية النشء في ظل الإسلام، إدارة الصحافة والنشر، مكة، العدد 26، 1404هـ، ص 21.

5- مسند الامام أحمد، ج 5، مرجع سبق ذكره، ص 96.

6- رواه الترمذي، كتاب البر، ج 2، مرجع سبق ذكره، ص 250.

7- عبد الرحمن نخلوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط 1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1404هـ، ص 138.

8 - علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 8، مرجع سبق ذكره، ص 22.

9 - سنن الترمذي، باب القيامة، مرجع سبق ذكره، ص 59.

10 - مصطفى التازي، جوانب من الحياة الاجتماعية في الإسلام، منشورات الهداية، ب ط، تونس، ص 54.

على تحبيب الدرس لهم وتجنب كل ما ينفروهم من الإقبال عليه مع الميل إلى اليسر فقال صلى الله عليه وسلم: «علموا ويسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وإذا غضب أحدكم فليسكت»¹.

5.4. دور الشيخ المري في تنمية الجانب الروحي لدى المريدين:

شارك الشيخ المري في حمل رسالة الإسلام في عصوره الأولى خير مشاركة واتصف بوعيه الكامل في حمل المسؤولية وقدرته العجيبة على أدائه، بفضل هذه المشاركة الحية أضحي كل مسلم مدركاً أن الله سبحانه وتعالى دعاه إلى حمل رسالة كريمة خيره لبني البشر وصار حريصاً على أن يثبت جدارته في حملها وأدائها في كل زمان ومكان وتحول المسلم إلى شعلة متوقدة تشع على الآخرين الإيمان والعلم والهداية والنفعة والتضحية.

في الواقع لم يكن المعلمون الأوائل سوى هؤلاء الجنود البواسل الذين انتشروا في مشارق الأرض ومغاربها ونشروا فيها الإسلام علمهم معلمهم الأول الرسول صلى الله عليه وسلم وعلمهم من بعده الصحابة والتابعون وعلماء المسلمين كيف يستمدون الهداية والعزة من قراءة القرآن الكريم ودراسة الحديث الشريف والقياس الصحيح وإجماع المسلمين وهؤلاء البواسل استطاعوا نشر الإسلام بقدره وسرعة بفضل شعلة الإسلام وهم الجيل الأول من المعلمين في التاريخ الإسلامي، ظهر مع هذا الجيل لا ريب، معلمون معنيون بالتعليم ولا سيما بتعليم الصغار والأحداث منذ ظهور الإسلام وقد كثر عددهم في القرون الأولى كثرة سريعة لأسباب أهمها:²

- 1- أن الدين متفائل بمصير البشرية وبناء جيل المستقبل لذلك عنى بتعليم الصغار الذين هم عدة المستقبل.
- 2- أن الدين الإسلامي جعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.
- 3- أن دخول الناس أفواجا في دين الإسلام أوجب وجود معلمين متخصصين بإرشاد الكبار وتعليم الصغار وغرس مبادئ الإسلام في نفوسهم وتعاليمه في عقولهم وسلوكهم.
- 4- أن ظهور الفرق والمذاهب في الإسلام دعا إلى زيادة المعلمين لهذه المذاهب.

وما الإجلال الذي يحيط به الإسلام المعلمين إلا اعترافاً في الحقيقة بالدور الخطير الذي يقوم به المعلمون في خلق الأجيال الصالحة وفي تطوير المجتمع الإسلامي، والذين علموا المسلمين وأرشدوهم منذ فجر الإسلام جاءوا من مختلف الطبقات الاجتماعية لهذه المهنة التي شرفت بقبول الرسول صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت معلماً»³. ويقول أيضاً «إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق»⁴، يعلم بالصفة في مسجد المدينة مستعينا ببعض الصحابة. وجرى على سننه بعض الخلفاء والصحابة من بعده وكان إذا أرسل والياً على بلد دخل الإسلام جديداً بعث معه أحد الصحابة لتعليم الناس وتثقيفهم في الدين، وذلك «كما حدث عندما كتب أهل المدينة

1- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، ط2، ج4، بيروت، سنة 1399هـ، ص38.

2- عبد الحليم خلدون الكناني، تخريج المعلمين حسب التربية الإسلامية من سلسلة التعليم الإسلامي، لمنهج وإعداد المعلم، ط1، مكتبات عكاظ جدة، 1404 هـ، ص- ص201-202.

3- مقدمة سنن ابن ماجه، مرجع سبق ذكره، ص48.

4- مالك ابن انس، الموطأ- باب حسن الخلق، مرجع سبق ذكره، ص8.

إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير الذي كان يأتي المدنيين في دورهم يقرئهم القرآن ويربيهم تربيته ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين»¹.
 فمنذ فجر الإسلام إلى اليوم تتابعت أجيال عديدة كلها ربيت وعلمت في ظل القرآن وتحت رايته فالطفل المسلم يبدأ تعليمه بقراءة القرآن وتعليمه وحفظه ونظم التربية والتعليم كلها تقوم على منهج قرائي أساسه أن القرآن هو محور الثقافة وباب العلم، وهو العمود الفقري للعلوم جميعها سواء كانت علوما دينية أم علوما مكتسبة. هذا المنهج القرآني في التربية والتعليم قد حفظ للأمة الإسلامية شخصيتها ووحدها الفكرية والثقافية فالقرآن إذا هو صانع الوحدة الفكرية والثقافية بين المسلمين وهو الضامن لها طالما بقي الأساس الخالد للتربية والتعليم الإسلامي.

هذه الوحدة الشاملة للأمة الإسلامية هي نعمة من الله سبحانه وتعالى على المسلمين، ذلك أن الكتاب الكريم معجزة لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم مصداقا لقوله تعالى: «قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»². هذا الكتاب هو كلام الله أوحى به إلى خاتم الرسل والأنبياء وتكفل بحفظه وخلوده ليكون نور الهداية الإلهية المستمرة الخالدة الباقية للأجيال المتعاقبة بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وبعد أن ختمت رسالة الرسل صلوات الله عليهم.³ «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»⁴. فإن الله سبحانه وتعالى كما فرض علينا حفظ القرآن وتلاوته فرض علينا فهمه وتدبر آياته والعمل بما تبعا لما رسمته لهم الآية الكريمة. «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ»⁵. فقد فهم المسلمون الأوائل أن المقصود بالقرآن الكريم ليس حفظه وإنما تدبره والعمل بما يأمر به وذلك أن الرجل من الصحابة كان يحفظ من القرآن الكريم عشر آيات ثم لا يتجاوزها حتى يفهم معناها ويؤدي ما طلب فيها.⁶ هذه العجالة توضح وضع التعليم العام في الدولة الإسلامية الأولى في ظل القرآن الكريم والسنة النبوية.

4.6. الطرق التي يتبعها الشيخ المربي في تنمية الجانب الروحي لدى المريدين:

ذكر سابقا أن التربية الروحية هي اللبنة الأساسية لبناء شخصية المريد وبدونها لا يمكن للمريد أن يتصف بخلق حسن أو غاية نبيلة أو فضيلة من الفضائل الحسنة، بل يتحول إلى انسان تسيره غرائزه وتتحكم فيه شهواته حيث لا ضمير من أخلاق ولا وازع من دين، فالتربية الروحية إذن هي عماد التنشئة المتكاملة

1- سعيد إسماعيل علي، أوضاع المريين العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، بط، 1979م، ص9.

2- سورة الاسراء: آية 88.

3- محمد الفيصل آل سعود، القرآن الكريم أساس التربية الإسلامية، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي، ط1، مكة المكرمة، 1983م ص8.

4- سورة الحجر: آية 9.

5- سورة ص: آية 29.

6- أحمد شلبي، تاريخ المناهج الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص 28.

وبدونها لا يستقيم بناء الشخصية الانسانية، لذلك لابد للشيخ من إتباع أسلم الطرق في تنمية الجانب الروحي لدى مريديه وهي في جملتها لا تعدوا الطرق التالية:

أ. التربية عن طريق الاقتناع والترغيب والتيسير:

على الشيخ أن يستخدم أسلوب الاقتناع والترغيب في تنمية المرادين تنمية روحية، وأن يكون بعيدا كل البعد عن الترهيب والتخويف خاصة في المراحل الاولى من سلوك هذا الطريق لأن للإقناع أثر كبير في تثبيت العقائد الدينية الصحيحة والتمسك بها والعمل على تحويلها إلى سلوك عملي، ومن مقومات الاقتناع الربط بين الدين والقيم والعلم الصحيح فذلك مما يساعد على تقريب الحقائق الدينية وتوضيحها إلى الاذهان مدعمة بالأدلة المقنعة، أما التخويف فإنه يعطي رد فعل عكسي في احيان كثيرة¹، وكذلك على الشيخ إتباع أسلوب التيسير والبعد عن أسلوب التعسير والتنفير، حتى تسكن نفوس المرادين وتطمئن قلوبهم ويتشربوا القيم الدينية والمثل والمبادئ والفضائل الاخلاقية بسهولة ويسر كما جاء في الحديث الشريف عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم " يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا".²

ب. التربية من خلال العمل:

هذا الاسلوب من أكثر الاساليب التربوية فعالية في تنمية التربية الروحية لدى المرادين إلا أن التربية تكون فعالة جدا إذا ما ارتبطت بأنماط سلوكية يمارسها المرادون لكي يتحول العلم قيما روحية وخلقا وسلوكا في نفوسهم وحتى يألفون تلك القيم ويتقبلون ما تحدته لهم من تغيرات في جوهرهم وعاداتهم، لذلك يجب على الشيخ المرابي أن يستغل ذلك وأن يحاول أثناء تدريب المرادين على فضيلة من الفضائل أن يبين لهم المنفعة التي تعود عليهم منها وشعورهم بهذه المنفعة سيحملهم على أن يسلك بعضهم مع بعض سلوكا حميدا وبذلك تكون الزاوية قائمة على نظام تربوي قويم ينعكس أثره في المستقبل على المجتمع الاسلامي³.

ج. الاثارة الوجدانية:

من طرق تنمية التربية الروحية الاثارة الوجدانية للمرادين عن طريق لفت انتباههم إلى ما ابدعه الله عز وجل من مخلوقات لأن المرادين في بداية سلوكهم للطريق الصوفي عاطفيين ويميلون الى المحسوس أكثر من الاشياء المجردة، لذا ينبغي على الشيخ أن يستغل هذه الناحية في أتباعه لتدعيم وتنمية الشعور الديني، وذلك بتبصيرهم بنعم الله عز وجل الكثيرة وكلما يبصرون نعمة أو آية، يدرهم على ذكر الله والتسبيح له ثم الشكر عليها، فإذا تعودوا على ممارسة الذكر على ذلك النحو فإنهم يتعودون على تأمل مخلوقات الله عز وجل ويشاهدون في كل مخلوقاته آيات وعبر .

1- علي الجملاطي وآخرون، الاصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية، دار النهضة، ط1، مصر، دت، ص608.

2- محمد ناصر الدين الالباني، صحيح الجامع الصغير، مرجع سبق ذكره، ص38.

3- علي الجملاطي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص605.

د. الوسائل التعليمية:

إن أهم ما يتصف به الدين الاسلامي أنه يتعامل مع امور غيبية لا تخضع للتجريب فالله عز وجل غيب واليوم الاخر غيب والجنة غيب والنار غيب... الخ، كما أن الدين يتعامل مع عالم القيم الروحية والفضيلة وهي أمور مجردة معنوية، فمن هنا تبدو الصعوبة أمام المشائخ في تقريب ذلك إلى إدراك الاتباع لأن الجانب الحسي هو الغالب دائما على تصورهم، لذلك وجب على الشيخ تقريب تصور هذا الغيب إلى الاتباع بكل الوسائل المتاحة وذلك باستغلال ما في الطبيعة من موجودات ومخلوقات للدلالة على أن هناك خالقا وهو الله سبحانه وتعالى، وأن لهذا الكون خالقا يدبره ويحكمه.

المبحث الخامس: المنهج التربوي الروحي عند الصوفية

5.1. المنهج التربوي للمتصوفة:

في البداية يتوجب علينا أن نطرح السؤال التالي: ما المقصود بكلمة منهج بصفة عامة: "إنه الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها"، ويمكن تعريف "المنهج العلمي" بأنه تحليل منسق، وتنظيم المبادئ والعمليات العقلية والتجريبية التي توجه بالضرورة البحث العلمي، أو ما يؤلفه بنية العلوم الخاصة، ويرى الدكتور عبد الرحمان بدوي أن المنهج العلمي هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة. 1 هذا عن المنهج بصفة عامة، والمنهج العلمي بصفة خاصة، فما المقصود بالمنهج عند الصوفية؟
والجواب: المنهج الصوفي هو المنهج الذوقي الذي يقوم على المجاهدة والتربية الصوفية التي وضعها الشيوخ للمجتمع الصوفي فيما بين بعضهم بعضا تدريبا على إنكار الذات إنكارا تاما للوصول بالأعمال كلها إلى المحبوب سبحانه وتعالى، لذلك كان المنهج الأجدر بالإتباع في بلوغ السعادة هو قطع القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، فمن ذاق عرف ومن لم يذوق لم يعرف، وبجانب ذلك لم يهمل الصوفية المنهج التقليدي، وهذا المنهج هو منهج السلف الصالح القائم على الأخذ من الكتاب والسنة، وهناك منهجان من مناهج التربية الصوفية: أولهما منهج اختياري وثانيهما منهج اضطراري.

أولا: المنهج الاختياري:

هذا المنهج يضع الشيخ خطوطه، إذ يحرم الطالب من الماديات حرمانا تدريجيا ويدور هذا المنهج حول أربعة أشياء قالوا إنها أركان التربية الصوفية، وهي "الجوع والصمت، والسهر، والعزلة" 2
الجوع: يمتدح الصوفية الجوع لقولهم: فما صار الإبدال إبدالا إلا بحصال أربع: منها أنهم أخصاص البطون ذلك أن الجوع يؤدي إلى صفاء القلب ونفاذ البصيرة، فيجد المريد لذة المناجاة وحلاوة التعبد فضلا عما في الجوع

1- ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر، ط3، ج2، بيروت، 1994، ص 233.

2- ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار وائل للنشر، ط1، القاهرة، 1966، ص 669.

من ذلة النفس وكسر الشهوة.1 والجوع من أجل خصال المؤمن وأكثرها تعباً، إذا صح له فيه النية لله، وفيه سبع نيات مستحبات، تبلغ العبد إلى رفيع الدرجات:

النية الأولى: ينوي بجوعه تذليل النفس وتكسيها، وإيثار مخالفتها، لكي تدخل تحت الطاعات.

النية الثانية: ينوي موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم في حاله، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت أنه قد انكب على وجهه تحت حصير وهو يلتوي من الجوع وهو يقول بجوعي وعطشي هب لي ذنوب امتي.

النية الثالثة: ينوي بجوعه قلة التزود من عرض الدنيا، وقيل لبعض العارفين ما الدنيا؟ قال: الدنيا بطنك فيقدر زهد بطنك كذلك زهدك في الدنيا.

النية الرابعة: ينوي بجوعه وجود الراحة في يوم القيامة غداً، في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، لا يوجد طعام ولا شراب ولا راحة ولا سكون.

النية الخامسة: ينوي بجوعه تقليل الذهاب إلى الخلاء إذا كان صائماً جائعاً، فيحصل له بذلك درجة أهل الصدق والحياء.

النية السادسة: التخلص من مقت الله تعالى والتباعد من بغضه، قال أبو طالب المكي: من شبع شبعة بين جوعين فقد أخذ بسيرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

النية السابعة: يحد نفسه كي يكون ذاكرة لما ينال أهل الجوع من الألم والضرر، ويقول لما ملك يوسف بن يعقوب عليهما السلام خزائن مصر ما كان يشبع من الطعام نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع. 2

ثانياً: المنهج الاضطراري:

هذا المنهج لا دخل للطالب فيه، ويكون ذلك حينما يقوى يقينه بجذوى سلوكه الجديد، ويدوق من الوجدان ما يدفعه إلى معركة سافرة يخوضها مع المادة راغماً ودون وعي، يخوضها وقد فقد الشعور بالألم، ولم يحس سطوة الحرمان، ولم يبالي بشيء من ترهات المجتمع التي توشك أن تشده إلى الحضيض. وهذا اللون من الطلاب هو المعروف في عرف الصوفية باسم "المجذوب" أو "المأخوذ" أي الذي دفعته قوى عليا سامية إلى سلوك ترتضيه تلك القوى المقدسة لتحرره من نفسه ومن تقاليدها ومن خداعها، ولتكشف له عن حقيقة الحياة خالية من الزيف بعد أن أنكر ذاته وسخر من خداع نفسه ونفوس الآخرين.

ويجدر هنا توضيح أن سلوك المجذوب هذا ليس مرض، مهما نطق بالمأخوذ بخداع النفس رغم أن عوارضه تتفق تماماً مع عوارض الأمراض النفسية، وذلك أن هناك فارق بين المصاب بالعصاب وبين الصوفي العصابي ناقم

1- الغزالي أبو حامد، الأربعين في أصول الدين، تحقيق مصطفى أبو العلا، دار الأوزنكية، ب ط، القاهرة، 1984، ص 123.

2- أبو طالب المكي، قوت القلوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005، ص 214-219.

ساحط حاقداً على المجتمع وعلى نفسه، بينما الصوفي تغمره السعادة من كل جوانبه، محب لمجتمعه، بل وللحيوان والجماد، وكل مظاهر الوجود. العصابي مكتئب لفقد كماليات الحياة أو لفقد حبيبة حسناء أو مركز مرموق، أما الصوفي فيعتبر فقد هذه المظاهر هو عين العطاء وعين السعادة وعين اليقين ويكتئب هو الآخر ولكن سيره يكون نحو المحبوب الأقدس ليس كما ينبغي لمثله من الطامحين إلى المثل الأعلى فيصاب حينئذ بعوارض الحب.

5. 2. البعد الأخلاقي للتربية الروحية لدى المتصوفة:

لقب الإمام الجنيد في عصره بـ "طاووس العلماء"¹ ويظهر أنه كان واسع الاطلاع على علوم عصره يشهد بذلك قوله: "فما أخرج الله إلى الأرض علما، وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وقد جعل لي فيه حظا ونصيبا"² وقد اختار التصوف لشرفه وعلو شأنه فقال واصفا إياه: "لو علمت أن علما تحت أديم السماء أشرف من علمنا هذا لسعيت إليه وإلى أهله، حتى أسمع منهم ذلك، ولو علمت أن وقتنا أشرف من وقتنا هذا مع أصحابنا ومشايخنا ومسائلنا ومجاراتنا هذا العلم، لنهضت إليه"³. ولشد حبه لعلم التصوف كان يرى أن الله إذا أراد بأمرئ خيرا "أوقعه على الصوفية ومنعه صحبة القراء"⁴.

وهذا العلم الشريف لا يعرف قدره إلا من أوتي كياسة إيمانية، وفطنة ربانية، لأنه مبني على المعرفة الذوقية الشهودية التي تتجاوز حدود العقل، وكل من ادعى معرفته دون أن يكون ذائقا لمعانيه فهو مطموس البصيرة، بعيدا عن حقائقه، يقول الجنيد في هذا (من البسيط) لم التصوف ليس يعرفه إلا أخ فطنة بالحق معروف. "وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف"⁵.

والتصوف قبل أن يكون علما ومعرفة، فهو اتصاف بالأخلاق الإسلامية الرفيعة:

قال الجنيد: والتصوف اجتناب كل خلق دني، واستعمال كل خلق سني، وأن تعمل لله ثم لا ترى أنك عملت.⁶ وهذه الأخلاق ليست مجرد أقوال تذاق في الناس، أو شعارات ينبغي بها أصحابها في المحافل والمناسبات، ولكنها أحوال سنية صادقة تظهر في سلوكيات أصحابها قبل أقوالهم، فيستلهم منها الناس ويقتبسون من أنوارها، وقد بين الجنيد أن الصوفي الحقيقي يكون في تعامله مع الآخرين رحب الصدر، واسع القلب، صبورا على الأذى عطوفا رحيما "كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقي كل شيء" وهو في تواضعه وخيرته، كالأرض يطرح عليها قبيح ولا يخرج منها إلا كل مريح.⁷ ثم يؤكد

1- المرجع نفسه، ص 352

2- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمان، صفة الصفوة، ج 1، مرجع سبق ذكره، ص 518

3- السراج، اللمع، مرجع سبق ذكره، ص 166

4- القشيري، الرسالة القشيرية، مرجع سبق ذكره، ص 93.

5- أبو طالب المكي، قوت القلوب، ج 1، مرجع سبق ذكره، ص 282

6- سعاد الحكيم، تاج العارفين الجنيد البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص 151

7- القشيري، الرسالة، مرجع سبق ذكره ص 127.

هذا الجانب الأخلاقي في قوله: "التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدعوات النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة، وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة"¹.

فتصفية القلب عن موافقة البرية إشارة إلى أن الصوفي مطالب بالتخلص من التبعية للآخرين في ما يسخط الله عز وجل الحضيض، والموافقة التي يحذر منها الإمام الجنيد هي الموافقة المذمومة التي تكون فيها مخالفة للحق عز وجل، أما الموافقة المحمودة فالصوفي مطالب بها حتى لا يكون شاذاً عن الجماعة، ومفارقة الأخلاق الطبيعية تعني التخلص من كل الأخلاق التي أفرزتها طباع الإنسان وشهواته والتي غالباً ما تكون مناقضة لأخلاق الشريعة السمحاء. أما إخماد الصفات البشرية فهو حث على مجاهدة النفس ومحو شرورها والتخلص، من صفاتها الدنيوية، إذ "من عرف قدر نفسه هانت عليه العبودية"².

ومن خصائص التصوف أيضاً أن يستعمل المنتسب إليه ما هو أولى على الأبدية لأن الصوفي مطالب بأن يبحث دائماً عن الأجل والأفضل والأكمل، في كل شيء، ومن كل شيء، فيأخذ به ويجعله ضمن حياته. ولا شك أن التصوف ليس الانحسار على الذات، ولا البحث الأتاني عن السعادة الفردية وإنما هو نصح لجميع الأمة، وتفكير متواصل في إسعاد الآخرين، وجهاد مستمر للمشاركة في الحياة الاجتماعية بكل جوانبها، وإذا كان خلق الوفاء للعهود، والولاء للمواثيق واجب على الفرد في كل شؤون الحياة، فإنه على الصوفي أوجب إذ التصوف في عمقه ولاء، ووفاء لله عز وجل على الحقيقة، في دينه، وفي كونه، وفي مخلوقاته مهما كانت انتماءاتهم ومشاربهم وعقائدهم لأن كل ما في الكون ما هو إلا مظاهر للحق عز وجل، ومن كان وفياً لهذه المظاهر كان في باطن الأمر وفياً لرب المظاهر، ومن خانها فقد خانها.

وكل هذه المعاني التي تشكل مفهوم التصوف، تجتمع في عبارة موجزة وهي: إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة، وعلى هذا فإن الصوفي الحقيقي هو الإنسان المحمدي المقتدي بالحبیب المصطفى صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأخلاقه وأحواله، أو بعبارة أخرى، فإن كل من توفرت فيه حقيقة الإتيان للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، هو الذي يحمل في قلبه معاني التصوف التي ذكرها الإمام الجنيد سواء أ قيل عنه صوفياً، أو غير ذلك من الألقاب، إذ لا مشاحة في الألفاظ إذا تحقق المعنى المطلوب، ولا بد أن نلفت النظر إلى أن عصر الجنيد شهد ظهور متصوفة منحرفين، ادعوا معرفة الله، وأسقطوا عن أنفسهم التكاليف الشرعية، فلما سئل عن حالهم أجاب: "إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهي عندي عظيمة والذي يسرق ويذني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة، إلا أن يحال بي دونها"³.

1- الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، مرجع سبق ذكره، ص 20

2- الجنيد، السر في انفس الصوفية، ضمن رسائل الجنيد، دار جوامع الكلم، ط2، القاهرة، ص 96

3- القشيري، الرسالة القشيرية، مرجع سبق ذكره، ص 19.

• بين الفقهاء والصوفية: كثيرا ما يتوهم بعض الناس أن الصوفية أناس بعيدون عن العلم الكسبي، عقليا كان أو شرعيا، وأن علومهم لدنية إلهامية، وإذا كانت هذه الخاصية تنطبق على القلة القليلة منهم، قدس الله أسرارهم، فإن الكثير منهم كانوا قد طلبوا العلم الظاهري بطرقه المعهودة التي ينتهجها كل طالب علم. فعلم الإمام الجنيد لم تكن كلها إلهامية لدنية أو نتاج حال وجداني، بل إنه اكتسب العلوم الشرعية بالتعلم على أبي ثور الفقه الشافعي، وبلغ مرتبة الإفتاء وكان يفتي في حلقة أستاذه وفي حضرته وهو ابن عشرين.¹

إن التربية الصوفية قد رسخت في الفقراء عقيدة وحدة الفعل والتي يصل السالك من خلالها إلى التيقن من أنه لا فاعل في هذا الكون إلا الله عز وجل ذوقا مشهودا، لا علما واعتقادا

لقد كان الإمام الجنيد في علومه ومعارفه قبلة العلماء والفقهاء والأدباء والفلاسفة يشهد بذلك قول أبي القاسم الكعبي المنزلي الذي نادى في الناس ذات يوم قائلا: "لقد رأيت لكم شيخا ببغداد يقال له الجنيد بن محمد ما رأيت عينا مثله، كان الكتبة يحاصرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة كلامه، والشعراء لفصاحته والمسلمون لمعانيه وكلامه ناء عن فهمهم".² وما تبوأ الإمام الجنيد هذه المرتبة العلمية السامقة، إلا لأنه كان مخلصا في كل ما يقوله وما يفعله، ولذلك كان يحث أتباعه على اقتفاء آثاره، في تطابق أحوال القلب مع ألفاظ اللسان. سئل ذات مرة على اقتفاء آثاره، في تطابق أحوال القلب مع ألفاظ اللسان سئل ذات مرة: أيكون لسان بلا قلب؟ فقال: كثير. ثم سئل: أيكون قلب بلا لسان؟ فأجاب: نعم وإذا كان لسان وقلب فذاك الزيد بالترسيان (يعني العسل).³ فالتطابق بين حالة الجنان وعبارات اللسان، هو الذي يؤثر في القلوب ويحدث التغيير الإيجابي في الأفراد والمجتمعات. وقد يعجب الناس بالمخادعين ممن لهم ألسنة فصيحة وعبارات مليحة فيغترون بحسن كلامهم ينقادون لهم حيناً من الزمن، لكن سرعان ما ينشكف زيفهم وكذبهم وخداعهم.

ولذلك كان الصوفية يحدرون مرديهم ممن هذا وصفهم. قال الإمام الحسن البصري: "جالس من تكلمك أعماله، ولا تجالس من تخاطبك أقواله." وقال الشيخ ذو النون المصري لأحد مرديه: "أجلس إلى من تكلمك صفته، ولا تجلس إلى من يكلمك لسانه".⁴

ولعل العلماء هم أكثر الناس تعرضا لمثل هذه الآفات، لكثرة شغفهم بالتعليم والحديث إليهم ولذلك حرص الجنيد على نصح إخوانه من المشايخ خوفا عليهم من الوقوع في تناقضية القلب واللسان المشار إليها سابقا فكتب إلى صديقه الشيخ أبو عبد الله معرو بن عثمان المكي قدس الله ثراه (ت 291هـ) قائلا: "فاحذر أيها الرجل، الذي من العلم ظاهر حيلته، وأوماً المشيرون إليه بجميل لبسته، وقصر عن العمل بمحض حقيقته، ما

1- سعاد الحكيم، تاج العارفين، الجنيد البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص 20

2- البغدادي الخطيب أبو بكر، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، ج 7، ط 2001، ص 242-243.

3- سعاد الحكيم، تاج العارفين، الجنيد البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص 191.

4- أبو طالب المكي، قوت القلوب، ج 1، مرجع سبق ذكره، ص 271

وقعت به الإشارة إليك، وانبسط به الألسن من الثناء عليك، فإن ذلك حتف من هذه الصفة صفته، وحنة من الله تعالى عليه في عاقبته". ثم ذكره أن مرتبه كشيخ مرب تتطلب منه كل الحذر والاحتياط في إرشاد أتباعه، وكما أن الطبيب إذا كان غير ماهر أهلك مرضاه، فإن المرشد المري، أيضا، إذا كان غير صادق في إرشاده أهلك أتباعه وأضر بهم فيقول له ناصحا: "أعلم أن ضرر الأديان أشر من شر الأبدان، وسقم الجوارح والاجسام أسهل من سقم القلوب والأفهام، لأن علل الدين والآفات المعترضة على اليقين سبب للبور وموردة لأهلها على النار، ومؤدية إلى سخط الجبار"¹

5.3. البعد الاجتماعي للتربية الروحية لدى المتصوفة:

للتصوف بعدان متكاملان، وهما البعد الديني العبودي، والبعد الاجتماعي المعاملاتي.

فالبعد الأول يقوم على الصدق والإخلاص لله. في حين يقوم البعد الثاني على حسن الخلق مع الناس وإيصال النفع إليهم قدر الإمكان، وقد لخص الشيخ عبد القادر ذلك في قوله: «التصوف صدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق». وما يهمننا في هذا المبحث هو ذلك **الهدف الاجتماعي** الذي سعى الشيخ عبد القادر إلى تحقيقه من خلال الدستور الأخلاقي الذي اشترطه على مرديه. فالفقراء (المريدين) يمثلون مجتمعا صغيرا، وتدريب المريد على التعامل معهم وفق قيم التصوف سيؤهله فيما بعد إلى التعامل الناجح مع أفراد المجتمع إذا ما خرج إليه بعد فترة التربية. ويمكن تلخيص ذلك البعد في الأخلاق الموالية²:

1. **خلق الخدمة:** إذ على المريد أن يخدم إخوانه بحبة ودون منة، شاكرا الله عز وجل أن وفقه لخدمة أهله وخاصته وأحابه، مصداقا للحديث النبوي «سيد القوم خادهم»³. وإن طالبه أحدهم بما لا يستطيعه صرفه بالحسنى لثلا يرجع كسير القلب ساخطا على الله عز وجل بما قسم له من الفاقة إلى الخلق.
2. **خلق الفتوة:** وهو أن يؤثرهم على نفسه في كل شيء ويتجنب غيبتهم، بل عليه أن يستر عيوبهم ويدود عنهم في حال غيبتهم تنفيذا للوصية النبوية «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».
3. **خلق التواضع:** فلا يستعل على أحد منهم ولا يرى لنفسه فضلا عليهم في شيء من الأشياء، بل يعتبر نفسه دونهم، ولا يطالب أحدا بحق، في حين يرى أن لكل أحد منهم حقا عليه.
4. **خلق التوقير:** بحيث يعاشروهم بالاحترام. فيعامل من دونه بالشفقة، ومن فوّه بالتعظيم والإجلال ومن هو مثله بالإيثار والإحسان.

1- الجنيد، رسائل الجنيد، مرجع سبق ذكره، ص 161.

2- سعاد الحكيم، التصوف يحقق التقارب بين المذاهب، مجلة العربي، العدد 579، فبراير 2007، ص 72.

3- أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن سهل بن سهل بن سعد يرفعه وأنظر: إسماعيل العجلوني، كشف الخفاء، ج 1، ص 462. وأخرجه ابن ماجة والترمذي عن أبي قتادة رضي الله عنه. ينظر للنأوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج 4، ص 122.

5. **خلق الموافقة:** فلا يخالفهم فيما يقولون أو يفعلون ما لم يكن في ذلك خرق لحدود الشريعة. ويعاشر كل أحد منهم من حيث هو، دون أن يكلفه مجاوزة حده، فإن خالفه أحد منهم في شيء سلم له ما يقول في الظاهر، تجنبا للمجادلة والصدام.

6. **خلق التخفيف:** ومن ذلك أن يستر عنهم أحرانه ومحنه ما أمكنه ذلك، لئلا يشوش عليهم ويشغل قلوبهم ولا يوجبهم لخدمته، أو الاستقراض منهم، لكن إذا استقرض أحدهم منه شيئا أجابه إلى ذلك، ولم يحدث نفسه في استرداده منه، وإذا استحكمت في السلوك وصل إلى درجة لا يرى ملكه ممنوعا عن إخوانه بتاتا، في حين لا يقترب هو من ملكهم إلا بإذنتهم.

7. **خلق الصبر:** وبما أن حياة المريدين تتخللها أحيانا بعض الخلافات والشجارات التي لا تخل منها أي علاقة بشرية، فإن المرید الصادق مطالب بأن يكون صبورا على أذى إخوانه، فيصل من قطعه منهم ويعطي من حرمه ويعف عن ظلمه. ومظاهر العفو أنه إذا أساء أحدهم معه سأل في باطنه ورجع بالملامة على نفسه. ومن مظاهر ذلك أيضا أنه إذا مرض أحدهم وجبت عليه عيادته، فإن شغله شاغل عن ذلك، ذهب إليه واعتذر له، لكن إذا مرض هو ولم يعده أحد منهم سأل له الأعذار.

8. **خلق التودد:** ومما يطيب العشرة بينه وبين إخوانه أن يلقاهم دائما بوجه طلق مستبشر، ويتجنب العبوس والنظر الشزر، وفضاضة الكلام، واللجاجة والمماراة. وإن شعر بنفور أحدهم منه تودد إليه بما يزيل ذلك النفور. وإن وجد هو في قلبه من أحد منهم استيحاشا فلا يظهر ذلك له، ويجاهد نفسه في إزالته.

9. **خلق النصيحة:** وذلك بأن يكون صادقا في النصيح لهم. فإذا شاوره أحد منهم مكنه من عرض مسألته بكل تفاصيلها حتى إذا ما فهمها منه، ورأى فيها ما يوجب التصويب وافقه عليه في البداية ثم بين له بلطفة الوجه الأصوب، وذلك عملا بوصيته صلى الله عليه وسلم «الدين النصيحة».

4.5 شروط الانضمام إلى الطريق الصوفي:

يرى الإمام الغزالي أن طريق التصوف طريق الخواص من الناس الذين يطمحون إلى الوصول إلى حضرة الله سبحانه وتعالى. ولا يمكن بلوغ ذلك الهدف الأسمى، بقلب سقيم وروح ملوثة، ومن هنا وجب على المرید قبل الانضمام إلى طريق التصوف أن يحضر نفسه بجملة من الأعمال أهمها ما يلي:

- **تصحيح الاعتقاد:** إذ يجب عليه أن يتعلم الاعتقاد السليم الخالي من البدع.
- **تحصيل العلم الشرعي:** حيث أنه مطالب بتعلم الضروري من علم الشريعة بقدر ما يعمل بأوامر الله ويقف عند نواحيه¹. وفي كتاب (منهاج العابدين) يذهب إلى أن العلم هو العقبة الأولى التي يجب على المرید قطعها وفي ذلك يقول: «فالعبادات الشرعية يجب أن تتعلمها بأحكامها وشرائطها حتى تقيمها، فرمما أنت مقيم على شيء سنين وأزمانا مما يفسد عليك طهارتك وصلواتك ويخرجهما عن كونهما واقعتين على وفاق السنة، وأنت

1- الغزالي، خلاصة التصانيف، ص 171.

لا تشعر بذلك»¹. وبعد أن يحقق المرید هذين الشرطين يمكنه أن ينتقل إلى تحقيق شروط أكثر صعوبة من الأولى وهي رفع الحجب المانعة له من السلوك وهي:

● **رفع حجاب المعصية:** بحيث يرجع إلى الله بالتوبة النصوح ويعاهده على أن لا يعود إلى ما كان عليه من المعاصي والزلات. ويخرج من المظالم، ويرضي الخصوم حتى لا يبقى عليه حق لمخلوق.² فإن من لم يصحح ولم يهجر المعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان «كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب».

● **رفع حجاب المال:** ولا يرتفع حجاب المال إلا بخروج المرید عن ملكه، حتى لا يبق له إلا قدر الضرورة. وما دام له درهم يلتفت إليه^٣ فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل.³ وهذا لا يعني أن الغزالي يدعو إلى فقر ذات اليد، ولكنه يرمي إلى تدريب المرید حتى يحقق ما يدعو به ربه حين يتوجه إليه متضرعاً: «اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا».

فإخراج الدنيا من القلب ووضعها في اليد أمر عسير لا يتم بمجرد الدعاء، ولكنه يتحقق بالفعل، حينما يتدرب الإنسان عن التخلي عن جزء مما يملك مختاراً لا مكرهاً.

● **رفع حجاب الجاه:** بحيث يتعد عن مواضع الجاه، بالتواضع وإيثار الخمول والهروب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال مباحة تنفر قلوب الخلق عنه.⁴

● **رفع حجاب التقليد:** وإنما يرفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله، تصديق إيمان، إذ «ليس من شرط المرید الانتماء إلى مذهب أصلاً».⁵ وقد اشترط الإمام الغزالي هذه القاعدة حتى لا يتشوش عقل المرید، وتتفرق به السبل في طلب الحق.

هذا وبعد أن يزيل الراغب في طريق التصوف تلك العوائق الأربعة، عليه بيادر بالبحث عن الشيخ المربي. وحالة المرید في بحثه عن الشيخ، كحالة المصلي الذي يتوضأ وصار صالحاً للصلاة، فيحتاج إلى إمام يقتدي به.⁶ فالتخلص من تلك العوائق الأربعة يرمز للوضوء، واتخاذ الشيخ المربي يرمز للوقوف خلف الإمام والشروع في الصلاة يرمز للدخول في الصلاة المعنوية التي هي الشهود لحضرة الملك المعبود. ويرفع تلك الحجب

1- الغزالي، منهاج العابدين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1989، ص6.

2- الغزالي، خلاصة التصانيف، مرجع سبق ذكره، ص171.

٣- وهذه العبارة تدل على أنه لا يمنع المرید من اكتساب المال، ولكنه يهدف إلى تعليمه عدم الالتفات إليه، المال بقلبه فحسب.

3- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، مرجع سبق ذكره، ص75.

4- الغزالي، كتاب الأحياء، ج3، ص-ص 287-288.

5- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص75.

6- المرجع نفسه، ص75.

تبدأ رحلة المرید الروحية، ويصح وصفه بأنه صار من أهل السلوك «فهذه الأربعة (أي الحجب) جنة وحصن تدفع عن القواطع، وتمنع العوارض القاطعة. فإذا فعل ذلك اشتغل بعدها بسلوك الطريق»¹.

5.5. طرق الرياضة الروحية الصوفية :

نعني بالرياضة الروحية «مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبية على نفس المرید»². وفساسة الشيخ وخبرته في التربية الروحية تمكنه من اكتشاف الأمراض الروحية الواجب علاجها لدى المرید مراعيًا في ذلك الفروق الفردية الموجودة بين المریدين، فلا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم، وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المریدين بنمط واحد من الرياضة أهلكتهم، وأمات قلوبهم فينبغي عليه « أن ينظر في مرض كل واحد منهم، وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحمله بنيته من المجاهدات، ثم يبني على ذلك رياضته»³.

ولذا تختلف طرق التزكية باختلاف مستويات المریدين العلمية، كما تتفاوت بتفاوت أخلاقهم وطباعهم وقدراتهم واستعداداتهم. فإن كان المرید مبتدئًا جاهلاً بحدود الشريعة علمه الشيخ الطهارة والصلاة وظاهر العبادات، لأن التصوف تحقيق لمقام الإحسان ولا يبني ذلك المقام الرفيع إلا على أسس الشريعة. وإن كان المرید مشغولًا بمال حرام أو مقترفًا لمعصية، أمره الشيخ بتركها والتوبة منها وتلك هي بدايات التطهير والتزكية التي لا يصح سلوك المرید إلا إذا أحكمها ومثال ذلك أن العاقل لا يضع اللبن إلا بعد تطهير الإناء من الأوساخ، فكذلك أسرار الدين لا تعطى إلا لمن طهر قلبه من الأدران، فإذا تزين المرید بالعبادات، وطهر جوارحه عن المعاصي الظاهرة، نظر الشيخ، بقرائن الأحوال، إلى باطنه فيصلح أخلاقه، ويعالج أمراض قلبه. ومن هنا تبدأ عملية التغيير الجذري لشخصيته، بحسب ما تقتضيه أحواله. فإن رأى الشيخ معه مالا زائدًا عن ضرورته أخذ منه، وصرفه إلى الخيرات، وفرغ قلبه منه، حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه أمره بأعمال مباحة تذهب تلك الأمراض من قلبه، كأن يأمره «بالخروج للأسواق للكديّة، والسؤال، فيكلفه المواظبة على ذلك مدة، حتى ينكسر كبره وعزة نفسه، فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل، ولا ذل أعظم من ذل السؤال».

إن الأساليب المذكورة تعكس عمق النظرية الصوفية في العلاج النفسي وهي نظرية، كما هو واضح، تقوم على اعتماد المسلك المضاد لكل ما تهواه النفس المريضة، وذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» [النازعات: 40-41]. فنهى النفس عن الهوى هو علاجها بما يخالف شهواتها.

1- المرجع نفسه، ص 77.

2- الجيلاني عبد القادر، الغيبة، المرجع السابق، ج 2، ص 184.

3- المرجع نفسه، ص 61-62.

هذا وقد عرض الإمام الغزالي جملة من اللطائف في علاج ما استعصى من الأمراض النفسية، من بينها أن الشيخ إذا وجد عسرا في اقتلاع خلق مذموم لدى أحد المريدين، استعمل حيلة نفسية في ذلك بحيث «ينقله من الخلق المذموم إلى خلق أخف منه» ومثال ذلك أن «من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة واحدة فلينقل إلى جاه أخف منه» وهكذا تتم عملية التدرج في اقتلاع ذلك الخلق المذموم حتى يغيب كلية. ومن لطائف الرياضة الروحية أيضا، أن يعالج مرض بمرض آخر أخف منه. ومثال ذلك ما اقترحه الإمام الغزالي كوسيلة لعلاج مرض البخل، حيث يؤمر المصاب بذلك الداء «أن يتكلف البذل، وأن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء، فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال على نفسه خبث البخل واكتسب خبث الرياء، ولكن يعطف على الرياء، ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما يسلى الصبي عن الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها، لا ليتخلى عن اللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه، ثم ينقل عنه إلى غيره»، لكن هذا الأسلوب لا يفيد إلا «في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبذل الأقوى بالأضعف فإن كان الجاه محبوبا عنده كالمال، فلا فائدة فيه فإنه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها»¹.

5. 6. عقبات الطريق الصوفي:

قد ينعم الله على بعض عباده بالوصول إلى حضرته، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء المجاهدة، وهذا الأمر يدخل في باب الاجتهاد الذي لا يعرف حكمه وأسراره إلا الله عز وجل، لكن الذي وصل إلى الله بعد أن ذاق مرارة المجاهدة، أفضل عند الإمام الجنيد، من الذي حصل على المواهب العرفانية بمحض الجود والفضل، ويقول في هذا الشأن: "ليس من طلب الله يبذل المجهود كمن طلبه من طريق الجود".² وإن كان الكل من فضل وجوده. والذي يطلب الله يبذل المجهود عليه أن يجتاز صعاب ويقطع عقبات، نحملها في ما يلي:³

أ. عقبة الدنيا: فأول العقبات التي تستقبله هي عقبة الدنيا بكل ما فيها من زهرتها وطيب عيشها والتمتع بأنواع نعيمها وراحتها.

ب. عقبة الخلق: فإذا جاوز هذه العقبة وقطع عن قلبه حيال تعاليق، وصفا سره عن غبار التخاليط وصار منفردا للقصد إلى ربه تعالى ... استقبلته بكل ما في عرفهم وعاداتهم وهي أصعب العقبات بلية وأشدّها مشقة وأطولها نهاية وأبعدها مسافة وأمرها على القلب من غيرها بألف ألف مرة ... فيرى العبد إلى ألوان طبائعهم وسوء أخلاقهم وقلة وفائهم، وغوامض آفاتهم ... ويرى نفسه مائلة بطبعها إلى ثنائهم ومحمدتهم مع صحبة الرئاسة والشرف والجاه والمنزلة عندهم فحينئذ يعتصم بعون ربه ويقطع إيمانه منهم.

1- المرجع نفسه، ص 63.

2- ابن الأثير، المختار من مناقب الأخيار، ج 2، مرجع سبق ذكره، ص 76.

3- الجنيد، ضمن الرسائل، مرجع سبق ذكره، ص - ص 42-47 بتصرف.

ج. عقبة النفس: فإذا جاوز هذه العقبة وقطع عن قلبه حبال التعاليق، استقبلته بكل ما فيها من الجهل والغفلة والنسيان والفترة، فإذا نظر العبد إلى نفسه وتركيب أساسها وتطبيع بشرتها وأساس خلقتها، فإذا هي مملوءة بكل هوى وشهوة مشوبة بكل العيوب وكل عثرة، أمانة بكل خطأ وزلة، مركبة بكل فساد وفتنة فعند ذلك يعتصم بالله تعالى ويستعين به على مقتها ومخالفتها.

د. عقبة الجنة: فإذا جاوز العبد هذه العقبة، فعند ذلك تستقبله عقبة الجنة بكل ما فيه من الثواب والعقاب وطلب العوض من الله تعالى على وفاء صدق العبودية فعند ذلك يعتصم بالله تعالى ويستعين به على قطع علائق ما دونه، ولم يشتغل بما ولم يلتفت إليها إجلالاً لحرمة ربه.

هـ. عقبة المواهب والكرامات: فإذا جاوز هذه العقبة، وصار قلبه منفرداً للواحد الفرد واستراح من تعب هذه العقبات واستقامت له إمارة التجريد والتفريد فحينئذ استقبلته عقبة العطايا والكرامات والمواهب والمقامات وهي لا تحصى عدداً فهذا أوان غض بصره عنها وأن لا يلتفت إليها ولا إلى شيء منها حرمة لإجلال ربه. وكثيراً ما أكد الإمام الجنيد على أن قيمة العارفين لا تقاس بالكرامة فلقد "مشى رجال على الماء باليقين ومات على العطش أفضل منهم يقينا".¹

و. عقبة المحن والبلايا: ثم يبسط له ما يبسط من المحن والبلايا نوعاً بعد نوع، وغير ذلك مما لا يصفه واصف غيره، ففي ذلك يقول: يا حبيبي وقرّة عيني ويا غاية أمني أتوسل بك أن لا تصرفني عنك ولا تكلفني إلى سواك.

وقطع هذه العقبات قد يطول وقد يقصر، بحسب إلى همة المريد، وصدقه في الطلب: فمن كان ذا ذكر وفكر وهمة ترقى عن الأغيار في كل لحظة.²

وعلى هذا فإن السلوك لا يقاس بالزمان، ولا بعدد السنوات التي يقضيها السالك في الرياضة الروحية، ولكنه يقاس بالحركة الروحية، أي بانتقال السالك من حال إلى حال. والعبرة بحركة الأعماق وسرعة استجابة السالك، وشفافية روحانيته لا في حجم المجاهدات والرياضات وأطوال أيامه ولياليه.³

5.7. نقد الانحراف الصوفي:

مما لا شك فيه أن التصوف الإسلامي يقوم أساساً على الشريعة الإسلامية « وكل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة ».⁴ إذ أن لب الشريعة هو التصوف المحرر على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد يتوهم بعض الادعياء أن التصوف لا يتطلب الإمام مبادئ العلوم الشرعية بحجة أن الحقيقة شيء والشريعة شيء آخر، وأن العلم الظاهري حجاب عن العلم الباطني، وهم بهذا الخطأ الجسيم يفتحون الباب

1- ابن الأثير، المختار من مناقب الأخيار، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 81.

2- محمد بن الحبيب الأمازي، ديوان بغية المريدين السائرين، مرجع سبق ذكره، ص 27.

3- سعاد الحكيم، تاج العارفين، الجنيد البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص 40

4- الخليلاني عبد القادر، فتوح الغيب، مرجع سبق ذكره، ص 106.

على مصراعيه أمام أعداء التصوف الذين يقعون بدورهم في خطأ آخر حينما يتوهمون أن انحرافات أولئك الأدعياء هي حال الصوفية جميعا، وقد فند الشيخ الجيلاني تلك المزاعم مؤكدا على ضرورة تعلم الفقه الظاهري الذي يعتبر مدخلا حتميا للفقه الباطني، فكان ينصح مريده بقوله: «تفقه بالفقه الظاهر، ثم اعتزل إلى الفقه الباطن» وإذا كان من الضروري أن يقوم التصوف على الفقه الشرعي وإلا صار صاحبه زنديقا معطلا لحدود الله، فإن هذا الفقه الشرعي، بدوره، لابد أن يكون مصحوبا بمعاني التصوف، وإلا كان صاحبه بعيدا عن طهر القلب فاسقا عن لب الدين .

تلك هي نتائج الالتزام بقواعد الشريعة كما يبينها الشيخ في قوله «إذا عملت بهذا الظاهر أدى إلى فهم الباطن وأول ما يفهم سر، ثم يملئ قلبك على نفسك، وتعلمي نفسك على لسانك، وتعلمي لسانك على الخلق، يتعدى ذلك إليهم لمصالحهم ومنافعهم»¹.

فالتصوف هو انسجام بين ظاهر الشريعة وباطنها، لأن الله «أمر بالشريعة على ظاهرنا وبالمعرفة على باطننا لينتج من اجتماعهما علم الحقيقة»². الذي هو التصوف.

هذا ولقد عاش الشيخ الجيلاني في فترة ما بين 488هـ إلى 561هـ وهي فترة عصيبة شهدت فيها بغداد فتنا سياسية ودينية واجتماعية خطيرة، حيث توالى على الخلافة في تلك الفترة الوجيزة خمسة خلفاء وهم: المستظهر بأمر الله والمسترشد بالله اللذان حكما (من سنة 512هـ إلى 529هـ)، والراشد بالله (من سنة 529هـ إلى 530هـ) والمقتفي لأمر الله (من سنة 530هـ إلى 555هـ)، والمستنجد بالله (من سنة 555هـ إلى 566هـ)³. وقد صحب ذلك الاضطراب السياسي، تفسخ أخلاقي، وانحطاط ديني، حيث انتشرت الرذيلة وتفشت مظاهر الفساد الاجتماعي، وتعددت الفرق الدينية، وكثرت الطوائف الصوفية المنحرفة، إلى حد أن الشيخ حاول مرارا الخروج من بغداد، إلا أن مسؤوليته الإصلاحية كانت تشده إلى البقاء والأخذ بأيدي الناس وإنقاذهم من الأوجال التي كانوا غارقين فيها، رغم ما في ذلك من مشاق وصعاب لا يطيقها إلا فحول الرجال. فنجده يعبر عن تدمره مما آلت إليه الأحوال الاجتماعية في قوله: «...هل عاقل يقعد في هذه البلدة ويعاشر أهلها وقد عم فيها الرياء، والنفاق، والظلم، وكثرة الشبهة والحرام؟ ... لو كشفت بعض ما عندي كان ذلك سبب الفراق بيني وبينكم، أحتاج في هذه الحالة التي أنا فيها إلى قوة النبيين والمرسلين، أحتاج إلى صبر من تقدم، من آدم عليه السلام إلى زماني، أحتاج إلى القوة الربانية»⁴.

1- الجيلاني عبد القادر، الفتح الرباني والفيض الرحماني، مرجع سبق ذكره، ص57.

2- الجيلاني عبد القادر، سر الأسرار ومظهر الأنوار، مرجع سبق ذكره، ص90.

3- المرجع نفسه، ص101.

4- المرجع نفسه ص 21.

ومن الجهود التي قام بها، تأسيس مدرسته ببغداد سنة 528 هـ، والتي انبرى من خلالها للتربية والتدريس والفتوى والوعظ إذا كان فقيه الحنابلة والشافعية ببغداد وشيخ جماعتهما.¹ فتاب على يديه معظم أهل بغداد وأسلم بسببه كثير من اليهود والنصارى. وقد تحدث بما أنعم الله عليه في ذلك فقال: «أسلم على يدي أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى وتاب على يدي من العيارين والمسالحة أكثر من مئة ألف».² ومن مظاهر الانحراف الصوفي التي حاربها الشيخ عبد القادر تلك الخدع الدينية التي يمارسها بعض المتمشيخين والمتمثلة في العزلة المصطنعة، التي يهدفون من خلالها إلى جلب أنظار الناس، والظهور بينهم بالتقوى والصلاح وهو ما حذر منه بشدة في خطابه لأحد أولئك المخادعين: «ويحك تقعد في صومعتك وقلبك في بيوت الخلق منتظر مجيئهم وهداياهم؟ ضاع زمانك وجعلت لك الصورة بلا معنى، إذا لم يكن لك باطن صحيح وقلب خال عما سوى الحق عز وجل، وإلا فمجرد الخلوة لا ينفك».³

ومما لاحظته الشيخ في بعض مريديه، تلك المشاعر الدينية الكاذبة التي تبرز كلما خبا نور الصدق وانتشر ظلام النفاق، إذ ماذا يعني أن يبكي المريد في حضرة شيخه ثم إذا خرج من عنده قسا قلبه وانقلب إلى صخرة صماء لا يعرف للرحمة ولا للشفقة سبيلا. إنه النفاق الذي كشفه الشيخ في كلامه الموجه لمريده: «عندي تسمع وتبكي، وإذا جاء الفقير يقسو قلبك فدل أن بكاءك وسماعك ما كان خالصا لله عز وجل، السماع عندي أولا بالسر ثم بالقلب ثم بالجوارح في الخير».⁴

ومن مظاهر الانحراف أيضا ما يقع فيه أكثر المنتسبين للتصوف من البحث عن الكرامات بقصد استغلال الناس وتخويفهم، فالكرامة حجاب في حق المريد إذ من شروط الولاية كتمانها وعدم إظهارها لأحد من العوام، بل إن أحسن كرامة هي الاستقامة مع حدود الشريعة، غير أن الصوفي المتحقق بمعرفة الله «لا تضره الكرامات إذ هي من باب القدرة»، وربما يؤمر أحيانا بطلبها بل قد «يجبر عليها، ويتحقق عنده أن دماره وهلاكه في ترك الطلب ومخالفة هذا الأمر».⁵

ومما سبق يستنتج أن الانحراف الصوفي، انتقد بقوة من طرف الإمام الجيلاني، كما انتقد قبله وبعده من طرف الشيوخ الصادقين، وذلك أن المدرسة الصوفية لم تخل أبدا من الأدعياء والدخلاء والمخادعين الذين يتسربون إليها فيدمرونها من داخلها، بما يصطنعونه من سلوكيات مضادة للتصوف الحقيقي.⁶

1- محمد بن يحيى الناذي الحنبلي، قلائد الجواهر، مطبعة الحنفي، ب ط، مصر، ص ص 189، 193 بتصرف.

2- المرجع نفسه، ص 211.

3- الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، مرجع سبق ذكره، ص 82.

4- المرجع نفسه، ص 83.

5- الجيلاني عبد القادر، الغنية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 187.

6- Cnf ; guenon René, le renne de la quantité et les signes des temps, Gallimard, 1945, tome2, P328.

لكن الأسس الروحية المتينة التي يقوم عليها التصوف تمكنه في كل مرحلة من مراحل تطوره من تطهير نفسه من الدخلاء، وذلك من خلال أهله المخلصين الصادقين الذين لديهم الإمكانيات العلمية والروحية لكشف الأقنعة التي يختفي وراءها الدخلاء والكاذبون.

ملخص:

لقد كان للأطفال في ميزان الإسلام نصيب كبير من الرعاية والعناية الروحية، ومن ثم تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة، كما بينا الدور الذي تقوم به المؤسسات التربوية في تنشئة الطفل تنشئة إسلامية، للأسرة والمسجد ووسائل الإعلام والمجتمع كلها عوامل فعالة في تهيئة الطفل وتوجيهه، وكذلك للطرق الصوفية في مجتمعاتنا الإسلامي دور رائد في التأثير على الاتباع ومن ثم على الأبناء وفي تعليمهم الدين الحنيف وصلاح الظاهر وتنمية الباطن، لهذا تعد الزاوية دائرة أخرى لها أهميتها في تنمية مواهب الاتباع ثم تنقل لأبنائهم وتقوية مدركاتهم وتبصيرهم في اختيار ما يتناسب مع قدراتهم، والشيخ المرابي في ذلك كله يقوم بدور رائد في مساعدة المرادين وفي تحديد أهدافهم وغاياتهم بالإضافة إلى كونه القدوة التي يتأس بها الاتباع في سلوكهم وأعمالهم، من هذا المنطلق سوف نتكلم في الفصل الموالي الذي خصصناه للتصوف وتاريخه والطرق الصوفية والزاويا.

تمهيد:

إن التصوف كان ولا زال ظاهرة عالمية يدفع إليها حالة السأم والإحباط الدنيوي يؤدي إلى سعي المتصوف إلى صراع مع الذات للوصول إلى عالم خاص بديل ينعزل فيه منصرفاً إلى الزهد والتعبد، ويسمو من خلاله بالعلاقة بينه وبين الله إلى ما لا يستطيعه البشر العاديين، وللمتصوفة في المجتمع العربي الإسلامي انعكاس تاريخي للواقع أي نتاج علاقات اجتماعية محددة في ظروف معينة، قوام معتقد بأنها دفع النفس للانفعال بالروحانيات دون الماديات والاهتمام بالجواهر دون العرض، والإيمان بالباطن دون الظاهر، وهي بهذا المعنى نوع من الرفض والتمرد السلبي على واقع مجتمع بسائر مكوناته، وقد يكون هذا الرفض أكثر ثورية من سواه في بعض المراحل التاريخية أو كاجبا حقيقيا للانتقال إلى قوة مادية تحقق غاياتها في الرفض الثوري في مراحل أخرى، وبخاصة عندما يظل متشرباً في حدود السلبية مقتصر على نوع من التحدي اللاهوتي لإيديولوجية الأنظمة الاجتماعية السائدة بما يقترن بنسب عالم بصور تجريدية للعالم لا طائل من ورائها بين الحلم المرتجى والواقع الشقي. عندها وفي هذه الحدود لا تصير مثل هذه التوجهات للسلطات القائمة أو تهدد الحب الإلهي يخشون الفتن في معارضة الحاكم ويرفضون المعارضات التي اصطبغت بطابع ديني مذهبي سواء كانت شيعياً أو خوارجاً أو معتزلة.

نشط المفتون في تصنيف المتصوفة كمدرسة من مدارس السنة رغم الفارق الكبير بين كل الفرق للعبادة في نطاق الشريعة بل أقروا بأنها تثبيت للإيمان وإثراء العقيدة ووضع النفس والروح على طريق الصواب وانصرف عدد من المفتين إلى الإكبار من شأن المتصوفة والتقرب إليهم وسؤالهم العون والمشورة¹. أما إذا قام الصوفي بإشهار آرائه أو مارسا شحنا انفعاليا يستقطب الأتباع، فإن ذلك يثير الحفيظة ويقتضي الكيد. نتطرق وفي هذا الفصل لحركة التصوف، تاريخها وظهورها في المشرق العربي وأهم شخصيات التصوف المعروفة ظهور التصوف في المغرب العربي، إلى الطرق الصوفية وعوامل نشأتها خصائصها ثم وظائفها وأهم هذه الطرق فأنواعها ثم ظهور الزوايا تعريفها نشأتها ثم انتشارها عبر القطر الجزائري إلى أنواع هذه الزوايا ووظائفها

1- فاضل الأنصاري، قصة الطوائف الإسلامية بين المذهبية والطائفية، دار الكنوز الأدبية، لبنان، ط1، سنة 2000، ص132.

1. حركة التصوف :

1.1. نبذة حول ظاهرة التصوف

إن المتتبع لتاريخ حركة التصوف في الإسلام، يلمس بأنها قد بدأت مع حركة الزهد في القرن الأول الهجري على يد شخصيات معروفة بزهدها السليبي وحصر طاقاتها في العبادة لله، لكن نموها الأكثر اتساعاً وتطرقاً قد ترافق مع تطورات سلبية اجتماعية فكانت نوعاً من التعبير عن موقف سياسي سلمي حيال الأحداث والتي تتمحور في صلب المجتمع وهو في أوج حركته نحو التكون الكامل النوعي بسرعة هائلة وقد ظل التصوف في الحكم الأموي أقرب إلى حركة التزهيد المسلكي، ومعارضة للأوضاع الاجتماعية والسياسية القائمة، قبل أن يتحول إلى موقف فلسفي له مقولاته ومناطقه الدينية والسياسية والإيديولوجية.

ونجد نجوم معتقدات التصوف عند الكثير من المتصوفة الأعلام الذين ذاعت أسمائهم مثل "مالك بن دينار" المتوفى عام 131هـ، و"عبد الله المحاسين" المتوفى عام 165هـ، و"رابعة العدوية" المتوفاة عام 185هـ. و"معروف الكرخي" المتوفى عام 200هـ، و"ذو النون المصري" المتوفى عام 245هـ. و"الجنيد البغدادي" المتوفى عام 297هـ. و"أبي نصر السراج" المتوفى عام 378هـ و"عبد القادر الجيلاني" المتوفى عام 521هـ. و"أحمد الرفاعي" المتوفى عام 578هـ.

ومع أبي هاشم الكوفي الصوفي، وأضاف أن جمع الصوفي على صوفية قد ظهر سنة 199هـ بمناسبة فتنة صغيرة في الإسكندرية بعد أن كان مقتصرًا على من في الكوفة حتى إذا مرت عن ولادته خمسون سنة فيها صار يطلق هذا الاسم على كل صوفية العراق، أما في خراسان وجهاتها فقد كان الاسم الغالب على "الصوفية والملامتية" وأحمد علي حسين "أحمد البدوي" المتوفى عام 675هـ، وأبي العباس المرسي المتوفى عام 686هـ، فضلاً عن الحسين بن منصور الحلاج، المتوفى عام 311هـ.

هذا ويعتبر الأستاذ جبور عبد النور في التصوف عند العرب: أن لبس الخرق لا أثر له في الإسلام، وقد أخذه الصوفية عن الديانة البوذية وشروطها - كما يقول - الزهد في الدنيا، وحياة الفقر، وحلق الرأس ولبس الخرق الصفراء.

ويذكر الأستاذ عبد الرحمان بدوي: أن اسم التصوف أصبح منذ القرن الرابع هجري، علماً على جميع الصوفية المنتشرين في العالم الإسلامي، ويعطي الجنيد وهو أحد أقطاب الصوفية بعض تعريفات للصوفية، فعندما سأله أحداهم عن ماهية التصوف قال له: "التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة".

وعن المتصوفة يقول: إنهم أهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم. ويعتبر الصوفي "كالأرض يطرح فيها كل قبائح ولا يخرج منها إلا كل مليم".

وعن التصوف أيضاً يقول: "التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع..."

وأما أبو بكر الشبلي فيرى في التصوف: "أنه الجلوس مع الله بلا هم ... وأن الصوفي هو الذي ينقطع عن الخلق فيتصل بالحق... وأن الصوفية هم أطفال في حجر الحق".
ويفرق الحسين بن منصور الحلاج بين الصوفي والمتصوف، عندما يرى أن "من أشار إليه فهو متصوف، ومن أشار عنه فهو صوفي فالأول لا يزال يفرق بين الرب والعبد، والثاني قد اتخذ الآلهة حتى صار يتكلم عنها وباسمها".

أدت العزلة والتزهد إلى تباين التأطير في البحث عن الحقيقة فقد تنوعت الطرق الصوفية، إلى ما يصعب عده تبعا للظروف التي مر بها المتصوفة، أو الملابسات التي أحالتهم وهم في سعيهم إلى الوصول إلى معرفة كاملة بالوجود، كما تنوعت الشعائر وطرائق الذكر لديهم للتواصل مع تلك الكينونة بتحصيل مشاعر اللذة التخيلية من أوضاع الألم الجسدي والسمو بالقيم إلى مستوى نفسي، الأمر الذي أدى بدوره إلى تحولات جذرية في حركة التصوف "الدروشة" التي أنهت عصر المتصوفة العظام، وبالغت في استئصال الطرائق، وسلكت دهاليز تغيب عقول العامة في ممارسات لاعقلانية بعضها أقرب إلى الشعوذة والتحريف، وإذا تلاءم هذا التحول مع طبيعة السلطة التي تعاقبت في عهود الاحتلالات المتوالية للمنطقة العربية، لصرف الناس عن مظالم الحكم وعسف الحكام، فإن الدروشة بتعدداتها وجدت رعاية وتشجيعا في تلك العهود، بل وسعت بعض الدول سعيا حثيثا لإدخال طرق الدروشة وممارساتها في صلب المذهب الذي تتبناه¹.

عندما نتكلم عن التصوف أو مذهب الصوفية (*Sufism*)، ندخل في ناحية من نواحي الفكر الإسلامي بلد الحضارة الإسلامية، ذلك أن كلام الكثيرين الذين كتبوا فيه يحرك نفوسنا، كما أن براعة أوصافهم تثير إعجابنا غير أنه لا يمكن أن تكون فكرة حقيقية عن غزارة هذا الميدان إلا إذا تعرفنا على النصوص. ولقد قدمت نظريات متعددة حول أصول هذه الحركة في الإسلام: فقيل أصلها من الرهبانية السريانية أو الفيدانتا* (*Vedanta*) الهندية.

لكن أمكن إثبات أنه لا يمكن التمسك بالافتراضات التي تذهب إلى اقتباس المسلمين التصوف عن أصول أجنبية، إذ أنه منذ بداية الإسلام أحس نفر من المؤمنين المتحمسين بالدافع إلى التأمل في القرآن عن طريق المداومة على تلاوته أو "التعمق" (*Intériorize*) في روحه إذا صح هذا التعبير.

فالقرآن يتضمن كما بينا آنفا عددا من العناصر المتعلقة بالزهد والتصوف، وبعض الآيات القرآنية تذكر الناس مرة أخرى أن الله حاضر معهم، وبالخوف من الحساب، وزوال كل الأشياء الإنسانية، وجمال الفضيلة وما إلى ذلك وهناك آيات أخرى تعطي النفس المتدنية الفرصة للوصول إلى لب العقيدة، وهكذا نجد سلسلة من الآيات التي تذكر الإنسان برسالاته وتؤكد على حاجته إلى أن يقيم في قلبه صرحا عامرا.

1- فاضل الأنصاري، المرجع السابق، ص135.

* Vedanta: الفيدانتا: أجزاء من الأوبنشاد، أي المحاورات الفلسفية في آثار الهند الدينية القديمة.

بالتقوى والإيمان¹ ، وتعود نشأة التصوف في العالم الإسلامي بصفة عامة إلى ما ترتب عن الفتوحات من اتساع رقعة الدولة الإسلامية وازدياد الثروة لدى الفاتحين مما أدى إلى الغنى الفاحش والترف والبذخ وبالتالي الانحراف والخروج عن مبدأ هام من مبادئ الإسلام وهو البساطة.

2.1. نشأة الصوفية في المشرق العربي:

على ضوء سيرة الصدر الأول و حقائق التاريخ الإسلامي بالإضافة إلى سلوك و حياة علماء السلف فضلا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطوال مرحلة الخلفاء الأربعة لم تكن ظاهرة التصوف وما تمثله من منطلقات ومظاهر تمثل سلوكا معينا متميزا تقوم به جماعة من المسلمين دون غيرهم. والمحاولات أو المواقف التي كان فيها بعض المسلمين قبل إسلامهم ثم أرادوا التنطع والغلو في تناولهم لتعاليم وتوجيهات الإسلام أو أرادوا التفرغ الكامل والزهد والاعتكاف عن ضروب الجهاد كل أيام عمرهم، كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن ذلك الإقبال أو هذا الانضواء والانطواء والعزلة، هذا ولم يكن الإسلام في حاجة إلى أن تنشأ فيه ظاهرة التصوف ولا يكون بين أهله من يحاول التمييز بسلوك ينفرد هو به دون غيره أو يذهب يفسر شططا بعض أمور العقيدة، على ضوء ما يروق له في ظل ظروفه الخاصة، أو على ضوء ما بدر منه فالمسلمون جميعا أهل تقوى وزهد وعكوف على الطاعات منقطعين لله تعالى ، إذا ما انتهوا من كدهم وكدهم في الدنيا على ضوء ما أمر به الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن بينهم من يريد أن يستقل بسلوك أو ينهج في التعبد ويخرج به عن نطاق ما في كتاب الله والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

إلا أن بعض الصحابة لم يكتفوا بالقيام بواجباتهم الدينية واحترام تعاليم القرآن فقد قرروا إقامة علاقة خاصة مع الله وتحرير أرواحهم من الروابط الجسدية عن طريق الإكثار من الصوم والاعتكاف والتأمل والزهد من متاع الدنيا².

ولم يشهد القرن الأول الهجري كثرة ما حدث فيه من انقسام الأمة الإسلامية إلى فرق سياسية وخاصة بعد مقتل علي رضي الله عنه ، ولم يشهد هذا القرن تسميات للدلالة على سلوك البعض من القبيل الصوفي كدلالة معينة على سلوك البعض واتجاههم نحو الزهد والتقشف والانقطاع الذي يعتبره المتصوفة أساسا تاريخا عندهم بدأ مبكرا بل كان أكرم وأشرف ما يتمنى الورع التقوي الذي هو المسلم الملتزم بأحكام كتاب الله وسنة نبيه، ولم تكن اصطلاحات وتسميات : صوفي، وزاهد وعابد ومنقطع وصاحب مقام كذا وكذا مما لم يعرف في عصر صدر الإسلام قد نشأت بعد.

1- شاحت وبوزورث، تراث الإسلام (ترجمة فؤاد زكريا)، ج2، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1988، ص91.

2- Amin Hussein, le livre du Muslmans d'entre dans le 3^{ème} Millénaire
traduction Richard Jacquemond, Editions Casbah, Alger, 1997, p71.

غير أن بعض المؤرخين يرون أنه لما فش الإقبال على الدنيا في أواخر القرن الثاني الهجري، وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة المتاع الدنيوي، قيل للخوارج من المسلمين ممن لهم شدة عناية بأمر الدين (الزهاد أو العباد)، ثم لما اشتد ساعد الفرق السياسية وانقسمت فيما بينها وخرجت متأولة بعيدة عن منهج والتزام أهل السنة والجماعة من العلماء وجمهور الأمة، ونشب الصراع الفكري بين هذه الفرق دست كل فرقة على غيرها أخبار مجموعة من الزهاد والعباد الذين أحيطت سيرتهم بهالة من التقديس والتكريم دون أن يعرف أحد من الذين انتهت إليهم سيرتهم عنهم شيئاً أو أن يقفوا لهم على تراث أو رأي، الأمر الذي أدى إلى أن ينتهي في ظل الصراع جانباً منه مجموعة من العباد أطلقوا على أنفسهم أو أطلق عليهم اسم (المتصوفة) بحكم ما ميز مظهرهم وهو لبس الصوف في أغلب الأحوال، ومع ذلك لم يذع اسم (المتصوفة) ويشتهر على الألسنة ويتداول كمنهج في التبتل والانقطاع أو العبادة يخالف ما عليه جمهور الأمة قبل المائتين من الهجرة¹.

هذا ويقول عمر رضا كحالة في كتابه "الفلسفة الإسلامية وملاحقاتها" المطبوع في دمشق عام 1394هـ-1974م ورد لفظ (الصوفي) لقباً مفرداً في النصف الثاني للهجرة إذ نعت به جابر بن حيان الكوفي².

وكما يعرف ابن خلدون التصوف على أنه "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة" ويقول أيضاً ابن خلدون في هذا الصدد " فلما فش الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"، زد على ذلك سوء توزيع الثروة الذي أدى إلى فقر الأغلبية وغنى الأقلية وانغماس هذه الأخيرة في الملذات والتبذير وما نشأ عن ظاهرة الفقر الحقد وفساد الأخلاق والطباع، والثروات وانتشار نزعة التصوف الناتجة عن الاحتجاج على الأوضاع السيئة أو الفشل في الحياة، والصراع على الخلافة بين العلويين والعباسيين واعتزاز الأولين بأنهم أكثر قرابة للرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فهم الأشراف الحقيقيون، فكان هذا الشرف بالنسبة إليهم مصدراً للاعتزاز ومبعثاً لتقدير الناس، فكانت تجري لهم أرزاق خاصة وتسد إليهم المناصب الرفيعة كقنابة الأشراف وهذه الظاهرة منتشرة في مختلف الأقاليم الإسلامية شرقاً وهناك عوامل أخرى تتمثل في ظهور المعتزلة وانتشار فكرة خلق القرآن التي روجوا لها، ومحاولة المأمون إرغام الناس عليها، وتصدي الأشعري ثم الغزالي في الرد عليهم. وانحطاط منزلة رجال الدين وخوف هؤلاء من تدهور تعاليم الدين وخاصة عند انتشار الزندقة والفلسفة بسبب كثرة العصبيات الجنسية خصوصاً في العهد العباسي، يضاف لذلك شيوع التعصب لمالك والشافعي والحنفي والحنبلي، وتشدد أتباعهم في التمسك بمذهب واحد و معاً.

1- عبد الله الأمين، دراسة في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1986، ص243.

2- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العلمية، لبنان، ط1، 1993، ص517.

وقد انتقلت هذه المذاهب إلى المغرب العربي أيضا حيث وجد في المغرب المذهب الشيعي مع الفاطميين والشيعية من جهة العقائد والحنفي والمالكي من جهة الفقه، وظل الصراع شديدا بينهما حتى انتصر أخيرا المذهب المالكي في الفقه وفي الدين و العقائد، بالرغم من عودة المذهب الحنفي مع العثمانيين إلى الجزائر¹ وعلى أساس هذه الأفكار نستطيع أن نتبين بوجه عام ثلاث فترات كبيرة في التاريخ العام للتصوف:

الأولى تغطي القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام (أي القرن السابع إلى القرن التاسع للميلاد)، وهي فترة يمكن أن ندعوها فترة الصراع من أجل البقاء، وكان التصوف خلالها يبحث عن حقه في الوجود وفي التغلب على بعض الأحكام المسبقة التي كانت تعارضه بتشجيع من السلطات الرسمية التي يغلب عليها الحساسية والتشكك.

والفترة الثانية تتميز بمحاولة التوفيق بين التصوف وخصومه، وانتصاره انتصارا يرجع قبل كل شيء إلى رجل عبقرى هو الإمام الغزالي في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي.

والفترة الثالثة تتميز بانتشار المؤلفات الكبرى في التصوف (وتشمل الفترة الواقعة بين القرنين السادس والتاسع للهجرة، الثاني عشر والخامس عشر للميلاد) كما تتميز بدخول التصوف في عصر التدهور ابتداء من القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وستحدث عن الفترات بإيجاز شديد.

الفترة الأولى كما قلنا هي فترة البحث، إذا كان عنصر الزهد سائدا بين أصحاب الرسول، ويتمثل ذلك في الصوم، الإعتكاف والتفكير وأصبح الزهد في القرنين الأول والثامن للميلاد أكثر قوة وتنوعا، إلا أن الزهاد لم يكونوا قد انفصلوا بعد عن الجماعة فكانوا يعيشون بينها ويقومون بمهمة الوعاظ أو "المراقبة" لأحوال المجتمع.

ففي البصرة بصفة خاصة ازدهرت جماعة من الوعاظ عرفوا "بالقصاص" كانوا يحدثون الناس أينما كانوا ويقصون عليهم حكايات في أسلوب نثري مسجوع، ومن بين هؤلاء الزهاد الذين وهبوا أنفسهم للعبادة نجد بعض مقرئي القرآن الذين كانوا يخطبون في الناس ويحضونهم على التوبة، وقد عرف هؤلاء باسم "البكائين" في حين كان الوعاظ يقومون بمهمتهم في حماس شديد ويسهبون في التذكير بقرب قيام الساعة²، ومما أثر في التصوف وأدى إلى تطوره اكتظاظ الخلافة الإسلامية بمختلف العصبية الجنسية والطوائف الدينية مما جعل المملكة الإسلامية مسرحا للحزبات الناشئة بينها من أجل المناصب والامتيازات فأثر بالتالي على السياسة والدين والعلم ونشأت عنه مؤامرات سرية وقتال صريح أحيانا، وفي خضم هذه الحركات التي تروج بها الخلافة الإسلامية وما تحمل هذه الجنسيات من عادات وفلسفات مختلفة فارسية، هندية، يونانية تأثر الإسلام

1- مختار الطاهر فيلاي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، ط1 1976، ص13.

2- شاخت وبوزورث، المرجع السابق، ص96.

والمسلمون بهذه الديانات القديمة سواء منها السماوية أو الوضعية فتسربت إليه عادات واتجاهات جديدة كالقول بالحلول ووحدانية الوجود، والفناء في الله وغير ذلك من الفلسفات.

وهناك سبب آخر يتمثل في الفراغ الذي يسمح بالانعزال واتخاذ التصوف وسيلة للملئ الفراغ وإيجاد الراحة النفسية والطمأنينة وبالتالي الابتعاد عن الأوضاع الاجتماعية المتدهورة وأن الفروق الفردية قد تقوم بدور هام في ذلك حيث نجد البعض يعتمدون على قلوبهم أو عواطفهم وأذواقهم، وليس على عقولهم الصوفية من هذا النوع فهم يعتمدون على الذوق والكشف والإلهام¹، ولتقريب الفهم نؤكد استنادا إلى ما ذكره ابن خلدون ولو بطريقة غير مباشرة أن الإنسان البدوي هو أكثر قابلية واستعداد للتصوف، فنظرا إلى حياة التقشف والخشونة التي يعيشونها يخضعون في الميدان السلوكي إلى نفسانية خاصة بهم، وهكذا فإن بنيت الفرد النفسانية تخضع في نظر ابن خلدون كما أسلفنا الذكر إلى المحيط الجغرافي والاقتصادي خاصة، وهو المحيط الذي يحدق بالفرد ويضغط عليه، وباختصار فهناك تكافؤ في القوى بين الإنسان والطبيعة ويتحكم في هذا التكافؤ، أساسا شعور بالحرمان والعداء وهو شعور غالبا ما يكون كامنا².

وقد ساعد على تطور التصوف ظهور شخصيات قوية من المتصوفة أسسوا منها وطريقا معيننا للتصوف ووضعوا له مقامات ومراتب لا بد للسالك أو المرید من إتباعها، وأصبح للتصوف فلسفة خاصة واتجاه معين فقد وضع ذو النون المصري فكرة المقامات والأحوال مرتبا إياها على مراحل منها (التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا)، أما الأحوال فمنها (التأمل والقرب والمحبة والخوف والرجاء والمشاهدة) وتحصل المقامات في نظره بمجهود الشخص، أما الأحوال فتوهب من الله ولا حكم للإنسان عليها.

3.1 من أهم الشخصيات الصوفية

1. 3. 1- الحسن البصري (110هـ - 768م):

أهم الشخصيات التي ظهرت خلال القرنين بعد الهجرة هي دون شك شخصية الحسن البصري، أبي التصوف الإسلامي المتوفى عام 110هـ/768م، ويقوم مذهبه في التصوف والزهد على الشعور باحتقار الدنيا وقاعدته في الحياة لم يكن يستلهمها فقط من المجانبة الدقيقة لكل الأعمال التي تبدو موضع شبهة في نظر الشرع وذلك ما يعرف "بالورع"، بل كان يستلهمها أيضا وقبل كل شيء من الزهد في كل بحث إلى جانب الورع والخوف من الله والامتثال التام لأوامره ونواهييه.

وكان تأثير الحسن البصري على التصوف كبيرا جدا، والطرق الصوفية الإسلامية تعدده مؤسسها الأول، وجاء تلاميذه فساروا على طريقته، ووصل أولئك التلاميذ إلى درجة معينة من الوحدة فيما بينهم بظهور الجيل الثاني دون أن يظهروا عبادات دينية متميزة، وتكونت منهم جماعة من النساك عاشوا معا في عبادات قرب البصرة في

1- مختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص15.

2- عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، (ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص134.

القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وتنتمي إلى هذه الجماعة شخصية تكاد تكون أسطورية تعتبر بحق رائدة الحب الإلهي، وقد وضعها لويس ماسينيون (*Louis Massignon*) بأنها "أكبر قديسة في تاريخ أولياء أهل السنة" (على حد تعبيره) وسمع بها الغرب الأوروبي في العصور الوسطى من خلال كتاب "حياة القديس لويس" (*Life of Louis*) الذي ألفه جوانفيل (*Joinville*) تلك الشخصية هي:

3.1.2. رابعة العدوية (185هـ/801م):

هذه الشخصية كانت أمة معتقة، وكانت قبل ذلك تعزف على الناي، وظلت عازفة عن الزواج وأمضت حياتها الطويلة، إذ توفيت بعد أن جاوزت الثمانين معلقة بالحب الإلهي، وفي اعتقادنا أنه لا دخل للأسطورة في حياة "رابعة" لأنها كانت إنسانة، وذات وجود فعلي آثرت بعد أن قطعت مرحلة هامة من سنين الشباب، الانزواء على الناس، والقيام بنوع معين من العبادة إلى أن برزت صاحبة شخصية صوفية مؤثرة فأعجب بها الكثيرون من أتباع المذهب، وحفظ لها التاريخ تلك الشهرة الواسعة التي تقوم على كونها واحدة من كبار المتصوفين الأوائل الذين تركوا بصمات دامغة على عالم التصوف واعتبروا من رواده ومؤسسيه.

3.3.1. أبو يزيد طيفور البسطامي:

هذه شخصية أخرى من الشخصيات التي عرفت بالتصوف، وساروا على طريق الزهد والتقشف الهنديين، وهم يتظاهرون بلباس التقوى. ولد طيفور البسطامي بمدينة بسطام من أعلام فارس فنسب إليها وكان جده مجوسيا ثم اعتنق الإسلام مما كان له أثره الكبير على حفيده طيفور الذي ظل يتقلب بين المجوسية والإسلام منذ إدراكه وحتى وفاته التي كانت سنة 261هـ/874م.

ويعد البسطامي من كبار الصوفيين في بغداد إبان القرن الثالث الهجري، وهو القرن الذي بدأ بمذهب "الحب الإلهي" على نسق جديد، وانتهى بمذهبي "الاتحاد ووحدة الأديان" على يد الحلاج من متصوفة هذا القرن اختلاف الرواة في أبي يزيد وأحواله فمنهم من رأى فيه العابد الزاهد والصوفي الملتزم بأوامر الدين وحدود الشرع ومنهم من رأى عكس ذلك¹.

يعد متصوفة القرن الثاني أقرب إلى الزاهدين منهم إلى المتصوفين لما كان يغلب عليهم من طابع الرضى والتسليم ولكون الصوفية قد توجهت إلى الحب الإلهي، حتى بلغت في القرن الثالث شأنًا بعيدا، وصار لهذا الحب مفهوم جديد يختلف عما كان عليه من قبل، وتبرز هذه العناية عند المحاسين توفي سنة 243هـ الذي وضع فصلا خاصا بها، هو أشبه ما يكون برسالة تحدث فيها عن أصل حب العبد للرب، ولكن منذ أواسط القرن الثالث بدأ الكلام عن فناء المحب بالمحبوب وبقائه فيه، وهو الموضوع الذي أولاه عناية خاصة أبو السعيد الخراز الذي توفي سنة 286هـ، والذي قيل "أنه أول من تكلم عن الفناء والبقاء".

1- عرفان عبد المجيد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص189.

وهذا الفناء عن الحواس لم يلبث أن تطور عند الصوفية إلى حالة أخرى وهي الحالة التي يفقد فيها الصوفي وعيه فقدانا تاما. فأبو يزيد طيفور البسطامي صاحب الشهرة الواسعة في عالم التصوف أعتنق مذهب "وحدة الوجود" حتى انتهى به الحال إلى وثنية لا يبعد منها إلا نفسه التي استبدت بها الأهواء والنزاعات حتى باتت أقواله أشرف من الوثنيات القديمة عبد أبتاعها أصناما لا تنفع ولا تضر¹.

وكانت مدرسة الكوفة تعاصر مدرسة البصرة، إذ وجدت في الكوفة أيضا حامية عربية، وعلى خلاف مدرسة البصرة بما كان لها من نزاعات واقعية ونقدية كانت مدرسة الكوفة ذات مزاج مثالي تقليدي، وقد انتقل صوفية هذه المدرسة في جماعات إلى بغداد حيث كانوا جماعة تضم تلاميذ كثيرين وذلك في أوائل القرن الثالث هجري/التاسع الميلادي ونشأت في هذه الفترة دور للعبادة حول تلك المدينة.

وكان الحارث بن أسد (243هـ/857م) من أشهر رجال مدرسة بغداد هذه، وجاء لقبه "المحاسبي" من أنه كان شديد المحاسبة لنفسه، وتتميز طريقته باحترام كبير للمنقول والبحث الدائب طلبا لكمال النفس، كما تتميز بالاعتناء بالتعريفات الفلسفية الدقيقة وكان الأمر الأساسي في نظره هو تصحيح النية ومراعاة حقوق الله الواجبة على الإنسان في أنواع الأفعال الفردية أو الاجتماعية وهو كتابه "الرعاية لحقوق الله" يصف "قاعدة الحياة" التي ينبغي اتباعها، ويبين كيف أن محاسبة النفس ترد الثغرات التي قد تعرض للإنسان في عباداته، وأول ما يجب على العبد معرفته (والتفكير فيه) هو أن يعلم أنه عبد مريبوب لله تعالى، وينبغي له أن يكون مستعدا دائما لمواجهة الموت، ويتعلم كيف يحتقر الدنيا، ويقاوم غواية الشيطان، ويتغني في عمله وجه الله تعالى ولا يهدف من ذلك إلى إرضاء إرادته هو، وأن يتوجه إلى الله في كل أفعاله، وعليه أن ينتبه إلى نتائج أعماله إذا كانت تمس الغير، وأن يحرص على حفظ نفسه من العجب والكبر، ومن أن يحزن إذا أحس باحتقار الناس له وفي الجملة ينبغي على الإنسان أن يتعلق بالله ليلا نهارا.

وكان تأثير المحاسبي على الناس من حيث محاسبتهم لأنفسهم عميقا، واستمر هذا التأثير طويلا على الرغم من الهجوم الذي تعرض له من جانب المتمسكين بالنقل.

3.1.4. شخصية الجنيد (ت 298هـ/911م):

أما شخصية الجنيد الذي كان فقيها على مذهب سفيان الثوري وهو أول من تكلم على علم التوحيد في بغداد، ويعتبر صوفيا من علماء الدين الذين توقروا على القرآن والحديث ويعرف أتباعه بالجنيدية وأعداه العلماء شيخ مذهب التصوف، والذي كان أستاذ للحلاج وقد تأثر بآراء المحاسبي، كما أشاد به متكلم الأشاعرة على اعتبار أنه كان خليفة الإصلاح الذي نادوا به، وهكذا أصبحت بغداد شيئا فشيئا مركزا للكثيرين من المتمسكين بطريقة السلف والأدباء الذين تعاطفوا مع الصوفية وقد وضعت في اجتماعات هؤلاء

1- سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الاسلام، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط 4، 1993، ص 306.

أول مجموعة من الحكايات المتنوعة والنصوص التي تدور حول فضائل الصوفية وكان الحلاج أحد تلاميذة الجنيد، وهو من أصل فارسي وقد أنكرته مدرسة بغداد بسبب غلوه في آرائه.

5.3.1. شخصية أبو الغيث الحسين بن المنصور "المعروف بالحلاج":

وقد بدأت عنده الصوفية منذ كان في السادسة عشرة من عمره، عندما اتصل بسهل بن عبد الله التستري الصوفي المشهور، وراح يتتلمذ على يديه، ويأخذ عنه شدة مجاهداته وحمله على نفسه، وقد بقي على ذلك مدة سنتين لبس أثناءها خرقة الصوفية¹، وصوفية الحلاج تكمن في خصوصية رؤيته للوجود الذي اعتبر كل شيء فيه متصل بغيره كوحدة واحدة جامعة مهما تباينت الأشياء والأوصاف والمظاهر، ويبدو ذلك واضحاً في تعريفه الخاص للصوفي على أنه "وجداني الذات، لا يقبله أحد ولا يقبل أحدًا"، ولذا كانت صوفية الحلاج السلوكية والنظرية تبحر في الفناء المطلق من أجل سلطان الحق، وتبحث في دوائر لا منتهية، وانتشرت دعوة الحلاج في التصوف بين أهالي بغداد وبلاد فارس وانتشرت في الكثير من البلدان الإسلامية، واجتمع حولها وحول حامل لوائها الحلاج، الكثير من عامة الناس².

كذلك أفكار الحلاج عن الرسالة من أنها لا بد أن تنطبق في رأيه على كل إنسان بالإضافة إلى الكرامات التي يظهرها وربطته في نظر تلامذته بالأنبياء، كل هذه الآراء جعلت الأوساط الصوفية والفقهاء والسياسية تدينه فسجن وحوكم وقطعت رأسه في الرابع والعشرين من ذي القعدة عام 309هـ الموافق للسابع والعشرين من مارس 923م وقد خصص لويس ماسينيون (*Massignon*) مجلدين كبيرين لحياة الحلاج هما من أحسن ما كتب عن التصوف المقارن في هذا القرن (20م) ومن ملامح المذهب الصوفي القول بنظرية المنازل أو المقامات والأحوال، وقد تكلم في هذه النظرية بإجمال ذو النون المصري (245هـ/859م) أحد الزهاد المشهورين لينسب إلى أحميم بصعيد مصر، في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وربما يكون قد تأثر في ذلك بروحانية الزهاد والمتصوفة من الرهبان الشرقيين (نقول ذلك وفي ذهننا كتاب "السلم إلى الجنة" *Loudder to paradise* الذي ألفه القديس يوحنا فيما بعد (*st.Jhon Climacus*) وقد اتخذت هذه النظرية خلال قرون من التجربة صورة ثابتة لا تكاد تتغير.

والتصوف يجمع بين الزهد والتصوف في آن واحد، وهو يتطلب تصفية النفس التي تهيؤها للاتحاد مع الحقيقة الإلهية من يسلك هذا الطريق يمر في ثلاثة مقامات أساسية، مقام الطالب، ومقام السالك ومقام المرید، وهنا نجد الأقسام الكبرى للزهد المسيحي في الشرق.

ويتم سلوك طريق التصوف خطوة فخطوة، فالمتصوف لا يترقى إلى مقام أعلى من مقامه إلا بعد أن يكون قد مر بالمقامات السابقة عليه، وقد ذكر أبو نصر السراج، بعض من هذه المقامات، وهي التوبة ويضعها معظم

1- سميح عاطف الزين، المرجع السابق، ص403.

2- سميح السعيد، الحسين بن منصور الحلاج (حياته/شعره/نفره)، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 1996، ص50.

المؤلفين في التصوف في رأس القائمة على اعتبار أنها المقام الأول، ثم الورع وهو ينبغي أن يزيد (عند الصوفي) على ما لدى المؤمن العادي من هذه الصفة، ثم الزهد التام في خيرات هذه الدنيا حتى في الحلال الموجود منها¹.

6.3.1. شخصية أبو حامد الغزالي (450هـ-505هـ/1058م-1111م):

لا بد قبل الكلام عن أبي حامد الغزالي، معرفة ملامح العصر الذي عاش فيه، والحالة المجتمعية التي كانت سائدة إبان تلك الحقبة التاريخية، بدأت تلك الحقبة مع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، عندما كانت قد دخلت مجموعات من القبائل التركية واستقرت في إقليم ما وراء النهر، بعد أن دخلت في الإسلام وعرفت تلك القبائل باسم "السلجقة" لتنتقل فيما بعد إلى خراسان.

وبعض ملامح العصر السلجوقي الذي عاش الغزالي شطرا منه وزيادة للتوضيح نشير هنا، إلى أنه في ذلك العصر كان الاختلاط في الآراء، وتداخل في الثقافات أمرا واضحا جليا، فالفلسفة اليونانية يستدل بها في العقائد ويحتج بها في الدين، والثقافة الأعجمية تسود بأفكارها ومراميتها في الآداب والتعليم والخلافات الفقهية بعد التفسيرات الصوفية والتدوينات الفارسية، وأساطير اليهود والنصارى تراحم أخبار الأولياء وكرامات الصوفيين، ومن هذا الترويج والاختلاط تألفت تلك العقلية المتحللة وقد تعرف الغزالي إلى تلك الثقافات المتباينة جميعا، فكان لذلك تأثيره الملحوظ في توجيه أفكاره ومجهداته، ولذلك نراه يبحث عن الحق خارج ذلك المحيط الذي راج فيه ما راج من الفلسفات والنزاعات والضلالات، فيقرر في كتابه (المنقذ من الضلال) "إن الحق لا يعدو واحدا من أربع فرق هي الباطنية والصوفية والفلاسفة والمتكلمة"، إن ذلك الحق موجود في الصوفية دون سائر الفرق الأخرى.

والغزالي يرى بأن الصوفية إنما يسلكون طريق الله تعالى خاصة "فسيرهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق أخلاقهم أركى الأخلاق... فجميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"².

والفضل يرجع إلى أبي حامد (1058م-1111م) الذي استطاع أن يقوم بالإصلاح بين الفقهاء والمتصوفة، واستطاع الجمع بين التصوف والفقهاء، وهذا ما نجده واضحا في كتابه "إحياء علوم الدين" وهذا ما جعل ابن تيمية أحد فقهاء القرن 14م أن يلقبه بالمتصوف والمتفلسف³.

1- شاخت وبوزورث، المرجع السابق، ص102.

2- سميح عاطف الزين، المرجع السابق، ص403.

3 - Abdelghani Megherbi , le Monde Musman de la Naissance à la Renaissance, édition du parti, Alger, 1977, p69.

7.3.1. شخصية محي الدين ابن عربي (560هـ-628هـ/1124م-1240م):

هو محمد بن علي محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، من مواليد مرسية في الأندلس في أواخر شهر رمضان سنة 560هـ، درس الحديث والفقه وأخذ عن مشايخه من الأندلس، الذي خصهم بالذكر، أبو محمد عبد الحق وعبد الرحمان بن عبد الله الإشبيلي (الإمام)، حيث تعرف على علماء كثيرين ومتصوفين عديدين، كما سافر إلى المغرب حيث دخل إلى فاس سنة 590هـ، وعاد بعدها إلى غرناطة سنة (595هـ) ثم إلى مرسية وقد برز ابن عربي في الفترة التي كان المتصوف فيها قد استعاد مكانته على يد أبي حامد الغزالي بعد النكسة التي حلت بأهله. وهكذا فما كاد أبو حامد الغزالي يخلي هذه الدنيا حتى قيض للتصوف عالم صوفي آخر، لم يتمشى على منوال السابقين من الأقطاب والمشايخ فحسب، بل ابتدع من الآراء وابتكر من الأفكار، ما أدهش أهل صوفية زمانه أنفسهم، وجعلهم به ينشغلون، ويتعاليمه يقتدرون هذا العالم الصوفي كان محي الدين بن عربي الذي ما زالت كتب الصوفية تحفظ آثاره حتى اليوم، وما زال الصوفية يجلبونه، ويضعونه في أرفع مقامات شيوخهم وعلمائهم، حيث كانت لابن عربي رؤى غريبة، والحقيقة لم تكن رؤيا بل كانت مجرد تعبير عن حالة نفسية كان يعيشها، ويقول الدكتور مبارك: "إن الرؤية التي رآها ابن عربي فيها ما يقنع من يدعي أن المتصوفة بمقدوره أن يتخلص من عالم الحس هذه الرؤية التي غمرته في تيار الشهوات من حيث لا يريد، تدل على أن غرائزه المفهومة المصورة له في العوالم بصورة الخضوع المؤنث"¹. ويتبين أن ابن عربي كان له مطامع كبيرة للارتقاء في سلم المجد وقد اكتشف أن أمنياته تلك لا يمكن بلوغها إلا في عالم التصوف، فاندفع حتى كانت له على حد زعمه "العلوم العلوية-وعلم الأسرار- وخواص الكواكب".

وبات أسير هذه النزعة الصوفية والتي سيطرت على جميع بحوثه بما فيها بحوث الفقه ولا يفوتنا أن نذكر عاملا الذي كان أكثر تأثيرا في تطور التصوف ألا وهو الخلاف الشديد والعداء المستفحل بين الفقهاء والمتصوفة نتيجة تدخل السياسة في الدين، ومن عوامل هذا الصراع الذي استمر مدى قرون غلو الفقهاء في الشعائر الظاهرة وغلو الصوفية في الآمال الباطنية، واختيار الصوفية كل حين نوعا من القول يضايق الفقهاء كاختراع أبو يزيد البسطامي الفناء في الله ورابعة العدوية حب الله وذو النون المصري المقامات والأحوال، مما كان غريبا على الفقهاء، وكان الحلاج يقول بالحلول، نجد ابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني يقولون بوحدة الوجود، أضف لذلك أن بعض الصوفية لم يلتزموا بالشعائر الدينية على الوجه الأكمل بل قالوا، إن بلوغ درجة الولاية تحرر من المظاهر التطرف كما كان عليه سلف الصوفية، إلى جانب ذلك ادعاء الصوفية أن من يتصل بالله وبلغ الغاية في الفناء خضع له الكون وقوانينه، وجرت على يديه كرامات مقابل ما كان للأنبياء من

1- سميح عاطف الزين، المرجع السابق، ص453.

معجزات، زد على ذلك تسامح الصوفية نحو باقي الأديان حيث يرون أن النصارى واليهود والمجوس، وعبدة الأصنام إنما يعبدون الله مهما اتجهوا وكل الأديان ليست إلا طرفا يوصل إلى غاية واحدة وهي حب الله¹.

4.1. ظهور التصوف المغرب العربي:

اتخذ التصوف في المغرب مسار آخر وذلك بعد نشوئه بالمشرق العربي ثم انتقله إلى المغرب العربي ذلك أنه ارتبط أولاً بظهور الرباطات، وهي المواقع المخصصة لحراسة البلاد ضد أي عدوان، وغالبا ما تكون في الحدود والسواحل، ويطلق على الأشخاص الذين يلازمون الرباط اسم المرابطة أو المرابطين، ويكونون عادة من المتطوعين للجهاد في سبيل الله دون أن يكون لهم أجر مقابل مرابطتهم، أحيانا يلازمون الرباط مع عائلاتهم فكما أن الرباط يهدف إلى ملازمة الثغور على الحدود ضد أي هجوم مفاجئ، فإنه في نفس الوقت يعتبر المكان المناسب ليتفرغ المرابط فيه للعبادة والخلوة والطاعة والذكر.

ظهرت هذه الرباطات في المغرب الأقصى، قبل أن تنشر في سائر أنحاء المغرب العربي، عند قيام دولة المرابطين 1062م وهم من قبائل صنهاجية البربرية، ويعد يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلي لهذه الدولة وجعلوا مدينة مراكش عاصمة لهم، وهم أول من اتخذ الرباطات في المغرب العربي. وجعلوا أمكنة للممارسة الروحية والحربية، ثم تعددت الرباطات في المغرب العربي وقد ظهرت "الزوايا" بالمغرب حوالي القرن الثالث عشر ميلادي يأتي مرادفا للرباطة، والتي يعتزل فيها "الولي" ويعيش وسط تلاميذه ومريديه ومع ذلك فإن الزاوية أو الرباطة ليس في جميع الأحوال هي الرباط وهو منشأة تخدم غرضا آخر كان له في بادئ الأمر طابع حربي².

وقد لعبت هذه الرباطات دورا في نشر الإسلام ونشر التصوف وقد أخذ المرابطون التصوف من الإمام الجنيد عن طريق أحد تلامذته المغاربة، وبهذا يكون التصوف في المغرب العربي قد قدم من المشرق العربي. وقد استمر لفظ المرابط حتى بعد زوال دولة المرابطين، وأصبح اللفظ يعني به الرجل المتصوف أو الولي، لأن الرباطات التي كانت أماكن حربية قد تحولت إلى مأوى للمتصوفين للعبادة وصارت تلك الثكنات العسكرية سابقا أشبه بالزوايا لا غير.

رغم أن المرحلة التي تمتد من القرن 12 إلى بداية القرن 13م تمثل منعرجا حاسما للتصوف سواء في المشرق العربي أو المغرب العربي، فإن التصوف في المغرب العربي يتمتع بخصوصيات حتى ولو أن أصوله تعود إلى المشرق فلم يظهر التصوف في البداية كحركة دينية منظمة، ولم تكن هناك طرقا صوفية كما هو الحال في المشرق، إلا أنه يتأكد كاتجاه وتيار في المغرب العربي مع الولي سيدي بومدين شعيب بن الحسين، فقد أخذ أبو مدين التصوف في المغرب الأقصى من أبي يعزة الهزميري، وعلى بن هزريهم، والدقاق ثم في المشرق مع تلاميذ الجنيد والغزالي حيث التقى مع سيدي عبد القادر الجيلاني في مكة، وبذلك استفاد من نوعين من التصوف

1- سميح عاطف الزين، نفس المرجع، ص460.

2- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989، ص28

أحدهما مغربي عامي وآخر نجوبي من المشرق هذا التكوين المزدوج سمح له بوضع تصوف يكون في متناول كل سكان المناطق المغاربية، وحينما استقر في بجاية كان له مريدون وأتباع كثيرون، ومن أبرز الذين تتلمذوا على يديه نذكر منهم على الأخص ابن مشيش والشاذلي.

ومن هنا بدأ التصوف ينتظم في المغرب العربي وأخذ الأولياء ومريدهم يألفون جماعات صوفية، توسعت في كل المغرب العربي وامتدت إلى مصر والأندلس، وأخذت الزوايا تتعدد وتنتشر سواء من طرف الشيخ نفسه أو من طرف أتباعه.

لتصبح الزوايا لها مكانة سياسية في البوادي المغربية حيث أن الزوايا والأولياء يقومون بدور الحكام بين القبائل والعشائر، فهم يقومون على نقط الحدود لها أهميتها ويشير ذلك إلى وظيفة أساسية من وظائفهم وهي تعيين الحدود وضمان استقرارها¹.

وكانت المرحلة التالية هي تكوين المدارس الصوفية التي تتكون من حلقات من المبتدئين، وحين تحقق هذا التوافق كان التصوف لا زال هو الطريقة التي تعلمتها القلة فقط ولم يكن لدى العلماء السنيين أي إدراك لما كان يحدث حين وضعت بين الناس في شكل حركة شعبية ومن القرن الحادي عشر عملت الزوايا والخانقاوات التي وفرت أماكن راحة مؤقتة للصوفية المتجولين على نشر حياة التعبد الجديدة خلال الريف بدور حاسم في نشر الإسلام في المناطق الحدودية من آسيا وشمال إفريقيا.

وفي القرن الثاني عشر أصبحت الكثير من الخانقاوات غنية وازدهرت المباني، ويكتب ابن جبير الذي سافر في الفترة (1183 - 1185 م) في عصر صلاح الدين، من دمشق فيقول: "إن الرباطات الصوفية والتي تعرف باسم الخانقاوات، كانت عديدة وهي قصور مزخرفة تتدفق خلالها جداول المياه، وتعطي صورة سارة ممتعة قدر ما يرغب المرء في ذلك ..."².

فكانت الزوايا بالنسبة لسكان المغرب على غاية كبيرة من الأهمية لما كانت تقوم به من أدوار دينية، تعليم القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الروحية والأخلاقية، أيضا وجود اجتماعي بدليل قول الشعراي "وأعظم طريق إلى دفع البلاء النازل على الناس في حارة أو قرية أو زاوية مصالحة بعضهم البعض حتى لا يبقى بينهم شحناء"³.

وما لبث أن تطورت إلى تصوف فلسفي نتيجة مؤثرات وعوامل عديدة، وكان رواد الاتجاه الأول "التصوف السني"، ابن النحوي المتوفي سنة 513 هـ، في العهد الحمادي، وأبو مدين شعيب المتوفي عام 594 هـ/1197 م، وأبو زكريا الزواوي المتوفي 611 هـ وغيرهم في العهد الموحد، والذين ساهموا في تغذية التيار

1- سينسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص30.

2- ليليا بن سالم (وآخرون)، الأثروبولوجيا وتاريخ حالة المغرب، ترجمة عبد الأحد البشني، دار توبقال، المغرب، 1988، ص50.

3- محمد نسيب، المرجع السابق، ص29.

الصوفي أحمد بن عبد الرحمان النقاوسي وعبد الرحمان الثعالبي الذي كان تلميذ للنقاوسي، الذي اتصف بالزهد والتصوف، كما اتصف ابن رشد بالفلسفة، وابن خلدون بالتاريخ وعلم الاجتماع، وقد ساهم إبراهيم النازي أستاذ السنوسي في حركة التصوف بلسانه وقلمه وزاويته¹، وحتى محمد الفراوسني، عيسى البسكري، بركات القسنطيني كلها شخصيات عرفت في الشرق الجزائري، حيث أن الجزائر عرفت التصوف من زمن بعيد، ولكن العلماء أنكروا عليهم ولم يكن يومئذ شأن للصوفية إلى أن جاءت الدولة المؤمنية فنشرت المعارف (ونصرت الفلسفة) فظهرت من الصوفية رجال ارتفع صيتهم في الآفاق ولكن لقوة الدولة لم يتمكنوا من السيطرة على العامة حتى سقطت الدولة المؤمنية، وخلفتها دولة تنازع أمراؤها أمرهم بينهم، فضعت سلطاتهم، وعلت كلمة الصوفية فمثلوا أدوارهم مع العامة وكان ذلك مبتدأ انحطاط الجزائر في المغرب دينيا وسياسيا².

فإن الطوائف المتناسكة ذات الطبيعة المختلفة تماما أصبحت عديدة، رغم أنها لا تزال تحتفظ بشخصيتها والتجمعات لأفراد يقنعون طريقهم الخاصة حتى رغم ارتباطهم بالرجال المجريين، والبحث عن هدايتهم والذين نسبوا أنفسهم إلى مثل هذه الهداية أو هؤلاء المرشدين، وأفراد هذه الأماكن كانوا غير دائمين ومهاجرين وقد استخدموا الحد الأدنى، إذ أن قواعد الصحبة الصوفية كانت وأصبحت إلزاما دينيا.

لكن تكوين التجمعات المغلقة والصوفية خارج التنظيم المعتاد للإسلام مع تنظيم الطقوس "السماع" أو التوافق الروحي لها شارة الانجذاب الصوفي هو الذي كان بصورة أكثر احتمالا يثير رد فعل الرأي التقليدي في الدين أكثر من الأفكار المشبوهة. بينما الحاجة إلى هيئات تهتم بالربغبات الدينية بخلاف الشعائر المقدسة والمحددة بالشرعية، وهيئات الصوفية في الخانقات مع التشجيع الرسمي لنور الدين وصلاح الدين خيامهم وخلفائهم قد جعلت الهيئات الصوفية تحضي بالاحترام من طرف الأفراد لكن رغم هذا الترحيب بهذه الطريقة فإن التيار التقليدي أو السلفي أو الصوفي قد اتبعنا ليس فقط طرقا أخرى، ولكنها طرقا مختلفة ويتضح عن طريق التطوير العلمي الموازي للمدارس والخانقات³.

إلا أنه يعود ظهور التصوف إلى عدة مؤثرات منها الاتصال بالمشرق عن طريق الحج وتلمذ هؤلاء الرواد على مشايخ التصوف في المشرق والاطلاع على مذاهبهم واتجاههم وفلسفاتهم في هذا الميدان والتزود بالكتب والمؤلفات المهمة في هذا الشأن كرسالة القشيري، وقوت القلوب للمكي وإحياء علوم الدين للغزالي وغيرهم، كما تأثروا بالمذهب الشيعي الذي تسرب إلى المغرب الأوسط وبفكرة المهدي التي بنيت عليها الدعوى الفاطمية في المغرب وكذلك الدعوة الموحدية، كما أن الأوضاع المتدهورة سواء في المشرق أو المغرب تعتبر من العوامل الهامة التي أثرت في تطور التصوف في المشرق أو المغرب تعتبر من العوامل الهامة التي أثرت في تطور

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10هـ-14هـ/16م-20م، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص83.

2- محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص347.

3- سينسر ترمينجهام، المرجع السابق، ص32.

التصوف في المشرق والمغرب معا، حيث نجد أن المغرب الأوسط منذ الربع الأخير من القرن الثالث عشر (الميلادي) بدأت تسود فيه الفوضى والاضطرابات والثورات مما أدى إلى انعدام الأمن والاستقرار وتدهور الحالة الاقتصادية، ثم تلاها تفكك الوحدة المغربية وانقسام المغرب العربي إلى ثلاث دويلات ظلت تتناحر فيما بينها إلى مطلع القرن السادس عشر ميلادي، ويعود انتشار التصوف السني في بداية العهد الموحدى إلى الأمن والاستقرار اللذين تحققا في ظل الوحدة المغربية والسلطة المركزية تحت حكم الموحدين، وقد حفل المغرب الأوسط في هذه الفترة بشخصيات صوفية نخص بالذكر أبو مدين شعيب الذي يعد أول من أدخل تعاليم الصوفية المنتشرة في الجزائر وقد نزح أبو مدين من الأندلس إلى فاس ثم تلمسان التي اتجه منها إلى الحج حيث تزود هناك بتعاليم صوفية ثم عاد بعدها واستقر بالمغرب الأوسط، واختار بجاية مقرا له فكانت له شهرة واسعة ومكانة رفيعة، حيث تخرج على يديه المئات بل الآلاف من الطلبة الذين ادعوا الولاية وعملوا على نشر الكثير من الكرامات والخواص التي نسبوها لشيخهم وأستاذهم أبي مدين، وادعى بعضهم كأبي العباس قائلا: "جلت في ملكوت الله فأريت سيدي أبا مدين متعلقا بساق العرش... فقلت له وما علومك؟ وما مقامك؟ فقال: علومي أحد وسبعون علما، وأما مقامي فزابع الخلفاء ورأسي بالسبعة الأبدال....".

وقال عنه عبد الرحمان المغربي: "سمعت سيدي أبا مدين يقول: أوقفني ربي عز وجل بين يديه وقال لي: يا شعيب ماذا عن يمينك؟ فقلت يا رب عطاؤك، قال عن شمالك، قلت يا رب قضاؤك، فقال: يا شعيب لقد ضاعفت لك هذا وغفرت لك هذا فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك"، وهذا بعد عودته من الحج واتصاله بالشيخ عبد القادر الجيلاني، وتلمذ عليه في بغداد، حيث أعاد إليه خرقة الصوفية، ويبدو أن تصوف أبا مدين وغيره في هذه الفترة يشبه كثير من الخرافات والبدع التي ازدادت انتشارا وتوسعا بعده، فكان من الراجح أن هذه الشخصيات الصوفية، ومنهم أبو مدين شعيب، ساعدت على نشر فكرة الأولياء في المغرب الأوسط وخلقت الجمود وتسببت في انحطاط الحضارة الإسلامية والتخلف الفكري لدى طبقات الشعب العربي وبالتالي ساد الاعتقاد في الأولياء وفي كراماتهم، فازدادت سلطتهم الروحية واتسع نفوذهم وكثر عددهم في المغرب الأوسط¹، ومما مر معنا نخلص إلى القول بأن التصوف في البداية كان فرديا ويعني الاعتكاف على العبادة وإطراح الدنيا بما فيها من مال ولذة وجاه، والانقطاع إلى الله عز وجل، وبمرور الزمن أصبح جماعيا وخاصة منذ نشأة الطرق الصوفية، وقد بدأ بسيطا ثم تطور ليصبح فلسفة واتجاها معينيا في العبادة والسلوك ونتيجة لتأثره بمختلف العوامل انقلب إلى دروشة ثم زاد في الانحطاط حتى قيل عنه: كان التصوف حالا فصار مالا، وكان احتسابا فتحول إلى اكتساب، وكان تعففا فأمسى تكلفا، وكان تخلقا فأضحى تملقا.

1- مختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص20.

2. الطرق الصوفية

2.1. عوامل نشأة الطرق الصوفية:

إذا كان التصوف الإسلامي الذي نشأ منذ القرن الثاني الهجري في بدئه مقصورا على الحياة الزهدية القائمة على الاعتزال والتأمل فقط، تطور ليصبح منهجيا دينيا محددًا، واتجاها نفسيا وعقليًا معينًا، وظل كذلك إلى بداية القرن الثاني عشر ميلادي حيث ظهر نظام الطريقة عند هؤلاء المتصوفين المسلمين، فكان هناك الشيخ والمريد أو السالك، ونشأت بعض الحلقات من كبار الصوفية إما في حياتهم أو بعد مماتهم. وقد ظهر اهتمام المتصوفة بالسلاسل وخاصة بعد أن ضعف التصوف واحتاج الأمر إلى سند يجلب احترام المريدين وإعجاب الناس، وهذه السلاسل الكثيرة والتي أوردها المتصوفة تنتظم في سندها المتصوفين المعروفين من أول التصوف إلى وقت تنظيم الطرق الصوفية، ومن ذلك ما يورده ابن مريم في البستان عن أبي مدين شعيب قوله: "كرامات الأولياء نتائج معجزات سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى يسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين جل جلاله. وكذلك ما أورده الشيخ مصطفى باشا تارزي القسنطيني الكرغلي عن الطريقة الرحمانية وسندها حيث يذكر ما يروى عن خمسة وثلاثين شيخًا صوفيا¹.

وقد تميزت هذه الطرق الصوفية عن التصوف القديم، حيث أنها تنبت طابعا خاصا وأسلوبا معينًا ومحددًا في الوصول إلى الفناء والشهود، وهي في ذلك تختلف عن طابع وأسلوب غيرها وإذا كان بعض هذه الطرق قد أسس قبل الغزو المغولي 656هـ (1258م) فإنها تعددت وانتشرت وتشعبت منذ القرن الرابع عشر ميلادي، وفي أنحاء العالم الإسلامي، وكان أول من نادى بها وأسسها آل شيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد، حيث كان التصوف في أساسه صوفية تأملية وعاطفية، وهو كتنمية منظمة للخبرة أو التجربة الدينية فهو ليس نظاما فلسفيا، رغم أنه طور مثل هذا النظام، ولكن "الطريقة" وهي طريقة التطهير وهذه الناحية العلمية وقد انتشرت التعاليم والممارسة في أنحاء العالم الإسلامي خلال نمو طرق خاصة والتي نشرت بين الناس وسط التعاليم الدينية، وكحركة دينية فقد تعرضت لنواح كثيرة.

إن تأسيس الطرق الصوفية أو الفرق هو النظام والعلاقة بين الشيخ والمريد وقد كان طبيعيا إلى أن تقلب لسلطة وإرشاد أولئك الذين انتهجوا مراحل "مقامات" الطريق الصوفي، ويقول شيوخ الطريقة إن كل إنسان قد ورث بداخله إمكانية تحرره من النفس والاتصال بالله - عز وجل - ولكن هذا يكون كائنا وساكنا ولا يمكن إطلاقه إلا عن طريق إشرافات خاصة منحها الله لمن يشاء بدون إرشاد من مرشد، كان الشيوخ الأوائل أكثر اهتماما

1- مختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص33.

بالتجربة أو الممارسة عنهم بوضع النظريات النيوصوفية، ولقد استهدفوا الإرشاد بدلا من التعليم، موجهين المرشد إلى طرق التأمل وبها يكتسب بنفسه استبصار الحقيقة الروحية ويكون محصنا ضد أخطار الأوهام¹. لقد ظهر اتجاهان متقابلان مميّزان هما، الاتجاه الجنيدى والاتجاه البسطامى أو العراقى أو الخوراسانى ولكن يجب أن يؤخذ بجديّة شديدة أو يسميان مدارس فكرية وذلك باسم كلا من أبى القاسم الجنيد وأبى يزيد البسطامى اللذين أحاطا بالتخييلات أو التصورات أكثر من أي من معاصريهم، وقد اعتبر هذان على أنّهما يجسدان التقابلات بين الطريق الصوفى القائم على التوكل والطريق القائم على السلامة بين الغيبة والصحو بين الأمين وبين المشتبه، بين الإشراف والالتزام بين الخلوة والصحبة، بين التأليه الشامل والوجدانية، بين الهداية فى ظل مرشد من أهل الدنيا والهداية فى ظل شيخ روحى - رغم الاختلافات بين تعاليم البسطامية والجنيدية عن الآداب الصوفية- فإنّ الجنيد قد اعتبر شيخ الطريقة، وهو الجد المشترك لمعظم جماعات الصوفية اللاحقين وحتى رغم أنّ كثيرا من الفرق تابعت تعاليمها ابتداءيا وهراقطية، فإنّ إدخاله فى أصول هذه الجماعات كان ضمنا، فالاستقامة ومراعاة الجذور للإسناد الصحيح يمكن أن يدعم العديد من المرطقات.

كانت هذه الجماعات مفككة متقلبة للغاية، وقد سافر أعضاؤها على نطاق واسع بحثا عن الشيوخ، وكان بعضهم يكتسب بطريقة والبعض الآخر استعان بالصدقات، ولكن وجدت الأوقاف التي عملت كمراكز لهؤلاء المتجولين، وفي المناطق العربية ألحق الكثير من هذه الأوقاف بمواقع الحدود أو الفنادق المسماة أربطة، أما فى خرسان فكانت مرتبطة بالاستراحات أو الخنقاوات - جمع خانقاة- بينما كان الآخرون القائمون بالرياضة الروحية (الخلوة أو الزاوية) كل هذه المصطلحات جاءت لتعني مقرا أو مكانا للموجه أو المرشد الروحي².

2.2. خصائص ومميزات الطرق الصوفية:

إن من بين أهم خصائص و مميزات الطرق الصوفية:

أ. **لبس الخرقة:** إذا كان الطريق يقوم على شيخ ومرشد بينهما عهد فإن أهم خصائص الطريق لبس المرقعة أو الخرقة الصوفية، ويكاد يجمع أصحاب الطرق الصوفية المختلفة أنهم أخذوا الخرقة من فلان عن فلان فى سلسلة عننة طويلة تنتهى إلى الإمام علي كرم الله وجهه. ويقول الهجورى وقد أمر مشايخ هذه الطريقة المرشدين بأن يتحلوا بالمرمعات ويتزينوا بها وفعلوا هم ذلك لتكون لهم علامة بين الخلق ويكون الخلق رقباء عليهم، فإذا خطوا خطوة على خلاف، يطلقون فيهم لسان الملامة، وإذا أرادوا إتيان المعصية فى تلك الثياب، فإنهم لا يستطيعون الجلاء من الخلق.

1- سبتر ترمنجها، المرجع السابق، ص25.

2- المرجع نفسه، ص28.

ويقول صاحب ظهور الحقائق (العطاس): "وإذا أراد الشيخ أن يلبس المرید الخرقه فليتطهر ويأمره بالتطهير، ثم توضع الخرقه بين أيديهما ويقرأ الفاتحة ويلبسها الشيخ بيده المرید قاصدا بذلك الإنابة عن الله تعالى ورسوله ثم يذكر له نيتهما كأن يقول ألبسهالك كما ألبسني إياها شيخني فلان... إلى آخره"

ب. الذكر: إذا كانت الخرقه من خصائص الطرق الصوفية وميزاتها الظاهرة، فإن الذكر أيضا من أهم تلك الخصائص والمميزات وقد اعتمد سند تلقين الصوفية لمديريهم على سند تلقين الرسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه (لا إله إلا الله) جماعة وفردى، والذكر من أهم الوسائل إلى الوصول إلى الله تعالى¹. يقول القشيري في رسالته، الذكر ركن قوي في طريق الوصول إلى الحق سبحانه تعالى، بل هو العمدة في الطريق القويم ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر. ويتحدث التستري عن ثلاثة أنواع من ذكر:

1- ذكر اللسان / 2- ذكر بالقلب / 3- ذكر الخاصة وهو الذكر الموصل، والنوعان الأول والثاني يدخلان في نظر التستري في دائرة المقطوع والثالث وحده الذي لا يقدر عليه إلا النخبة الممتازة في الحياة الروحية، إن هذا النوع الخاص من الذكر هو واجب كلية القلب بوقوفه متسلما في حضرة الله الدائمة.

ج. السماع: يقصد بالسماع الغناء والموسيقى وهي الضابط للإيقاع وإنشاد الشعر والمنظومات والغناء والرقص والتمايل. ونلمس طرقا كثيرة تنشأ الأدوار الموسيقية بمذاهبها المختلفة في مجالسها الصوفية حتى أنه أصبح للتغني في مجالس الصوفية طريقة خاصة وضحتها بعضهم حيث يقول إن الصوفية درجوا منذ القديم على أن يبدؤوا مجالس الذكر: بـ (لا إله إلا الله) وتعرف عندهم بالأرضية ويأخذ (الرسيم) الذي هو رئيس المجلس في التدرج بالذاكرين أثناءها من الراس (الرصد) إلى الدوكة إلى السيكا إلى (الجهركاء) إلى الحجاز ثم الرهاوي فالكردي فالبياتي فالصبا. ولقد أصبحت حلقات ذكر الله تعالى سماعا موسيقيا وإيقاعات رتيبة فوجدنا بعض أبناء الطرق الصوفية قد ولعوا بالنقر والضرب والعزف والغناء.

د. المولد: من أهم ما ترتب على قيام الطرق الصوفية ظهور وانتشار تلك الموالد المتعددة للاحتفال بذكرى شيوخ الطرق وأولياء الله الصالحين. وإذا كانت الموالد تقام لإحياء ذكرى رجال الإسلام وأعلامه فالمفروض أن تكون مناسبات تدعيم وتجديد للقيم الإسلامية والروحية لا تكون بهذه الصورة المشوهة التي تصحب إقامة الموالد وتعد ورقة رابحة في يد أعداء الطرق الصوفية وليس العيب إقامة المولد، بل هو عيب التنظيم والإعداد².

1- عامر النجار، الطرق الصوفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون سنة، ص ص 40-46.

2- عامر النجار، المرجع نفسه، ص ص 64، 65.

3.2. وظائف الطرق الصوفية:

لقد قامت الطرق الصوفية منذ ظهورها إلى اليوم بأدوار غاية في الأهمية وكان لها عظيم الأثر في شتى المجالات مما يدل على خطورة المهام وسنحاول أن نرسم صورة تأليفية عن الوظائف التي تنهض بها دينيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

أ. الوظيفة الدينية:

هناك وثيقة صلة بين التصوف الطريقي والأماكن التي تحتضنه كالزوايا والخانقاوات والرباطات ومن هنا كانت صعوبة الفصل بين الطرق الصوفية والأماكن التي تمارس فيها أنشطتها إذ لا يمكن أن تنفصل الطريقة عن الزاوية مثلا باعتبارها مؤسسة دينية قبل كل شيء فهي مكان تمارس فيه الأعمال الملازمة للتصوف من تربية ورياضة، وبذلك تنهض بدور مكمل إلى جانب المسجد.¹

وكذا الحفاظ على الإسلام والقران الكريم وظلت المكان الذي يلتقي فيه المريدون لمشايخ الطرق الصوفية لأخذ الأدوار أو طريقة الذكر وكذا تعليم الفقه والعلوم الدينية هذا من الناحية الدينية.²

وامتازت الزوايا في التصوف الطريقي باستعارتها خاصية الحرم من الحرمين مكة والمدينة الذين يحرم فيهما القتال والصيد، فإذا كان مصطلح الحرم مقتصرًا على المدينتين المقدستين فقد زيد في معناه حتى تشمل أماكن العبادة وطبق على الزاوية أيضا، فهي بهذا الاعتبار حرم آمن للناس وللحيوان فكثيرا ما يتخذها الخائفون ملاذا وقد يكون اللجوء إلى الزوايا لجوءا جماعيا. وما يتصل بالوظيفة الدينية التي تنفرد بها الزاوية تلبسها صفة البركة التي تدلل على أهمية رجال التصوف في المجتمع ومنزلتهم الدينية في نفوس الناس مما حمل هؤلاء على إسقاط أهمية الرجال على أمكنة وجودهم أحياء أو أمواتا.

ب. الوظيفة الاجتماعية

تفهم الوظيفة الاجتماعية للطرق الصوفية من تصور رسخ في التصوف الطريقي فحواه، أن الشيخ الصوفي يأخذ على عاتقه مسؤولية تلبية حاجات الجماعة فذلك من مقتضيات الولاية قبل كل شيء ولا يتاح له ذلك إلا إذا تميز بمجموعة من (الصفات أهمها حماية الناس وتحمل أعباءهم وحل مشاكلهم ورعاية مصالحهم). وقد قامت الطرق الصوفية بتقوية الروابط الاجتماعية بين المريدين الذين ينتمون إلى القبيلة الواحدة فانضافت إلى روابط الانتماء القبلي روابط الانتماء الطريقي فتعاضدت القرابة والطريقة لتزيد الروابط الاجتماعية التحاما ومتانة، ذلك أن ما تقيمه الطرق من أعياد سنوية واحتفالات دورية للذكر الصوفي.

1 - محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، 2007، ص46.

2 - زيناح سعيدة، بوخودوني صبيحة، الزوايا من منظور سوسيو ثقافي، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 01، جامعة الأغواط، 2007/2006، ص 56.

إن تلك الأعياد والاحتفالات تنشئ علاقات جماعية متينة جدا فهي تنمي وتوثق علاقات اجتماعية أخرى سائدة كعلاقات القرابة والجنس والعرق والحبي والصنف الاجتماعي وغيرها¹. وكانت تعمل على إقامة العدالة الاجتماعية بين كل فئات المجتمع ومن وظائفها الاجتماعية الصلح بين الناس وفك النزاع بينهم فلو أخذنا على سبيل المثال النزاع الخاص بأموال الميراث فكثير من الأفراد لديهم نزاع من هذا النوع يلجؤون إلى الخليفة أو مقدم الزاوية يطرحون عليه المشكل، ويعمل المقدم جاهدا لفك هذا النزاع وذلك بالاستناد إلى الكتاب والسنة، وتعد الزاوية الصوفية مؤسسة اجتماعية مقترنة في الأغلب الأعم بالإطعام حتى صارت ملازمة له ذلك أن إطعام الطعام رمزا للبركة.

ج. الوظيفة التربوية

تقوم الزوايا بوظائف تربوية والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والذكر فهذه الوظيفة لم تنزل فالزوايا تعمل على إنشاء المدارس القرآنية (أو الكتاتيب) لتعليم الناس وخاصة فئة الأطفال². بإمكان الدارس لتاريخ الزوايا في الجزائر أن يرى فيه ثلاث مراحل أساسية: مرحلة مقاومة الاستعمار وهي أكثر المراحل ازدهارا ومرحلة الثورة المنظمة، ومرحلة ما بعد الاستقلال حيث استطاعت زوايا ومدارس القرآن التابعة لطرق الدرقاوية والتجانية والقادرية والرحمانية أن تكون مركز إشعاع علمي وديني ومراكز أيضا لإيواء المقاومين، فعلى سبيل المثال عبد القادر بن محي الدين خريج زاوية درس فيها التوحيد والفقه والنحو والصرف والبلاغة والآداب ثم أصبح فارس الميدان يخوض المعارك مع الضباط الكبار الذين درسوا فنون الجيش المنظم

لقد عمل الاحتلال على تخريب وتدمير أهم مدرسة وأكبر زاوية وأقوى معهد وقصد إلى ذلك الجنرال دوماس إذ قال: أنه في سنة 1849 لم تبق أي مدرسة ثانوية تقريبا على وجه التراب الجزائري لذا حملت الطرق الصوفية هم التعليم في الزوايا في المدن والجبال والأرياف وحملوا مشعل الثقافة من جديد وكان أهم ما قامت به هو المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وحفظه في صدور أبناء المسلمين كتابة ورسمًا وتلاوة وتجويدا³. ويقول بن خلدون في هذا الموضوع " وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القبروان الذين نشروا القرآن والسنة ومبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر ، وبذلك تم إسلام البربر وأصبحت لغتهم العربية ... وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة الأولى من علماء الدين في القبروان وفي المغرب كله أمثال أسدن بن الفرات⁴.

1- محمد بن الطيب، المرجع السابق، ص- ص 165-168.

2- زيراح سعيدة وبوخدوني صبيحة ، المرجع السابق ، ص 67 .

3- نجيب بن خيرة ، الزوايا في الجزائر وفريضة التعليم الغائبة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد08، قسنطينة، مطبعة البعث، 2001، ص 162 .

4- الطالب بن عبد الرحيم بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص 13.

2.4. أهم الطرق الصوفية

- **الطريقة الشاذلية:** يرجع تأسيس هذه الطريقة الصوفية إلى أبي القاسم الجنيد الذي تأثر به الشيخ شعيب أبو مدين الأندلسي الفقيه الشهير الذي انتشر صيته خلال ق12م في كافة العواصم الإسلامية وقد تتلمذ على يد الشيخ عبد السلام بن مشيش المغربي الأصل وفي الحقيقة يرجع منبع الشاذلية إلى هؤلاء العلماء الذين تأثر بهم الشاذلي إلى آرائهم وأفكارهم لتكوين الطريقة الصوفية المعروفة بالشاذلية¹. وكان تأسيسها الفعلي على يد المتصوف الشهير الشيخ أبو الحسن المعروف بالشاذلي (1196م-1258م) نسبة إلى شاذلية بتونس، الذي كان فيها مبدأ ظهوره وانتشار دعوته، ولد بقرية "غمارة" القريبة من مدينة "سبة" في المغرب الأقصى²، تلقى الطريق عن أبي عبد الله بن مشيش 'ويقال أيضا بشيش باللباس' طاف ببلدان المغرب العربي و أدركته المنية وهو في طريقه للحج، ببلدية القصير على شاطئ البحر الأحمر في قرية يقال لها حميره وله ضريح يزار ويتبرك به، وتعتبر الطريقة الشاذلية المتصلة بالإمام أبي القاسم الجنيد من أسلم الطرق الصوفية وأقربها إلى السنة، انتشرت زواياها في المشرق والمغرب، وله أتباع ومريدين منتشرين في الجزائر وعدة أقطار أخرى، وفي المغرب الأقصى تعتبر الرسمية إلى جانب المذهب المالكي في الفقه والعقيدة الأشعرية في التوحيد، وقد انفرد بعض شيوخ هذه الطريقة بإنشاء زوايا على اسمهم، وأشهرهم الشيخ علي النور الشرطي الذي ولد بتونس (1793م-1898م) وبعد أن طاف بالبلدان العربية استقر أخيرا بمدينة "عكا" في فلسطين، حيث أسس زاوية سنة 1862م وانتشرت الطريقة الشرطية في بعض البلدان الشامية مما أزعج الحكومة العثمانية فأمر أحد الولاة العثمانيين بنفي الشيخ الشرطي إلى قبرص، فأقام فيها ومن معه ثلاث سنين، وسعى الأمير عبد القادر للإفراج عنه، لكنه لم يلبث وأن تجددت حركته، فنفتهم الحكومة العثمانية إلى ليبيا وأعيدت إليه حريته، فرجعوا إلى طريقتهم واستمروا على ذلك حتى توفي عام 1898م وقبره في زاويته بـ"عكا" بفلسطين والطريقة الشرطية أصبحت اليوم كطريقة مشهورة، ولها أتباع ومريدون كثيرون في سوريا وقد أصبحت الزاوية الشرطية اليوم من جملة ما صادره اليهود من أراضي المسلمين ومقدساتهم وأوقافهم، ثم آلت مشيخة الطريقة إلى ابنته فاطمة الشرطية التي استقرت ببيروت، ثم بعد وفاتها إلى الأستاذ أحمد الشرطي الذي جمع بين الثقافتين العصرية والدينية³.

1- عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء، الطباعة الشعبية للحيش، صدر عن وزارة الثقافة، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص100.

2- أحمد النقشبندي، الطرق الصوفية، تحقيق: أديب نصر الله، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 1992، ص40.

3- زيراح سعيدة، الطريقة في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية في المجتمع الجزائري المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص علم اجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2، 2013/2012، ص154.

• طريقة درقاوة الشاذلية:

طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الشاذلية المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسين علي الشاذلي، المتوفي 656هـ-1258م تلميذ وخليفة الشيخ عبد السلام مشيمش الذي تتلمذ بدوره على يد أبي مدين شعيب صاحب المقام الأول في نشر تعاليم الجنيد الصوفية وتعاليم الشيخ عبد القادر الجيلالي، ويعتبر أبو مدين الرئيس الأقدم للطرق الصوفية المنتشرة بالجزائر، ويرى العلماء أن الطريقة الشاذلية أو الدرقاوية أو غيرها من الطرق الدينية الأخرى في المغرب العربي تعد كإرث روحي لأبي مدين الشعيب، وقد سميت بدرقاوية أو الدرقاوية نسبة إلى مؤسسها الشيخ العربي بن أحمد الحسين بن محمد بن يوسف الملقب بـ: "أبو درقاوية" الشريف الأريسي. وقد ولد العربي بن أحمد الدرقاوي في قبيلة بني زروال بضواحي مراكش بعد عام 1150هـ-1737م اشتغل كمدرس في مدرسة في فاس، ويتردد إلى دروس الصوفي علي بن عبد الرحمان الجمال الفاسي، أخذ الشيخ السلسلة التي تمتد إلى أبي مدين شعيب الذي أعطى دفعة جديدة للطريقة الشاذلية حققت لها الانتشار في المغرب بعد أن انصرف الناس عنها إلى الطرق الأخرى كالطيبية، ويرى الكثيرون أن علي بن عبد الرحمان الجمال هو المؤسس الحقيقي لطريقة "درقاوي" وقد أصبح العربي الدرقاوي تلميذا ومرشدا ثم صديقا وخليفة لابن عبد الرحمان الفاسي، حيث حول هذا الأخير إليه كافة سلطاته الروحية قبل وفاته، وقد اشتهر العربي الدرقاوي باستقامته والزهد في متاع الدنيا واحتقار السلطان والوظائف وذلك ما أوصاه به شيخه السابق الذكر كما كانت أعماله مطابقة لمبادئه، بمجرد أن تسلم السلطة الروحية من شيخه بادر في تأسيس زاوية له ومريديه، في طريقة جديدة وضع لها نظمها وقواعدها الخاصة، وانطلق في نشر دعوته الدينية المستمدة من تعاليم الشاذلية، فحقق نجاحا كبيرا، حيث ازداد أتباعه بسرعة في جميع المناطق المغربية وخاصة في شمال المغرب الأقصى والمناطق الغربية من الجزائر كوهران ومستغانم وتلمسان وتيارت، ويتميز أتباعه عن غيرهم بالحلية الطويلة ولبس الخرق والعقد ذو الحبات الخشبية وحمل العصا وكان الواحد منهم يُكنى بـ أبو دربالة. وقد لعبت الطريقة دورا سياسيا هاما في المنطقة حيث أُلحقت تشجيعا كبيرا من سلطان المغرب الأقصى مولاي سليمان الذي اتبع في سياسته الاعتماد على رجال الدين والأشراف بتقريبهم إليه، فكان انتشار اتباع الطريقة بالمغرب الأقصى وغرب الجزائر بمثابة حصن يحمي سياسة سلاطين مراكش من خطر الأتراك بالجزائر، ونظرا إلى أن نظام الطريقة يدعو إلى السلم والابتعاد عن الاضطرابات والمشاركة في الثورات ضد الحكام، فقد حاول العربي بن أحمد الدرقاوي 1220هـ-1805م عن طريق الرسائل والمبعوثين أن يعيد حلية عبد القادر بن الشريف "الذي قام بثورة عارمة على الأتراك في غرب الجزائر" إلى الخط الأكثر اتساقا مع نظم الطريقة، إلا أنه لم يفلح وعاد إلى زاويته "بويريح"، وتوفي عام 1239هـ-1823م ودفن بزوايته بويريح التي أسسها بنفسه، وقد ظلت هذه الزاوية الأم تتمتع بسُلطان إداري وروحي على سائر الزوايا الفرعية¹.

1- مختار الطاهر فيلاي، مرجع سبق ذكره، ص55.

● **الطريقة القادرية:** تنسب هذه الطريقة للشيخ الفقيه الورع والزاهد التقي عبد القادر الجيلاني وتشير الدراسات والمصادر التاريخية أن أول طريقة صوفية عرفها شرق إفريقيا هي الطريقة القادرية وكان أول داعية للطريقة القادرية الشيخ حسين بن عبد الله المعين حيث قدم من مكة المكرمة إلى زنجبار والتي كانت تعتبر مركزا حضاريا لكل شرق إفريقيا وكان أولى أولوياته عند وصوله زنجبار مؤخاته الشيخ علي بن عمر الشيرازي ذي الأصول الإفريقية وقد تمكن بفضل هذه المؤاخاة من التوسع والانتشار في أواسط الأفارقة حتى وصلت إلى منطقة (ريفيجي) وخلفه على الطريقة الشيخ عويس بن محمد والذي يعتبر عند الكثير من المهتمين بالشأن الإفريقي المؤسس الفعلي للطريقة القادرية ولد هذا الأخير في الصومال عام 1846 وتلمذ في مدارسها القرآنية وأخذ الطريقة على الشيخ عبد الرحمن الزيلعي، ثم سافر إلى العراق وفيها أجزى بعلم المعقول والمنقول والسلوك والتصوف على يد الفقيه مصطفى سليمان وأذن له بنشر الطريقة في شرق إفريقيا وبعد سلسلة من الاتصالات والمراسلات بينه وبين ثالث سلاطين زنجبار السيد برغش بن سعيد زار زنجبار عام 1884م وبعد استقراء ودراسة لطبيعة الحياة في زنجبار تبين للشيخ الاستقرار في زنجبار وعاد فعلا إليها عام 1897 ليستقر بها وبشكل نهائي، ولقد كللت إقامة الشيخ بالنجاح لدرجة أن الإدارة الألمانية والتي كانت قد سيطرت على داخلية البر الإفريقي قد أوجست خيفة من وجود الشيخ خوفا من إعلان الجهاد ضدها وبعد وفاة الشيخ عويس خلفه في مشيخة الطريقة الشيخ عمر بن قلتين من منطقة براوي وهو صومالي أيضا وكان على جانب كبير من العلم والتقوى والجهاد ضد المستعمر سلك بالطريقة القادرية مسالك أخرى مكن للطريقة أكثر مما كانت عليه من قبل حتى وصل عدد الزوايا التي أسسها إلى ستة وعشرين زاوية ورباط، ومن زنجبار أرسل أتباعه وتلاميذه إلى كل من دار السلام وليندي وطابورا ودودوما وأجيجي، كما كان لنجله الشيخ علي بن عمر بن قلتين الفضل في توسيع نطاق الطريقة إلى كل من مالواي وزامبيا وموزنيق¹.

● **الطريقة الرفاعية:** هي طريقة صوفية ينتشر أتباعها في العراق ومصر وسوريا وغرب آسيا، لهم راية باللون الأسود تميزهم عن باقي الطرق الصوفية. تُنسب إلى الفقيه الشافعي الأشعري، أحمد بن علي الرفاعي (512 هـ - 578 هـ) الملقب بـ "أبو العلمين" و"شيخ الطرائق" و"الشيخ الكبير" و"أستاذ الجماعة". - رحمه الله تعالى- وتعتبر من أقدم الطرق الصوفية وصولا إلى زنجبار ومن ثم شرق إفريقيا، وكانت حضر موت المنفذ الوحيد لهذه الطريقة من خلال المهجرات المتتالية إلى شرق إفريقيا، إلا أن هذه الطريقة أصبحت تعاني من قلة الأتباع والمريدين لصعوبة الطقوس وعنفها وعدم موافقتها للشرع الحنيف، هذا من جهة ومن جهة أخرى هجرة الهنود والبلوش من زنجبار تحديدا.

1- عبد الحق محي، الحركة الصوفية وأثرها على الإسلام، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين أيام: 25/24/23 نوفمبر 2006، عين ماضي، الأغواط، ص 06.

* سمي بالجرجري نسبة إلى جرجرة موطن قبيلته وبالأزهري لتلمذته بالجامع الأزهر.

● **الطريقة الأحمدية الإدريسية** : نشأت الطريقة الأحمدية الإدريسية على يد الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي المغربي الأصل المتوفي عام 1837م ثم قام أحد المريدين ويدعى الشيخ محمد بن صالح المتوفي عام 1916م بتأسيس فرع لها في الجزيرة العربية ووجدت هذه الطريقة سبيلها إلى الصومال ومع بدايات القرن العشرين اعتنق أحد أبطال الصومال القوميون الطريقة الإدريسية مما زاد من شعبيتها ونظرا لتواجد الصوماليين بكثرة في زنجبار إما للدراسة في أربطتها ومدارسها أو للتجارة إلا أن أحد الشيوخ الزنجباريين ويدعى الشيخ أحمد بن حامد سافر إلى صعيد مصر ليتعرف على الطريقة بنفسه وهناك التقى بالشيخ أحمد الدندراوي وقد بذل هذا الأخير وسعه لكسب المريدين وتوسيع نطاق الطريقة المكاني من خلال المدارس القرآنية والمزارع إلا أن هذه الطريقة ظلت ضعيفة مقارنة بالطرق الأخرى كما يعتبر شيوخ الطريقة الدندراوية أعلى شيوخ الطرق الصوفية ثقافة وأغزرهم علما.

● **الطريقة المجذوبية** : الطريقة المجذوبية كغيرها من الطرق الصوفية عبارة عن منهج لعبادة الله سبحانه وتعالى وهي تربية أو مجاهدة النفس لتهذيبها من أدران الحياة المادية وخلصها من أمراض القلب والتخلي عن الصفات الذميمة والتخلي بمكارم الأخلاق حتى يصبح الفرد مستعدا للفيض الرباني كما يقول الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين " الطريقة بما تعلمت أيها المرید من علوم الشريعة لتقطع منازل السير إلى الله فتصل إلى الحقيقة " وكانت الطريقة القادرية الجيالالية هي أول طريقة دخلت السودان على يد الشيخ عبد القادر الجيالالي (1077-1166) في القرن الثاني عشر الميلادي ثم دخلت في إفريقيا القرن الخامس عشر وفي عام 1577 جاء الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي الصوفي القادري من مكة حيث أدخل القادرية.

ولكي نفهم الطريقة المجذوبية وتعاليمها الصوفية يحسن أن نسلط الضوء على مؤسسات الطريقة التعليمية فالخلوة تعتبر أول وحدة تعليمية ظهرت خلال حياة محمد بن عبد الله الدامر وكان مدرسا بها ، من جهة أخرى فإن هيكل النظام التعليمي عند المجاذيب هو مدرسة العلوم الصوفية التي بدأت مع الحاج عيسى الذي قام بتعليم مبادئ الصوفية لعدد كبير من الناس دون الاعتماد على سلسلة صوفية معينة ، وقد اتبع عبد الله المجذوب وابنه نظام يتمثل في الصبر والإيمان والروع وغيره من الأمور الأساسية للانخراط في السلك الصوفي ويكون التلميذ دائما ملازما ومرافقا لأستاذه والفقير الكبير يعتمد على عدد من العلماء والشيوخ وتمويل هذه العمليات التعليمية يعتمد في المقام الأول على أبناء أسرة المجاذيب، وكان فقهاء المجاذيب يتخصصون في فروع العلوم المختلفة منها حفظ القرآن الكريم الفقه اللغة العربية من نحو وصرف وأدب.

وباختصار ساهم المجاذيب في الحياة الثقافية في السودان بشكل عام وفي الدار بشكل خاص وكانت مدارسهم مأوى لكل طالب علم وكانت الحلقات عندهم شبيهة بما يجري في الأزهر الشريف ، وكان فقهاء المجاذيب على دراية واسعة بالثقافة الإسلامية¹

1- عبد الله عبد الرزاق ، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية ، دار الثقافة، القاهرة ، ط 1، 2004 ، ص. ص 119.120.

● **الطريقة السنوسية:** أسس الطريقة الصوفية السنوسية محمد بن علي ابن السنوسي الخطابي الإدريسي المهجري وقد ولد الشيخ السنوسي في سنة 1202هـ (1787-1788) بالقرب من مستغانم في دوار طرش الموجود بين قرية سيرات وجبل ينارو - أي دائرة يبل الحالية¹.

وتوفي عام 1276هـ-1859م بليبيا وقد نشأ في أسرة علم ودين وتنقل في أسفاره بين بلدان المغرب والمشرق وتعرف على أوضاع العالم الإسلامي، ودرس العوامل المؤثرة في انحطاط المسلمين، وكان للسنوسي اهتمام بعلوم كثيرة إلى جانب الاشتغال بالتصوف كالفقه والتفسير والحديث والأنساب والتراجم والسياسة وعلم الفلك والمناظرة وله وذلك كتب ورسائل، غادر محمد بن علي السنوسي الجزائر إلى فاس عام 1237هـ-1821م وتعلم في فاس على مشايخ القرويين وغيرهم وفي عام 1829م غادر البلاد متجها إلى الحج، وكان يتوقف في الطريق وقد انتصب للتدريس في بعض البلدان مثل الأغواط، حيث درس الفقه والنحو ونزل عين ماضي وأخذ ذكر التيجانية ودخل الجلفة والسحاري ومسعد وبوسعادة حيث كانت الحملة الفرنسية تنزل بالجزائر وواصل الطريق، فمر بتماسين حيث الزاوية التيجانية ومر بوادي سوف ومنه دخل إلى جريد تونس ثم طرابلس وبرقة، ثم نزل بمصر وقرأ بالأزهر وأخذ الإجازات العلمية وأذكار الطرق الصوفية. وقبل الذهاب إلى مكة، كان الشيخ السنوسي قد أخذ مجموعة من الطرق الصوفية في المغرب الأقصى والجزائر منها: القادرية، الشاذلية والتيجانية.

وأسس الشيخ السنوسي زاوية على مشارف مكة وأخذ ينشر طريقته الجديدة التي ترجع إلى الخضرية - القادرية وكان قوي الشخصية غزير العلم مستقلا في رؤية مبتعدا عن الحكام والسياسة². ويتضح أن الحركة السنوسية نجحت في إصلاح المجتمع البدوي، حيث تكون في الصحراء مجتمع متعاون متكافل تسوده روح الأخوة والسلام كما نجحت في إقامة سلطة تمسك بزمام جميع الأمور وتشرف على الفرد والجماعة وتعمل على تحقيق أهداف الحركة، ولم تفرض هذه السلطة نفسها بالقوة على الأفراد وإنما تبعوها راضين من أنفسهم بها، كما تميزت بأنها حركة سليمة شعارها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنها حركة جددت في المفاهيم الإسلامية وفتحت باب الاجتهاد وخلصت الصوفية من الشوائب التي علق بها، وعملت على نشر الكتاب والسنة بين المسلمين³.

● **الطريقة التيجانية:** تنسب إلى الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ محمد بن المختار بن سالم التجاني (1737-1815م)⁴ يرتفع نسبة إلى محمد النفس الزكية، أمه عائشة بنت عبد الله بن السنوسي الماضي نسبة إلى قرية عين ماضي وهي تبعد 70 كلم بالجنوب الشرقي من بلدة الأغواط جنوب الجزائر، والتجاني نسبة

1 - عمار هلال، المرجع السابق، ص 127.

2 - عبد العزيز شهري، الزاوية والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار غرب، وهران، 2007، ص 134-135.

3 - عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 233.

4 - علائي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط، الصادر من طرف وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص 68.

إلى قبيلة (التواجنة) بني توجين عشيرة أحواله وبهذه النسبة اشتهر اسمه أحمد التجاني، نشأ نشأة علمية دينية فحفظ القرآن الكريم طفلا صغيرا وقرأه برواية نافع، ثم تعاطى الفنون والعلوم الإسلامية المتداولة يومئذ بين الناس من علوم القرآن واللغة والفقه، وفي سنة 1166هـ-1753م توفي أبواه أمه بالطاعون في يوم واحد فدفنا هناك بعين ماضي وبقي الشيخ تحت رعاية أحواله وانتقل من بلده راغبا في لقاء الرجال والاستزادة من العلم وسنه 21 سنة فجال في البلاد حتى بلغ المغرب الأقصى ونزل بفاس فسمع بها الحديث وحضر مجالس ودروس علمائها ثم توجه إلى جبل العلم لأخذ علم القراءات بالتجويد وهناك ولي عنايته إلى الناحية الصوفية فاجتمع بمشائخ التصوف، هذا وإن للتجانية أتباع هذه الطريقة فضلا عظيما في نشر الإسلام ببلاد السودان والقطر السينيغالي وبلاد الغابون من أرض الكونغو وغينيا وفي أواسط بلاد الزنوج 1 ، وقد أوردق Rinn في الإحصاء الرسمي سنة 1882م أن عدد الزوايا التيجانية في الجزائر بلغ 17 زاوية و100مقدم و11082 مرید، وإذا كانت التيجانية لم تنتشر في الجزائر فقد توسعت خارج حدود الجزائر وخاصة في السودان كما ذكرنا سالفا حيث استطاعت أن تلعب دورا كبيرا في نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين السود ، ويشير Rinn إلى ذلك بقوله: وفي عام 1830م لاحظ حكام السنيغال الفرنسيون في تقاريرهم الرسمية ازدياد انتشار الإسلام في إفريقيا الوسطى 2. انتهاء كلام Rinn

● **الطريقة الرحمانية:** هي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الخلوتية، ونسبت إلى مؤسسها الشيخ "محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري الأزهري المولود *حوالي 1720م، من قبيلة" آيت إسماعيل التي كانت جزءا من حلف قشتالة في قبائل جرجرة، وزاول دراسته الأولى بمسقط رأسه بزواوية "الشيخ الصديق وأعراب" في بني ايراثن ثم واصل تعلمه في الجزائر العاصمة وفي عام 1552هـ، 1739م توجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج وأثناء عودته استقر بالجامع الأزهر فترة طويلة مترددا على عدد من العلماء وشيوخ التصوف أمثال الشيخ "محمد بن سالم الحفناوي" وقد أصبح "محمد بن عبد الرحمن" مريدا وتلميذا له حيث أدخله الطريقة الخلوتية وعهد إليه أكثر من مرة بالقيام بمهمة الدعوة الدينية في الهند والسودان، حيث أطل فيها الإقامة (السودان). وبعد غياب طويل عن وطنه دام أكثر من ثلاثين عاما عاد إلى الجزائر عام 1183هـ، 1769م، تلقى الأمر من شيخه "الحفناوي" بالعودة إلى بلده والقيام بنشر الدعوة الخلوتية، وبمجرد وصوله إلى مسقط رأسه "آيت إسماعيل حتى أسس زاوية وشرع في الوعظ والإرشاد وبث دعوته الدينية الجديدة ونشر الطريقة وقد التف حوله جموع الناس من سكان جرجرة، ولقيت دعوته إقبالا ونجاحا كبيرين وسرعان ما أصبح له أتباع ومريدين، وقد انتقل بعد ذلك إلى "الحامة" بالجزائر العاصمة. 3

1- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، سنة 1995، ص 52.

2 - Loui Rinn , Marabou et khouan, Adolphe Jourdan, Libraire- éditeur, 1884, p290.

3- مختار الطاهر فيلاي، مرجع سبق ذكره، ص 40.

و لا يعرف السبب الحقيقي الذي حمله على مغادرة مسقط رأسه، و قد يعود هذا التنقل إلى فرار من خصومه المرابطين في المنطقة - مسقط رأسه - الذين ناصبوه العداة لما حققه من نجاح أصبح يضايق نفوذهم و قد يعود أيضا إلى أنه تأكد من رسوخ تعاليمه، و قد أسس في الحامة زاوية لنشر تعاليم الطرق الخلوتية إلا أن نشاطه سرعان ما أثار ضده معارضة شديدة تزعمها المرابطون تارة و العلماء تارة أخرى.

وأخيرا تمكنوا من إرغامه على المثول أمام مجلس العلماء آملين في إصدار فتوى توقف دعوته، إلا أن المجلس أصدر فتوى لصالحه إذ برأه من تهمة الزندقة والانحراف وقد ثار سكان بلده حينما علموا أن الشيخ في محاكمة، ومن جهة أخرى أن شهرته كولي وعالم أكسبته أنصار كثيرون في العاصمة، فربما يكون هذان العاملان مساعداً في تبرئته فتساهل الأتراك في إصدار الفتوى لصالحه.¹

وهناك عوامل أخرى تفسر المعارضة التي تلقاها الشيخ "عبد الرحمن" منها:

- أن "عبد الرحمن" من الريف و نرح إلى المدينة فصار يزاحم أهل الحضر و يضايق نفوذ المرابطين وأهل النفوذ.

- ثانيا، هو خوف الأتراك منه لأن قبيلته الموالية لغشتالة ثارت ضد الأتراك و هي التي كانت معارضة دوما للحكم المحلي. وقد عاد "عبد الرحمن" إلى مسقط رأسه بلده "آيت اسماعيل" و لما شعر بدنو أجله عين خليفته وهو "سي علي بن عيسى" و أوصاهم (تابعيه) بطاعته و الاستماع له و منحه كافة أسرارهم ولم يتم نشر دعوته في الجزائر العاصمة فقط، بل كانت الدعوة حتى في المشرق الجزائري، فلقد عين الشيخ أيضا خليفته في قسنطينة وهو الشيخ "مصطفى بن عبد الرحمن بن الباش ترزي الكرغلي"، فقام هذا الأخير بنشر تعاليم الطريقة في الإقليم الشرقي على أيدي مقاديم أشهرهم "محمد بن عزوز" في واحة البرج قرب بلدة طولقة.

و لقد توفي الشيخ "عبد الرحمن" عام 1208هـ-1793م تاركا خلافة الطريقة لرجل من أصل مغربي، وأغلب الظن أن يكون هذا الاختيار لأنه لم يجد في أسرته أو أحد مواطنيه من يتمتع بالقيم الروحية وقادرا على مواصلة الرسالة مثل تلميذه المغربي² ، أو أنه خشي النقد أن يجعل خلافة الطريقة الرحمانية وراثية، وبالتالي تتعرض لمشاكل من بعده، لكن رغم معارضة الأتراك ووقف الزوار فإن الطريقة ازدادت نجاحا واتسعت دائرة نفوذها، ولما خشي الأتراك من أتباع الشيخ نقلوا جثمانه من مسقط رأسه الزاوية الأم "آيت إسماعيل" إلى الحامة لكي يكون الضريح مراقب لأن الزوار ستحول أنظارهم إلى الجزائر العاصمة، وتم ذلك بالفعل فلقد دفن الشيخ بالحامة في احتفال مهيب ثم بنو عليه مسجدا وقبة ولقب الشيخ فيما بعد بـ "بوقبرين"³، وقد استطاع خليفته الأول - "علي بن عيسى" - الذي بقي مدة ثلاثة وأربعين عاما: 1208 - 1251هـ يدير الزاوية الأم بكل حكمة ونجاح، واكسبت الطريقة انتشارا كبيرا، سواء في وسط البلاد أو شرقها وجنوبها إلا أن وفاته

1 - مختار الطاهر فيلاي، مرجع سبق ذكره، ص 43.

2- Loud Rinn: op.cit,p459.

3- ibid.P456.

أفقدت الزاوية الالتصام والوحدة، حيث لم يستطع بسط هيمنتهم على مقادم الزوايا البعيدة ، ومما يذكر هنا أن الطريقة الرحمانية تزعمت الثورات في العهد الفرنسي وساندت الطرق الأخرى وتميزت بنشر التعليم في زواياها. وهناك طرق أخرى نذكرها بإختصار مثل :

- **الطريقة الحبيبية الدرقاوية الشاذلية:** طريقة صوفية تفرعت عن الشاذلية بدأ في نشر تعاليمها في مدينة الأغواط الشيخ موسى بن حسن المصري كان هذا سنة 1929م تردد على حلقاته العديد من فقهاء وأعيان وعامة المدينة.
- **الطريقة الصوفية العزوية:** طريقة صوفية تفرعت عن الرحمانية وتنسب إلى الشيخ بن عزوز المولود بالبرج قرب مدينة بسكرة، خلف الشيخ محمد بن عزوز أولاد منهم الشيخ لحسن الذي كان خليفة الأمير عبد القادر في منطقة الزيبان والشيخ مصطفى العُدُو اللدود للفرنسيين منذ سنة 1849م وإليه يعزى تأسيس الزاوية الرحمانية بالمنطقة والتي كانت تأوي اللاجئين والمطرودين من الجزائريين أما الشيخ المبروك فقد انسحب إلى مدينة الأغواط وأسس بها الطريقة العزوية الرحمانية منذ خمسينيات القرن التاسع عشر بعدما ضايقه الفرنسيون في منطقة الزيبان.
- **الطريقة الهبرية البلقاندية:** تفرعت عن الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وتنسب إلى محمد الهبري العزاوي الزوالي نسبة إلى بني زروال وهو عرش من ولاية مستغانم الجزائرية وتأتي زاويته في الأهمية بعد الزاوية العلوية والزاوية البوتشيشية المغربية وتنسب إلى الشيخ محمد بلقايد الهبري الإدريسي التلمساني الجزائري، وله زاوية تسمى زاوية سيدي معروف وهي معلم من معالم الطريقة البلقاندية الهبرية، شرع في تدشينها منذ حياة الشيخ محمد بلقايد بنجله وخليفته من بعده محمد عبد اللطيف بلقايد وتم إنجازها وتدشينها خلال عام 1420هـ
- **الطريقة العيساوية:** وهي التي أسسها الشيخ محمد بن عيسى 872-933م ارتحل بها والده إلى مدينة فاس ليتعلم القرآن الكريم، فخالط الشيوخ وعاشهم وتلقى علومهم، ثم قصد قبيلة سفيان حيث التقى الشيخ أبا العباس أحمد بن عمر الحارثي المكناسي صاحب الشيخ القطب محمد بن سلمان الجزولي، وأخذ عنه الطريقة بالعهد والصحة، وللطريقة العساوية زاوية كبيرة في مدينة تونس تدعى شيحة باسم شيخها "عيسى شيحة"
- **الطريقة الشابية:** صاحب هذه الطريقة الشيخ بن مخلوف، نشأ في بلدة" الشابة" ثم انتقل إلى مدينة تونس طالبا للعلم، ففضى فيها أعواما، وتوفي سنة 803هـ فخلفه على المشيخة ولده محمد الكبير.¹

1- زيزاح سعيدة، مرجع سابق، ص ص 161 162 163 بتصرف.

5.1. أنواع الطرق الصوفية:

تعددت أنواع الطرق الصوفية إلا أننا نميز نوعين اثنين أساسيين بارزين¹:

النوع الأول خلواتي: يدعي شيوخها وقادتها المعرفة بأسرار غيبية خاصة والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يلقبون "بالمريدين" أو "الإخوان" أو "الفقراء" وهذا حسب اختلاف المناطق والجهات والأعراف فيفرضون عليهم أذكار خاصة ومعينة ليتلوها في خلوات خاصة معزولة حتى يفتح الله عليهم ثم يخرجونهم ليصبحوا مريدين حقيقيين وبعد ذلك يفرضون عليهم أذكارا أخرى "الورد" يتلوها يوميا بصورة جماعية غالبا بعد صلاة المغرب ويدخل في بادئ الأمر المريد إلى مكان صغير أو ضيق ومظلم نوعا ما، يفرض عليه الشيخ اسما أو صفة من صفات الله تعالى يرددها باستمرار وبعينين مغمضتين فيخرج بذلك مريدا أو فقيرا أو قندوزا قاطعا العهد لشيخه على ألا يتراجع وأن يستمر على ولائه له وللطريقة والدعاية لها.

وعندما تكون الزاوية ميسورة الحال ماديا تقوم أحيانا بتعليم العلوم الدينية وتحفيظ القرآن الكريم، وقد يقوم شيخ الزاوية بهذه المهمة بنفسه.

ولزاما على كل مريد أن يتقيد بأوامر شيخ الطريقة وأن يمد يده ويضعها على يدي الشيخ، ويكون هذا بمثابة عهد يقطعه المريد على نفسه بأن يكن الاحترام الكامل والخضوع التام للشيخ والطريقة، وأن لا يتقطع عن زيارة الزاوية والشيخ، كما يصبح بذلك للمريد شعورا جديدا يتمثل في ارتباطه الذهني والنفسي بالشيخ، ويبقى هذا الأخير أحب إليه من نفسه وأهله. ويجتمع شيخ الطريقة مع جميع مريديه بمقر الزاوية بمناسبات دينية كالأحتفال بالمولد النبوي الشريف لأمر تلقاه الشيخ في رؤية منام.

وتسمى هذه اللقاءات بالجمع حيث تقدم فيه أنواع من المأكولات ويكون طبق الكسكسي هو المفضل لدى الجميع وبعد الانتهاء من الأكل يقوم المريدون بمعية شيخهم إلى "الحضرة" والحضرة في اعتقادهم نوع من العبادة يتحضر فيها ويغيبون عن وعيهم ويرون ما يرون.

وفي الحضرة يقومون بتكوين حلقة يؤدون حركات برؤوسهم وأجسادهم مرددين...الله حي وممسكين بأيدي بعضهم البعض ويستمررون على هذا الحال إلى أن يغمي عليهم، بعدها يقوم أحد المريدين برشهم بالعطر ليستفيقوا. وقبل مغادرة الزاوية يقوم المريدون بجمع الهدايا النقدية أو العينية وتقديمها للشيخ. **2**

النوع الثاني: غير خلواتي:

في هذا النوع لا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية ولكن يتخذون لأتباعهم وردا معينيا خاصا من الأذكار يتلوها بعد صلاة ويقومون بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية أما بأنفسهم أو بواسطة بعض المثقفين من أنصارهم وأتباعهم ويمكن اعتبار هذه الطرق غير الخلواتية بمثابة كتابات قرآنية ولها دور مهم في

1-Loui Rinn , Marabout et khouan, ob,cit,p291.

2- يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و20، مجلة الثقافة عدد 63 السنة 1981، ص-ص 10-17.

نشر الثقافة بالجزائر، إلا أن هذا النوع قليل جدا، ويكاد يندثر لانصراف الناس إلى المدارس والجامعات والمعاهد.

وغالبا ما يكون لشيخ الطرق الصوفية ثقافة محدودة جدا لكن نفوذهم وتأثيرهم كبير جدا على أتباعهم ومريديهم فيها يفرضونه عليهم من الأذكار والأوراد والتسابيح، واستفاد هؤلاء الشيخ من بعض المثقفين الذين انضموا إلى صفوفهم في كتابة وتأليف كتب دينية في الزهد والتصوف وبعض أبواب الفقه بأسمائهم وعلى ألسنتهم.

3. ظهور الزوايا

3.1. تعريف الزوايا:

عن لفظ الزاوية كما يعرفها ابن منظور في كتابه لسان العرب مأخوذة من الفعل "زوى" وقولنا زويت الشيء أي جمعته وقبضته و الزاوية حقا تجمع الناس وتقبض على مشاكلهم وتعيد إليهم روح المحبة و المصالحة ، كما أنها تبث فيهم روح الانتماء إلى الوطن و أداء واجباتهم الدينية في الزاوية ومسجدها ، فكأن الزاوية في هذا الصدد تزوي أي تجمع ما تفرق وتعطي وتوضح وتيسر ما لم يستطيعوا أن يقفوا عليه ، وذلك معنى الحديث الذي أورده صاحب اللسان "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها" بمعنى زويت لي الأرض أي جمعت، وفي دعاء السفر : "إزو لنا البعيد أي اجمعه واطويه " فالزاوية وحدة الزوايا أي التي تجمع وتحيط بكل شيء وعن أبي عمر كان له أرض زوتها أي أرض أخرى أحاطت بها¹ .

ولعل من اجتهد لحفظ القرآن يأخذ ركنا بعيدا في المسجد أو البيت عن الضوضاء فيقال المنزوي للتلاوة و الحفظ أو العبادة فنحن نجد فيها جميع الأشياء التالية أو الكثير منها: غرفة للصلاة بها محراب ضريحا لأحد المرابطين أو لولي من الأشراف تعلوه قبة ،غرفة مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، ويلحق بالزاوية عادة غرفة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها، ويقول دوماس أن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة² .

والزاوية عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام وبنائها يختلف عن بناء المسجد والمنازل، قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرضات قليلة النوافذ.

وإذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة بالإضافة إلى ذلك كثيرة الرطوبة والعتمة وشكلها يوحي بالعزلة والتقفش والهدوء، أما الزوايا المعدة لسكن الطلبة فكانت واسعة وصحية، والشجرة التي تتم تحتها نفس الممارسات والأعمال تسمى زاوية.

1- قدور إبراهيم عمار، زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها ونشأتها، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط11، 1997، ص 125 .

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سبق ذكره، ص 61-69.

بكلمة واحدة وباختصار ، كل أماكن اجتماعات أتباع الزاوية و أين يمارس المسلمون صلواتهم وكل عباداتهم تسمى زوايا¹.

2.3 . نشأة الزوايا وتطورها

فكرة الزاوية أثيرت في نفوس المسلمين لأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد بدأ حياته منزويا للعبادة في غار حراء وهو كهف في زاوية من جبل مكة وهنا يؤدي العبادات التأملية و الزهدية يميل إلى الخلوة و البعد عن الضوضاء وهرج المدينة وصخب الشوارع ، وإن كان ذكر الله تعالى يعم كل مكان ويملاً كل موضع لكن التأمل و العبادة لهما الأثر فتتقطع نحو الأماكن الخالية أو العالية أو البعيدة أو النائية² .

لقد ترك خلفاء المسلمين حاجة المعتكفين للانزواء فانشئوا لهم مساكن ملحقة بالمسجد ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى ابينة صغيرة منفصلة في جهات من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل به من العلوم النقلية والعقلية كما يعقد فيها مشاريع الطرق الصوفية حلقات الذكر³ .

الزاوية ليست ظاهرة حديثة العهد فيرجع تاريخ نشأتها إلى القرنين الرابع و الخامس وقد شيدت رابعة العدوية زاوية في القرن التاسع ميلادي في المشرق العربي وانتشرت في المغرب العربي في نهاية القرون الوسطى ومطلع العصر الحديث مع انتشار الزهد و التصوف وخاصة في القرن 17م ولانتشارها أسباب متعددة منها ما يرجع للمعتقدات القديمة وموجة انتشار التصوف التي عمت بلاد المغرب، و إقبال الناس على المرابطين، وظهور السلالات الشريفية التي هربت من المشرق وفرار المسلمين من الأندلس خوفا من التنكيل بهم من طرف المسيحيين و أصبحت مركزا انطلاق عدة ثورات ولعبت دورا كبيرا في المقاومة ضد الاستعمار في القرنين 19م و 20م⁴. الأصل في الزوايا هو "الرباطات" وهي الثغور التي يربط فيها المسلمون بحراسة حدود الدولة الإسلامية من ناحية ومن ناحية أخرى من اجل نشر الإسلام في مختلف بقاع العالم ، وقد نشأت الرباطات التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم "الزوايا" في بلاد المغرب الإسلامي منذ العهود الأولى للإسلام.

والزاوية من المؤسسات التي خصت بالدراسة كظاهرة تربوية ثقافية أو كظاهرة اجتماعية، مؤسسة الزاوية والتي كانت أهم محضن تعليمي في الجزائر وفي المغرب العربي ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا، بينما قسمها اصطلاحا

1 - محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، 1964، ص 123/124.

2 - قدور إبراهيم عمار، مرجع سبق ذكره، ص 16.

3 - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الأندلس، بيروت، ج4، ط1، 1967، ص 423 .

4 - محمد بن هلال، الملتقى الوطني للقادرية حول حقيقة الصوف، من 26 إلى 29 مارس ورقلة 2002 ، الأمل للطباعة، ورقلة، 2005، ص36.

إلى ثلاثة أنواع، زوايا تلقي فيها الدروس، وزوايا ملاجئ للطلبة والعلماء المغتربين والفقراء وأبناء السبيل، وزوايا مزارات لضريح عالم أو رجل صالح¹.

كما ذهب محمد بن مرزوق التلمساني إلى حد اعتبارها مؤسسات اجتماعية محضة حيث يقول في بيان حد الزوايا "والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين"²، والمقصود بذلك هي الزوايا من النوع الثاني حسب التقسيم السابق. وفي القرن الثامن للهجرة (14 ميلادي) انتشرت الزوايا بالمغرب وأنشئت بها كتاتيب لتحفيظ القرآن وتعلم الدين ومبادئ العلوم، الأمر الذي حدا بملوك بني مرة أن يطوروا هذه الكتاتيب إلى مدارس وكليات ليسهموا في الحركة العلمية بجانب جامعة القرويين بفاس وغيرها من مدارس الزوايا داخل المدن وخارجها.

تطورت الزوايا بالمغرب في القرن التاسع الهجري (15 ميلادي) حين اشتدت وطأة النصارى على المسلمين في الأندلس وامتدت إطماعهم إلى احتلال السواحل المغربية وضعفت الدولة عن الدفاع عن البلاد، أخذت الزوايا تدعو إلى الجهاد ومقاومة الأجنبي، وبلغت أوج ازدهارها في القرن العاشر الهجري (16 ميلادي) حين وقعت جنبا إلى جنب في الجهاد مع أسرة الشرفاء السعديين ضد المسيحيين المحتلين وطردتهم من الثغور المغربية أما في القرن الحادي عشر للهجرة (17 ميلادي) أصبح عددها يقرب عدد المساجد أو يفوقها واختلط فيها أمر الصالحين بمدعي الصلاح من ذوي الأغراض الفاسدة والمشعوذين³.

ومن الناحية الوظيفية تبين أن من الزوايا ما أنشئ للتربية الروحية و للعبادة الصوفية كزوايا الصوفيين الذين ينقطعون فيها للعبادة والتصوف وحدهم أو مع مریدهم، ومنها ما أنشئ بهدف تعليمي كزوايا العلماء التي كانت ترتب فيها دروس الفقه وغيرها، وكانت متسعا لمناقشات حرة بين العلماء غير متقيدين بعلم معين وساعدهم على ذلك أن بعض الزوايا كانت كبيرة يؤمها الطلاب وكثيرا ما كان العلماء و الفقهاء يتخذون من بعض الزوايا مكانا لاجتماعاتهم ومناقشاتهم العلمية. وذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى مكانة شيخ الزاوية بين العلماء و الفقهاء وقدراته على إفادة الوافدين إليه منهم⁴.

ومن أبرز ميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني (الزوايا وغيرها) المخصصة لها ففي المدن والأرياف وفي الجبال الشاهقة و الصحاري القاحلة، عاش معظم المتصوفة ييثون عقائدهم و يلقون أتباعهم الأذكار والأدوار، مبتعدين عن صخب الدنيا مؤثرين العزلة و العبادة وكثيرا ما كانوا يعلمون المریدين والعامية مبادئ الدين أيضا فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويعلم فيه الطلبة، ويتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويثرى ويتضاعف قاصدوه ويصبح المكان يدعى بين الناس

1- تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص ص 244-247.

2- التلمساني، محمد بن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر محاسن مولانا أبي الحسن، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981، ص 413.

3- حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 424.

4- إسماعيل سعيد القاضي، أصول التربية الإسلامية، علم الكتاب، القاهرة، ط 1، 2002، ص 160.

زاوية سيدي فلان أو رباط سيدي فلان ، فإذا مات سيدي فلان يدفن في الزاوية أو الرباط ويصير الضريح علامته على الزاوية، وهذه علامة على الضريح ويرث الأبناء و الأحفاد مكانة وعمل سيدي فلان وتزداد قداسة الزاوية أو الرباط بين أهل الناحية وتنتشر سمعتها و نفوذها إلى نواح أخرى بعيدا وهكذا .

كانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بولي من الأولياء فهو الذي يحميها من العين ومن الغارات والنكبات وطمع الطامعين، وامتألت رحلة الورتلاني بعدد كبير من هؤلاء المتصوفة مع ذكر زواياهم ومقاماتهم وكراماتهم والأساطير المنسوجة حولهم . ففي البداية كانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من اجل الدين وحماية البلاد، وبعد انقضاء الخطر الداهم عاد المرابطون إلى قواعدهم وكانوا على صلة بالشعب أكثر من صلتهم بالسلطة العثمانية¹.

3.3. إنتشار الزوايا ومراكزها الكبرى عبر الجزائر

إن من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر، انتشار الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لهذه الطرق والمذاهب الصوفية حيث في المدن والأرياف، والجبال والصحاري، عاش معظم المتصوفة يثون عقائدهم ويلقبون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صحب الحياة الدنيا، مؤثرين العزلة والعبادة وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين والعامه مبادئ الدين أيضا وفي هذه الفترة ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله قائمة طويلة للزوايا أغلبها هي: في مدينة الجزائر كانت زاوية عبد الرحمان الثعالبي ، وزاوية ولي دادة ، وزاوية عبد القادر الجيلالي وزاوية سيدي محمد الشريف، وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري، وزاوية سيدي الجودي وزاوية سيدي جمعة... وهذه كلها في مدينة الجزائر.

وتعتبر منطقة القبائل وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا وأهمها في ميدان التعليم ونشر الوعي الديني بين السكان فقد كانت زاوية تيزي راشد "تسمى أيضا زاوية ابن أعراب" ذائعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة وكانت زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية أيضا قد أخرجت أجيالا من المعلمين، واشتهرت بنشر التعليم وزاوية الأزهرى بآيت إسماعيل، وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية بني بومسعود وزاوية بني مفران وزاويتنا الشليحي معمرة واقعتان عند أولاد عبد النور.

وفي مدينة وهران اشتهرت زاوية محمد الهواري وزاوية إبراهيم التازي وزاوية عبد القادر بن الشريف "الدراقوية" وفي جنوب الجزائر لعبت الزوايا دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام واللغة العربية ليس في الجزائر فقط بل في الأقطار المجاورة للجزائر كذلك جنوب الصحراء الكبرى وكونت العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم، ففي الجنوب الشرقي توجد الزاوية الناصرية والزاوية الرحمانية بخنقة سيدي ناجي وزاوية سيدي علي بن عمر بطولقة وزاوية عبد الرحمان الأخضر بنطوس، والزاوية المختارية بأولاد جلال، وزاوية سيدي خالد ، وزاوية سيدي

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سبق ذكره، ص 261 - 262 .

سالم بوادي سوف والزاوية التيجانية بعين ماضي وتماسين، وزاوية أولاد عمر موسى بمتليلي، وزاويتنا سيدي الحاج يحي وسيدي الحاج بحوص بالمنيعه¹. لكنه توقف عدد كبير من الزوايا عن أداء الرسالة التربوية والاجتماعية ، منذ نهاية القرن التاسع عشر وذلك بسبب استيلاء الاحتلال الفرنسي على الأوقاف الإسلامية التي كانت تعتمد عليها الزوايا وتعتبر مصدر عيش لها ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، حيث كان الناس يميلون بأوقافهم وأفعالهم الخيرية إلى الزاوية، فكانت الزاوية في المدينة غنية بأموالها، أما الزاوية في الريف فكانت لها أرض موقوفة، يستعمل إنتاجها في تغطية أجور المدرسين ومعيشة الطلاب والزوار وعابري السبيل، وكذلك الفقراء، كما كان لها عادة سكان الناحية يقدمون جزءا من إنتاجهم الفلاحي سنويا للزاوية لذلك بقية الزوايا التي استمرت في أداء رسالتها فيما بعد سنوات 1954/1900 هي تلك التي بقيت لها مصادر وأملاك خاصة استطاعت بواسطتها أن تعيش، وتواصل عملها في تعليم القرآن وعلوم الدين ونشر اللغة العربية

3.4. أنواع الزوايا في الجزائر:

أ. أنواع الزوايا: توجد ثلاث أنواع زوايا قرآن في الجزائر تختلف في الشكل وتتنفق في الهدف والمضمون وهي: زوايا المشايخ، زوايا المرابطين، زوايا الطلبة.

ب. النوع الأول: زويا المشايخ وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب الطريقة ويعرف عندنا بشيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون ويسمون "الإخوان" والزاوية تقوم على اكتشاف هؤلاء المريدين والمحسنين وهم الذين يمولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات من الشعب ويقدمونها للشيخ، والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته وهو صاحب الحل والعقد، فلا حق لأي إنسان أن يتدخل في شؤون الزاوية من قريب أو بعيد، فالأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة يتصرف فيها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه، وهو الذي ينفق على الزاوية ويوفر للطلبة كل حاجتهم اللازمة كما يدفع أجرة الشيخ أي "المعلم" وهو صاحب الزاوية هو الذي يعين المعلم أو يعزله حين يشاء وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة، وإذا مات الشيخ استخلف أحد أفراد عائلته أخاه أو ابنه إما عن طريق الوصايا أو تختاره العائلة وذلك حسب تقاليد الأسرة والشيخ هو الذي يضع لها القوانين التي يراها صالحة للتسيير ويختار بعض الطلبة الذين يرى فيهم القدرة والاستقامة يكلفهم بالمراقبة وتسيير الطلبة، لزوايا القرآن نظام داخلي كنظام الثانويات، فالطالب يتعلم ويسكن مجانا والزاوية هي التي تتكفل بجميع نفقاته ماعدا لباسه فزوايا التعليم في الجزائر كانت حصون القرآن ومعقل الإسلام ومناهل اللغة العربية طيلة الاحتلال الفرنسي، فزوايا المشايخ كالزاوية القاسمية "الهامل" ببوسعادة وزاوية الشيخ الحملاوي

1 - عبد العزيز شهبي، مرجع سبق ذكره، ص- ص18-21.

بقسنطينة وزاوية ابن سحنون في اغزار أمقران ولاية بجاية، وزاوية الشيخ أبو القاسم البوجليلي وزاوية الشيخ أحمامي بالأخضرية ولاية البويرة...

النوع الثاني: زوايا المرابطين وهي تختلف عن زوايا المشايخ في بعض الجوانب التنظيمية، فزاوية الشيخ ملكية خاصة كما تقدم، يتصرف فيها صاحبها كما يشاء وبعضهم يعيش هو وعائلته من موارد الزاوية، أما زاوية المرابطين فهي ملكية جماعية فمواردها محبسة على طلبة العلم، فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية، كما أن زاوية المرابطين ليس لها طريقة صوفية ولا مريدون كما في زوايا المشايخ، ويمكن أن نقارن نظام زوايا المرابطين بنظام لجان المساجد المعمول بها حاليا في الجزائر ولا سيما بعد الاستقلال¹، فهذه الزوايا أسست من أول يومها للتعليم، فيقصدتها أبناء المسلمون لحفظ القرآن وتجويده وحفظ الأحاديث النبوية وتعليم اللغة العربية كالنحو والصرف والفقه والتوحيد فهذه الزوايا تسيير جماعيا ونظامها يشبه البرلمان العصري إذ نجد كل عائلات المرابطين منتمين إلى المؤسس الأول للزاوية لهم الحق في إبداء الرأي والتسيير والمعارضة إن رأت شيئا لا يعجبها ولا يرضيها، وموارد الزاوية من النذور والهبات إذا كانت نقودا دفعت للوكيل أما إذا كانت حبوبا أو زيتا أو حيوانات فتذهب إلى الطلبة مباشرة فالزاوية مفتوحة أمام كل الناس وتقبل جميع الراغبين في التعليم وليس هناك حواجز السن أو حواجز المستوى. ونجد من بين هذه الزوايا زاوية سيدي بهلول بقرية الشرفاء (بهلول نسبة إلى سيدي بهلول صاحب الزاوية والتي تبعد عن مدينة عزازقة مقر الدائرة بنحو أربعة كلم بولاية تيزي وزو، وزاوية سيدي محمد وعلي الحاج بتيفريت ناث الحاج دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو... ولكل زاوية من هذه الزوايا نظام وقانون داخلي، وهذا القانون غير مكتوب ولا يسجل بل يعرفه الطلبة عن طريق السماع والممارسة اليومية حتى صار محفوظا ومعروفا لدى جميع الطلبة. ويعتبر هذا القانون مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف السائدة في الزوايا.

النوع الثالث: زوايا الطلبة هذا النوع فريد ووحيدة في القطر الجزائري وهي زاوية عبد الرحمان اليلولي، وهي تختلف عن زوايا المشايخ وزوايا المرابطين فطلبتها يتمتعون بالإستقلال في تسيير المؤسسة فلا يتدخل أحد في شؤونهم وشؤون مؤسستهم، فالطلبة وحدهم هم المسؤولون عن الزاوية وتدير شؤونها، داخليا وخارجيا، أدبيا واقتصاديا، فالزاوية بعيدة عن الضغوط والتدخلات، فهي تسيير من طلبتها المنتمين إليها ولهم وحدهم السلطة الكاملة في تسيير الزاوية فلا تخضع لشيخ أو مرابط بل وحتى الشيخ الذي يعلم فيها. فالشيء الوحيد الذي يخضع له الجميع ويتمثلون له ولا يخالفونه أبدا إنما هو القانون "قانون الزاوية" أو ما يمكن أن يطلق عليه اللائحة الداخلية للزاوية².

1- محمد نسيب، المرجع السابق، ص ص 103 - 106.

2- المرجع نفسه، ص ص 101 102.

3.5. وظائف الزوايا:

كان على الزوايا عند ظهورها القيام بوظيفة هامة ألا وهي نشر الإسلام وترسيخ قيمه والتثقيف الديني لتعدد وظائفها فيما بعد ليصبح لها وظيفة مهمة هي الإصلاح الاجتماعي لتكون محلا لحل المشاكل الاجتماعية من فك النزاعات وخلافات الأفراد وكذا استقبال الفقراء والغرباء وأصبحت مأوى لهم، لتظل مفتوحة طيلة السنة وكذا مساعدة المحتاجين والطلبة، ولم تنحصر وظيفتها في الجانب الاجتماعي والديني فقط بل توسعت إلى الوظيفة الاقتصادية والتي تمثلت في تمويل المحتاجين والفقراء والطلبة ماليا بمنحهم الملابس والمواد الغذائية وستعرض لأهم وظائف الزوايا فيما يلي:

3.5.1. الوظائف الاجتماعية:

أ) **وظيفة الإصلاح بين الناس:** لم تقتصر الزوايا على التربية الروحية في إعطاء الأوراد وحفظ القرآن الكريم وإنشاء الكتاتيب، بل تعدت وظيفتها إلى الوظائف الاجتماعية، تهدف من خلالها إلى بناء المجتمع الإسلامي المتماسك يسوده الاتحاد والتعاون ونبذ التفرقة والتباعد بل كانت الزوايا تسهر على إقامة العدالة الاجتماعية بين كل فئات المجتمع ومن وظائفها الاجتماعية الصلح بين الناس وفك النزاع بينهم، فلو أخذنا على سبيل المثال النزاع الخاص بأموال الميراث فكثير من الأفراد لديهم نزاع من هذا النوع يلجئون إلى الخليفة أو مقدم الزاوية يطرحون عليه المشكلة ويعمل المقدم جاهدا لفك هذا النزاع بالتفكير في إيجاد الحلول في حدود الشرع والقانون، وذلك استنادا على الكتاب والسنة.

ب) **المساعدات المالية:** تتمثل هذه المساعدات في مساعدة المحتاجين خاصة في الأوقات الصعبة بالإفناق عليهم من حبوب القمح والتمر والزيتون والأغنام وغير ذلك من الأفرشة والألبسة، هذا ما كانت تقدمه الزوايا في الماضي أما في الوقت الحالي تقدم مساعدات رمزية من تبرعات الوافدين لها ويعود سبب نقص مساعداتها إلى اختلال ميزانيتها وإلى نقص الدخل الفردي للأفراد والمعروف عن الزوايا أنها أماكن للعبادة وإيواء الغرباء والضيوف وكذا المساكين وإطعام النزلاء¹، ومساعدة الشباب خاصة المقبلين على الزواج بتقديم المساعدات المادية وإقامة الزواج الجماعي أيضا عند ختان الأولاد نجد الزوايا تساعد الطبقة المحرومة والتي لديها أطفال في سن الختان وهذا بإقامة حفل جماعي وتقديم مبالغ مالية رمزية وتقديم الهدايا للأطفال حتى في حالة حدوث نكبة طبيعية، تعمل الزوايا على تقديم المساعدات للمنكوبين، وتساهم بما تملك على إعادة بناء وترميم ما اتلف وتقدم للعائلات المنكوبة المواد الغذائية والألبسة والأفرشة وتجمع التبرعات من المريدين القادرين ماديا لفائدة المنكوبين.

ج) **استقبال الزوار الوافدين للزوايا:** تعمل الزوايا على استقبال الضيوف والزوار من كل منطقة ففي كل مرة مقدم الزاوية في استقبالهم وإن كان عددهم قليلا وتحضر لهم أماكن لإقامتهم وتوفر لهم الأمن بالإضافة إلى

1 - زيزاح سعيدة وبوخلدوني صبيحة، المرجع السابق، ص 63-65.

حسن الضيافة في الماضي كان الضيوف يذهبون إلى الزوايا لقضاء أيام الزيارة، لكن مع التغير الاجتماعي الذي طرأ على المجتمع الجزائري أصبح استقبال الضيوف في بيوت أحفاد مؤسس الطرق الصوفية، فالزائر أو الضيف القاصد للزاوية يبدأ بزيارة الزاوية إذا كانت مدة الزيارة يوم واحد، أما إذا كانت مدة الزيارة عدة أيام فيقضي الزائر هذه المدة عند أحد أحفاد مؤسس الطريقة أو يقيم عند الخليفة العام ببيته الذي يعتبر زاوية في حد ذاته.

(د) إقامة الصدقات السنوية: إن إقامة الصدقات بالزوايا هي مهمة الزوار والأتباع والأحباب والمريدين حيث يقيمون حفلات وصدقات أو ما يعرف "بالوعدة" في المجتمع الجزائري بطرق مختلفة ويرجع ذلك إلى اختلاف مستوياتهم التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، فهناك فئة من الزوار يقيمون احتفال ديني داخل الزاوية بتلاوة القرآن الكريم والذكر والمدائح، وهناك من يحتفل بالزاوية بإقامة الذبائح على حسب القدرة الشرائية، كذلك تحضير مختلف الأكلات الشعبية وتقديم حفلات غنائية يقتصر على القصاصد الخاصة بمؤسس الطريقة، وقد يستغرق مدة الاحتفال من يوم إلى غاية أسبوع كامل، وتعتبر الصدقات السنوية مناسبة للزيارة وفرصة لالتقاء الزوار ببعضهم البعض وتبادل الآراء لتتكون بذلك علاقات اجتماعية ومناسبة لتذكر الفقراء والطلاب للنصح وللإرشاد والمعرفة الدينية¹.

(هـ) لجوء المصابين للزوايا: ما نلاحظه أن الأفراد المصابين بمس من الجن يلجئون مباشرة إلى الزوايا فمعظمهم يذهبون إلى الزوايا ليتلى عليهم آيات من القرآن الكريم عليهم يجدون الشفاء هناك، ونجد أفراد آخرين يلجئون إلى الزوايا، ويمكنون بها الأيام الطويلة، وحسب رأيهم أنه بمجرد التردد على هذا النوع من الأماكن المقدسة، يخفف عليهم الضرر ويتمثلون للشفاء من حالة "المس" بمجرد الاتصال بمقدم الزاوية، وفي هذه النقطة بالذات يظهر فيها اختلاف وتضارب في الآراء.

3. 5. 2. الوظائف التربوية:

طرق التدريس بالمدارس القرآنية: تقوم الزوايا بوظائف تربوية والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والذكر فهذه الوظيفة لم تزول، فالزوايا تعمل على إنشاء المدارس القرآنية أو الكتاتيب لتعليم الناس وخاصة فئة الأطفال، فالمدارس القرآنية هي أمكنة للتعليم وحفظ القرآن الكريم ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: " وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن الكريم والسنة ومبادئ اللغة العربية بين البربر، وبذلك تم إسلام البربر، وأصبحت لغتهم العربية وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة من علماء الدين في الدين في القيروان والمغرب كلها، أمثال أسد بن الفرات، ولم تكن حلقات العلم كثيرة في مساجد القيروان مما يشبع فهم طلاب العلم، فكانت الرحلة في طلب العلم". وعليه فقد عملت الطرق الصوفية على بناء الزوايا من أجل تعليم الأفراد وتنويرهم فكان التدريس في السابق موجود بالزوايا، ولكن بعد فترة من الزمن انفصلت هذه المدارس القرآنية عن مكان الزوايا وهذه المدارس القرآنية عن مكان الزوايا وهذه

¹ - زيزاح سعيدة وبوخدوني صبيحة ، المرجع السابق، ص66.

المدارس عادة ما تكون عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للزاوية أو بعيدة عنها، وقد تكون غرفة في المنزل وقد يبني الكتاب خصيصا لتعليم القرآن الكريم، ومنها ينتقل التلاميذ إلى الزاوية والمساجد الكبرى للطرق الصوفية لإنهاء دراستهم، هذا كان في الماضي ولكن بعد ظهور التعليم النظامي وتواجد المدارس الكبرى الحكومية، والنظام المعمول به بالمدارس التابعة للزوايا أنه عند انتهاء الطفل من تعلم اللغة العربية وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ينتقل إلى المرحلة الابتدائية ليدخل إلى المدرسة النظامية، لكن لا يمنعه من أن يكمل حفظ القرآن الكريم وكيفية الكتابة والقراءة وتعلم المبادئ الأخلاقية الإسلامية، وبهذا تكون المدارس القرآنية التابعة للزوايا قد أعطت صورة حية للثقافة العامة التي كانت منتشرة¹.

3.5.3 . الوظيفة الدينية:

كان للزوايا المؤسسة للتعليم الديني وتحفيظ القرآن دورا في حماية العقيدة الإسلامية من حملات المبشرين التشكيكية والتنصيرية، وفي الحفاظ على القرآن الكريم وبقاء قيمه نظيفة خالصة رغم المقاومة الاستعمارية، فالزوايا أسست لتعليم الدين ونشر الفضائل والقيم الإسلامية وتهئية النشء للمعاهد الإسلامية العالية وبها عرف الناس قدر العلماء وأدركوا معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام "العلماء ورثة الأنبياء" ورثو عنهم وظيفة الدعوة إلى الله والهداية إلى صراطه المستقيم، وإذا كانوا ورثة الأنبياء فالواجب طاعتهم والافتداء بهم². إذ كان التعليم في الزوايا بسيطا متواضعا لا يتماشى مع روح العصر في أسلوبه ومنهاجه فإنه حافظ على روح الأمة وصان شخصيتها وحمى عقيدتها ورفع معنوياتها بذلك جعلها تعتصم بدينها³، كونها تحمل القرآن فهي رمز للقرآن الكريم والقرآن موجود بوجود الزوايا ومعرفة الدين الإسلامي لا تتم إلا بالقرآن الكريم ولا يشعر بأهمية هذا الرمز الإسلامي الوطني الذي هو الزوايا، إلا من فتح الله قلبه ونوره بنور الإيمان، أنه رمز القرآن⁴ إذا الزوايا قامت بدور عظيم في ترسيخ العقيدة الإسلامية وتقوية الشخصية الوطنية والمحافظة على القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية، فوقفت في وجه الكفر والإلحاد والإدمان والفرنسة وكل العادات والأخلاق الأجنبية المخالفة لحياتنا الاجتماعية وقيمنا الدينية، حتى يبقى المجتمع سليما معافى من كل ما يحمله الاستعمار من ثقافة سلوك وعادات رفضها الشعب الجزائري⁵.

أما عن الزوايا التابعة للطرق الصوفية فلها طقوس خاصة يرددها أتباعها كالذكر فهم يستندون في ذلك على الآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا"⁶ فهم يذكرون الله أفرادا وجماعة والعدد يختلف من مرة

1- نيزاح سعيدة ويوخدوني صبيحة، المرجع السابق، ص ص 77 87.

2- محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 41.

3- نذير حمادو، دور الزوايا في بناء الشخصية الروحية والوطنية، رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، السنة الثامنة، العدد 2، فيفري 2010، ص 85.

4- عبد القادر الشطي، حقيقة السلفية مذهب أهل الحق الصوفية، دار هومة، الخلفة، 2002، ص 329.

5- نذير حمادو، المرجع السابق، ص 85.

6- سورة الأحزاب، الآية 40.

إلى ألف ، وهم يكثرون اسم الله وحده أو عبارة الشهادة "لا إله إلا الله" وعبارة الاستغفار "أستغفر الله" وقراءة الآيات من القرآن كسورة الإخلاص وكلما كان اللفظ أو الذكر قصير كثر ترديده ، ولكل طريقة عبارة تركز عليها في ذكرها وهي التي تحدد عدد المرات وأوقات الذكر وعبارات الأدعية ثم لكل زاوية من الزوايا الصوفية لباسا خاصا وعمامة وهيئة وأعلاما وألوانا¹ بالإضافة إلى أن للزوايا وظيفة ثقافية تتمثل في المحافظة على الدين الإسلامي واللغة العربية والثقافة من الاندثار.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سبق ذكره ،ص 24.

ملخص:

وفي ختام هذا الفصل فإن المنهج التربوي الصوفي قام ليحقق ما ترمي إليه الجماعة الصوفية من خلق جميل قوي ذي شخصية مؤثرة في العالم الإسلامي، كما اهتم المنهج بالفرد الصوفي اهتماما كبيرا فوضع له القواعد والنظم التي تعمل على تهذيبه خلقيا وروحيا ثم تكلمنا عن الطرق الصوفية والتي هي ظاهرة اجتماعية تمس المجتمع الجزائري حيث تعد جزء هام من التراث الجزائري، فقد حظيت بقدر لا بأس به من الدراسات والمناقشات العلمية ولها آثار اجتماعية ونفسية وثقافية، حيث تنتشر ظاهرة الطريقة على كامل التراب الوطني فمثلا ولاية الاغواط وحدها نجد بها أكثر من طريقة نذكر منها: التيجانية، الهبرية، والعزوزية إلى أن وصلنا إلى الزوايا وهي من أهم بنائات المجتمع ومؤسساته وأهم أنساقه باعتبارها مؤسسة دينية وتربوية واجتماعية نشأة بهدف جهادي ديني روحي تعليمي والكثير منها تعتبر مرجعا ثقافيا وعلميا يقصده المثات بما تحويه من كتب ومخطوطات نادرة وما تقدمه من ثقافة وعلم وتعاليم غرستها بواسطة منهجها المتبع وفي التعلم و المستمد من الطرق الصوفية والتي كانت السبب في الحفاظ على العقيدة واللسان العربي في بلد طالما كان عرضة للهجمات الصليبية عبر العصور وكان ختامها استعمار استيطانيا أوسع أنواع الاستعمار، والذي عمل طوال القرن وثلث القرن من الزمان على طمس الهوية، وتغييب اللسان العربي، ولكن الله تدارك هذه الأمة بحريجي زوايا العلم والجهاد، من أمثال الأمير عبد القادر والمقراني والشيخ حداد... الخ، الذين حملوا لواء الجهاد، كما لا زالت الزاوية حاضرة بقوة في وسط الساحة العلمية وذلك بما تقدمه من برامج تعليمية مفيدة في نشر العلم وطمس معلم الجهل الهادم للحضارة، فساهمت في تنشئة الأجيال تنشئة إسلامية، يحملون في قلوبهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتساهم في تنشئة المجتمع الذي تظهر قوته بقوة أبنائه الذين هم العدة في ذلك فكان منهم الإمام الفقيه والأصولي والنحوي والمعلم وغير ذلك من المثقفين المشبعين بالمبادئ والقيم الرفيعة التي تربو عليها في الزاوية .

تمهيد:

إن التصوف كان ولا زال ظاهرة عالمية يدفع إليها حالة السأم والإحباط الدنيوي يؤدي إلى سعي المتصوف إلى صراع مع الذات للوصول إلى عالم خاص بديل ينعزل فيه منصرفاً إلى الزهد والتعبد، ويسمو من خلاله بالعلاقة بينه وبين الله إلى ما لا يستطيعه البشر العاديين، وللمتصوفة في المجتمع العربي الإسلامي انعكاس تاريخي للواقع أي نتاج علاقات اجتماعية محددة في ظروف معينة، قوام معتقد بأنها دفع النفس للانشغال بالروحانيات دون الماديات والاهتمام بالجواهر دون العرض، والإيمان بالباطن دون الظاهر، وهي بهذا المعنى نوع من الرفض والتمرد السلبي على واقع مجتمع بسائر مكوناته، وقد يكون هذا الرفض أكثر ثورية من سواه في بعض المراحل التاريخية أو كاجبا حقيقيا للانتقال إلى قوة مادية تحقق غاياتها في الرفض الثوري في مراحل أخرى، وبخاصة عندما يظل متشرباً في حدود السلبية مقتصر على نوع من التحدي اللاهوتي لإيديولوجية الأنظمة الاجتماعية السائدة بما يقترن بنسب عالم بصور تجريدية للعالم لا طائل من ورائها بين الحلم المرتجى والواقع الشقي. عندها وفي هذه الحدود لا تصير مثل هذه التوجهات للسلطات القائمة أو تهدد الحب الإلهي يخشون الفتن في معارضة الحاكم ويرفضون المعارضات التي اصطبغت بطابع ديني مذهبي سواء كانت شيعياً أو خوارجاً أو معتزلة.

نشط المفتون في تصنيف المتصوفة كمدرسة من مدارس السنة رغم الفارق الكبير بين كل الفرق للعبادة في نطاق الشريعة بل أقروا بأنها تثبيت للإيمان وإثراء العقيدة ووضع النفس والروح على طريق الصواب وانصرف عدد من المفتين إلى الإكبار من شأن المتصوفة والتقرب إليهم وسؤالهم العون والمشورة¹. أما إذا قام الصوفي بإشهار آرائه أو مارسا شحنا انفعاليا يستقطب الأتباع، فإن ذلك يثير الحفيظة ويقتضي الكيد. نتطرق وفي هذا الفصل لحركة التصوف، تاريخها وظهورها في المشرق العربي وأهم شخصيات التصوف المعروفة ظهور التصوف في المغرب العربي، إلى الطرق الصوفية وعوامل نشأتها خصائصها ثم وظائفها وأهم هذه الطرق فأنواعها ثم ظهور الزوايا تعريفها نشأتها ثم انتشارها عبر القطر الجزائري إلى أنواع هذه الزوايا ووظائفها

1- فاضل الأنصاري، قصة الطوائف الإسلامية بين المذهبية والطائفية، دار الكنوز الأدبية، لبنان، ط1، سنة 2000، ص132.

1. حركة التصوف :

1.1. نبذة حول ظاهرة التصوف

إن المتتبع لتاريخ حركة التصوف في الإسلام، يلمس بأنها قد بدأت مع حركة الزهد في القرن الأول الهجري على يد شخصيات معروفة بزهدها السليبي وحصر طاقاتها في العبادة لله، لكن نموها الأكثر اتساعاً وتطرقاً قد ترافق مع تطورات سلبية اجتماعية فكانت نوعاً من التعبير عن موقف سياسي سلمي حيال الأحداث والتي تتمحور في صلب المجتمع وهو في أوج حركته نحو التكون الكامل النوعي بسرعة هائلة وقد ظل التصوف في الحكم الأموي أقرب إلى حركة التزهيد المسلكي، ومعارضة للأوضاع الاجتماعية والسياسية القائمة، قبل أن يتحول إلى موقف فلسفي له مقولاته ومناطقه الدينية والسياسية والإيديولوجية.

ونجد نجوم معتقدات التصوف عند الكثير من المتصوفة الأعلام الذين ذاعت أسمائهم مثل "مالك بن دينار" المتوفى عام 131هـ، و"عبد الله المحاسين" المتوفى عام 165هـ، و"رابعة العدوية" المتوفاة عام 185هـ. و"معروف الكرخي" المتوفى عام 200هـ، و"ذو النون المصري" المتوفى عام 245هـ. و"الجنيد البغدادي" المتوفى عام 297هـ. و"أبي نصر السراج" المتوفى عام 378هـ و"عبد القادر الجيلاني" المتوفى عام 521هـ. و"أحمد الرفاعي" المتوفى عام 578هـ.

ومع أبي هاشم الكوفي الصوفي، وأضاف أن جمع الصوفي على صوفية قد ظهر سنة 199هـ بمناسبة فتنة صغيرة في الإسكندرية بعد أن كان مقتصرًا على من في الكوفة حتى إذا مرت عن ولادته خمسون سنة فيها صار يطلق هذا الاسم على كل صوفية العراق، أما في خراسان وجهاتها فقد كان الاسم الغالب على "الصوفية والملامتية" وأحمد علي حسين "أحمد البدوي" المتوفى عام 675هـ، وأبي العباس المرسى المتوفى عام 686هـ، فضلاً عن الحسين بن منصور الحلاج، المتوفى عام 311هـ.

هذا ويعتبر الأستاذ جبور عبد النور في التصوف عند العرب: أن لبس الخرق لا أثر له في الإسلام، وقد أخذه الصوفية عن الديانة البوذية وشروطها - كما يقول - الزهد في الدنيا، وحياة الفقر، وحلق الرأس ولبس الخرق الصفراء.

ويذكر الأستاذ عبد الرحمان بدوي: أن اسم التصوف أصبح منذ القرن الرابع هجري، علماً على جميع الصوفية المنتشرين في العالم الإسلامي، ويعطي الجنيد وهو أحد أقطاب الصوفية بعض تعريفات للصوفية، فعندما سأله أحداهم عن ماهية التصوف قال له: "التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة".

وعن المتصوفة يقول: إنهم أهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم. ويعتبر الصوفي "كالأرض يطرح فيها كل قبائح ولا يخرج منها إلا كل مليم".

وعن التصوف أيضاً يقول: "التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع..."

وأما أبو بكر الشبلي فيرى في التصوف: "أنه الجلوس مع الله بلا هم ... وأن الصوفي هو الذي ينقطع عن الخلق فيتصل بالحق... وأن الصوفية هم أطفال في حجر الحق".
ويفرق الحسين بن منصور الحلاج بين الصوفي والمتصوف، عندما يرى أن "من أشار إليه فهو متصوف، ومن أشار عنه فهو صوفي فالأول لا يزال يفرق بين الرب والعبد، والثاني قد اتخذ الآلهة حتى صار يتكلم عنها وباسمها".

أدت العزلة والتزهد إلى تباين التأطير في البحث عن الحقيقة فقد تنوعت الطرق الصوفية، إلى ما يصعب عده تبعا للظروف التي مر بها المتصوفة، أو الملابسات التي أحالتهم وهم في سعيهم إلى الوصول إلى معرفة كاملة بالوجود، كما تنوعت الشعائر وطرائق الذكر لديهم للتواصل مع تلك الكينونة بتحصيل مشاعر اللذة التخيلية من أوضاع الألم الجسدي والسمو بالقيم إلى مستوى نفسي، الأمر الذي أدى بدوره إلى تحولات جذرية في حركة التصوف "الدروشة" التي أنهت عصر المتصوفة العظام، وبالغت في استئصال الطرائق، وسلكت دهاليز تغيب عقول العامة في ممارسات لاعقلانية بعضها أقرب إلى الشعوذة والتحريف، وإذا تلاءم هذا التحول مع طبيعة السلطة التي تعاقبت في عهود الاحتلالات المتوالية للمنطقة العربية، لصرف الناس عن مظالم الحكم وعسف الحكام، فإن الدروشة بتعدداتها وجدت رعاية وتشجيعا في تلك العهود، بل وسعت بعض الدول سعيا حثيثا لإدخال طرق الدروشة وممارساتها في صلب المذهب الذي تتبناه¹.

عندما نتكلم عن التصوف أو مذهب الصوفية (*Sufism*)، ندخل في ناحية من نواحي الفكر الإسلامي بلد الحضارة الإسلامية، ذلك أن كلام الكثيرين الذين كتبوا فيه يحرك نفوسنا، كما أن براعة أوصافهم تثير إعجابنا غير أنه لا يمكن أن تكون فكرة حقيقية عن غزارة هذا الميدان إلا إذا تعرفنا على النصوص.
ولقد قدمت نظريات متعددة حول أصول هذه الحركة في الإسلام: فقيل أصلها من الرهبانية السريانية أو الفيدانتا* (*Vedanta*) الهندية.

لكن أمكن إثبات أنه لا يمكن التمسك بالافتراضات التي تذهب إلى اقتباس المسلمين التصوف عن أصول أجنبية، إذ أنه منذ بداية الإسلام أحس نفر من المؤمنين المتحمسين بالدافع إلى التأمل في القرآن عن طريق المداومة على تلاوته أو "التعمق" (*Intériorize*) في روحه إذا صح هذا التعبير.

فالقرآن يتضمن كما بينا آنفا عددا من العناصر المتعلقة بالزهد والتصوف، وبعض الآيات القرآنية تذكر الناس مرة أخرى أن الله حاضر معهم، وبالخوف من الحساب، وزوال كل الأشياء الإنسانية، وجمال الفضيلة وما إلى ذلك وهناك آيات أخرى تعطي النفس المتدنية الفرصة للوصول إلى لب العقيدة، وهكذا نجد سلسلة من الآيات التي تذكر الإنسان برسالاته وتؤكد على حاجته إلى أن يقيم في قلبه صرحا عامرا.

1- فاضل الأنصاري، المرجع السابق، ص135.

* Vedanta: الفيدانتا: أجزاء من الأوبنشاد، أي المحاورات الفلسفية في آثار الهند الدينية القديمة.

بالتقوى والإيمان¹ ، وتعود نشأة التصوف في العالم الإسلامي بصفة عامة إلى ما ترتب عن الفتوحات من اتساع رقعة الدولة الإسلامية وازدياد الثروة لدى الفاتحين مما أدى إلى الغنى الفاحش والترف والبذخ وبالتالي الانحراف والخروج عن مبدأ هام من مبادئ الإسلام وهو البساطة.

2.1. نشأة الصوفية في المشرق العربي:

على ضوء سيرة الصدر الأول و حقائق التاريخ الإسلامي بالإضافة إلى سلوك و حياة علماء السلف فضلا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطوال مرحلة الخلفاء الأربعة لم تكن ظاهرة التصوف وما تمثله من منطلقات ومظاهر تمثل سلوكا معينا متميزا تقوم به جماعة من المسلمين دون غيرهم. والمحاولات أو المواقف التي كان فيها بعض المسلمين قبل إسلامهم ثم أرادوا التنطع والغلو في تناولهم لتعاليم وتوجيهات الإسلام أو أرادوا التفرغ الكامل والزهد والاعتكاف عن ضروب الجهاد كل أيام عمرهم، كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن ذلك الإقبال أو هذا الانضواء والانطواء والعزلة، هذا ولم يكن الإسلام في حاجة إلى أن تنشأ فيه ظاهرة التصوف ولا يكون بين أهله من يحاول التمييز بسلوك ينفرد هو به دون غيره أو يذهب يفسر شططا بعض أمور العقيدة، على ضوء ما يروق له في ظل ظروفه الخاصة، أو على ضوء ما بدر منه فالمسلمون جميعا أهل تقوى وزهد وعكوف على الطاعات منقطعين لله تعالى ، إذا ما انتهوا من كدهم وكدهم في الدنيا على ضوء ما أمر به الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن بينهم من يريد أن يستقل بسلوك أو ينهج في التعبد ويخرج به عن نطاق ما في كتاب الله والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

إلا أن بعض الصحابة لم يكتفوا بالقيام بواجباتهم الدينية واحترام تعاليم القرآن فقد قرروا إقامة علاقة خاصة مع الله وتحرير أرواحهم من الروابط الجسدية عن طريق الإكثار من الصوم والاعتكاف والتأمل والزهد من متاع الدنيا².

ولم يشهد القرن الأول الهجري كثرة ما حدث فيه من انقسام الأمة الإسلامية إلى فرق سياسية وخاصة بعد مقتل علي رضي الله عنه ، ولم يشهد هذا القرن تسميات للدلالة على سلوك البعض من القبيل الصوفي كدلالة معينة على سلوك البعض واتجاههم نحو الزهد والتقشف والانقطاع الذي يعتبره المتصوفة أساسا تاريخا عندهم بدأ مبكرا بل كان أكرم وأشرف ما يتمنى الورع التقوي الذي هو المسلم الملتزم بأحكام كتاب الله وسنة نبيه، ولم تكن اصطلاحات وتسميات : صوفي، وزاهد وعابد ومنقطع وصاحب مقام كذا وكذا مما لم يعرف في عصر صدر الإسلام قد نشأت بعد.

1- شاحت وبوزورث، تراث الإسلام (ترجمة فؤاد زكريا)، ج2، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1988، ص91.

2- Amin Hussein, le livre du Muslman désespéré pour enter dans le 3 éme Millénaire tradiction Richard Jacquemond, Editions Casbah, Alger,1997,p71.

غير أن بعض المؤرخين يرون أنه لما فش الإقبال على الدنيا في أواخر القرن الثاني الهجري، وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة المتاع الدنيوي، قيل للخوارج من المسلمين ممن لهم شدة عناية بأمر الدين (الزهاد أو العباد)، ثم لما اشتد ساعد الفرق السياسية وانقسمت فيما بينها وخرجت متأولة بعيدة عن منهج والتزام أهل السنة والجماعة من العلماء وجمهور الأمة، ونشب الصراع الفكري بين هذه الفرق دست كل فرقة على غيرها أخبار مجموعة من الزهاد والعباد الذين أحيطت سيرتهم بهالة من التقديس والتكريم دون أن يعرف أحد من الذين انتهت إليهم سيرتهم عنهم شيئاً أو أن يقفوا لهم على تراث أو رأي، الأمر الذي أدى إلى أن ينتهي في ظل الصراع جانباً منه مجموعة من العباد أطلقوا على أنفسهم أو أطلق عليهم اسم (المتصوفة) بحكم ما ميز مظهرهم وهو لبس الصوف في أغلب الأحوال، ومع ذلك لم يذع اسم (المتصوفة) ويشتهر على الألسنة ويتداول كمنهج في التبتل والانقطاع أو العبادة يخالف ما عليه جمهور الأمة قبل المائتين من الهجرة¹.

هذا ويقول عمر رضا كحالة في كتابه "الفلسفة الإسلامية وملاحقاتها" المطبوع في دمشق عام 1394هـ-1974م ورد لفظ (الصوفي) لقباً مفرداً في النصف الثاني للهجرة إذ نعت به جابر بن حيان الكوفي².

وكما يعرف ابن خلدون التصوف على أنه "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة" ويقول أيضاً ابن خلدون في هذا الصدد " فلما فش الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"، زد على ذلك سوء توزيع الثروة الذي أدى إلى فقر الأغلبية وغنى الأقلية وانغماس هذه الأخيرة في الملذات والتبذير وما نشأ عن ظاهرة الفقر الحقد وفساد الأخلاق والطباع، والثروات وانتشار نزعة التصوف الناتجة عن الاحتجاج على الأوضاع السيئة أو الفشل في الحياة، والصراع على الخلافة بين العلويين والعباسيين واعتزاز الأولين بأنهم أكثر قرابة للرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فهم الأشراف الحقيقيون، فكان هذا الشرف بالنسبة إليهم مصدراً للاعتزاز ومبعثاً لتقدير الناس، فكانت تجري لهم أرزاق خاصة وتسد إليهم المناصب الرفيعة كقنابة الأشراف وهذه الظاهرة منتشرة في مختلف الأقاليم الإسلامية شرقاً وهناك عوامل أخرى تتمثل في ظهور المعتزلة وانتشار فكرة خلق القرآن التي روجوا لها، ومحاولة المأمون إرغام الناس عليها، وتصدي الأشعري ثم الغزالي في الرد عليهم. وانحطاط منزلة رجال الدين وخوف هؤلاء من تدهور تعاليم الدين وخاصة عند انتشار الزندقة والفلسفة بسبب كثرة العصبيات الجنسية خصوصاً في العهد العباسي، يضاف لذلك شيوع التعصب لمالك والشافعي والحنفي والحنبلي، وتشدد أتباعهم في التمسك بمذهب واحد و معاً.

1- عبد الله الأمين، دراسة في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1986، ص243.

2- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العلمية، لبنان، ط1، 1993، ص517.

وقد انتقلت هذه المذاهب إلى المغرب العربي أيضا حيث وجد في المغرب المذهب الشيعي مع الفاطميين والشيعية من جهة العقائد والحنفي والمالكي من جهة الفقه، وظل الصراع شديدا بينهما حتى انتصر أخيرا المذهب المالكي في الفقه وفي الدين و العقائد، بالرغم من عودة المذهب الحنفي مع العثمانيين إلى الجزائر¹ وعلى أساس هذه الأفكار نستطيع أن نتبين بوجه عام ثلاث فترات كبيرة في التاريخ العام للتصوف:

الأولى تغطي القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام (أي القرن السابع إلى القرن التاسع للميلاد)، وهي فترة يمكن أن ندعوها فترة الصراع من أجل البقاء، وكان التصوف خلالها يبحث عن حقه في الوجود وفي التغلب على بعض الأحكام المسبقة التي كانت تعارضه بتشجيع من السلطات الرسمية التي يغلب عليها الحساسية والتشكك.

والفترة الثانية تتميز بمحاولة التوفيق بين التصوف وخصومه، وانتصاره انتصارا يرجع قبل كل شيء إلى رجل عبقرى هو الإمام الغزالي في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي.

والفترة الثالثة تتميز بانتشار المؤلفات الكبرى في التصوف (وتشمل الفترة الواقعة بين القرنين السادس والتاسع للهجرة، الثاني عشر والخامس عشر للميلاد) كما تتميز بدخول التصوف في عصر التدهور ابتداء من القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وستحدث عن الفترات بإيجاز شديد.

الفترة الأولى كما قلنا هي فترة البحث، إذا كان عنصر الزهد سائدا بين أصحاب الرسول، ويتمثل ذلك في الصوم، الإعتكاف والتفكير وأصبح الزهد في القرنين الأول والثامن للميلاد أكثر قوة وتنوعا، إلا أن الزهاد لم يكونوا قد انفصلوا بعد عن الجماعة فكانوا يعيشون بينها ويقومون بمهمة الوعاظ أو "المراقبة" لأحوال المجتمع.

ففي البصرة بصفة خاصة ازدهرت جماعة من الوعاظ عرفوا "بالقصاص" كانوا يحدثون الناس أينما كانوا ويقصون عليهم حكايات في أسلوب نثري مسجوع، ومن بين هؤلاء الزهاد الذين وهبوا أنفسهم للعبادة نجد بعض مقرئي القرآن الذين كانوا يخطبون في الناس ويحضونهم على التوبة، وقد عرف هؤلاء باسم "البكائين" في حين كان الوعاظ يقومون بمهمتهم في حماس شديد ويسهبون في التذكير بقرب قيام الساعة²، ومما أثر في التصوف وأدى إلى تطوره اكتظاظ الخلافة الإسلامية بمختلف العصبية الجنسية والطوائف الدينية مما جعل المملكة الإسلامية مسرحا للحزازات الناشئة بينها من أجل المناصب والامتيازات فأثر بالتالي على السياسة والدين والعلم ونشأت عنه مؤامرات سرية وقتال صريح أحيانا، وفي خضم هذه الحركات التي تروج بها الخلافة الإسلامية وما تحمل هذه الجنسيات من عادات وفلسفات مختلفة فارسية، هندية، يونانية تأثر الإسلام

1- مختار الطاهر فيلاي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، ط1 1976، ص13.

2- شاخت وبوزورث، المرجع السابق، ص96.

والمسلمون بهذه الديانات القديمة سواء منها السماوية أو الوضعية فتسربت إليه عادات واتجاهات جديدة كالقول بالحلول ووحدية الوجود، والفناء في الله وغير ذلك من الفلسفات.

وهناك سبب آخر يتمثل في الفراغ الذي يسمح بالانعزال واتخاذ التصوف وسيلة للملئ الفراغ وإيجاد الراحة النفسية والطمأنينة وبالتالي الابتعاد عن الأوضاع الاجتماعية المتدهورة وأن الفروق الفردية قد تقوم بدور هام في ذلك حيث نجد البعض يعتمدون على قلوبهم أو عواطفهم وأذواقهم، وليس على عقولهم الصوفية من هذا النوع فهم يعتمدون على الذوق والكشف والإلهام¹، ولتقريب الفهم نؤكد استنادا إلى ما ذكره ابن خلدون ولو بطريقة غير مباشرة أن الإنسان البدوي هو أكثر قابلية واستعداد للتصوف، فنظرا إلى حياة التقشف والخشونة التي يعيشونها يخضعون في الميدان السلوكي إلى نفسانية خاصة بهم، وهكذا فإن بنيات الفرد النفسانية تخضع في نظر ابن خلدون كما أسلفنا الذكر إلى المحيط الجغرافي والاقتصادي خاصة، وهو المحيط الذي يحدق بالفرد ويضغط عليه، وباختصار فهناك تكافؤ في القوى بين الإنسان والطبيعة ويتحكم في هذا التكافؤ، أساسا شعور بالحرمان والعداء وهو شعور غالبا ما يكون كامنا².

وقد ساعد على تطور التصوف ظهور شخصيات قوية من المتصوفة أسسوا منها وطريقا معيننا للتصوف ووضعوا له مقامات ومراتب لا بد للسالك أو المرید من إتباعها، وأصبح للتصوف فلسفة خاصة واتجاه معين فقد وضع ذو النون المصري فكرة المقامات والأحوال مرتبا إياها على مراحل منها (التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا)، أما الأحوال فمنها (التأمل والقرب والمحبة والخوف والرجاء والمشاهدة) وتحصل المقامات في نظره بمجهود الشخص، أما الأحوال فتوهب من الله ولا حكم للإنسان عليها.

3.1 من أهم الشخصيات الصوفية

1. 3. 1- الحسن البصري (110هـ - 768م):

أهم الشخصيات التي ظهرت خلال القرنين بعد الهجرة هي دون شك شخصية الحسن البصري، أبي التصوف الإسلامي المتوفى عام 110هـ/768م، ويقوم مذهبه في التصوف والزهد على الشعور باحتقار الدنيا وقاعدته في الحياة لم يكن يستلهمها فقط من المجانبة الدقيقة لكل الأعمال التي تبدو موضع شبهة في نظر الشرع وذلك ما يعرف "بالورع"، بل كان يستلهمها أيضا وقبل كل شيء من الزهد في كل بحث إلى جانب الورع والخوف من الله والامتثال التام لأوامره ونواهييه.

وكان تأثير الحسن البصري على التصوف كبيرا جدا، والطرق الصوفية الإسلامية تعده مؤسسها الأول، وجاء تلاميذه فساروا على طريقته، ووصل أولئك التلاميذ إلى درجة معينة من الوحدة فيما بينهم بظهور الجيل الثاني دون أن يظهروا عبادات دينية متميزة، وتكونت منهم جماعة من النساك عاشوا معا في عبادات قرب البصرة في

1- مختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص15.

2- عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، (ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص134.

القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وتنتمي إلى هذه الجماعة شخصية تكاد تكون أسطورية تعتبر بحق رائدة الحب الإلهي، وقد وضعها لويس ماسينيون (*Louis Massignon*) بأنها "أكبر قديسة في تاريخ أولياء أهل السنة" (على حد تعبيره) وسمع بها الغرب الأوروبي في العصور الوسطى من خلال كتاب "حياة القديس لويس" (*Life of Louis*) الذي ألفه جوانفيل (*Joinville*) تلك الشخصية هي:

3.1.2. رابعة العدوية (185هـ/801م):

هذه الشخصية كانت أمة معتقة، وكانت قبل ذلك تعزف على الناي، وظلت عازفة عن الزواج وأمضت حياتها الطويلة، إذ توفيت بعد أن جاوزت الثمانين معلقة بالحب الإلهي، وفي اعتقادنا أنه لا دخل للأسطورة في حياة "رابعة" لأنها كانت إنسانة، وذات وجود فعلي آثرت بعد أن قطعت مرحلة هامة من سنين الشباب، الانزواء على الناس، والقيام بنوع معين من العبادة إلى أن برزت صاحبة شخصية صوفية مؤثرة فأعجب بها الكثيرون من أتباع المذهب، وحفظ لها التاريخ تلك الشهرة الواسعة التي تقوم على كونها واحدة من كبار المتصوفين الأوائل الذين تركوا بصمات دامغة على عالم التصوف واعتبروا من رواده ومؤسسيه.

3.3.1. أبو يزيد طيفور البسطامي:

هذه شخصية أخرى من الشخصيات التي عرفت بالتصوف، وساروا على طريق الزهد والتقشف الهنديين، وهم يتظاهرون بلباس التقوى. ولد طيفور البسطامي بمدينة بسطام من أعلام فارس فنسب إليها وكان جده مجوسيا ثم اعتنق الإسلام مما كان له أثره الكبير على حفيده طيفور الذي ظل يتقلب بين المجوسية والإسلام منذ إدراكه وحتى وفاته التي كانت سنة 261هـ/874م.

ويعد البسطامي من كبار الصوفيين في بغداد إبان القرن الثالث الهجري، وهو القرن الذي بدأ بمذهب "الحب الإلهي" على نسق جديد، وانتهى بمذهبي "الاتحاد ووحدة الأديان" على يد الحلاج من متصوفة هذا القرن اختلاف الرواة في أبي يزيد وأحواله فمنهم من رأى فيه العابد الزاهد والصوفي الملتزم بأوامر الدين وحدود الشرع ومنهم من رأى عكس ذلك¹.

يعد متصوفة القرن الثاني أقرب إلى الزاهدين منهم إلى المتصوفين لما كان يغلب عليهم من طابع الرضى والتسليم ولكون الصوفية قد توجهت إلى الحب الإلهي، حتى بلغت في القرن الثالث شأنًا بعيدا، وصار لهذا الحب مفهوم جديد يختلف عما كان عليه من قبل، وتبرز هذه العناية عند المحاسين توفي سنة 243هـ الذي وضع فصلا خاصا بها، هو أشبه ما يكون برسالة تحدث فيها عن أصل حب العبد للرب، ولكن منذ أواسط القرن الثالث بدأ الكلام عن فناء المحب بالمحبوب وبقائه فيه، وهو الموضوع الذي أولاه عناية خاصة أبو السعيد الخراز الذي توفي سنة 286هـ، والذي قيل "أنه أول من تكلم عن الفناء والبقاء".

1- عرفان عبد المجيد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجليل، بيروت، ط1، 1993، ص189.

وهذا الفناء عن الحواس لم يلبث أن تطور عند الصوفية إلى حالة أخرى وهي الحالة التي يفقد فيها الصوفي وعيه فقدانا تاما. فأبو يزيد طيفور البسطامي صاحب الشهرة الواسعة في عالم التصوف أعتنق مذهب "وحدة الوجود" حتى انتهى به الحال إلى وثنية لا يبعد منها إلا نفسه التي استبدت بها الأهواء والنزاعات حتى باتت أقواله أشرف من الوثنيات القديمة عبد أبتاعها أصناما لا تنفع ولا تضر¹.

وكانت مدرسة الكوفة تعاصر مدرسة البصرة، إذ وجدت في الكوفة أيضا حامية عربية، وعلى خلاف مدرسة البصرة بما كان لها من نزاعات واقعية ونقدية كانت مدرسة الكوفة ذات مزاج مثالي تقليدي، وقد انتقل صوفية هذه المدرسة في جماعات إلى بغداد حيث كانوا جماعة تضم تلاميذ كثيرين وذلك في أوائل القرن الثالث هجري/التاسع الميلادي ونشأت في هذه الفترة دور للعبادة حول تلك المدينة.

وكان الحارث بن أسد (243هـ/857م) من أشهر رجال مدرسة بغداد هذه، وجاء لقبه "المحاسبي" من أنه كان شديد المحاسبة لنفسه، وتتميز طريقته باحترام كبير للمنقول والبحث الدائب طلبا لكمال النفس، كما تتميز بالاعتناء بالتعريفات الفلسفية الدقيقة وكان الأمر الأساسي في نظره هو تصحيح النية ومراعاة حقوق الله الواجبة على الإنسان في أنواع الأفعال الفردية أو الاجتماعية وهو كتابه "الرعاية لحقوق الله" يصف "قاعدة الحياة" التي ينبغي اتباعها، ويبين كيف أن محاسبة النفس ترد الثغرات التي قد تعرض للإنسان في عباداته، وأول ما يجب على العبد معرفته (والتفكير فيه) هو أن يعلم أنه عبد مريبوب لله تعالى، وينبغي له أن يكون مستعدا دائما لمواجهة الموت، ويتعلم كيف يحتقر الدنيا، ويقاوم غواية الشيطان، ويتغني في عمله وجه الله تعالى ولا يهدف من ذلك إلى إرضاء إرادته هو، وأن يتوجه إلى الله في كل أفعاله، وعليه أن ينتبه إلى نتائج أعماله إذا كانت تمس الغير، وأن يحرص على حفظ نفسه من العجب والكبر، ومن أن يحزن إذا أحس باحتقار الناس له وفي الجملة ينبغي على الإنسان أن يتعلق بالله ليلا نهارا.

وكان تأثير المحاسبي على الناس من حيث محاسبتهم لأنفسهم عميقا، واستمر هذا التأثير طويلا على الرغم من الهجوم الذي تعرض له من جانب المتمسكين بالنقل.

3.1.4. شخصية الجنيد (ت 298هـ/911م):

أما شخصية الجنيد الذي كان فقيها على مذهب سفيان الثوري وهو أول من تكلم على علم التوحيد في بغداد، ويعتبر صوفيا من علماء الدين الذين توقروا على القرآن والحديث ويعرف أتباعه بالجنيدية وأعداه العلماء شيخ مذهب التصوف، والذي كان أستاذا للحلاج وقد تأثر بآراء المحاسبي، كما أشاد به متكلم الأشاعرة على اعتبار أنه كان خليفة الإصلاح الذي نادوا به، وهكذا أصبحت بغداد شيئا فشيئا مركزا للكثيرين من المتمسكين بطريقة السلف والأدباء الذين تعاطفوا مع الصوفية وقد وضعت في اجتماعات هؤلاء

1- سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الاسلام، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط 4، 1993، ص 306.

أول مجموعة من الحكايات المتنوعة والنصوص التي تدور حول فضائل الصوفية وكان الحلاج أحد تلاميذة الجنيد، وهو من أصل فارسي وقد أنكرته مدرسة بغداد بسبب غلوه في آرائه.

5.3.1. شخصية أبو الغيث الحسين بن المنصور "المعروف بالحلاج":

وقد بدأت عنده الصوفية منذ كان في السادسة عشرة من عمره، عندما اتصل بسهل بن عبد الله التستري الصوفي المشهور، وراح يتتلمذ على يديه، ويأخذ عنه شدة مجاهداته وحمله على نفسه، وقد بقي على ذلك مدة سنتين لبس أثناءها خرقة الصوفية¹، وصوفية الحلاج تكمن في خصوصية رؤيته للوجود الذي اعتبر كل شيء فيه متصل بغيره كوحدة واحدة جامعة مهما تباينت الأشياء والأوصاف والمظاهر، ويبدو ذلك واضحاً في تعريفه الخاص للصوفي على أنه "وجداني الذات، لا يقبله أحد ولا يقبل أحدًا"، ولذا كانت صوفية الحلاج السلوكية والنظرية تبحر في الفناء المطلق من أجل سلطان الحق، وتبحث في دوائر لا منتهية، وانتشرت دعوة الحلاج في التصوف بين أهالي بغداد وبلاد فارس وانتشرت في الكثير من البلدان الإسلامية، واجتمع حولها وحول حامل لوائها الحلاج، الكثير من عامة الناس².

كذلك أفكار الحلاج عن الرسالة من أنها لا بد أن تنطبق في رأيه على كل إنسان بالإضافة إلى الكرامات التي يظهرها وربطته في نظر تلامذته بالأنبياء، كل هذه الآراء جعلت الأوساط الصوفية والفقهاء والسياسية تدينه فسجن وحوكم وقطعت رأسه في الرابع والعشرين من ذي القعدة عام 309هـ الموافق للسابع والعشرين من مارس 923م وقد خصص لويس ماسينيون (*Massignon*) مجلدين كبيرين لحياة الحلاج هما من أحسن ما كتب عن التصوف المقارن في هذا القرن (20م) ومن ملامح المذهب الصوفي القول بنظرية المنازل أو المقامات والأحوال، وقد تكلم في هذه النظرية بإجمال ذو النون المصري (245هـ/859م) أحد الزهاد المشهورين لينسب إلى أحميم بصعيد مصر، في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وربما يكون قد تأثر في ذلك بروحانية الزهاد والمتصوفة من الرهبان الشرقيين (نقول ذلك وفي ذهننا كتاب "السلم إلى الجنة" *Loudder to paradise* الذي ألفه القديس يوحنا فيما بعد (*st.Jhon Climacus*) وقد اتخذت هذه النظرية خلال قرون من التجربة صورة ثابتة لا تكاد تتغير.

والتصوف يجمع بين الزهد والتصوف في آن واحد، وهو يتطلب تصفية النفس التي تهيؤها للاتحاد مع الحقيقة الإلهية من يسلك هذا الطريق يمر في ثلاثة مقامات أساسية، مقام الطالب، ومقام السالك ومقام المرید، وهنا نجد الأقسام الكبرى للزهد المسيحي في الشرق.

ويتم سلوك طريق التصوف خطوة فخطوة، فالمتصوف لا يترقى إلى مقام أعلى من مقامه إلا بعد أن يكون قد مر بالمقامات السابقة عليه، وقد ذكر أبو نصر السراج، بعض من هذه المقامات، وهي التوبة ويضعها معظم

1- سميح عاطف الزين، المرجع السابق، ص403.

2- سميح السعيد، الحسين بن منصور الحلاج (حياته/شعره/نفره)، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 1996، ص50.

المؤلفين في التصوف في رأس القائمة على اعتبار أنها المقام الأول، ثم الورع وهو ينبغي أن يزيد (عند الصوفي) على ما لدى المؤمن العادي من هذه الصفة، ثم الزهد التام في خيرات هذه الدنيا حتى في الحلال الموجود منها¹.

6.3.1. شخصية أبو حامد الغزالي (450هـ-505هـ/1058م-1111م):

لا بد قبل الكلام عن أبي حامد الغزالي، معرفة ملامح العصر الذي عاش فيه، والحالة المجتمعية التي كانت سائدة إبان تلك الحقبة التاريخية، بدأت تلك الحقبة مع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، عندما كانت قد دخلت مجموعات من القبائل التركية واستقرت في إقليم ما وراء النهر، بعد أن دخلت في الإسلام وعرفت تلك القبائل باسم "السلجقة" لتنتقل فيما بعد إلى خراسان.

وبعض ملامح العصر السلجوقي الذي عاش الغزالي شطرا منه وزيادة للتوضيح نشير هنا، إلى أنه في ذلك العصر كان الاختلاط في الآراء، وتداخل في الثقافات أمرا واضحا جليا، فالفلسفة اليونانية يستدل بها في العقائد ويحتج بها في الدين، والثقافة الأعجمية تسود بأفكارها ومراميتها في الآداب والتعليم والخلافات الفقهية بعد التفسيرات الصوفية والتدوينات الفارسية، وأساطير اليهود والنصارى تراحم أخبار الأولياء وكرامات الصوفيين، ومن هذا الترويج والاختلاط تألفت تلك العقلية المتحللة وقد تعرف الغزالي إلى تلك الثقافات المتباينة جميعا، فكان لذلك تأثيره الملحوظ في توجيه أفكاره ومجهداته، ولذلك نراه يبحث عن الحق خارج ذلك المحيط الذي راج فيه ما راج من الفلسفات والنزاعات والضلالات، فيقرر في كتابه (المنقذ من الضلال) "إن الحق لا يعدو واحدا من أربع فرق هي الباطنية والصوفية والفلاسفة والمتكلمة"، إن ذلك الحق موجود في الصوفية دون سائر الفرق الأخرى.

والغزالي يرى بأن الصوفية إنما يسلكون طريق الله تعالى خاصة "فسيرهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق أخلاقهم أركى الأخلاق... فجميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"².

والفضل يرجع إلى أبي حامد (1058م-1111م) الذي استطاع أن يقوم بالإصلاح بين الفقهاء والمتصوفة، واستطاع الجمع بين التصوف والفقهاء، وهذا ما نجده واضحا في كتابه "إحياء علوم الدين" وهذا ما جعل ابن تيمية أحد فقهاء القرن 14م أن يلقبه بالمتصوف والمتفلسف³.

1- شاخت وبوزورث، المرجع السابق، ص102.

2- سميح عاطف الزين، المرجع السابق، ص403.

3 - Abdelghani Megherbi , le Monde Musman de la Naissance à la Renaissance, édition du parti, Alger, 1977, p69.

7.3.1. شخصية محي الدين ابن عربي (560هـ-628هـ/1124م-1240م):

هو محمد بن علي محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، من مواليد مرسية في الأندلس في أواخر شهر رمضان سنة 560هـ، درس الحديث والفقه وأخذ عن مشايخه من الأندلس، الذي خصهم بالذكر، أبو محمد عبد الحق وعبد الرحمان بن عبد الله الإشبيلي (الإمام)، حيث تعرف على علماء كثيرين ومتصوفين عديدين، كما سافر إلى المغرب حيث دخل إلى فاس سنة 590هـ، وعاد بعدها إلى غرناطة سنة (595هـ) ثم إلى مرسية وقد برز ابن عربي في الفترة التي كان المتصوف فيها قد استعاد مكانته على يد أبي حامد الغزالي بعد النكسة التي حلت بأهله. وهكذا فما كاد أبو حامد الغزالي يخلي هذه الدنيا حتى قيض للتصوف عالم صوفي آخر، لم يتمشى على منوال السابقين من الأقطاب والمشايخ فحسب، بل ابتدع من الآراء وابتكر من الأفكار، ما أدهش أهل صوفية زمانه أنفسهم، وجعلهم به ينشغلون، ويتعاليمه يقتدرون هذا العالم الصوفي كان محي الدين بن عربي الذي ما زالت كتب الصوفية تحفظ آثاره حتى اليوم، وما زال الصوفية يجلون، ويضعونه في أرفع مقامات شيوخهم وعلمائهم، حيث كانت لابن عربي رؤى غريبة، والحقيقة لم تكن رؤيا بل كانت مجرد تعبير عن حالة نفسية كان يعيشها، ويقول الدكتور مبارك: "إن الرؤية التي رآها ابن عربي فيها ما يقنع من يدعي أن المتصوفة بمقدوره أن يتخلص من عالم الحس هذه الرؤية التي غمرته في تيار الشهوات من حيث لا يريد، تدل على أن غرائزه المفهومة المصورة له في العوالم بصورة الخضوع المؤنث"¹. ويتبين أن ابن عربي كان له مطامع كبيرة للارتقاء في سلم المجد وقد اكتشف أن أمنياته تلك لا يمكن بلوغها إلا في عالم التصوف، فاندفع حتى كانت له على حد زعمه "العلوم العلوية-وعلم الأسرار- وخواص الكواكب".

وبات أسير هذه النزعة الصوفية والتي سيطرت على جميع بحوثه بما فيها بحوث الفقه ولا يفوتنا أن نذكر عاملا الذي كان أكثر تأثيرا في تطور التصوف ألا وهو الخلاف الشديد والعداء المستفحل بين الفقهاء والمتصوفة نتيجة تدخل السياسة في الدين، ومن عوامل هذا الصراع الذي استمر مدى قرون غلو الفقهاء في الشعائر الظاهرة وغلو الصوفية في الآمال الباطنية، واختيار الصوفية كل حين نوعا من القول يضايق الفقهاء كاختراع أبو يزيد البسطامي الفناء في الله ورابعة العدوية حب الله وذو النون المصري المقامات والأحوال، مما كان غريبا على الفقهاء، وكان الحلاج يقول بالحلول، نجد ابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني يقولون بوحدة الوجود، أضف لذلك أن بعض الصوفية لم يلتزموا بالشعائر الدينية على الوجه الأكمل بل قالوا، إن بلوغ درجة الولاية تحرر من المظاهر التطرف كما كان عليه سلف الصوفية، إلى جانب ذلك ادعاء الصوفية أن من يتصل بالله وبلغ الغاية في الفناء خضع له الكون وقوانينه، وجرت على يديه كرامات مقابل ما كان للأنبياء من

1- سميح عاطف الزين، المرجع السابق، ص453.

معجزات، زد على ذلك تسامح الصوفية نحو باقي الأديان حيث يرون أن النصارى واليهود والمجوس، وعبدة الأصنام إنما يعبدون الله مهما اتجهوا وكل الأديان ليست إلا طرفا يوصل إلى غاية واحدة وهي حب الله¹.

4.1. ظهور التصوف المغرب العربي:

اتخذ التصوف في المغرب مسار آخر وذلك بعد نشوئه بالمشرق العربي ثم انتقله إلى المغرب العربي ذلك أنه ارتبط أولاً بظهور الرباطات، وهي المواقع المخصصة لحراسة البلاد ضد أي عدوان، وغالبا ما تكون في الحدود والسواحل، ويطلق على الأشخاص الذين يلازمون الرباط اسم المرابطة أو المرابطين، ويكونون عادة من المتطوعين للجهاد في سبيل الله دون أن يكون لهم أجر مقابل مرابطتهم، أحيانا يلازمون الرباط مع عائلاتهم فكما أن الرباط يهدف إلى ملازمة الثغور على الحدود ضد أي هجوم مفاجئ، فإنه في نفس الوقت يعتبر المكان المناسب ليتفرغ المرابط فيه للعبادة والخلوة والطاعة والذكر.

ظهرت هذه الرباطات في المغرب الأقصى، قبل أن تنشر في سائر أنحاء المغرب العربي، عند قيام دولة المرابطين 1062م وهم من قبائل صنهاجية البربرية، ويعد يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلي لهذه الدولة وجعلوا مدينة مراكش عاصمة لهم، وهم أول من اتخذ الرباطات في المغرب العربي. وجعلوا أمكنة للممارسة الروحية والحربية، ثم تعددت الرباطات في المغرب العربي وقد ظهرت "الزوايا" بالمغرب حوالي القرن الثالث عشر ميلادي يأتي مرادفا للرباطة، والتي يعتزل فيها "الولي" ويعيش وسط تلاميذه ومريديه ومع ذلك فإن الزاوية أو الرباطة ليس في جميع الأحوال هي الرباط وهو منشأة تخدم غرضا آخر كان له في بادئ الأمر طابع حربي².

وقد لعبت هذه الرباطات دورا في نشر الإسلام ونشر التصوف وقد أخذ المرابطون التصوف من الإمام الجنيد عن طريق أحد تلامذته المغاربة، وبهذا يكون التصوف في المغرب العربي قد قدم من المشرق العربي. وقد استمر لفظ المرابط حتى بعد زوال دولة المرابطين، وأصبح اللفظ يعني به الرجل المتصوف أو الولي، لأن الرباطات التي كانت أماكن حربية قد تحولت إلى مأوى للمتصوفين للعبادة وصارت تلك الثكنات العسكرية سابقا أشبه بالزوايا لا غير.

رغم أن المرحلة التي تمتد من القرن 12 إلى بداية القرن 13م تمثل منعرجا حاسما للتصوف سواء في المشرق العربي أو المغرب العربي، فإن التصوف في المغرب العربي يتمتع بخصوصيات حتى ولو أن أصوله تعود إلى المشرق فلم يظهر التصوف في البداية كحركة دينية منظمة، ولم تكن هناك طرقا صوفية كما هو الحال في المشرق، إلا أنه يتأكد كاتجاه وتيار في المغرب العربي مع الولي سيدي بومدين شعيب بن الحسين، فقد أخذ أبو مدين التصوف في المغرب الأقصى من أبي يعزة الهزميري، وعلى بن هزريهم، والدقاق ثم في المشرق مع تلاميذ الجنيد والغزالي حيث التقى مع سيدي عبد القادر الجيلاني في مكة، وبذلك استفاد من نوعين من التصوف

1- سميح عاطف الزين، نفس المرجع، ص460.

2- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989، ص28

أحدهما مغربي عامي وآخر نجوبي من المشرق هذا التكوين المزدوج سمح له بوضع تصوف يكون في متناول كل سكان المناطق المغاربية، وحينما استقر في بجاية كان له مريدون وأتباع كثيرون، ومن أبرز الذين تتلمذوا على يديه نذكر منهم على الأخص ابن مشيش والشاذلي.

ومن هنا بدأ التصوف ينتظم في المغرب العربي وأخذ الأولياء ومريدهم يألفون جماعات صوفية، توسعت في كل المغرب العربي وامتدت إلى مصر والأندلس، وأخذت الزوايا تتعدد وتنتشر سواء من طرف الشيخ نفسه أو من طرف أتباعه.

لتصبح الزوايا لها مكانة سياسية في البوادي المغربية حيث أن الزوايا والأولياء يقومون بدور الحكام بين القبائل والعشائر، فهم يقومون على نقط الحدود لها أهميتها ويشير ذلك إلى وظيفة أساسية من وظائفهم وهي تعيين الحدود وضمان استقرارها¹.

وكانت المرحلة التالية هي تكوين المدارس الصوفية التي تتكون من حلقات من المبتدئين، وحين تحقق هذا التوافق كان التصوف لا زال هو الطريقة التي تعلمتها القلة فقط ولم يكن لدى العلماء السنيين أي إدراك لما كان يحدث حين وضعت بين الناس في شكل حركة شعبية ومن القرن الحادي عشر عملت الزوايا والخانقاوات التي وفرت أماكن راحة مؤقتة للصوفية المتجولين على نشر حياة التعبد الجديدة خلال الريف بدور حاسم في نشر الإسلام في المناطق الحدودية من آسيا وشمال إفريقيا.

وفي القرن الثاني عشر أصبحت الكثير من الخانقاوات غنية وازدهرت المباني، ويكتب ابن جبير الذي سافر في الفترة (1183 - 1185 م) في عصر صلاح الدين، من دمشق فيقول: "إن الرباطات الصوفية والتي تعرف باسم الخانقاوات، كانت عديدة وهي قصور مزخرفة تتدفق خلالها جداول المياه، وتعطي صورة سارة ممتعة قدر ما يرغب المرء في ذلك ..."².

فكانت الزوايا بالنسبة لسكان المغرب على غاية كبيرة من الأهمية لما كانت تقوم به من أدوار دينية، تعليم القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الروحية والأخلاقية، أيضا وجود اجتماعي بدليل قول الشعراي "وأعظم طريق إلى دفع البلاء النازل على الناس في حارة أو قرية أو زاوية مصالحة بعضهم البعض حتى لا يبقى بينهم شحناء"³.

وما لبث أن تطورت إلى تصوف فلسفي نتيجة مؤثرات وعوامل عديدة، وكان رواد الاتجاه الأول "التصوف السني"، ابن النحوي المتوفي سنة 513 هـ، في العهد الحمادي، وأبو مدين شعيب المتوفي عام 594 هـ/1197 م، وأبو زكريا الزواوي المتوفي 611 هـ وغيرهم في العهد الموحيدي، والذين ساهموا في تغذية التيار

1- سينسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الاسلام، ترجمة عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص30.

2- ليليا بن سالم (وآخرون)، الأثروبولوجيا وتاريخ حالة المغرب، ترجمة عبد الأحد البشني، دار توبقال، المغرب، 1988، ص50.

3- محمد نسيب، المرجع السابق، ص29.

الصوفي أحمد بن عبد الرحمان النقاوسي وعبد الرحمان الثعالبي الذي كان تلميذ للنقاوسي، الذي اتصف بالزهد والتصوف، كما اتصف ابن رشد بالفلسفة، وابن خلدون بالتاريخ وعلم الاجتماع، وقد ساهم إبراهيم النازي أستاذ السنوسي في حركة التصوف بلسانه وقلمه وزاويته¹، وحتى محمد الفراوسني، عيسى البسكري، بركات القسنطيني كلها شخصيات عرفت في الشرق الجزائري، حيث أن الجزائر عرفت التصوف من زمن بعيد، ولكن العلماء أنكروا عليهم ولم يكن يومئذ شأن للصوفية إلى أن جاءت الدولة المؤمنية فنشرت المعارف (ونصرت الفلسفة) فظهرت من الصوفية رجال ارتفع صيتهم في الآفاق ولكن لقوة الدولة لم يتمكنوا من السيطرة على العامة حتى سقطت الدولة المؤمنية، وخلفتها دولة تنازع أمراؤها أمرهم بينهم، فضعت سلطاتهم، وعلت كلمة الصوفية فمثلوا أدوارهم مع العامة وكان ذلك مبتدأ انحطاط الجزائر في المغرب دينيا وسياسيا².

فإن الطوائف المتناسكة ذات الطبيعة المختلفة تماما أصبحت عديدة، رغم أنها لا تزال تحتفظ بشخصيتها والتجمعات لأفراد يقنعون طريقهم الخاصة حتى رغم ارتباطهم بالرجال المجريين، والبحث عن هدايتهم والذين نسبوا أنفسهم إلى مثل هذه الهداية أو هؤلاء المرشدين، وأفراد هذه الأماكن كانوا غير دائمين ومهاجرين وقد استخدموا الحد الأدنى، إذ أن قواعد الصحبة الصوفية كانت وأصبحت إلزاما دينيا.

لكن تكوين التجمعات المغلقة والصوفية خارج التنظيم المعتاد للإسلام مع تنظيم الطقوس "السماع" أو التوافق الروحي لها شارة الانجذاب الصوفي هو الذي كان بصورة أكثر احتمالا يثير رد فعل الرأي التقليدي في الدين أكثر من الأفكار المشبوهة. بينما الحاجة إلى هيئات تهتم بالربغبات الدينية بخلاف الشعائر المقدسة والمحددة بالشرعية، وهيئات الصوفية في الخانقات مع التشجيع الرسمي لنور الدين وصلاح الدين خيامهم وخلفائهم قد جعلت الهيئات الصوفية تحضي بالاحترام من طرف الأفراد لكن رغم هذا الترحيب بهذه الطريقة فإن التيار التقليدي أو السلفي أو الصوفي قد اتبعنا ليس فقط طرقا أخرى، ولكنها طرقا مختلفة ويتضح عن طريق التطوير العلمي الموازي للمدارس والخانقات³.

إلا أنه يعود ظهور التصوف إلى عدة مؤثرات منها الاتصال بالمشرق عن طريق الحج وتلمذ هؤلاء الرواد على مشايخ التصوف في المشرق والاطلاع على مذاهبهم واتجاههم وفلسفاتهم في هذا الميدان والتزود بالكتب والمؤلفات المهمة في هذا الشأن كرسالة القشيري، وقوت القلوب للمكي وإحياء علوم الدين للغزالي وغيرهم، كما تأثروا بالمذهب الشيعي الذي تسرب إلى المغرب الأوسط وبفكرة المهدي التي بنيت عليها الدعوى الفاطمية في المغرب وكذلك الدعوة الموحدية، كما أن الأوضاع المتدهورة سواء في المشرق أو المغرب تعتبر من العوامل الهامة التي أثرت في تطور التصوف في المشرق أو المغرب تعتبر من العوامل الهامة التي أثرت في تطور

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10هـ-14هـ/16م-20م، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص83.

2- محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص347.

3- سينسر ترمينجهام، المرجع السابق، ص32.

التصوف في المشرق والمغرب معا، حيث نجد أن المغرب الأوسط منذ الربع الأخير من القرن الثالث عشر (الميلادي) بدأت تسود فيه الفوضى والاضطرابات والثورات مما أدى إلى انعدام الأمن والاستقرار وتدهور الحالة الاقتصادية، ثم تلاها تفكك الوحدة المغربية وانقسام المغرب العربي إلى ثلاث دويلات ظلت تتناحر فيما بينها إلى مطلع القرن السادس عشر ميلادي، ويعود انتشار التصوف السني في بداية العهد الموحدى إلى الأمن والاستقرار اللذين تحققا في ظل الوحدة المغربية والسلطة المركزية تحت حكم الموحدين، وقد حفل المغرب الأوسط في هذه الفترة بشخصيات صوفية نخص بالذكر أبو مدين شعيب الذي يعد أول من أدخل تعاليم الصوفية المنتشرة في الجزائر وقد نزح أبو مدين من الأندلس إلى فاس ثم تلمسان التي اتجه منها إلى الحج حيث تزود هناك بتعاليم صوفية ثم عاد بعدها واستقر بالمغرب الأوسط، واختار بجاية مقرا له فكانت له شهرة واسعة ومكانة رفيعة، حيث تخرج على يديه المئات بل الآلاف من الطلبة الذين ادعوا الولاية وعملوا على نشر الكثير من الكرامات والخواص التي نسبوها لشيخهم وأستاذهم أبي مدين، وادعى بعضهم كأبي العباس قائلا: "جلت في ملكوت الله فأريت سيدي أبا مدين متعلقا بساق العرش... فقلت له وما علومك؟ وما مقامك؟ فقال: علومي أحد وسبعون علما، وأما مقامي فزابع الخلفاء ورأسي بالسبعة الأبدال....".

وقال عنه عبد الرحمان المغربي: "سمعت سيدي أبا مدين يقول: أوقفني ربي عز وجل بين يديه وقال لي: يا شعيب ماذا عن يمينك؟ فقلت يا رب عطاؤك، قال عن شمالك، قلت يا رب قضاؤك، فقال: يا شعيب لقد ضاعفت لك هذا وغفرت لك هذا فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك"، وهذا بعد عودته من الحج واتصاله بالشيخ عبد القادر الجيلاني، وتلمذ عليه في بغداد، حيث أعاد إليه خرقة الصوفية، ويبدو أن تصوف أبا مدين وغيره في هذه الفترة يشبه كثير من الخرافات والبدع التي ازدادت انتشارا وتوسعا بعده، فكان من الراجح أن هذه الشخصيات الصوفية، ومنهم أبو مدين شعيب، ساعدت على نشر فكرة الأولياء في المغرب الأوسط وخلقت الجمود وتسببت في انحطاط الحضارة الإسلامية والتخلف الفكري لدى طبقات الشعب العربي وبالتالي ساد الاعتقاد في الأولياء وفي كراماتهم، فازدادت سلطتهم الروحية واتسع نفوذهم وكثر عددهم في المغرب الأوسط¹، ومما مر معنا نخلص إلى القول بأن التصوف في البداية كان فرديا ويعني الاعتكاف على العبادة وإطراح الدنيا بما فيها من مال ولذة وجاه، والانقطاع إلى الله عز وجل، وبمرور الزمن أصبح جماعيا وخاصة منذ نشأة الطرق الصوفية، وقد بدأ بسيطا ثم تطور ليصبح فلسفة واتجاهها معيننا في العبادة والسلوك ونتيجة لتأثره بمختلف العوامل انقلب إلى دروشة ثم زاد في الانحطاط حتى قيل عنه: كان التصوف حالا فصار مالا، وكان احتسابا فتحول إلى اكتساب، وكان تعففا فأمسى تكلفا، وكان تخلقا فأضحى تملقا.

1- مختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص20.

2. الطرق الصوفية

2.1. عوامل نشأة الطرق الصوفية:

إذا كان التصوف الإسلامي الذي نشأ منذ القرن الثاني الهجري في بدئه مقصورا على الحياة الزهدية القائمة على الاعتزال والتأمل فقط، تطور ليصبح منهجيا دينيا محددًا، واتجاهها نفسيا وعقليا معينًا، وظل كذلك إلى بداية القرن الثاني عشر ميلادي حيث ظهر نظام الطريقة عند هؤلاء المتصوفين المسلمين، فكان هناك الشيخ والمريد أو السالك، ونشأت بعض الحلقات من كبار الصوفية إما في حياتهم أو بعد مماتهم. وقد ظهر اهتمام المتصوفة بالسلاسل وخاصة بعد أن ضعف التصوف واحتاج الأمر إلى سند يجلب احترام المريدين وإعجاب الناس، وهذه السلاسل الكثيرة والتي أوردتها المتصوفة تنتظم في سندها المتصوفين المعروفين من أول التصوف إلى وقت تنظيم الطرق الصوفية، ومن ذلك ما يورده ابن مريم في البستان عن أبي مدين شعيب قوله: "كرامات الأولياء نتائج معجزات سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى يسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين جل جلاله. وكذلك ما أورده الشيخ مصطفى باشا تارزي القسنطيني الكرغلي عن الطريقة الرحمانية وسندها حيث يذكر ما يروى عن خمسة وثلاثين شيخا صوفيا¹.

وقد تميزت هذه الطرق الصوفية عن التصوف القديم، حيث أنها تنبت طابعا خاصا وأسلوبا معينًا ومحددًا في الوصول إلى الفناء والشهود، وهي في ذلك تختلف عن طابع وأسلوب غيرها وإذا كان بعض هذه الطرق قد أسس قبل الغزو المغولي 656هـ (1258م) فإنها تعددت وانتشرت وتشعبت منذ القرن الرابع عشر ميلادي، وفي أنحاء العالم الإسلامي، وكان أول من نادى بها وأسسها آل شيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد، حيث كان التصوف في أساسه صوفية تأملية وعاطفية، وهو كتنمية منظمة للخبرة أو التجربة الدينية فهو ليس نظاما فلسفيا، رغم أنه طور مثل هذا النظام، ولكن "الطريقة" وهي طريقة التطهير وهذه الناحية العلمية وقد انتشرت التعاليم والممارسة في أنحاء العالم الإسلامي خلال نمو طرق خاصة والتي نشرت بين الناس وسط التعاليم الدينية، وكحركة دينية فقد تعرضت لنواح كثيرة.

إن تأسيس الطرق الصوفية أو الفرق هو النظام والعلاقة بين الشيخ والمريد وقد كان طبيعيا إلى أن تقلب لسلطة وإرشاد أولئك الذين انتهجوا مراحل "مقامات" الطريق الصوفي، ويقول شيوخ الطريقة إن كل إنسان قد ورث بداخله إمكانية تحرره من النفس والاتصال بالله - عز وجل - ولكن هذا يكون كائنا وساكنا ولا يمكن إطلاقه إلا عن طريق إشرافات خاصة منحها الله لمن يشاء بدون إرشاد من مرشد، كان الشيوخ الأوائل أكثر اهتماما

1- مختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص33.

بالتجربة أو الممارسة عنهم بوضع النظريات النيوصوفية، ولقد استهدفوا الإرشاد بدلا من التعليم، موجهين المرشد إلى طرق التأمل وبها يكتسب بنفسه استبصار الحقيقة الروحية ويكون محصنا ضد أخطار الأوهام¹. لقد ظهر اتجاهان متقابلان مميّزان هما، الاتجاه الجنيدى والاتجاه البسطامى أو العراقى أو الخوراسانى ولكن يجب أن يؤخذ بجديّة شديدة أو يسميان مدارس فكرية وذلك باسم كلا من أبى القاسم الجنيد وأبى يزيد البسطامى اللذين أحاطا بالتخييلات أو التصورات أكثر من أي من معاصريهم، وقد اعتبر هذان على أنّهما يجسدان التقابلات بين الطريق الصوفى القائم على التوكل والطريق القائم على السلامة بين الغيبة والصحو بين الأمين وبين المشتبه، بين الإشراف والالتزام بين الخلوة والصحبة، بين التأليه الشامل والوجدانية، بين الهداية فى ظل مرشد من أهل الدنيا والهداية فى ظل شيخ روحى - رغم الاختلافات بين تعاليم البسطامية والجنيدية عن الآداب الصوفية- فإنّ الجنيد قد اعتبر شيخ الطريقة، وهو الجد المشترك لمعظم جماعات الصوفية اللاحقين وحتى رغم أنّ كثيرا من الفرق تابعت تعاليمها ابتداءيا وهراقطية، فإنّ إدخاله فى أصول هذه الجماعات كان ضمنا، فالاستقامة ومراعاة الجذور للإسناد الصحيح يمكن أن يدعم العديد من المرطقات.

كانت هذه الجماعات مفككة متقلبة للغاية، وقد سافر أعضاؤها على نطاق واسع بحثا عن الشيوخ، وكان بعضهم يكتسب بطريقة والبعض الآخر استعان بالصدقات، ولكن وجدت الأوقاف التي عملت كمراكز لهؤلاء المتجولين، وفى المناطق العربية ألحق الكثير من هذه الأوقاف بمواقع الحدود أو الفنادق المسماة أربطة، أما فى خرسان فكانت مرتبطة بالاستراحات أو الخنقاوات - جمع خانقاة- بينما كان الآخرون القائمون بالرياضة الروحية (الخلوة أو الزاوية) كل هذه المصطلحات جاءت لتعنى مقرا أو مكانا للموجه أو المرشد الروحى².

2.2. خصائص ومميزات الطرق الصوفية:

إن من بين أهم خصائص و مميزات الطرق الصوفية:

أ. **لبس الخرقة:** إذا كان الطريق يقوم على شيخ ومرشد بينهما عهد فإن أهم خصائص الطريق لبس المرقعة أو الخرقة الصوفية، ويكاد يجمع أصحاب الطرق الصوفية المختلفة أنهم أخذوا الخرقة من فلان عن فلان فى سلسلة عنونة طويلة تنتهى إلى الإمام علي كرم الله وجهه. ويقول الهجورى وقد أمر مشايخ هذه الطريقة المرشدين بأن يتحلوا بالمرقعات ويتزينوا بها وفعلوا هم ذلك لتكون لهم علامة بين الخلق ويكون الخلق رقباء عليهم، فإذا خطوا خطوة على خلاف، يطلقون فىهم لسان الملامة، وإذا أرادوا إتيان المعصية فى تلك الثياب، فإنهم لا يستطيعون الجلاء من الخلق.

1- سبتر ترمنجها، المرجع السابق، ص25.

2- المرجع نفسه، ص28.

ويقول صاحب ظهور الحقائق (العطاس): "وإذا أراد الشيخ أن يلبس المرید الخرقه فليتطهر ويأمره بالتطهير، ثم توضع الخرقه بين أيديهما ويقرأ الفاتحة ويلبسها الشيخ بيده المرید قاصدا بذلك الإنابة عن الله تعالى ورسوله ثم يذكر له نيتهما كأن يقول ألبسهالك كما ألبسني إياها شيخني فلان... إلى آخره"

ب. الذكر: إذا كانت الخرقه من خصائص الطرق الصوفية وميزاتها الظاهرة، فإن الذكر أيضا من أهم تلك الخصائص والمميزات وقد اعتمد سند تلقين الصوفية لمديريهم على سند تلقين الرسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه (لا إله إلا الله) جماعة وفردى، والذكر من أهم الوسائل إلى الوصول إلى الله تعالى¹. يقول القشيري في رسالته، الذكر ركن قوي في طريق الوصول إلى الحق سبحانه تعالى، بل هو العمدة في الطريق القويم ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر. ويتحدث التستري عن ثلاثة أنواع من ذكر:

1- ذكر اللسان / 2- ذكر بالقلب / 3- ذكر الخاصة وهو الذكر الموصل، والنوعان الأول والثاني يدخلان في نظر التستري في دائرة المقطوع والثالث وحده الذي لا يقدر عليه إلا النخبة الممتازة في الحياة الروحية، إن هذا النوع الخاص من الذكر هو واجب كلية القلب بوقوفه متسلما في حضرة الله الدائمة.

ج. السماع: يقصد بالسماع الغناء والموسيقى وهي الضابط للإيقاع وإنشاد الشعر والمنظومات والغناء والرقص والتمايل. ونلمس طرقا كثيرة تنشأ الأدوار الموسيقية بمذاهبها المختلفة في مجالسها الصوفية حتى أنه أصبح للتغني في مجالس الصوفية طريقة خاصة وضحتها بعضهم حيث يقول إن الصوفية درجوا منذ القديم على أن يبدؤوا مجالس الذكر: بـ (لا إله إلا الله) وتعرف عندهم بالأرضية ويأخذ (الرسيم) الذي هو رئيس المجلس في التدرج بالذاكرين أثناءها من الراس (الرصد) إلى الدوكة إلى السيكا إلى (الجهركاء) إلى الحجاز ثم الرهاوي فالكردي فالبياتي فالصبا. ولقد أصبحت حلقات ذكر الله تعالى سماعا موسيقيا وإيقاعات رتيبة فوجدنا بعض أبناء الطرق الصوفية قد ولعوا بالنقر والضرب والعزف والغناء.

د. المولد: من أهم ما ترتب على قيام الطرق الصوفية ظهور وانتشار تلك الموالد المتعددة للاحتفال بذكرى شيوخ الطرق وأولياء الله الصالحين. وإذا كانت الموالد تقام لإحياء ذكرى رجال الإسلام وأعلامه فالمفروض أن تكون مناسبات تدعيم وتجديد للقيم الإسلامية والروحية لا تكون بهذه الصورة المشوهة التي تصحب إقامة الموالد وتعد ورقة رابحة في يد أعداء الطرق الصوفية وليس العيب إقامة المولد، بل هو عيب التنظيم والإعداد².

1- عامر النجار، الطرق الصوفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون سنة، ص ص 40-46.

2- عامر النجار، المرجع نفسه، ص ص 64، 65.

3.2. وظائف الطرق الصوفية:

لقد قامت الطرق الصوفية منذ ظهورها إلى اليوم بأدوار غاية في الأهمية وكان لها عظيم الأثر في شتى المجالات مما يدل على خطورة المهام وسنحاول أن نرسم صورة تأليفية عن الوظائف التي تنهض بها دينيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

أ. الوظيفة الدينية:

هناك وثيقة صلة بين التصوف الطريقي والأماكن التي تحتضنه كالزوايا والخانقاوات والرباطات ومن هنا كانت صعوبة الفصل بين الطرق الصوفية والأماكن التي تمارس فيها أنشطتها إذ لا يمكن أن تنفصل الطريقة عن الزاوية مثلا باعتبارها مؤسسة دينية قبل كل شيء فهي مكان تمارس فيه الأعمال الملازمة للتصوف من تربية ورياضة، وبذلك تنهض بدور مكمل إلى جانب المسجد.¹

وكذا الحفاظ على الإسلام والقران الكريم وظلت المكان الذي يلتقي فيه المريدون لمشايخ الطرق الصوفية لأخذ الأدوار أو طريقة الذكر وكذا تعليم الفقه والعلوم الدينية هذا من الناحية الدينية.²

وامتازت الزوايا في التصوف الطريقي باستعارتها خاصية الحرم من الحرمين مكة والمدينة الذين يحرم فيهما القتال والصيد، فإذا كان مصطلح الحرم مقتصرًا على المدينتين المقدستين فقد زيد في معناه حتى تشمل أماكن العبادة وطبق على الزاوية أيضا، فهي بهذا الاعتبار حرم آمن للناس وللحيوان فكثيرا ما يتخذها الخائفون ملاذا وقد يكون اللجوء إلى الزوايا لجوءا جماعيا. وما يتصل بالوظيفة الدينية التي تنفرد بها الزاوية تلبسها صفة البركة التي تدلل على أهمية رجال التصوف في المجتمع ومنزلتهم الدينية في نفوس الناس مما حمل هؤلاء على إسقاط أهمية الرجال على أمكنة وجودهم أحياء أو أمواتا.

ب. الوظيفة الاجتماعية

تفهم الوظيفة الاجتماعية للطرق الصوفية من تصور رسخ في التصوف الطريقي فحواه، أن الشيخ الصوفي يأخذ على عاتقه مسؤولية تلبية حاجات الجماعة فذلك من مقتضيات الولاية قبل كل شيء ولا يتاح له ذلك إلا إذا تميز بمجموعة من (الصفات أهمها حماية الناس وتحمل أعباءهم وحل مشاكلهم ورعاية مصالحهم). وقد قامت الطرق الصوفية بتقوية الروابط الاجتماعية بين المريدين الذين ينتمون إلى القبيلة الواحدة فانضافت إلى روابط الانتماء القبلي روابط الانتماء الطريقي فتعاضدت القرابة والطريقة لتزيد الروابط الاجتماعية التحاما ومتانة، ذلك أن ما تقيمه الطرق من أعياد سنوية واحتفالات دورية للذكر الصوفي.

1 - محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، 2007، ص46.

2 - زيناح سعيدة، بوخودوني صبيحة، الزوايا من منظور سوسيو ثقافي، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 01، جامعة الأغواط، 2007/2006، ص 56.

إن تلك الأعياد والاحتفالات تنشئ علاقات جماعية متينة جدا فهي تنمي وتوثق علاقات اجتماعية أخرى سائدة كعلاقات القرابة والجنس والعرق والحبي والصنف الاجتماعي وغيرها¹. وكانت تعمل على إقامة العدالة الاجتماعية بين كل فئات المجتمع ومن وظائفها الاجتماعية الصلح بين الناس وفك النزاع بينهم فلو أخذنا على سبيل المثال النزاع الخاص بأموال الميراث فكثير من الأفراد لديهم نزاع من هذا النوع يلجؤون إلى الخليفة أو مقدم الزاوية يطرحون عليه المشكل، ويعمل المقدم جاهدا لفك هذا النزاع وذلك بالاستناد إلى الكتاب والسنة، وتعد الزاوية الصوفية مؤسسة اجتماعية مقترنة في الأغلب الأعم بالإطعام حتى صارت ملازمة له ذلك أن إطعام الطعام رمزا للبركة.

ج. الوظيفة التربوية

تقوم الزوايا بوظائف تربوية والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والذكر فهذه الوظيفة لم تنزل فالزوايا تعمل على إنشاء المدارس القرآنية (أو الكتاتيب) لتعليم الناس وخاصة فئة الأطفال². بإمكان الدارس لتاريخ الزوايا في الجزائر أن يرى فيه ثلاث مراحل أساسية: مرحلة مقاومة الاستعمار وهي أكثر المراحل ازدهارا ومرحلة الثورة المنظمة، ومرحلة ما بعد الاستقلال حيث استطاعت زوايا ومدارس القرآن التابعة لطرق الدرقاوية والتجانية والقادرية والرحمانية أن تكون مركز إشعاع علمي وديني ومراكز أيضا لإيواء المقاومين، فعلى سبيل المثال عبد القادر بن محي الدين خريج زاوية درس فيها التوحيد والفقه والنحو والصرف والبلاغة والآداب ثم أصبح فارس الميدان يخوض المعارك مع الضباط الكبار الذين درسوا فنون الجيش المنظم

لقد عمل الاحتلال على تخريب وتدمير أهم مدرسة وأكبر زاوية وأقوى معهد وقصد إلى ذلك الجنرال دوماس إذ قال: أنه في سنة 1849 لم تبق أي مدرسة ثانوية تقريبا على وجه التراب الجزائري لذا حملت الطرق الصوفية هم التعليم في الزوايا في المدن والجبال والأرياف وحملوا مشعل الثقافة من جديد وكان أهم ما قامت به هو المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وحفظه في صدور أبناء المسلمين كتابة ورسمًا وتلاوة وتجويدا³. ويقول بن خلدون في هذا الموضوع " وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القبروان الذين نشروا القرآن والسنة ومبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر ، وبذلك تم إسلام البربر وأصبحت لغتهم العربية ... وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة الأولى من علماء الدين في القبروان وفي المغرب كله أمثال أسدن بن الفرات⁴.

1- محمد بن الطيب، المرجع السابق، ص- ص 165-168.

2- زيزاح سعيدة وبوخدوني صبيحة ، المرجع السابق ، ص 67 .

3- نجيب بن خيرة ، الزوايا في الجزائر وفريضة التعليم الغائبة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد08، قسنطينة، مطبعة البعث، 2001، ص 162 .

4- الطالب بن عبد الرحيم بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص 13.

2.4. أهم الطرق الصوفية

- **الطريقة الشاذلية:** يرجع تأسيس هذه الطريقة الصوفية إلى أبي القاسم الجنيد الذي تأثر به الشيخ شعيب أبو مدين الأندلسي الفقيه الشهير الذي انتشر صيته خلال ق12م في كافة العواصم الإسلامية وقد تتلمذ على يد الشيخ عبد السلام بن مشيش المغربي الأصل وفي الحقيقة يرجع منبع الشاذلية إلى هؤلاء العلماء الذين تأثر بهم الشاذلي إلى آرائهم وأفكارهم لتكوين الطريقة الصوفية المعروفة بالشاذلية¹. وكان تأسيسها الفعلي على يد المتصوف الشهير الشيخ أبو الحسن المعروف بالشاذلي (1196م-1258م) نسبة إلى شاذلية بتونس، الذي كان فيها مبدأ ظهوره وانتشار دعوته، ولد بقرية "غمارة" القريبة من مدينة "سبة" في المغرب الأقصى²، تلقى الطريق عن أبي عبد الله بن مشيش 'ويقال أيضا بشيش باللباس' طاف ببلدان المغرب العربي و أدركته المنية وهو في طريقه للحج، ببلدية القصير على شاطئ البحر الأحمر في قرية يقال لها حميره وله ضريح يزار ويتبرك به، وتعتبر الطريقة الشاذلية المتصلة بالإمام أبي القاسم الجنيد من أسلم الطرق الصوفية وأقربها إلى السنة، انتشرت زواياها في المشرق والمغرب، وله أتباع ومريدين منتشرين في الجزائر وعدة أقطار أخرى، وفي المغرب الأقصى تعتبر الرسمية إلى جانب المذهب المالكي في الفقه والعقيدة الأشعرية في التوحيد، وقد انفرد بعض شيوخ هذه الطريقة بإنشاء زوايا على اسمهم، وأشهرهم الشيخ علي النور الشرطي الذي ولد بتونس (1793م-1898م) وبعد أن طاف بالبلدان العربية استقر أخيرا بمدينة "عكا" في فلسطين، حيث أسس زاوية سنة 1862م وانتشرت الطريقة الشرطية في بعض البلدان الشامية مما أزعج الحكومة العثمانية فأمر أحد الولاة العثمانيين بنفي الشيخ الشرطي إلى قبرص، فأقام فيها ومن معه ثلاث سنين، وسعى الأمير عبد القادر للإفراج عنه، لكنه لم يلبث وأن تجددت حركته، فنفتهم الحكومة العثمانية إلى ليبيا وأعيدت إليه حريته، فرجعوا إلى طريقتهم واستمروا على ذلك حتى توفي عام 1898م وقبره في زاويته بـ"عكا" بفلسطين والطريقة الشرطية أصبحت اليوم كطريقة مشهورة، ولها أتباع ومريدون كثيرون في سوريا وقد أصبحت الزاوية الشرطية اليوم من جملة ما صادره اليهود من أراضي المسلمين ومقدساتهم وأوقافهم، ثم آلت مشيخة الطريقة إلى ابنته فاطمة الشرطية التي استقرت ببيروت، ثم بعد وفاتها إلى الأستاذ أحمد الشرطي الذي جمع بين الثقافتين العصرية والدينية³.

1- عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء، الطباعة الشعبية للحيش، صدر عن وزارة الثقافة، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص100.

2- أحمد النقشبندي، الطرق الصوفية، تحقيق: أديب نصر الله، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 1992، ص40.

3- زيراح سعيدة، الطريقة في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية في المجتمع الجزائري المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص علم اجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2، 2013/2012، ص154.

• طريقة درقاوة الشاذلية:

طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الشاذلية المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسين علي الشاذلي، المتوفي 656هـ-1258م تلميذ وخليفة الشيخ عبد السلام مشيمش الذي تتلمذ بدوره على يد أبي مدين شعيب صاحب المقام الأول في نشر تعاليم الجنيد الصوفية وتعاليم الشيخ عبد القادر الجيلالي، ويعتبر أبو مدين الرئيس الأقدم للطرق الصوفية المنتشرة بالجزائر، ويرى العلماء أن الطريقة الشاذلية أو الدرقاوية أو غيرها من الطرق الدينية الأخرى في المغرب العربي تعد كإرث روحي لأبي مدين الشعيب، وقد سميت بدرقاوية أو الدرقاوية نسبة إلى مؤسسها الشيخ العربي بن أحمد الحسين بن محمد بن يوسف الملقب بـ: "أبو درقاوية" الشريف الأريسي. وقد ولد العربي بن أحمد الدرقاوي في قبيلة بني زروال بضواحي مراكش بعد عام 1150هـ-1737م اشتغل كمدرس في مدرسة في فاس، ويتردد إلى دروس الصوفي علي بن عبد الرحمان الجمال الفاسي، أخذ الشيخ السلسلة التي تمتد إلى أبي مدين شعيب الذي أعطى دفعة جديدة للطريقة الشاذلية حققت لها الانتشار في المغرب بعد أن انصرف الناس عنها إلى الطرق الأخرى كالطيبية، ويرى الكثيرون أن علي بن عبد الرحمان الجمال هو المؤسس الحقيقي لطريقة "درقاوي" وقد أصبح العربي الدرقاوي تلميذا ومرشدا ثم صديقا وخليفة لابن عبد الرحمان الفاسي، حيث حول هذا الأخير إليه كافة سلطاته الروحية قبل وفاته، وقد اشتهر العربي الدرقاوي باستقامته والزهد في متاع الدنيا واحتقار السلطان والوظائف وذلك ما أوصاه به شيخه السابق الذكر كما كانت أعماله مطابقة لمبادئه، بمجرد أن تسلم السلطة الروحية من شيخه بادر في تأسيس زاوية له ومريديه، في طريقة جديدة وضع لها نظمها وقواعدها الخاصة، وانطلق في نشر دعوته الدينية المستمدة من تعاليم الشاذلية، فحقق نجاحا كبيرا، حيث ازداد أتباعه بسرعة في جميع المناطق المغربية وخاصة في شمال المغرب الأقصى والمناطق الغربية من الجزائر كوهان ومستغانم وتلمسان وتيارت، ويتميز أتباعه عن غيرهم بالحلية الطويلة ولبس الخرق والعقد ذو الحبات الخشبية وحمل العصا وكان الواحد منهم يُكنى بـ أبو دربالة. وقد لعبت الطريقة دورا سياسيا هاما في المنطقة حيث أُلحقت تشجيعا كبيرا من سلطان المغرب الأقصى مولاي سليمان الذي اتبع في سياسته الاعتماد على رجال الدين والأشراف بتقريبهم إليه، فكان انتشار اتباع الطريقة بالمغرب الأقصى وغرب الجزائر بمثابة حصن يحمي سياسة سلاطين مراكش من خطر الأتراك بالجزائر، ونظرا إلى أن نظام الطريقة يدعو إلى السلم والابتعاد عن الاضطرابات والمشاركة في الثورات ضد الحكام، فقد حاول العربي بن أحمد الدرقاوي 1220هـ-1805م عن طريق الرسائل والمبعوثين أن يعيد حلية عبد القادر بن الشريف "الذي قام بثورة عارمة على الأتراك في غرب الجزائر" إلى الخط الأكثر اتساقا مع نظم الطريقة، إلا أنه لم يفلح وعاد إلى زاويته "بويريح"، وتوفي عام 1239هـ-1823م ودفن بزوايته بويريح التي أسسها بنفسه، وقد ظلت هذه الزاوية الأم تتمتع بسُلطان إداري وروحي على سائر الزوايا الفرعية¹.

1- مختار الطاهر فيلاي، مرجع سبق ذكره، ص55.

● **الطريقة القادرية:** تنسب هذه الطريقة للشيخ الفقيه الورع والزاهد التقي عبد القادر الجيلاني وتشير الدراسات والمصادر التاريخية أن أول طريقة صوفية عرفها شرق إفريقيا هي الطريقة القادرية وكان أول داعية للطريقة القادرية الشيخ حسين بن عبد الله المعين حيث قدم من مكة المكرمة إلى زنجبار والتي كانت تعتبر مركزا حضاريا لكل شرق إفريقيا وكان أولى أولوياته عند وصوله زنجبار مؤخاته الشيخ علي بن عمر الشيرازي ذي الأصول الإفريقية وقد تمكن بفضل هذه المؤاخاة من التوسع والانتشار في أواسط الأفارقة حتى وصلت إلى منطقة (ريفيجي) وخلفه على الطريقة الشيخ عويس بن محمد والذي يعتبر عند الكثير من المهتمين بالشأن الإفريقي المؤسس الفعلي للطريقة القادرية ولد هذا الأخير في الصومال عام 1846 وتلمذ في مدارسها القرآنية وأخذ الطريقة على الشيخ عبد الرحمن الزيلعي، ثم سافر إلى العراق وفيها أجزى بعلم المعقول والمنقول والسلوك والتصوف على يد الفقيه مصطفى سليمان وأذن له بنشر الطريقة في شرق إفريقيا وبعد سلسلة من الاتصالات والمراسلات بينه وبين ثالث سلاطين زنجبار السيد برغش بن سعيد زار زنجبار عام 1884م وبعد استقراء ودراسة لطبيعة الحياة في زنجبار تبين للشيخ الاستقرار في زنجبار وعاد فعلا إليها عام 1897 ليستقر بها وبشكل نهائي، ولقد كللت إقامة الشيخ بالنجاح لدرجة أن الإدارة الألمانية والتي كانت قد سيطرت على داخلية البر الإفريقي قد أوجست خيفة من وجود الشيخ خوفا من إعلان الجهاد ضدها وبعد وفاة الشيخ عويس خلفه في مشيخة الطريقة الشيخ عمر بن قلتين من منطقة براوي وهو صومالي أيضا وكان على جانب كبير من العلم والتقوى والجهاد ضد المستعمر سلك بالطريقة القادرية مسالك أخرى مكن للطريقة أكثر مما كانت عليه من قبل حتى وصل عدد الزوايا التي أسسها إلى ستة وعشرين زاوية ورباط، ومن زنجبار أرسل أتباعه وتلاميذه إلى كل من دار السلام وليندي وطابورا ودودوما وأجيجي، كما كان لنجله الشيخ علي بن عمر بن قلتين الفضل في توسيع نطاق الطريقة إلى كل من مالواي وزامبيا وموزنيق¹.

● **الطريقة الرفاعية:** هي طريقة صوفية ينتشر أتباعها في العراق ومصر وسوريا وغرب آسيا، لهم راية باللون الأسود تميزهم عن باقي الطرق الصوفية. تُنسب إلى الفقيه الشافعي الأشعري، أحمد بن علي الرفاعي (512 هـ - 578 هـ) الملقب بـ "أبو العلمين" و"شيخ الطرائق" و"الشيخ الكبير" و"أستاذ الجماعة". - رحمه الله تعالى- وتعتبر من أقدم الطرق الصوفية وصولا إلى زنجبار ومن ثم شرق إفريقيا، وكانت حضر موت المنفذ الوحيد لهذه الطريقة من خلال المهجرات المتتالية إلى شرق إفريقيا، إلا أن هذه الطريقة أصبحت تعاني من قلة الأتباع والمريدين لصعوبة الطقوس وعنفها وعدم موافقتها للشرع الحنيف، هذا من جهة ومن جهة أخرى هجرة الهنود والبلوش من زنجبار تحديدا.

1- عبد الحق محي، الحركة الصوفية وأثرها على الإسلام، الملتقى الدولي للإخوان التبجانيين أيام: 25/24/23 نوفمبر 2006، عين ماضي، الأغواط، ص 06.

* سمي بالجرجري نسبة إلى جرجرة موطن قبيلته وبالأزهري لتلمذته بالجامع الأزهر.

● **الطريقة الأحمدية الإدريسية** : نشأت الطريقة الأحمدية الإدريسية على يد الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي المغربي الأصل المتوفي عام 1837م ثم قام أحد المريدين ويدعى الشيخ محمد بن صالح المتوفي عام 1916م بتأسيس فرع لها في الجزيرة العربية ووجدت هذه الطريقة سبيلها إلى الصومال ومع بدايات القرن العشرين اعتنق أحد أبطال الصومال القوميون الطريقة الإدريسية مما زاد من شعبيتها ونظرا لتواجد الصوماليين بكثرة في زنجبار إما للدراسة في أربطتها ومدارسها أو للتجارة إلا أن أحد الشيوخ الزنجبارين ويدعى الشيخ أحمد بن حامد سافر إلى صعيد مصر ليتعرف على الطريقة بنفسه وهناك التقى بالشيخ أحمد الدندراوي وقد بذل هذا الأخير وسعه لكسب المريدين وتوسيع نطاق الطريقة المكاني من خلال المدارس القرآنية والمزارع إلا أن هذه الطريقة ظلت ضعيفة مقارنة بالطرق الأخرى كما يعتبر شيوخ الطريقة الدندراوية أعلى شيوخ الطرق الصوفية ثقافة وأغزرهم علما.

● **الطريقة المجذوبية** : الطريقة المجذوبية كغيرها من الطرق الصوفية عبارة عن منهج لعبادة الله سبحانه وتعالى وهي تربية أو مجاهدة النفس لتهذيبها من أدان الحياة المادية وخلصها من أمراض القلب والتخلي عن الصفات الذميمة والتخلي بمكارم الأخلاق حتى يصبح الفرد مستعدا للفيض الرباني كما يقول الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين " الطريقة بما تعلمت أيها المريد من علوم الشريعة لتقطع منازل السير إلى الله فتصل إلى الحقيقة " وكانت الطريقة القادرية الجيالالية هي أول طريقة دخلت السودان على يد الشيخ عبد القادر الجيالالي (1077-1166) في القرن الثاني عشر الميلادي ثم دخلت في إفريقيا القرن الخامس عشر وفي عام 1577 جاء الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي الصوفي القادري من مكة حيث أدخل القادرية.

ولكي نفهم الطريقة المجذوبية وتعاليمها الصوفية يحسن أن نسلط الضوء على مؤسسات الطريقة التعليمية فالخولة تعتبر أول وحدة تعليمية ظهرت خلال حياة محمد بن عبد الله الدامر وكان مدرسا بها ، من جهة أخرى فإن هيكل النظام التعليمي عند المجاذيب هو مدرسة العلوم الصوفية التي بدأت مع الحاج عيسى الذي قام بتعليم مبادئ الصوفية لعدد كبير من الناس دون الاعتماد على سلسلة صوفية معينة ، وقد اتبع عبد الله المجذوب وابنه نظام يتمثل في الصبر والإيمان والروع وغيره من الأمور الأساسية للانخراط في السلك الصوفي ويكون التلميذ دائما ملازما ومرافقا لأستاذه والفقير الكبير يعتمد على عدد من العلماء والشيوخ وتمويل هذه العمليات التعليمية يعتمد في المقام الأول على أبناء أسرة المجاذيب، وكان فقهاء المجاذيب يتخصصون في فروع العلوم المختلفة منها حفظ القرآن الكريم الفقه اللغة العربية من نحو وصرف وأدب.

وباختصار ساهم المجاذيب في الحياة الثقافية في السودان بشكل عام وفي الدار بشكل خاص وكانت مدارسهم مأوى لكل طالب علم وكانت الحلقات عندهم شبيهة بما يجري في الأزهر الشريف ، وكان فقهاء المجاذيب على دراية واسعة بالثقافة الإسلامية¹

1- عبد الله عبد الرزاق ، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية ، دار الثقافة، القاهرة ، ط 1، 2004 ، ص. ص 119.120.

● **الطريقة السنوسية:** أسس الطريقة الصوفية السنوسية محمد بن علي ابن السنوسي الخطابي الإدريسي المهجري وقد ولد الشيخ السنوسي في سنة 1202هـ (1787-1788) بالقرب من مستغانم في دوار طرش الموجود بين قرية سيرات وجبل ينارو - أي دائرة يبل الحالية¹.

وتوفي عام 1276هـ-1859م بليبيا وقد نشأ في أسرة علم ودين وتنقل في أسفاره بين بلدان المغرب والمشرق وتعرف على أوضاع العالم الإسلامي، ودرس العوامل المؤثرة في انحطاط المسلمين، وكان للسنوسي اهتمام بعلوم كثيرة إلى جانب الاشتغال بالتصوف كالفقه والتفسير والحديث والأنساب والتراجم والسياسة وعلم الفلك والمناظرة وله وذلك كتب ورسائل، غادر محمد بن علي السنوسي الجزائر إلى فاس عام 1237هـ-1821م وتعلم في فاس على مشايخ القرويين وغيرهم وفي عام 1829م غادر البلاد متجها إلى الحج، وكان يتوقف في الطريق وقد انتصب للتدريس في بعض البلدان مثل الأغواط، حيث درس الفقه والنحو ونزل عين ماضي وأخذ ذكر التيجانية ودخل الجلفة والسحاري ومسعد وبوسعادة حيث كانت الحملة الفرنسية تنزل بالجزائر وواصل الطريق، فمر بتماسين حيث الزاوية التيجانية ومر بوادي سوف ومنه دخل إلى جريد تونس ثم طرابلس وبرقة، ثم نزل بمصر وقرأ بالأزهر وأخذ الإجازات العلمية وأذكار الطرق الصوفية. وقبل الذهاب إلى مكة، كان الشيخ السنوسي قد أخذ مجموعة من الطرق الصوفية في المغرب الأقصى والجزائر منها: القادرية، الشاذلية والتيجانية.

وأسس الشيخ السنوسي زاوية على مشارف مكة وأخذ ينشر طريقته الجديدة التي ترجع إلى الخضرية - القادرية وكان قوي الشخصية غزير العلم مستقلا في رؤية مبتعدا عن الحكام والسياسة². ويتضح أن الحركة السنوسية نجحت في إصلاح المجتمع البدوي، حيث تكون في الصحراء مجتمع متعاون متكافل تسوده روح الأخوة والسلام كما نجحت في إقامة سلطة تمسك بزمام جميع الأمور وتشرف على الفرد والجماعة وتعمل على تحقيق أهداف الحركة، ولم تفرض هذه السلطة نفسها بالقوة على الأفراد وإنما تبعوها راضين من أنفسهم بها، كما تميزت بأنها حركة سليمة شعارها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنها حركة جددت في المفاهيم الإسلامية وفتحت باب الاجتهاد وخلصت الصوفية من الشوائب التي علق بها، وعملت على نشر الكتاب والسنة بين المسلمين³.

● **الطريقة التيجانية:** تنسب إلى الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ محمد بن المختار بن سالم التجاني (1737-1815م)⁴ يرتفع نسبة إلى محمد النفس الزكية، أمه عائشة بنت عبد الله بن السنوسي المازوي نسبة إلى قرية عين ماضي وهي تبعد 70 كلم بالجنوب الشرقي من بلدة الأغواط جنوب الجزائر، والتجاني نسبة

1 - عمار هلال، المرجع السابق، ص 127.

2 - عبد العزيز شهري، الزاوية والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار غرب، وهران، 2007، ص 134-135.

3 - عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 233.

4 - علائي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط، الصادر من طرف وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص 68.

إلى قبيلة (التواجنة) بني توجين عشيرة أحواله وبهذه النسبة اشتهر اسمه أحمد التجاني، نشأ نشأة علمية دينية فحفظ القرآن الكريم طفلا صغيرا وقرأه برواية نافع، ثم تعاطى الفنون والعلوم الإسلامية المتداولة يومئذ بين الناس من علوم القرآن واللغة والفقه، وفي سنة 1166هـ-1753م توفى أبواه أمه بالطاعون في يوم واحد فدفنا هناك بعين ماضي وبقي الشيخ تحت رعاية أحواله وانتقل من بلده راغبا في لقاء الرجال والاستزادة من العلم وسنه 21 سنة فجال في البلاد حتى بلغ المغرب الأقصى ونزل بفاس فسمع بها الحديث وحضر مجالس ودروس علمائها ثم توجه إلى جبل العلم لأخذ علم القراءات بالتجويد وهناك ولي عنايته إلى الناحية الصوفية فاجتمع بمشائخ التصوف، هذا وإن للتجانية أتباع هذه الطريقة فضلا عظيما في نشر الإسلام ببلاد السودان والقطر السينيغالي وبلاد الغابون من أرض الكونغو وغينيا وفي أواسط بلاد الزنوج 1 ، وقد أوردق Rinn في الإحصاء الرسمي سنة 1882م أن عدد الزوايا التيجانية في الجزائر بلغ 17 زاوية و100مقدم و11082 مرید، وإذا كانت التيجانية لم تنتشر في الجزائر فقد توسعت خارج حدود الجزائر وخاصة في السودان كما ذكرنا سالفا حيث استطاعت أن تلعب دورا كبيرا في نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين السود ، ويشير Rinn إلى ذلك بقوله: وفي عام 1830م لاحظ حكام السنيغال الفرنسيون في تقاريرهم الرسمية ازدياد انتشار الإسلام في إفريقيا الوسطى 2. انتهاء كلام Rinn

● **الطريقة الرحمانية:** هي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الخلوتية، ونسبت إلى مؤسسها الشيخ "محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري الأزهري المولود *حوالي 1720م، من قبيلة" آيت إسماعيل التي كانت جزءا من حلف قشتالة في قبائل جرجرة، وزاول دراسته الأولى بمسقط رأسه بزواوية "الشيخ الصديق وأعراب" في بني ايراثن ثم واصل تعلمه في الجزائر العاصمة وفي عام 1552هـ، 1739م توجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج وأثناء عودته استقر بالجامع الأزهر فترة طويلة مترددا على عدد من العلماء وشيوخ التصوف أمثال الشيخ "محمد بن سالم الحفناوي" وقد أصبح "محمد بن عبد الرحمن" مريدا وتلميذا له حيث أدخله الطريقة الخلوتية وعهد إليه أكثر من مرة بالقيام بمهمة الدعوة الدينية في الهند والسودان، حيث أطل فيها الإقامة (السودان). وبعد غياب طويل عن وطنه دام أكثر من ثلاثين عاما عاد إلى الجزائر عام 1183هـ، 1769م، تلقى الأمر من شيخه "الحفناوي" بالعودة إلى بلده والقيام بنشر الدعوة الخلوتية، وبمجرد وصوله إلى مسقط رأسه "آيت إسماعيل حتى أسس زاوية وشرع في الوعظ والإرشاد وبث دعوته الدينية الجديدة ونشر الطريقة وقد التف حوله جموع الناس من سكان جرجرة، ولقيت دعوته إقبالا ونجاحا كبيرين وسرعان ما أصبح له أتباع ومريدين، وقد انتقل بعد ذلك إلى "الحامة" بالجزائر العاصمة. 3

1- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، سنة 1995، ص 52.

2 - Loui Rinn , Marabou et khouan, Adolphe Jourdan, Libraire- éditeur, 1884, p290.

3- مختار الطاهر فيلاي، مرجع سبق ذكره، ص 40.

و لا يعرف السبب الحقيقي الذي حمله على مغادرة مسقط رأسه، و قد يعود هذا التنقل إلى فرار من خصومه المرابطين في المنطقة - مسقط رأسه - الذين ناصبوه العداة لما حققه من نجاح أصبح يضايق نفوذهم و قد يعود أيضا إلى أنه تأكد من رسوخ تعاليمه، و قد أسس في الحامة زاوية لنشر تعاليم الطرق الخلوتية إلا أن نشاطه سرعان ما أثار ضده معارضة شديدة تزعمها المرابطون تارة و العلماء تارة أخرى.

وأخيرا تمكنوا من إرغامه على المثول أمام مجلس العلماء آملين في إصدار فتوى توقف دعوته، إلا أن المجلس أصدر فتوى لصالحه إذ برأه من تهمة الزندقة والانحراف وقد ثار سكان بلده حينما علموا أن الشيخ في محاكمة، ومن جهة أخرى أن شهرته كولي وعالم أكسبته أنصار كثيرون في العاصمة، فربما يكون هذان العاملان مساعداً في تبرئته فتساهل الأتراك في إصدار الفتوى لصالحه.¹

وهناك عوامل أخرى تفسر المعارضة التي تلقاها الشيخ "عبد الرحمن" منها:

- أن "عبد الرحمن" من الريف و نرح إلى المدينة فصار يزاحم أهل الحضر و يضايق نفوذ المرابطين وأهل النفوذ.

- ثانيا، هو خوف الأتراك منه لأن قبيلته الموالية لغشتالة ثارت ضد الأتراك و هي التي كانت معارضة دوما للحكم المحلي. وقد عاد "عبد الرحمن" إلى مسقط رأسه بلده "آيت اسماعيل" و لما شعر بدنو أجله عين خليفته وهو "سي علي بن عيسى" و أوصاهم (تابعيه) بطاعته و الاستماع له و منحه كافة أسرارهم ولم يتم نشر دعوته في الجزائر العاصمة فقط، بل كانت الدعوة حتى في المشرق الجزائري، فلقد عين الشيخ أيضا خليفته في قسنطينة وهو الشيخ "مصطفى بن عبد الرحمن بن الباش ترزي الكرغلي"، فقام هذا الأخير بنشر تعاليم الطريقة في الإقليم الشرقي على أيدي مقاديم أشهرهم "محمد بن عزوز" في واحة البرج قرب بلدة طولقة.

و لقد توفي الشيخ "عبد الرحمن" عام 1208هـ-1793م تاركا خلافة الطريقة لرجل من أصل مغربي، وأغلب الظن أن يكون هذا الاختيار لأنه لم يجد في أسرته أو أحد مواطنيه من يتمتع بالقيم الروحية وقادرا على مواصلة الرسالة مثل تلميذه المغربي² ، أو أنه خشي النقد أن يجعل خلافة الطريقة الرحمانية وراثية، وبالتالي تتعرض لمشاكل من بعده، لكن رغم معارضة الأتراك ووقف الزوار فإن الطريقة ازدادت نجاحا واتسعت دائرة نفوذها، ولما خشي الأتراك من أتباع الشيخ نقلوا جثمانه من مسقط رأسه الزاوية الأم "آيت إسماعيل" إلى الحامة لكي يكون الضريح مراقب لأن الزوار ستحول أنظارهم إلى الجزائر العاصمة، وتم ذلك بالفعل فلقد دفن الشيخ بالحامة في احتفال مهيب ثم بنو عليه مسجدا وقبة ولقب الشيخ فيما بعد بـ "بوقبرين"³، وقد استطاع خليفته الأول - "علي بن عيسى" - الذي بقي مدة ثلاثة وأربعين عاما: 1208 - 1251هـ يدير الزاوية الأم بكل حكمة ونجاح، واكسبت الطريقة انتشارا كبيرا، سواء في وسط البلاد أو شرقها وجنوبها إلا أن وفاته

1 - مختار الطاهر فيلالي ، مرجع سبق ذكره، ص 43.

2- Loud Rinn: op.cit,p459.

3- ibid.P456.

أفقدت الزاوية الالتصام والوحدة، حيث لم يستطع بسط هيمنتهم على مقادم الزوايا البعيدة ، ومما يذكر هنا أن الطريقة الرحمانية تزعمت الثورات في العهد الفرنسي وساندت الطرق الأخرى وتميزت بنشر التعليم في زواياها. وهناك طرق أخرى نذكرها بإختصار مثل :

- **الطريقة الحبيبية الدرقاوية الشاذلية:** طريقة صوفية تفرعت عن الشاذلية بدأ في نشر تعاليمها في مدينة الأغواط الشيخ موسى بن حسن المصري كان هذا سنة 1929م تردد على حلقاته العديد من فقهاء وأعيان وعامة المدينة.
- **الطريقة الصوفية العزوية:** طريقة صوفية تفرعت عن الرحمانية وتنسب إلى الشيخ بن عزوز المولود بالبرج قرب مدينة بسكرة، خلف الشيخ محمد بن عزوز أولاد منهم الشيخ لحسن الذي كان خليفة الأمير عبد القادر في منطقة الزيبان والشيخ مصطفى العدو اللدود للفرنسيين منذ سنة 1849م وإليه يعزى تأسيس الزاوية الرحمانية بالمنطقة والتي كانت تأوي اللاجئين والمطرودين من الجزائريين أما الشيخ المبروك فقد انسحب إلى مدينة الأغواط وأسس بها الطريقة العزوية الرحمانية منذ خمسينيات القرن التاسع عشر بعدما ضايقه الفرنسيون في منطقة الزيبان.
- **الطريقة الهبرية البلقائدية:** تفرعت عن الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وتنسب إلى محمد الهبري العزاوي الزوالي نسبة إلى بني زروال وهو عرش من ولاية مستغانم الجزائرية وتأتي زاويته في الأهمية بعد الزاوية العلوية والزاوية البوتشيشية المغربية وتنسب إلى الشيخ محمد بلقايد الهبري الإدريسي التلمساني الجزائري، وله زاوية تسمى زاوية سيدي معروف وهي معلم من معالم الطريقة البلقائدية الهبرية، شرع في تدشينها منذ حياة الشيخ محمد بلقايد بنجله وخليفته من بعده محمد عبد اللطيف بلقايد وتم إنجازها وتدشينها خلال عام 1420هـ
- **الطريقة العيساوية:** وهي التي أسسها الشيخ محمد بن عيسى 872-933م ارتحل بها والده إلى مدينة فاس ليتعلم القرآن الكريم، فخالط الشيوخ وعاشهم وتلقى علومهم، ثم قصد قبيلة سفيان حيث التقى الشيخ أبا العباس أحمد بن عمر الحارثي المكناسي صاحب الشيخ القطب محمد بن سلمان الجزولي، وأخذ عنه الطريقة بالعهد والصحة، وللطريقة العساوية زاوية كبيرة في مدينة تونس تدعى شيحة باسم شيخها "عيسى شيحة"
- **الطريقة الشابية:** صاحب هذه الطريقة الشيخ بن مخلوف، نشأ في بلدة" الشابة" ثم انتقل إلى مدينة تونس طالبا للعلم، ففضى فيها أعواما، وتوفي سنة 803هـ فخلفه على المشيخة ولده محمد الكبير.¹

1- زيزاح سعيدة، مرجع سابق، ص ص 161 162 163 بتصرف.

5.1. أنواع الطرق الصوفية:

تعددت أنواع الطرق الصوفية إلا أننا نميز نوعين اثنين أساسيين بارزين¹:

النوع الأول خلواتي: يدعي شيوخها وقادتها المعرفة بأسرار غيبية خاصة والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يلقبون "بالمريدين" أو "الإخوان" أو "الفقراء" وهذا حسب اختلاف المناطق والجهات والأعراف فيفرضون عليهم أذكار خاصة ومعينة ليتلوها في خلوات خاصة معزولة حتى يفتح الله عليهم ثم يخرجونهم ليصبحوا مريدين حقيقيين وبعد ذلك يفرضون عليهم أذكارا أخرى "الورد" يتلوها يوميا بصورة جماعية غالبا بعد صلاة المغرب ويدخل في بادئ الأمر المريد إلى مكان صغير أو ضيق ومظلم نوعا ما، يفرض عليه الشيخ اسما أو صفة من صفات الله تعالى يرددها باستمرار وبعينين مغمضتين فيخرج بذلك مريدا أو فقيرا أو قندوزا قاطعا العهد لشيخه على ألا يتراجع وأن يستمر على ولائه له وللطريقة والدعاية لها. وعندما تكون الزاوية ميسورة الحال ماديا تقوم أحيانا بتعليم العلوم الدينية وتحفيظ القرآن الكريم، وقد يقوم شيخ الزاوية بهذه المهمة بنفسه.

ولزاما على كل مريد أن يتقيد بأوامر شيخ الطريقة وأن يمد يده ويضعها على يدي الشيخ، ويكون هذا بمثابة عهد يقطعه المريد على نفسه بأن يكن الاحترام الكامل والخضوع التام للشيخ والطريقة، وأن لا يتقطع عن زيارة الزاوية والشيخ، كما يصبح بذلك للمريد شعورا جديدا يتمثل في ارتباطه الذهني والنفسي بالشيخ، ويبقى هذا الأخير أحب إليه من نفسه وأهله. ويجتمع شيخ الطريقة مع جميع مريديه بمقر الزاوية بمناسبات دينية كالأحتفال بالمولد النبوي الشريف لأمر تلقاه الشيخ في رؤية منام.

وتسمى هذه اللقاءات بالجمع حيث تقدم فيه أنواع من المأكولات ويكون طبق الكسكسي هو المفضل لدى الجميع وبعد الانتهاء من الأكل يقوم المريدون بمعية شيخهم إلى "الحضرة" والحضرة في اعتقادهم نوع من العبادة يتحضر فيها ويغيبون عن وعيهم ويرون ما يرون.

وفي الحضرة يقومون بتكوين حلقة يؤدون حركات برؤوسهم وأجسادهم مرددين...الله حي وممسكين بأيدي بعضهم البعض ويستمررون على هذا الحال إلى أن يغمي عليهم، بعدها يقوم أحد المريدين برشهم بالعطر ليستفيقوا. وقبل مغادرة الزاوية يقوم المريدون بجمع الهدايا النقدية أو العينية وتقديمها للشيخ. **2**

النوع الثاني: غير خلواتي:

في هذا النوع لا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية ولكن يتخذون لأتباعهم وردا معينيا خاصا من الأذكار يتلوها بعد صلاة ويقومون بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية أما بأنفسهم أو بواسطة بعض المثقفين من أنصارهم وأتباعهم ويمكن اعتبار هذه الطرق غير الخلواتية بمثابة كتابات قرآنية ولها دور مهم في

1-Loui Rinn , Marabout et khouan, ob,cit,p291.

2- يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و 20، مجلة الثقافة عدد 63 السنة 1981، ص-ص 10-17.

نشر الثقافة بالجزائر، إلا أن هذا النوع قليل جدا، ويكاد يندثر لانصراف الناس إلى المدارس والجامعات والمعاهد.

وغالبا ما يكون لشيخ الطرق الصوفية ثقافة محدودة جدا لكن نفوذهم وتأثيرهم كبير جدا على أتباعهم ومريديهم فيها يفرضونه عليهم من الأذكار والأوراد والتسابيح، واستفاد هؤلاء الشيخ من بعض المثقفين الذين انضموا إلى صفوفهم في كتابة وتأليف كتب دينية في الزهد والتصوف وبعض أبواب الفقه بأسمائهم وعلى ألسنتهم.

3. ظهور الزوايا

3.1. تعريف الزوايا:

عن لفظ الزاوية كما يعرفها ابن منظور في كتابه لسان العرب مأخوذة من الفعل "زوى" وقولنا زويت الشيء أي جمعته وقبضته و الزاوية حقا تجمع الناس وتقبض على مشاكلهم وتعيد إليهم روح المحبة و المصالحة ، كما أنها تبث فيهم روح الانتماء إلى الوطن و أداء واجباتهم الدينية في الزاوية ومسجدها ، فكأن الزاوية في هذا الصدد تزوي أي تجمع ما تفرق وتعطي وتوضح وتيسر ما لم يستطيعوا أن يقفوا عليه ، وذلك معنى الحديث الذي أورده صاحب اللسان "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها" بمعنى زويت لي الأرض أي جمعت، وفي دعاء السفر : "إزو لنا البعيد أي اجمعه واطويه " فالزاوية وحدة الزوايا أي التي تجمع وتحيط بكل شيء وعن أبي عمر كان له أرض زوتها أي أرض أخرى أحاطت بها¹ .

ولعل من اجتهد لحفظ القرآن يأخذ ركنا بعيدا في المسجد أو البيت عن الضوضاء فيقال المنزوي للتلاوة و الحفظ أو العبادة فنحن نجد فيها جميع الأشياء التالية أو الكثير منها: غرفة للصلاة بها محراب ضريحا لأحد المرابطين أو لولي من الأشراف تعلوه قبة ،غرفة مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، ويلحق بالزاوية عادة غرفة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها، ويقول دوماس أن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة² .

والزاوية عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام وبنائها يختلف عن بناء المسجد والمنازل، قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرضات قليلة النوافذ.

وإذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة بالإضافة إلى ذلك كثيرة الرطوبة والعتمة وشكلها يوحي بالعزلة والتقفش والهدوء، أما الزوايا المعدة لسكن الطلبة فكانت واسعة وصحية، والشجرة التي تتم تحتها نفس الممارسات والأعمال تسمى زاوية.

1- قدور إبراهيم عمار، زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها ونشأتها، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط11، 1997، ص 125 .

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سبق ذكره، ص 61-69.

بكلمة واحدة وباختصار ، كل أماكن اجتماعات أتباع الزاوية و أين يمارس المسلمون صلواتهم وكل عباداتهم تسمى زوايا¹.

2.3 . نشأة الزوايا وتطورها

فكرة الزاوية أثيرت في نفوس المسلمين لأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد بدأ حياته منزويا للعبادة في غار حراء وهو كهف في زاوية من جبل مكة وهنا يؤدي العبادات التأملية و الزهدية يميل إلى الخلوة و البعد عن الضوضاء وهرج المدينة وصخب الشوارع ، وإن كان ذكر الله تعالى يعم كل مكان ويملاً كل موضع لكن التأمل و العبادة لهما الأثر فتتقطع نحو الأماكن الخالية أو العالية أو البعيدة أو النائية² .

لقد ترك خلفاء المسلمين حاجة المعتكفين للانزواء فانشئوا لهم مساكن ملحقة بالمسجد ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى ابينة صغيرة منفصلة في جهات من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل به من العلوم النقلية والعقلية كما يعقد فيها مشاريع الطرق الصوفية حلقات الذكر³ .

الزاوية ليست ظاهرة حديثة العهد فيرجع تاريخ نشأتها إلى القرنين الرابع و الخامس وقد شيدت رابعة العدوية زاوية في القرن التاسع ميلادي في المشرق العربي وانتشرت في المغرب العربي في نهاية القرون الوسطى ومطلع العصر الحديث مع انتشار الزهد و التصوف وخاصة في القرن 17م ولانتشارها أسباب متعددة منها ما يرجع للمعتقدات القديمة وموجة انتشار التصوف التي عمت بلاد المغرب، و إقبال الناس على المرابطين، وظهور السلالات الشريفية التي هربت من المشرق وفرار المسلمين من الأندلس خوفا من التنكيل بهم من طرف المسيحيين و أصبحت مركزا انطلاق عدة ثورات ولعبت دورا كبيرا في المقاومة ضد الاستعمار في القرنين 19م و 20م⁴. الأصل في الزوايا هو "الرباطات" وهي الثغور التي يربط فيها المسلمون بحراسة حدود الدولة الإسلامية من ناحية ومن ناحية أخرى من اجل نشر الإسلام في مختلف بقاع العالم ، وقد نشأت الرباطات التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم "الزوايا" في بلاد المغرب الإسلامي منذ العهود الأولى للإسلام.

والزاوية من المؤسسات التي خصت بالدراسة كظاهرة تربوية ثقافية أو كظاهرة اجتماعية، مؤسسة الزاوية والتي كانت أهم محضن تعليمي في الجزائر وفي المغرب العربي ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا، بينما قسمها اصطلاحا

1 - محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، 1964، ص ص123/124.

2 - قدور إبراهيم عمار، مرجع سبق ذكره، ص 16.

3 - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الأندلس، بيروت، ج4، ط1، 1967، ص 423 .

4 - محمد بن هلال، الملتقى الوطني للقادرية حول حقيقة الصوف، من 26 إلى 29 مارس ورقلة 2002 ، الأمل للطباعة، ورقلة، 2005، ص36.

إلى ثلاثة أنواع، زوايا تلقي فيها الدروس، وزوايا ملاجئ للطلبة والعلماء المغتربين والفقراء وأبناء السبيل، وزوايا مزارات لضريح عالم أو رجل صالح¹.

كما ذهب محمد بن مرزوق التلمساني إلى حد اعتبارها مؤسسات اجتماعية محضة حيث يقول في بيان حد الزوايا "والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين"²، والمقصود بذلك هي الزوايا من النوع الثاني حسب التقسيم السابق. وفي القرن الثامن للهجرة (14 ميلادي) انتشرت الزوايا بالمغرب وأنشئت بها كتاتيب لتحفيظ القرآن وتعلم الدين ومبادئ العلوم، الأمر الذي حدا بملوك بني مرة أن يطوروا هذه الكتاتيب إلى مدارس وكليات ليسهموا في الحركة العلمية بجانب جامعة القرويين بفاس وغيرها من مدارس الزوايا داخل المدن وخارجها.

تطورت الزوايا بالمغرب في القرن التاسع الهجري (15 ميلادي) حين اشتدت وطأة النصارى على المسلمين في الأندلس وامتدت إطماعهم إلى احتلال السواحل المغربية وضعفت الدولة عن الدفاع عن البلاد، أخذت الزوايا تدعو إلى الجهاد ومقاومة الأجنبي، وبلغت أوج ازدهارها في القرن العاشر الهجري (16 ميلادي) حين وقعت جنبا إلى جنب في الجهاد مع أسرة الشرفاء السعديين ضد المسيحيين المحتلين وطردتهم من الثغور المغربية أما في القرن الحادي عشر للهجرة (17 ميلادي) أصبح عددها يقرب عدد المساجد أو يفوقها واختلط فيها أمر الصالحين بمدعي الصلاح من ذوي الأغراض الفاسدة والمشعوذين³.

ومن الناحية الوظيفية تبين أن من الزوايا ما أنشئ للتربية الروحية و للعبادة الصوفية كزوايا الصوفيين الذين ينقطعون فيها للعبادة والتصوف وحدهم أو مع مريدهم، ومنها ما أنشئ بهدف تعليمي كزوايا العلماء التي كانت ترتب فيها دروس الفقه وغيرها، وكانت متسعا لمناقشات حرة بين العلماء غير متقيدين بعلم معين وساعدهم على ذلك أن بعض الزوايا كانت كبيرة يؤمها الطلاب وكثيرا ما كان العلماء و الفقهاء يتخذون من بعض الزوايا مكانا لاجتماعاتهم ومناقشاتهم العلمية. وذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى مكانة شيخ الزاوية بين العلماء و الفقهاء وقدراته على إفادة الوافدين إليه منهم⁴.

ومن أبرز ميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني (الزوايا وغيرها) المخصصة لها ففي المدن والأرياف وفي الجبال الشاهقة و الصحاري القاحلة، عاش معظم المتصوفة ييثون عقائدهم و يلقون أتباعهم الأذكار والأدوار، مبتعدين عن صخب الدنيا مؤثرين العزلة و العبادة وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين والعامية مبادئ الدين أيضا فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويعلم فيه الطلبة، ويتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويثرى ويتضاعف قاصدوه ويصبح المكان يدعى بين الناس

1- تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص ص 244-247.

2- التلمساني، محمد بن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر محاسن مولانا أبي الحسن، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981، ص 413.

3- حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 424.

4- إسماعيل سعيد القاضي، أصول التربية الإسلامية، علم الكتاب، القاهرة، ط 1، 2002، ص 160.

زاوية سيدي فلان أو رباط سيدي فلان ، فإذا مات سيدي فلان يدفن في الزاوية أو الرباط ويصير الضريح علامته على الزاوية، وهذه علامة على الضريح ويرث الأبناء و الأحفاد مكانة وعمل سيدي فلان وتزداد قداسة الزاوية أو الرباط بين أهل الناحية وتنتشر سمعتها و نفوذها إلى نواح أخرى بعيدا وهكذا .

كانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بولي من الأولياء فهو الذي يحميها من العين ومن الغارات والنكبات وطمع الطامعين، وامتألت رحلة الورتلاني بعدد كبير من هؤلاء المتصوفة مع ذكر زواياهم ومقاماتهم وكراماتهم والأساطير المنسوجة حولهم . ففي البداية كانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من اجل الدين وحماية البلاد، وبعد انقضاء الخطر الداهم عاد المرابطون إلى قواعدهم وكانوا على صلة بالشعب أكثر من صلتهم بالسلطة العثمانية¹.

3.3. إنتشار الزوايا ومراكزها الكبرى عبر الجزائر

إن من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر، انتشار الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لهذه الطرق والمذاهب الصوفية حيث في المدن والأرياف، والجبال والصحاري، عاش معظم المتصوفة يثون عقائدهم ويلقبون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صحب الحياة الدنيا، مؤثرين العزلة والعبادة وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين والعامه مبادئ الدين أيضا وفي هذه الفترة ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله قائمة طويلة للزوايا أغلبها هي: في مدينة الجزائر كانت زاوية عبد الرحمان الثعالبي ، وزاوية ولي دادة ، وزاوية عبد القادر الجيلالي وزاوية سيدي محمد الشريف، وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري، وزاوية سيدي الجودي وزاوية سيدي جمعة... وهذه كلها في مدينة الجزائر.

وتعتبر منطقة القبائل وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا وأهمها في ميدان التعليم ونشر الوعي الديني بين السكان فقد كانت زاوية تيزي راشد "تسمى أيضا زاوية ابن أعراب" ذائعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة وكانت زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية أيضا قد أخرجت أجيالا من المعلمين، واشتهرت بنشر التعليم وزاوية الأزهرى بآيت إسماعيل، وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية بني بومسعود وزاوية بني مفران وزاويتنا الشليحي معمرة واقعتان عند أولاد عبد النور.

وفي مدينة وهران اشتهرت زاوية محمد الهواري وزاوية إبراهيم التازي وزاوية عبد القادر بن الشريف "الدرقاوية" وفي جنوب الجزائر لعبت الزوايا دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام واللغة العربية ليس في الجزائر فقط بل في الأقطار المجاورة للجزائر كذلك جنوب الصحراء الكبرى وكونت العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم، ففي الجنوب الشرقي توجد الزاوية الناصرية والزاوية الرحمانية بخنقة سيدي ناجي وزاوية سيدي علي بن عمر بطولقة وزاوية عبد الرحمان الأخضر بنطيوس، والزاوية المختارية بأولاد جلال، وزاوية سيدي خالد ، وزاوية سيدي

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سبق ذكره، ص 261 - 262 .

سالم بوادي سوف والزاوية التيجانية بعين ماضي وتماسين، وزاوية أولاد عمر موسى بمتليلي، وزاويتنا سيدي الحاج يحي وسيدي الحاج بحوص بالمنيعه¹. لكنه توقف عدد كبير من الزوايا عن أداء الرسالة التربوية والاجتماعية ، منذ نهاية القرن التاسع عشر وذلك بسبب استيلاء الاحتلال الفرنسي على الأوقاف الإسلامية التي كانت تعتمد عليها الزوايا وتعتبر مصدر عيش لها ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، حيث كان الناس يميلون بأوقافهم وأفعالهم الخيرية إلى الزاوية، فكانت الزاوية في المدينة غنية بأموالها، أما الزاوية في الريف فكانت لها أرض موقوفة، يستعمل إنتاجها في تغطية أجور المدرسين ومعيشة الطلاب والزوار وعابري السبيل، وكذلك الفقراء، كما كان لها عادة سكان الناحية يقدمون جزءا من إنتاجهم الفلاحي سنويا للزاوية لذلك بقية الزوايا التي استمرت في أداء رسالتها فيما بعد سنوات 1954/1900 هي تلك التي بقيت لها مصادر وأملاك خاصة استطاعت بواسطتها أن تعيش، وتواصل عملها في تعليم القرآن وعلوم الدين ونشر اللغة العربية

3.4. أنواع الزوايا في الجزائر:

أ. أنواع الزوايا: توجد ثلاث أنواع زوايا قرآن في الجزائر تختلف في الشكل وتتفق في الهدف والمضمون وهي: زوايا المشايخ، زوايا المرابطين، زوايا الطلبة.

ب. النوع الأول: زويا المشايخ وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب الطريقة ويعرف عندنا بشيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون ويسمون "الإخوان" والزاوية تقوم على اكتشاف هؤلاء المريدين والمحسنين وهم الذين يمولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات من الشعب ويقدمونها للشيخ، والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته وهو صاحب الحل والعقد، فلا حق لأي إنسان أن يتدخل في شؤون الزاوية من قريب أو بعيد، فالأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة يتصرف فيها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه، وهو الذي ينفق على الزاوية ويوفر للطلبة كل حاجتهم اللازمة كما يدفع أجرة الشيخ أي "المعلم" وهو صاحب الزاوية هو الذي يعين المعلم أو يعزله حين يشاء وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة، وإذا مات الشيخ استخلف أحد أفراد عائلته أخاه أو ابنه إما عن طريق الوصايا أو تختاره العائلة وذلك حسب تقاليد الأسرة والشيخ هو الذي يضع لها القوانين التي يراها صالحة للتسيير ويختار بعض الطلبة الذين يرى فيهم القدرة والاستقامة يكلفهم بالمراقبة وتسيير الطلبة، لزوايا القرآن نظام داخلي كنظام الثانويات، فالطالب يتعلم ويسكن مجانا والزاوية هي التي تتكفل بجميع نفقاته ماعدا لباسه فزوايا التعليم في الجزائر كانت حصون القرآن ومعقل الإسلام ومناهل اللغة العربية طيلة الاحتلال الفرنسي، فزوايا المشايخ كالزاوية القاسمية "الهامل" ببوسعادة وزاوية الشيخ الحملاوي

1 - عبد العزيز شهبي، مرجع سبق ذكره، ص- 18-21.

بقسنطينة وزاوية ابن سحنون في اغزار أمقران ولاية بجاية، وزاوية الشيخ أبو القاسم البوجليلي وزاوية الشيخ أحمامي بالأخضرية ولاية البويرة...

النوع الثاني: زوايا المرابطين وهي تختلف عن زوايا المشايخ في بعض الجوانب التنظيمية، فزاوية الشيخ ملكية خاصة كما تقدم، يتصرف فيها صاحبها كما يشاء وبعضهم يعيش هو وعائلته من موارد الزاوية، أما زاوية المرابطين فهي ملكية جماعية فمواردها محبسة على طلبة العلم، فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية، كما أن زاوية المرابطين ليس لها طريقة صوفية ولا مريدون كما في زوايا المشايخ، ويمكن أن نقارن نظام زوايا المرابطين بنظام لجان المساجد المعمول بها حاليا في الجزائر ولا سيما بعد الاستقلال¹، فهذه الزوايا أسست من أول يومها للتعليم، فيقصدتها أبناء المسلمون لحفظ القرآن وتجويده وحفظ الأحاديث النبوية وتعليم اللغة العربية كالنحو والصرف والفقه والتوحيد فهذه الزوايا تسيير جماعيا ونظامها يشبه البرلمان العصري إذ نجد كل عائلات المرابطين منتمين إلى المؤسس الأول للزاوية لهم الحق في إبداء الرأي والتسيير والمعارضة إن رأت شيئا لا يعجبها ولا يرضيها، وموارد الزاوية من النذور والهبات إذا كانت نقودا دفعت للوكيل أما إذا كانت حبوبا أو زيتا أو حيوانات فتذهب إلى الطلبة مباشرة فالزاوية مفتوحة أمام كل الناس وتقبل جميع الراغبين في التعليم وليس هناك حواجز السن أو حواجز المستوى. ونجد من بين هذه الزوايا زاوية سيدي بهلول بقرية الشرفاء (بهلول نسبة إلى سيدي بهلول صاحب الزاوية والتي تبعد عن مدينة عزازقة مقر الدائرة بنحو أربعة كلم بولاية تيزي وزو، وزاوية سيدي محمد وعلي الحاج بتيفريت ناث الحاج دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو... ولكل زاوية من هذه الزوايا نظام وقانون داخلي، وهذا القانون غير مكتوب ولا يسجل بل يعرفه الطلبة عن طريق السماع والممارسة اليومية حتى صار محفوظا ومعروفا لدى جميع الطلبة. ويعتبر هذا القانون مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف السائدة في الزوايا.

النوع الثالث: زوايا الطلبة هذا النوع فريد ووحيدة في القطر الجزائري وهي زاوية عبد الرحمان اليلولي، وهي تختلف عن زوايا المشايخ وزوايا المرابطين فطلبتها يتمتعون بالإستقلال في تسيير المؤسسة فلا يتدخل أحد في شؤونهم وشؤون مؤسستهم، فالطلبة وحدهم هم المسؤولون عن الزاوية وتدير شؤونها، داخليا وخارجيا، أدبيا واقتصاديا، فالزاوية بعيدة عن الضغوط والتدخلات، فهي تسيير من طلبتها المنتمين إليها ولهم وحدهم السلطة الكاملة في تسيير الزاوية فلا تخضع لشيخ أو مرابط بل وحتى الشيخ الذي يعلم فيها. فالشيء الوحيد الذي يخضع له الجميع ويتمثلون له ولا يخالفونه أبدا إنما هو القانون "قانون الزاوية" أو ما يمكن أن يطلق عليه اللائحة الداخلية للزاوية².

1- محمد نسيب، المرجع السابق، ص ص 103 - 106.

2- المرجع نفسه، ص ص 101 102.

3.5. وظائف الزوايا:

كان على الزوايا عند ظهورها القيام بوظيفة هامة ألا وهي نشر الإسلام وترسيخ قيمه والتثقيف الديني لتعدد وظائفها فيما بعد ليصبح لها وظيفة مهمة هي الإصلاح الاجتماعي لتكون محلا لحل المشاكل الاجتماعية من فك النزاعات وخلافات الأفراد وكذا استقبال الفقراء والغرباء وأصبحت مأوى لهم، لتظل مفتوحة طيلة السنة وكذا مساعدة المحتاجين والطلبة، ولم تنحصر وظيفتها في الجانب الاجتماعي والديني فقط بل توسعت إلى الوظيفة الاقتصادية والتي تمثلت في تمويل المحتاجين والفقراء والطلبة ماليا بمنحهم الملابس والمواد الغذائية وستعرض لأهم وظائف الزوايا فيما يلي:

3.5.1. الوظائف الاجتماعية:

أ) وظيفة الإصلاح بين الناس: لم تقتصر الزوايا على التربية الروحية في إعطاء الأوراد وحفظ القرآن الكريم وإنشاء الكتاتيب، بل تعدت وظيفتها إلى الوظائف الاجتماعية، تهدف من خلالها إلى بناء المجتمع الإسلامي المتماسك يسوده الاتحاد والتعاون ونبذ التفرقة والتباعد بل كانت الزوايا تسهر على إقامة العدالة الاجتماعية بين كل فئات المجتمع ومن وظائفها الاجتماعية الصلح بين الناس وفك النزاع بينهم، فلو أخذنا على سبيل المثال النزاع الخاص بأموال الميراث فكثير من الأفراد لديهم نزاع من هذا النوع يلجئون إلى الخليفة أو مقدم الزاوية يطرحون عليه المشكلة ويعمل المقدم جاهدا لفك هذا النزاع بالتفكير في إيجاد الحلول في حدود الشرع والقانون، وذلك استنادا على الكتاب والسنة.

ب) المساعدات المالية: تتمثل هذه المساعدات في مساعدة المحتاجين خاصة في الأوقات الصعبة بالإفناق عليهم من حبوب القمح والتمر والزيتون والأغنام وغير ذلك من الأفرشة والألبسة، هذا ما كانت تقدمه الزوايا في الماضي أما في الوقت الحالي تقدم مساعدات رمزية من تبرعات الوافدين لها ويعود سبب نقص مساعداتها إلى اختلال ميزانيتها وإلى نقص الدخل الفردي للأفراد والمعروف عن الزوايا أنها أماكن للعبادة وإيواء الغرباء والضيوف وكذا المساكين وإطعام النزلاء¹، ومساعدة الشباب خاصة المقبلين على الزواج بتقديم المساعدات المادية وإقامة الزواج الجماعي أيضا عند ختان الأولاد نجد الزوايا تساعد الطبقة المحرومة والتي لديها أطفال في سن الختان وهذا بإقامة حفل جماعي وتقديم مبالغ مالية رمزية وتقديم الهدايا للأطفال حتى في حالة حدوث نكبة طبيعية، تعمل الزوايا على تقديم المساعدات للمنكوبين، وتساهم بما تملك على إعادة بناء وترميم ما اتلف وتقدم للعائلات المنكوبة المواد الغذائية والألبسة والأفرشة وتجمع التبرعات من المريدين القادرين ماديا لفائدة المنكوبين.

ج) استقبال الزوار الوافدين للزوايا: تعمل الزوايا على استقبال الضيوف والزوار من كل منطقة ففي كل مرة مقدم الزاوية في استقبالهم وإن كان عددهم قليلا وتحضر لهم أماكن لإقامتهم وتوفر لهم الأمن بالإضافة إلى

1 - زيزاح سعيدة وبوخلدوني صبيحة، المرجع السابق، ص 63-65.

حسن الضيافة في الماضي كان الضيوف يذهبون إلى الزوايا لقضاء أيام الزيارة، لكن مع التغير الاجتماعي الذي طرأ على المجتمع الجزائري أصبح استقبال الضيوف في بيوت أحفاد مؤسس الطرق الصوفية، فالزائر أو الضيف القاصد للزاوية يبدأ بزيارة الزاوية إذا كانت مدة الزيارة يوم واحد، أما إذا كانت مدة الزيارة عدة أيام فيقضي الزائر هذه المدة عند أحد أحفاد مؤسس الطريقة أو يقيم عند الخليفة العام ببيته الذي يعتبر زاوية في حد ذاته.

(د) إقامة الصدقات السنوية: إن إقامة الصدقات بالزوايا هي مهمة الزوار والأتباع والأحباب والمريدين حيث يقيمون حفلات وصدقات أو ما يعرف "بالوعدة" في المجتمع الجزائري بطرق مختلفة ويرجع ذلك إلى اختلاف مستوياتهم التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، فهناك فئة من الزوار يقيمون احتفال ديني داخل الزاوية بتلاوة القرآن الكريم والذكر والمدائح، وهناك من يحتفل بالزاوية بإقامة الذبائح على حسب القدرة الشرائية، كذلك تحضير مختلف الأكلات الشعبية وتقديم حفلات غنائية يقتصر على القصاصد الخاصة بمؤسس الطريقة، وقد يستغرق مدة الاحتفال من يوم إلى غاية أسبوع كامل، وتعتبر الصدقات السنوية مناسبة للزيارة وفرصة لالتقاء الزوار ببعضهم البعض وتبادل الآراء لتتكون بذلك علاقات اجتماعية ومناسبة لتذكر الفقراء والطلاب للنصح وللإرشاد والمعرفة الدينية¹.

(هـ) لجوء المصابين للزوايا: ما نلاحظه أن الأفراد المصابين بمس من الجن يلجئون مباشرة إلى الزوايا فمعظمهم يذهبون إلى الزوايا ليتلى عليهم آيات من القرآن الكريم عليهم يجدون الشفاء هناك، ونجد أفراد آخرين يلجئون إلى الزوايا، ويمكنون بها الأيام الطويلة، وحسب رأيهم أنه بمجرد التردد على هذا النوع من الأماكن المقدسة، يخفف عليهم الضرر ويتمثلون للشفاء من حالة "المس" بمجرد الاتصال بمقدم الزاوية، وفي هذه النقطة بالذات يظهر فيها اختلاف وتضارب في الآراء.

3. 5. 2. الوظائف التربوية:

طرق التدريس بالمدارس القرآنية: تقوم الزوايا بوظائف تربوية والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والذكر فهذه الوظيفة لم تزول، فالزوايا تعمل على إنشاء المدارس القرآنية أو الكتاتيب لتعليم الناس وخاصة فئة الأطفال، فالمدارس القرآنية هي أمكنة للتعليم وحفظ القرآن الكريم ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: " وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن الكريم والسنة ومبادئ اللغة العربية بين البربر، وبذلك تم إسلام البربر، وأصبحت لغتهم العربية وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة من علماء الدين في الدين في القيروان والمغرب كلها، أمثال أسد بن الفرات، ولم تكن حلقات العلم كثيرة في مساجد القيروان مما يشبع فهم طلاب العلم، فكانت الرحلة في طلب العلم". وعليه فقد عملت الطرق الصوفية على بناء الزوايا من أجل تعليم الأفراد وتنويرهم فكان التدريس في السابق موجود بالزوايا، ولكن بعد فترة من الزمن انفصلت هذه المدارس القرآنية عن مكان الزوايا وهذه المدارس القرآنية عن مكان الزوايا وهذه

¹ - زجاج سعيدة وبوخدوني صبيحة ، المرجع السابق، ص66.

المدارس عادة ما تكون عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للزاوية أو بعيدة عنها، وقد تكون غرفة في المنزل وقد يبني الكتاب خصيصا لتعليم القرآن الكريم، ومنها ينتقل التلاميذ إلى الزاوية والمساجد الكبرى للطرق الصوفية لإنهاء دراستهم، هذا كان في الماضي ولكن بعد ظهور التعليم النظامي وتواجد المدارس الكبرى الحكومية، والنظام المعمول به بالمدارس التابعة للزوايا أنه عند انتهاء الطفل من تعلم اللغة العربية وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ينتقل إلى المرحلة الابتدائية ليدخل إلى المدرسة النظامية، لكن لا يمنعه من أن يكمل حفظ القرآن الكريم وكيفية الكتابة والقراءة وتعلم المبادئ الأخلاقية الإسلامية، وبهذا تكون المدارس القرآنية التابعة للزوايا قد أعطت صورة حية للثقافة العامة التي كانت منتشرة¹.

3.5.3 . الوظيفة الدينية:

كان للزوايا المؤسسة للتعليم الديني وتحفيظ القرآن دورا في حماية العقيدة الإسلامية من حملات المبشرين التشكيكية والتنصيرية، وفي الحفاظ على القرآن الكريم وبقاء قيمه نظيفة خالصة رغم المقاومة الاستعمارية، فالزوايا أسست لتعليم الدين ونشر الفضائل والقيم الإسلامية وتهئية النشء للمعاهد الإسلامية العالية وبها عرف الناس قدر العلماء وأدركوا معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام "العلماء ورثة الأنبياء" ورثو عنهم وظيفة الدعوة إلى الله والهداية إلى صراطه المستقيم، وإذا كانوا ورثة الأنبياء فالواجب طاعتهم والافتداء بهم². إذ كان التعليم في الزوايا بسيطا متواضعا لا يتماشى مع روح العصر في أسلوبه ومنهاجه فإنه حافظ على روح الأمة وصان شخصيتها وحمى عقيدتها ورفع معنوياتها بذلك جعلها تعتصم بدينها³، كونها تحمل القرآن فهي رمز للقرآن الكريم والقرآن موجود بوجود الزوايا ومعرفة الدين الإسلامي لا تتم إلا بالقرآن الكريم ولا يشعر بأهمية هذا الرمز الإسلامي الوطني الذي هو الزوايا، إلا من فتح الله قلبه ونوره بنور الإيمان، أنه رمز القرآن⁴ إذا الزوايا قامت بدور عظيم في ترسيخ العقيدة الإسلامية وتقوية الشخصية الوطنية والمحافظة على القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية، فوقفت في وجه الكفر والإلحاد والإدمان والفرنسة وكل العادات والأخلاق الأجنبية المخالفة لحياتنا الاجتماعية وقيمنا الدينية، حتى يبقى المجتمع سليما معافى من كل ما يحمله الاستعمار من ثقافة سلوك وعادات رفضها الشعب الجزائري⁵.

أما عن الزوايا التابعة للطرق الصوفية فلها طقوس خاصة يرددها أتباعها كالذكر فهم يستندون في ذلك على الآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا"⁶ فهم يذكرون الله أفرادا وجماعة والعدد يختلف من مرة

1- نيزاح سعيدة ويوخدوني صبيحة، المرجع السابق، ص 77 87.

2- محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 41.

3- نذير حمادو، دور الزوايا في بناء الشخصية الروحية والوطنية، رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، السنة الثامنة، العدد 2، فيفري 2010، ص 85.

4- عبد القادر الشطي، حقيقة السلفية مذهب أهل الحق الصوفية، دار هومة، الجلفة، 2002، ص 329.

5- نذير حمادو، المرجع السابق، ص 85.

6- سورة الأحزاب، الآية 40.

إلى ألف ، وهم يكثرون اسم الله وحده أو عبارة الشهادة "لا إله إلا الله" وعبارة الاستغفار "أستغفر الله" وقراءة الآيات من القرآن كسورة الإخلاص وكلما كان اللفظ أو الذكر قصير كثر ترديده ، ولكل طريقة عبارة تركز عليها في ذكرها وهي التي تحدد عدد المرات وأوقات الذكر وعبارات الأدعية ثم لكل زاوية من الزوايا الصوفية لباسا خاصا وعمامة وهيئة وأعلاما وألوانا¹ بالإضافة إلى أن للزوايا وظيفة ثقافية تتمثل في المحافظة على الدين الإسلامي واللغة العربية والثقافة من الاندثار.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سبق ذكره ،ص 24.

ملخص:

وفي ختام هذا الفصل فإن المنهج التربوي الصوفي قام ليحقق ما ترمي إليه الجماعة الصوفية من خلق جميل قوي ذي شخصية مؤثرة في العالم الإسلامي، كما اهتم المنهج بالفرد الصوفي اهتماما كبيرا فوضع له القواعد والنظم التي تعمل على تهذيبه خلقيا وروحيا ثم تكلمنا عن الطرق الصوفية والتي هي ظاهرة اجتماعية تمس المجتمع الجزائري حيث تعد جزء هام من التراث الجزائري، فقد حظيت بقدر لا بأس به من الدراسات والمناقشات العلمية ولها آثار اجتماعية ونفسية وثقافية، حيث تنتشر ظاهرة الطريقة على كامل التراب الوطني فمثلا ولاية الاغواط وحدها نجد بها أكثر من طريقة نذكر منها: التيجانية، الهبرية، والعزوزية إلى أن وصلنا إلى الزوايا وهي من أهم بناءات المجتمع ومؤسساته وأهم أنساقه باعتبارها مؤسسة دينية وتربوية واجتماعية نشأة بهدف جهادي ديني روحي تعليمي والكثير منها تعتبر مرجعا ثقافيا وعلميا يقصده المثات بما تحويه من كتب ومخطوطات نادرة وما تقدمه من ثقافة وعلم وتعاليم غرستها بواسطة منهجها المتبع وفي التعلم و المستمد من الطرق الصوفية والتي كانت السبب في الحفاظ على العقيدة واللسان العربي في بلد طالما كان عرضة للهجمات الصليبية عبر العصور وكان ختامها استعمار استيطانيا أوسع أنواع الاستعمار، والذي عمل طوال القرن وثلث القرن من الزمان على طمس الهوية، وتغييب اللسان العربي، ولكن الله تدارك هذه الأمة بحريجي زوايا العلم والجهاد، من أمثال الأمير عبد القادر والمقراني والشيخ حداد... الخ، الذين حملوا لواء الجهاد، كما لا زالت الزاوية حاضرة بقوة في وسط الساحة العلمية وذلك بما تقدمه من برامج تعليمية مفيدة في نشر العلم وطمس معلم الجهل الهادم للحضارة، فساهمت في تنشئة الأجيال تنشئة إسلامية، يحملون في قلوبهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتساهم في تنشئة المجتمع الذي تظهر قوته بقوة أبنائه الذين هم العدة في ذلك فكان منهم الإمام الفقيه والأصولي والنحوي والمعلم وغير ذلك من المثقفين المشبعين بالمبادئ والقيم الرفيعة التي تربو عليها في الزاوية .

تمهيد:

كلمة السلم مقرونة بالسلام في أوجهها المختلفة مذكورة أكثر من مئة مرة في القرآن الكريم، اللجنة بصفة خاصة تذكر دوماً على أنها دار السلام، الهدف لخليفة الله في الأرض هو في تفضيل السلم، ولكن انطلاقاً من قواعد دقيقة كمسألة القسط على سبيل المثال، لأنه لا يمكن أن يوجد هناك سلام بدون شروط. كما لا يمكن أن توجد الحرية بدون قانون. أحد العناصر الأساسية لتحقيق السلم الاجتماعي يستند إلى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي نفس الوقت على مبدأ لا إكراه في الدين، وخير أمة أخرجت للناس مشروط وجودها بهذه المبادئ، وهذا هو الذي يسمح بأن أقول أن السلم هو من أكبر أولويات ديننا الحنيف. ومن الإشكاليات الكبرى التي تؤرق كافة الدول والمجتمعات في أيامنا هذه التحذير من التطرف والسهر على تجسيد سلم اجتماعي لأن كل من يتبنى أفكاراً هدامة، فإنه يعد تلقائياً من المهتدين الأوائل لجميع مناحي حياة المجتمع، وعلى جميع أصعدته.

ولا نظن أنه يوجد في حياة الإنسان أهم من الأمن، ولا أهم من أن يعيش الناس في مجتمعهم آمنين مطمئنين على مكونات شخصيتهم وهويتهم وتميز ثقافتهم ومنظومتهم الفكرية، وبذلك تكون الحاجة إلى حماية وتحصين المجتمعات من التطرف، حاجة ماسة وملحة لتحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي وهذا ما يحرص الأعداء والمتطرفون على مهاجمته لتحقيق أهدافهم، والترويج لأفكارهم.

وعند التقصي والنظر يظهر بأن التطرف كان موجوداً عبر تاريخ البشرية دائماً وأبداً، وتعددت مظاهره وتحليلاته بما في ذلك التطرف الديني الذي تدارسته العديد من الدراسات العلمية والتي خلصت إلى أن كل الديانات السماوية عبر العصور عرفت التطرف والتشدد في الدين.

وها هي فكرة السلم الاجتماعي تعود من جديد لتطرح على بساط البحث والمناقشة خاصة وما جرى في الجزائر بعد عشرية من الدمار والخراب والإرهاب الوحشي، أصبحت فكرة السلم تلقي بظلالها على منحى الفكر والسياسة كضرورة حتمية لا غنى عنها للحياة الآمنة وكتقافة ينبغي وعيها نظرياً وعملياً لتغذية الحس المدني والاجتماعي والسياسي بوصفها صورة إنسانية من صور التسامح والتراحم والتصالح والتحضر.

ولقد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث البحث الأول تطرقنا فيه إلى البعد المعرفي لثقافة السلم الاجتماعي وتطوره ثم المبحث الثاني خصصناه لشرح ثقافة السلم الاجتماعي في الجزائر وماذا نعني بالعنف وخصصنا المبحث الأخير للحديث عن المتصوفة ونظرتهم للسلم الاجتماعي.

المبحث الأول: البعد المعرفي لثقافة السلم الاجتماعي وتطوره

1.1 . البعد المعرفي لثقافة السلم الاجتماعي:

عندما نتكلم عن السلم سيرتبط هذا بالحرب، وأن الثأر وعدم الاستقرار الذي عرفته البشرية على مراحل تاريخها مفهوم يعكس المأساة وتغيب معانيه إلا إذا ارتبط بمفهوم القتل والقتال وهو في الأخير بهذا المعنى نتاجا له وقد أخذ هذا المفهوم هذا المعنى في كثير من الأدبيات الفلسفية والفكرية¹، ومن جهة أخرى كانت أفكار تنمو وتؤسس للسلم على أنه ثقافة تستوجب على البشرية أن تعتنقها وتنشأ أبنائها عليها، وستعرض في هذا المبحث إلى تعريف ثقافة السلم الاجتماعي آمليين إعطاء فكرة واضحة عن ثقافة السلم.

على أية حال فإن مفهوم ثقافة السلم مفهوم مركب يجمع بين الثقافة والسلم كمضاف ومضاف إليه ويعني ذلك أنه بقدر وضوح أو غموض هذين المفهومين يكون وضوح أو غموض مفهوم ثقافة السلم. وعندما يكون المفهوم مركبا من مضاف ومضاف إليه فإن المفهوم المركزي أو المحدد يكون عادة المفهوم المضاف إليه وهو هنا السلم والذي يتحدد تابعا له طبيعة أو نوع المفهوم المضاف وهو هنا الثقافة.

وكما يعرف تايلور TYLOR الثقافة هي " الكل المتكامل لأنماط السلوك المكتسبة التي يأخذ بها معظم أفراد مجتمع ما. ويضيف "الثقافة أو الحضارة بمعناها الأنثروبولوجي الواسع، هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في المجتمع".²

ويعرفها غراهام والاس Graham Wells بقوله "أن الثقافة تراكم الأفكار والقيم والأشياء أي أنها التراث الذي يكتسبه الناس من الأجيال السابقة عن طريق التعليم، وعلى ذلك فهي تتميز عن التراث البيولوجي الذي ينتقل آليا عن طريق الجينات أو الموروثات".³

ويذهب إدوارد روبراي Edouadr Robery إلى أن الثقافة "هي حصيلة الفكر والمعرفة في المجالين النظري والعملي على السواء وعلى هذا الأساس فإنها تعتبر خاصية من خواص الانسان تميزه عن الكائنات، وهو قول ورده مالمينوفسكي في كثير من كتاباته".⁴

والثقافة عند غاستون ميلاري Gaston Millary هي ما يبقى بعد أن ننسى كل شيء أو ما نحتاجه بعد أن نتعلم كل شيء". ويضيف قائلا "أن الثقافة العامة الحقيقية هي الثقافة التي تجعل الانسان منفتحا على الغير وعلى كل من يتجاوز دائرة اختصاصه الضيقة".⁵

1- مزيان محمد، كلمة التحرير لمجلة التربية وثقافة السلم، دار الغرب، وهران، 2002، ص132.

2 - Edward TYLOR , LA CIVILISATION PRIMITIVE ,Traduit de l'Anglais sur la deuxième édition ,Paris ,Ancienne Librairie Schleicher,1920 , p123.

3- قمرابي محمد، محاضرة في التربية والسلم، مخبر التربية والتنمية، دار الغرب، وهران، 2002، ص 73.

4- بوزيد محمد، محاضرات في الأنثروبولوجية الثقافية، دار النهضة العربية، مصر، 1978، ص 43.

5- غاستون ميلاري ترجمة بسيم نصر، مدخل إلى التربية، عالم الكتاب، القاهرة، بدون تاريخ، ص 87.

ومما سبق يمكن القول أنه رغم تعدد المعاريف فإن الثقافة يمكن تعريفها بالوعي الانساني الذي يتميز به والمعرفة الانسانية بما تتيحه للإنسان من فرص وسلوك ووسائل وحاجات مادية تساعده على الحياة، وعلى هذا الأساس فأسباب الصراع في المجتمعات لا تُخدم البعد الثقافي، فالتصورات الكلية للبشر وطرق تفكيرهم التي تمثل جزءاً من ثقافتهم لا تؤدي بالضرورة إلى العنف والصراع، وإنما قد تكون عند البعض أسباب الصراع، فالشعور بالخطر أو الظلم لا يؤدي بالضرورة إلى العنف وإنما تتوقف طبيعة رد الفعل على طبيعة ثقافة صاحبه، وفي المقابل فإن أكثر ما ساد المجتمعات السلم، في التاريخ كان عقب حركات ثقافية غالباً ما كانت دينية، أو دينية الطابع ألفت بين قلوب تلك المجتمعات وفتاتها المتصارعة وغالباً ما ارتبطت عودة هذه المجتمعات إلى الصراع بضعف فعالية تلك الحركات. كذلك "تنطوي مقومات السلم الأخرى على أبعاد ثقافية جلية، فالعدل والتنمية مثلاً مفهومان ثقافيان مثيران للجدل، وللثقافة دورها المشهود للدفع إليهما أو عنهما".¹

فالثقافة لها دور مزدوج، دور خطير وحاسم في دفع الصراع والعنف وتغذية أسبابهما عندما تكون ثقافة عنف وصراع، ودور مهم وأساسي في الدفع إلى السلم وتعزيز مقوماته عندما تكون ثقافة السلم. وإذا كانت ثقافة السلم بتلك الأهمية البالغة المستمدة من أهمية كبح الصراعات، وتحقيق وتعزيز السلم فما العلاقة بين الثقافة والسلم، وماذا تعني ثقافة السلم يا ترى؟

مما سبق فلقد عُبر عن الثقافة بالوعي، فكيف يمكن لهذا الوعي أن يرتبط بالسلم؟ "السلم حالة اجتماعية عكس حالة الحرب، فإن الثقافة الحقيقية هي التي تدفع بالإنسان إلى أن ينجح إلى السلم إذا تعلم وإنما تربي على محبة الانسان والإحياء ونبذ الأنانية. فثقافة الفوضى سوف لن تؤدي إلى السلم أبداً لأنها ستؤدي إلى حالة عكس حالة السلم".² هذا ما يتجلى في كلام كثير من الفلاسفة المعاصرين حيث نجد "أن الحيوية الخلاقة سواء زادت من خلال الأعمال الكبيرة أو من خلال الأعمال الصغيرة فإنها تؤلف في الاحساس الشرط الرئيسي وهو قطار السعادة الذي لا بد منه لكل فرد، وهذا قائم في أن إشراك كتل بشرية في نشاطات مختلفة الكم والكيف، هو واحدة من أنبل مهام الحياة".³ فالواقع أن منذ الثمانينات أولت منظمة الأمم المتحدة أهمية قصوى لثقافة السلم، وحاولت هيئة اليونسكو بلورة التعريف لثقافة السلم، وقد انتهت اجتهادات اليونسكو إلى تعريف إجرائي طويل يرصد عدد من الاجراءات أو المقومات التي تقوم عليها وتحقق ثقافة السلم، وقبل أن نأخذ في ذكر ذلك فلا بأس في بداية المطاف أن نحاول تقديم قدر من التوضيح لكلمة السلم رغم أننا لم نجد بعد محاولتنا مصدراً يحدد هذا المفهوم بشكل علمي دقيق ومهما يكن فإن مصطلحي السلم والسلام في المنظور الأممي يتصل إحداهما بالآخر بصورة لا تتجزأ وهي مستخدمة في التقارير بالتعاريف التالية: "صنع السلم هو العمل الرامي إلى التوفيق بين الأطراف المتعادية لا سيما عن الوسائل السلمية". وتضيف "حفظ السلام هو نشر قوات للأمم

1- غاستون ميلاري، المرجع نفسه، ص ص 39-41.

2- قمراري محمد، مرجع سبق ذكره، ص 79.

3- غاستون ميلاري، مرجع سابق، ص 41.

المتحدة في الميدان، وذلك يتم بموافقة جميع الأطراف المعنية وتشمل عادة العسكريين، وحفظ السلام هو صنع السلم كما هو وسيلة لتوسع إمكانيات منع نشوب المنازعات".¹

ومن المنظور اللغوي وحسب المنجد العربي فالسلم يعني حالة معينة، أو سلم لمن سالمني وحرب لمن يحاربي وتقول قوم سلم أو مسالمون. والمعنى الشائع للذهن من لفظ السلم هو انتهاء الحرب وقد يتسع هذا المعنى ليشمل انتهاء أي اعتداء مسلح أو بدني.

وفي القاموس الفرنسي Larousse تعني كلمة سلم (Paix) حالة بلد في غير حرب أو بصفة أخرى توقيف الحرب أو كذلك عقد يوضع حدا لحالة الحرب.² ولقد ورد عن اللغويين القدامى السلم والسلام بمعنى واحد ومن التعاريف اللغوية التي وردت في لسان العرب "السلم والسلامة: البراءة وتسلم منه تبرأ والسلام العافية، ومعنى قوله تعالى " سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ " (سورة القدر/ الآية 05) أي لا داء فيها، وقوله تعالى " وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا " (سورة الفرقان/ الآية 63) معناه تسلما وبراءة لا خير بيننا وبينكم ولا شر، والسلام والتحية معناها واحد أي السلامة من جميع الآفات والسلم مشتق من السلام اسم الله تعالى لسلامته من العيب والنقص. ويستخلص من هذه المفاهيم اللغوية أن السلم مرتبط بالبراءة والخير وهو نقيض الشر والآفة والنقص.³

ومهما يكن ورغم اختلاف التعاريف وتعددتها، فلا مفر من ترقية ثقافة السلم، لكي يعيش الانسان لا محالة حرا متمتعاً بكل حقوقه الإنسانية، مما يحتم عليه العمل على تحقيق هذا المسعى للعيش في طمأنينة البال والتطلع إلى مستقبل زاهر خال من كل أشكال العنف والحروب والدمار. وما قانون الرحمة، وقانون استعادة الوثام المدني، وميثاق المصالحة الوطنية في الجزائر إلا صياغة قانونية لفكرة السلم والوثام، أي هي تجسيد للفكرة الجوهرية للسلم وتحويلها إلى قاعدة أو عدة قواعد صالحة للتطبيق الفعلي في المجتمع لتخطي المحن، وإرساء الأمن والتسامح والتعايش وإحلال السلم. "فالجهد المبذول من طرف القيادة الجزائرية في ترسيخ فكرة السلم في اذهان المجتمع الجزائري، آتت ثمارها بتأييد أغلبية عائلات ضحايا الارهاب لمبادرة رئيس الجمهورية من أجل الوثام والمصالحة رغم ما تكبدته هذه العائلات من أهوال ومحن، ومن هنا كان التجاوب مع هذا المسعى تحولاً في مجرى تاريخ البلاد".⁴

ويمكن تفسير ذلك بحصيلة البناء القيمي للمجتمع الجزائري القائمة على التماسك والتوحد في الأوقات الصعاب والأزمات، وهذا ما يدل على أن فكرة السلم نابعة من "قيم المجتمع التي تقوم بدور هام في إرساء ثقافة السلم والمبادئ الضامنة لاستقرار المجتمع وتطوره، حتى ولو ظهرت القيم السلبية الناتجة عن تراكمات تمحضت عن غياب العدالة الاجتماعية بمعناها الواسع، والتي تشكل عائقاً حقيقياً لتطوير القيم الإيجابية بالنسبة للشخصية

1- بطرس غالي خطة السلام، الأمم المتحدة، أوت 1992، ص 11.

2 - Larousse, Imprimerie Maury-Malsherbe, Paris, 1994, p 753.

3- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، مج5، 2010، ص203.

4- الوثام المدني، رسائل وتصريحات تأييد رئيس الجمهورية، مطبعة رئاسة الجمهورية، 1999، ص 07.

الوطنية".¹ فالملاحظ أن كلما خرجنا عن القيم وما ينجر عنها من أعمال غير حضارية، نجد في المقابل فكرة السلم التي تظهر في الأفق، وتفرض نفسها بتفادي الهمجية والتطرف الذي يدفع بالمجتمع إلى الحضيض. ومن ثم لترسيخ ثقافة السلم لا بد من الإشارة إلى أن "أخلاقيات الحوار خطوة كبيرة نحو الاتجاه السليم في النظريات الفكرية والتطبيقات العلمية، ولا عجب فالحوار أساس الحضارة الإنسانية وقد بدأ التقدم الشامل منه كما أن الفكر الفعال ينشأ وينمو من الحوار".² "فالقيم هي التي تشكل المعايير التي بدورها تحكم على الفعل بالصواب أو الخطأ".³ يلاحظ من هنا على المعنى السائد على مختلف المستويات أن السلم: "حالة اجتماعية عكس حالة الحرب ترتبط بالظروف الاجتماعية التي تميز المجتمعات". "السلم لا يلفت انتباه الباحثين لأنه لا يطرح كمشكلة انسانية يعاني منها الفرد أو يشكو من مضايقتها لأنها محبذة ومرغوب فيها". "والانسان لا يقدر السلم ولا يعيه إلا بعد افتقاده له مثلما لا يقدر الحرية ولا يعيها إلا بعد افتقاده لها".⁴

ويؤخذ على هذه التعريفات السابقة، إغفال الجانب المعنوي حيث أنها تركز على الجانب المادي أي على العنف المادي الصادر عن الغير أو الذي يتعرض له الغير. ونشير هنا إلى أن العنف المعنوي قد يكون أشد إيلا ما من العنف المادي، وقد يدفع بمن وقع عليه إلى ارتكاب مالا تحمد عقباه، كالانتحار وبالتالي الضرر بالنفس وبالأخر كما نشاهده على الساحة الدولية من تكاثر الانتحاريين الذين يفجرون أنفسهم ويلحقون الضرر بالآخرين، وذلك لعدة دوافع وأغراض واعتبارات خاصة. وعلى هذا لا بد من توسيع المعنى الشائع للسلم ليشمل بالإضافة إلى السلم البدني، السلم المعنوي، ويشمل بالإضافة السلم بين الأفراد، السلم بين البشر وبين ما حولهم من غير البشر (الحيوان - الطبيعة).

وعلى أثر ما سبق يتضح أن السلم الأمثل ليس هو السلم السلي وإنما هو السلم الايجابي، وإذا تقرر ذلك انبنى عليه أن ثقافة السلم التي يتعين علينا العمل من أجلها والدعوة إليها، هي ثقافة السلم الايجابي وليست ثقافة السلم السلي والفرق بين الثقافتين شاسع جدا فتقافة السلم السلي هي أقرب إلى ثقافة الصراع المكبوت منها إلى ثقافة السلم لأنها تفتقر إلى القيم ومبادئ السلم بدليل أن أصحابها عادة لا يلجؤون إلى السلم إلا اضطرارا وإذا ما لجؤوا إليه فإنهم غالبا ما يظلون يضمرون نية العنف ويمارسونه متى سنحت الفرصة. وفي البعد النظري تكون ثقافة السلم السلي غالبا ثقافة بعدية تبريرية ضعيفة بمعنى أن السلوك العملي (الثقافة السلوكية) هو الأصل في السلم. وهو الذي يولد الثقافة النظرية والتي تأتي انعكاسا للسلوك العملي أي الواقع القائم وتبريرا له ولا تمارس دورا توجيهيا للسلوك العملي، فهي بالضرورة ثقافة ضعيفة ضعف السلم السلي المقترن بها.

1- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع القيمي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1981، ص 20-21.

2- عبد القادر الشيعلي، أخلاقيات الحوار، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، 1993، ص 05.

3- محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص 19.

4- قمرأوي محمد، مرجع سابق، ص 76.

1. 2 التطور التاريخي لثقافة السلم الاجتماعي:

من الملاحظ أن ثقافة السلم تلقي بظلالها على جميع الاحقاب التاريخية للإنسان، إذ لازمت الانسان منذ نشأته إلى أن يرث الله الارض ومن عليها. فالإنسان عاش منذ عصور فترات سادها أحيانا السلم وتارة اخرى سادتها نزاعات وحروب، وكانت الحاجة إلى كسب العيش والبقاء والسيطرة هي التي تحرك مواقف كثيرة في هذا المد والجزر، وستعرض لتطور ثقافة السلم الاجتماعي عبر التاريخ وموقف الفلاسفة منها ثم أهميتها في الفكر الديني.

أولاً: نشأة ثقافة السلم وموقف الفلاسفة منها:

إن أهم وسيلة تعيننا إعانة واضحة على فهم واقع البشرية هي التاريخ، وأن تصورنا للماضي يؤثر لا محالة في صورة المستقبل وبذلك نتطلع إلى استخلاص العبر لتقينا الآلام ومن هذا المنطلق التفكير في عالم مسالم حال من كل أشكال العنف وبالتالي صنع السلم وضمان الرفاهية والطمأنينة للبشرية.

"فليس التاريخ بالنسبة للأمم مجرد ماض وانتهى، بل هو بالنسبة لكل الأمم الحية جزء من النهر الكبير الذي تتدافع بين شطآنه أمواج حضارتها، فيكاد الماضي ينسكب في الحاضر يدوب بين معبري الماضي والمستقبل".¹

التاريخ ذاكرة الأمة ومستقبلها ومستودع تجاربها ومعارفها، وهو عقلها الظاهر والباطن وخزانة قيمها ومآثرها وأساس شخصيتها الغائرة في القدم والممتدة مع الزمان.

ولذلك "فإن فعالية الإنسان مع تاريخ مؤثراً فيه ومتأثراً به، وما نشأ عن ذلك من أحوال التوحش، والتأنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتجه البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران وطبيعته من الأحوال".² فنرجع البصر إلى أول الخلق، حيث نجد السلم والعنف عنصرين يلازمان حياة البشر، فلحظة غياب أحدهما يبرز الآخر بقوة، وسنحاول على هذا المنوال شرح ظهور بذرة ثقافة السلم والعنف من خلال قراءتنا المتواضعة لبعض نصوص القرآن.

يقول تعالى (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) (سورة البقرة / الآية 35-36).

تظهر هذه الآية الخير والشر، وقد عرفها بعض المفكرين بقولهم (العمل الذي يجب أن يعمل، أو يحسن أن يعمل هو الخير وأن العمل الذي يجب ألا يعمل أو ينبغي ألا يعمل هو الشر).³

فالخير والشر، الحق والباطل، والعدل والظلم، والفضيلة والرذيلة، هذه الصفات كلها بدأت مع الانسان، وستبقى تلازمه إلى غاية فناء البشرية، والصراع قائم إلى الأبد. يشير القرآن إلى أن الانسان كرم بالعيش في الجنة والمكوث

1- عبد الحليم عويس، فقه التاريخ، دار الصحوة، ط1، القاهرة، 1986، ص 05.

2- ابن خلدون، المقدمة، دار الراءد العربي، بيروت، ط5، 1982، ص 07.

3- القطب محمد القطب طيلية، الاسلام وحقوق الانسان، دار الفكر العربي، ط2، 1984، ص 459.

في الجنة معناه العيشة الراضية، الطمأنينة، السلم بمعناه الواسع. وفي سياق الآية لقد أبيضت لهما كل ثمرات الجنة إلا شجرة واحدة ربما كانت ترمز للمحذور الذي لا بد منه في حياة الأرض، فبغير محذور لا تنبت الإرادة ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقييد بالشرط. قال تعالى (فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (سورة البقرة/ الآية 37)، فإن قصة الشجرة المحرمة ووسوسة الشيطان باللذة ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة من بعد السكر، والندم وطلب المغفرة، إنها هي تجربة البشرية المتجددة المتكررة.¹

ومن هنا نغوص إلى عمق التاريخ إلى أعرق الحضارات الإنسانية، نستهلها بالتطرق إلى الحضارة اليونانية وما جاءت به من أفكار بموجبها ترقى وتنمي ثقافة السلم، ففي هذا المضمار نشير إلى أن الفكر على وجه العموم هو المحرك الأساسي للنشاط الإنساني وهو جوهر الوجود الإنساني ويعد الفكر الفلسفي بصفة خاصة، المصدر الأساسي في سائر الأنشطة العقلية. "فالمذهب الفلسفي إن هو إلا تعبير مركز عن التيارات الأساسية التي تؤسس الحضارة وتبني المجتمع وترشده وهي مشتقة من طبيعته الإنسانية حسب ظروف الزمان والمكان والبنية والمزاج".²

فمن أوائل شعراء اليونان نجد هوميروس في عمله الأدبي الخالد والصورة التي رسمها للرجل اليوناني في "الإلياذة" و"الأوديسية".³ "ففي الجانب الأكبر من "الإلياذة" فأجاد الشاعر في تصوير الطابع الإنساني وأبرز صورة اليوناني العادي الذي يحب الحياة ويقبل عليها في مرح ظاهر غير مبال بما كانت تعيشه الأساطير من خوف وقلق فنراه يمجّد الإنسانية ويقبل على التفكير المنطقي ويمارس ألوان اللذة الغامرة مؤثرا في الحياة على سطح الأرض".

من هنا نجد الطبيعة المسالمة لليوناني، وباعتبار أن هاتين القصيدتين كانتا أساس التعليم في اليونان، فيما لا شك فيه فإن بروز ثقافة السلم وتنميتها تبدو واضحة المعالم، فيما يوحي من هذه الأشعار أن اليوناني مسالما مرحا محبا للحياة ولذاتها ومحباً للآخر، أما الآلهة فيشير إليها كما يلي:

"مجموعة العوامل الميتافيزيقية والطبيعية التي تتحكم في حياتنا في الأرض ومعنى هذا أن جميع الظواهر الطبيعية تخضع لقوانين ضرورية... ونلاحظ على الرغم من بزوغ هذه الأفكار إلا أننا نجد تمجيدا للحياة تحت الشمس واعتبارها أهم وأحق بالنظر من الحياة التي ترتبط بأسبابها بالأفكار والآراء الغيبية".⁴

ومعنى هذا أن اليوناني العادي يفضل بساطة العيش والمرح والطمأنينة والأمن ومنه السلم ولنخرج على أفلاطون الذي يرى أن العدالة قائمة على الطبيعة لا على العرف، وكان غرضه بناء مدينة على أساس العدالة يتعاون فيها الناس على توفير الحاجات البسيطة، المأكل، الملابس والمسكن، لا يعرفون فيها أشكال العنف.

"مدينة الفطرة مثال البراءة السعيدة، وليس من حاجات إلا الضرورية وهي قليلة ترضيها بلا عناء يقنع أهلها بالشعير والقمح والخضر والثمار والخمر الخفيفة، فيعيشون عيشة سليمة ويعمرون ولا يعرفون الفاقة ولا الحرب".⁵

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1978، ص 58-59.

2- محمد علي أبو زيان، تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص 16.

3- انظر الإلياذة و الأوديسية، هي من أشعار الفيلسوف اليوناني هوميروس وقد ظلت قرونا.

4- سيد قطب، مرجع سابق، ص 44.

5- ر. فلتز، ترجمة ابراهيم خورشيد، أفلاطون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 72.

وفي المقابل تحدث عن المدينة المتحضرة التي كثر فيها الناس، كثرة حاجاتهم واستحدثوا صناعات لإرضائها ونتج عن ذلك هروب وتكوين الجيوش وعلى هذا الأساس فكر على أي صورة يبني مدينته، مدينة يعمها السلم والوئام تتحقق فيها العدالة، فكان يرى أن المدينة الفاضلة تتكون من ثلاث طبقات. "الحكام والجند والشعب والطبقات الأولى والثانية حراس المدينة فكيف نحصل على حراس أشداء فضلاً؟".

يجب على الذين يقومون ببناء المجتمع المنشود أن يميزوا من بين الأحداث أصحاب الاستعداد الحربي فيفصلوهم طائفة مستقلة ويتعهدوهم بالتربية، عليهم أن يرتبوا لهم رياضة بدنية تنشئهم أصحاب أقياء وعليهم أن يغذو نفوسهم بالآداب والفنون، فتكون التربية واحدة للجميع إلى حوالي الثامنة عشر، فتكون سهلة لذيدة لأن الإكراه لا يكون للرجال الأحرار، وتكون فاضلة تبدأ بالقصص الجدية البريئة الحائثة على الخير. وأما من حيث الصورة فإن الفن يقوم بالحاكاة ويخلق المحاكاة، ولا نستبقي غير الشاعر عف اللسان سديد الرأي هادئ النفس يحاكي الخير ليس إلا".¹ من هنا نرى أن أفلاطون يفضل الحياة الجيدة الخالية من أشكال العنف تسودها العدالة واحترام النفس فكان تفكيره يوحي بخلق بيئة كلها مجال سليم، وتهيئة مواطنين كاملين يتوجهون إلى الفضائل ونبذ الرذائل يصونون نفوسهم من الخبث. ولسنا في حاجة إلى نقد أفكار أفلاطون تفاديا من الابتعاد عن الموضوع ولكن تجدر الإشارة إلى أن الأيام تكلفت برد أفلاطون إلى الحق وإقناعه أن هذه المدينة ممتنعة التحقق، مما دفعه إلى إحداث فكرة التشريع لتحقيق المثل الأعلى للمدينة، ويذهب إلى القول "التغلب على العناصر الرديئة في النفس وتعهدها متى تتصلح، فخير الحالات السلم لا الحرب وهي الغاية التي يجب على المشرع أن يتوخاها في وضع دستوره والشجاعة الحربية أدنى أنواع الشجاعة، والنوع الأرفع والأشق مبالغة اللذة وقمع الشهوة، فالشجاعة الحربية في المحل الرابع بعد الحكمة والفقه والشجاعة الأدبية".² ومن جهة أخرى "يرتقي أفلاطون إلى أصل القوانين والمبدأ الذي يستمد منه سلطانه فيقول: الله لا يحكمنا مباشرة بل بواسطة العقل الذي وهب لنا، فالقوانين التي يقرها العقل تحاكي قوانين العناية الإلهية وترمي إلى الخير العام فالخضوع لها واجب".³

وأخيرا نرى أن اتجاه أفلاطون لتحقيق فكرة المدينة الفاضلة يدعو إلى تجنب كل أشكال العنف وتفادي الآلام التي يعانها الإنسان من جراء استعمال القوة وهذا دليل على تطور فكرة السلم لدى اليونان بل وأكثر من ذلك حيث وضع أفلاطون آليات لتحقيق ثقافة السلم بغية بناء مجتمع مسالم رأس ماله الوئام والأمن والسكينة، وضع قوانين ولزوم احترامها حيث أن الحكومة التي يقيدها دستور، يسوء حالها حتما، فهو يرمي إلى إقامة حكم العقل والعدل واستبقاء وحدة الأمة ومن هنا تحقيق الرفاهية والطمأنينة والعدالة الاجتماعية التي هي جوهر ثقافة السلم.

والأمثلة عديدة في تاريخ الفلسفة عن تكوين الأسرة العالمية أو المدينة الفاضلة، ففي هذا الصدد تعالت الخطابات الداعية للسلم والمسالم، فالرواقيون نادوا بضرورة تحرير الإنسان من كل ما يفرق بينه وبين أخيه الإنسان، وأن لا

1- المرجع نفسه، ص 74-78.

2- المرجع نفسه، ص 79.

3- المرجع نفسه، ص 98.

يحول الاختلاف الديني واللغوي والعرقى إلى وسيلة تعطي الشرعية للحرب والاستعباد، وطرحوا مشروع تكوين أسرة عالمية واحدة قانونها اللوغس(العقل) ودستورها الأخلاق¹، ثم يأتي القديس أوغسطين ST Augustin في كتابه "مدينة الإله" جازما أن المدينة الأرضية لا تعرف السلم لكونها مدينة الأهواء والشور، وأن السلم لا يجده الإنسان الفاضل إلا في مدينة الإله النموذج الأمثل للإنسانية، وذلك أن مدينة الإله محكومة بالعناية الربانية ومحاطة بالعدل والخير ومشدودة بالنظام والغاية ومبنية على الفضيلة الخاصة.²

وفي العالم الإسلامي يبرز أبو ناصر الفرابي بنظريته المعمورة الفاضلة التي تتشكل من مجموع المدن الفاضلة التي بينها حقا حلفا مقدسا أساسه السلم والفضيلة.³ ونتيجة انتشار ظاهرة الحرب في أوروبا، يخرج القديس دون سان بيار St De Pierre بمشروع السلام الأوربي الدائم الذي بموجبه يتشكل حلف مقدس بين الدول الأوربية المتناحرة الغرض منه تحقيق السلم الدائم والتصدي للدول الإسلامية.⁴

ولم تتوقف الدعوة لإنشاء مشاريع السلم ومن أهمها مشروع إيمانويل كانت Emanuel Kant المتميز بطرحه والمتمن بشرطه والحكم بضماناته، المشروع الجدير بالتحليل والنقد رغم طابعه المثالي الحاكم، لكونه يمثل ظاهرة صحية في تاريخ الإنسان المغتال بالفكر الزائف والايديولوجية المتكاملة على هدم قيم الإنسان.

ومما سبق وضمن هذا الاطار طرح مفهوم السلم كقيمة أخلاقية شغل بها الفلاسفة من وجهة نظرهم، شغلوا بها في ميدان فلسفة القيم من حيث أننا حينما نتحدث عن القيمة هنا فإننا نستخدم اللفظ بوصفه فكرة أو معيار يتيح لنا تقدير حوادث أو أفعال أو خصائص أو موضوعات معينة، وعليه نسلط الضوء على ما يعرف بفلسفة الأنوار التي كان يمثلها الفيلسوف إيمانويل كانت (1724-1804).

ثانيا: مفهوم السلم الاجتماعي في الفكر الديني:

من المفيد أن تسود المحاملات لدى الحديث عن العلاقة بين الأديان، فإبراز المحاملات أفضل من إشهار المخالفات. إلا أن من الأقوم الوقوف بكل موضوعية عند دراسة العلاقة بين الأديان، والذي يهمننا هنا هو علاقة السلم فيما بينها، وفي مستهل الحديث لا بد من التطرق إلى معرفة معنى الدين، في هذا الصدد نشير إلى أن "كل دين يتألف من جزء غيبي يؤمن به كل متدين، ينبثق أو يضاف إليه نظام أخلاقي تنبثق منه أو تضاف إليه في معظم الحالات قواعد عملية السلوك اليومي".

فالأصل في الدين أن يكون الترابط وثيقا بين الجزء الغيبي من جهة وبين النظام الأخلاقي وقواعد السلوك اليومي من جهة أخرى، وتسند الأديان الكبرى الجزء الغيبي إلى الله، يسند معه إلى الله أيضا النظام الأخلاقي وقواعد السلوك اليومي العملية.⁵

1 - الفرابي، آراء أهل المدينة الفاضلة. ص 211.

2- Dc St Pierre, Projet De Paix Perpetuelle 1717-1719, P 45.

3 - إيمانويل كانت ترجمة عثمان انيس، مشروع السلام الدائم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1952، ص 12.

4 - المرجع نفسه، ص 25.

5- جورج جبور، تأملات موجزة في العلاقة بين الأديان، ورقة مقدمة إلى الندوة الدولية عن الإسلام والسلام، تونس 15-17/04/2003.

وهذه الأديان الكبرى هي معروفة بالأديان السماوية أو التوحيدية، وما دمنا في موضوع ثقافة السلم الاجتماعي فسنعرض إلى موقف كل دين في هذا الشأن، ولا بأس أن نذكر في هذا الصدد أن الدين يلعب دوراً حيوياً في تقوية علامات السلم وتعزيز الظروف الضرورية للسلم، ويتم ذلك عندما يركز الدين على هدفه الأساسي، التركيز على الله الذي يدعو إلى الأخوة، ونشر ثقافة التضامن البشري.

أ: السلم الاجتماعي في الفكر الديني اليهودي:

ويتأرجح مفهوم السلم الاجتماعي في الفكر اليهودي عبر أطوار تاريخية معينة وهو يحمل دلالات مرتبطة أصلاً بتطور العقيدة اليهودية عبر التاريخ.

1- **نزعة الاختيار:** الاختيار الإلهي لبني إسرائيل هو أول دوافع السلم فمعنى الاختيار يتجلى في أن الله اختار إسرائيل دون غيرهم لتبليغ رسالته التوحيدية إلى البشرية إن هذا التكريم الإلهي لبني إسرائيل مشروط بتمسكهم بالتعاليم التوحيدية والتي يأتي على رأسها نشر السلم والسلام بين الشعوب، فمن مقتضيات التوحيد هو أن البشر إله واحد يخضع له الجميع في الواجبات.¹ وبهذا نجد حتى القرآن الكريم يشهد في تلك المرحلة بأفضلية اليهود عن باقي البشر باعتبارهم يمثلون رسل السلم إلى الشعوب، ولم يلبث هذا المعنى زمناً حتى بدأ يطرأ عليه تغير تبعاً للظروف الدينية والتاريخية، التي طرأت عليه فتطرت إلى نتيجة غير طبيعية تتمثل في أن الاختيار لا يقتصر على تبليغ رسالة التوحيد والسلم إلى البشرية جمعاء بل أضحى اختياراً في علاقة خاصة مع الإله والتي كانت المعنى الذي غذى النزعة العنصرية فيما بعد.²

2- **عنصر التوحيد:** دخلت ثقافة السلم مرحلة خطيرة حتى انتهج اليهود سياسة عد التبشير بالتوحيد، واعتباره ديناً قومياً لا يعني الآخرين، وقد طوعت الطقوس والشعائر في الاتجاه الديني بمنع هذا الاندماج بين الشعوب فتطور الشعور بالاستعلاء الديني لدى الفرد اليهودي، أدى به إلى الاعتقاد بعد وجود روابط دينية من أي نوع تربطه مع غيره من أهل الديانات الأخرى، بما فيها الديانات السماوية.

وعلى أثر ما سبق بدأ يتطور مفهوم العدوان إلى ما هو أخطر، فهو ليس مجرد إعلان الانفصال عن الآخرين وعدم التعامل معهم فحسب، بل تعبير عن رغبة ملحة في تدمير الآخرين، والحاق الضرر بهم على يد الإله المخلص لشعبه.³ فالتاريخ يثبت أن المجتمع اليهودي لم يعرف ثقافة السلم، لما كتبت من حقد للشعوب الأخرى، مما جعله لا يقبل الحوار، لاعتقاده أن دينه هو الحق مما يترتب عليه بعدم قبول الحوار وتجاهل الآخر، وفي العصر الحديث ربطت الصهيونية بين الإسلام والتخلف، وبينه وبين الأصولية والإرهاب، معاداة الحضارة الغربية، كل ذلك من

1- عبد القادر مقام، ثقافة السلم في المجتمعات الجزائرية نموذجاً، أطروحة مكملة لنيل درجة شهادة الدكتوراه في العلوم الإنسانية تخصص انثروبولوجيا، جامعة تلمسان، 2008-2009، صص 43-44.

2- محمد خليفة حسن أحمد، دراسات في التاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، بيروت، 1975، ص 176.

3- محمد علي، بترو العامي، الكتاب المقدس في الميزان، الدار الإسلامية، بيروت، 1990، ص 40.

أجل تشويه صورته، وحجب حقيقته، وحاولت بكل الوسائل أن تحجب الآراء اليهودية التي تدعو إلى الحوار بين الاسلام واليهودية، أو التي لا تعتبر الاسلام عدو لليهود

وخلاصة القول، إن موقف اليهود من الحوار مع الاسلام كان سلبيا ومحكما بنظرة سياسية قوامها اقتناع المسلمين بأحقية اليهود بفلسطين، واصدار فتاوي من أئمة الاسلام تحرم الجهاد ضد المحتلين.¹

ب. السلم الاجتماعي في الفكر الديني المسيحي: كانت الديانة المسيحية ترى نفسها في السابق على أنها نقض تجديدي لليهودية يغلب فيه جانب النقض على جانب التجديد، بل ويكاد أن يسحقه، وقد اكتسبته المسيحية صفتها كدين على يد القديس بولس في مدينة انطاكيا السورية، حيث أخذ المسيحيون يدعون مسيحيين للمرة الأولى". وعلاقة اليهودية بالمسيحية تطورت عبر العصور، حتى انتهت بها الأمر، ولا سيما في نظر معظم المسيحية الغربية إلى تغليب جانب تجديد اليهودية على جانب النقض. والمسيحية من حيث أنها دين لاحق لليهودية، فهي أوضح منها ولعلها أقل منها خضوعا للتفسيرات والتأويلات المتباعدة وقد جاءت بمسلمات تبرز من خلالها مقومات السلم فكان عيسى بن مريم عليه السلام يوحى بالاعنف ويدعو إلى محبة الأعداء.²

ج. السلم الاجتماعي في الفكر الديني الاسلامي: في هذا الجزء سيتم تسليط الضوء على السلم في الفكر الاسلامي انطلاقا من مدونة متضمنة نصوصا قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، نشير في هذا السياق "إلى أهمية السلم في النص القرآني، يظهر انفراد الأمة الاسلامية من بين أمم العالم بجدارة القيام بالدور الحضاري الذي تتطلبه الانسانية". وما يثبت ذلك قوله تعالى "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" (سورة آل عمران/ الآية 110).³ تشير هذه الآية إلى خصائص الأمة وأخلاقها التي أهلتها لأن تكون خير أمة أخرجت للناس". فالإسلام في هذا السياق يريد للبشرية أن ترتفع كما يريد لها أن تكافح لأسمى الغايات وذلك ما تشير إليه الآية الكريمة: "الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوُا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" (سورة الحج/ الآية 41). كذلك تبرز هذه الآية خصائص الحضارة الاسلامية التي جعلتها خير حضارة أخرجت للناس، والآية الكريمة التي تخاطب الأمة الاسلامية "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" (سورة البقرة/ الآية 143) من هنا يظهر جليا تحمل الأمة الاسلامية بذلك عبء حمل الرسالة، رسالة قيادة الناس ودلالتهم إلى طريق الحق والخير، لا في عصر دون آخر ولا جيل دون جيل⁴. من هنا تبدو جلوية أهمية الحوار في معالجة الازمات والمشاكل لاستشراف مستقبل الأمة وأفاق تطورها.

1 – Encyclopédie Universales, La Non-Violence ,France, 1998 , P 13.

2- جورج جبور، مرجع سبق ذكره، ص 72.

3- محمد علي ظنناوي، مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، مطبعة الفيصل للاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، 1983، ص ص 10-08.

4- مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، مطبعة الفيصل للاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، 1985، ص ص 21-22.

ثانيهما "أنه لم يلزم بطاعة أحكامه واعتناقه مبادئه إلا من يقره ويختاره - ويؤمن به - أي بلغة عصرنا الحديث على من يقترح عليه بالموافقة .. أما الآخرون الذين لم يؤمنوا به فلهم أن يعيشوا وفق عقائدهم، وتقاليدهم والأسلوب الذي يختارونه لحياتهم".¹

د. السلم الاجتماعي في العلاقة بين الأديان: إن السلم ينبثق في العلاقة بين الأديان من جذرين متكاملين:

الجذر الأول: داخلي في كل دين، مؤداه احتفاء كل دين، على حدى بالسلم، حتى إنه يمكن القول أن الدين والسلم مترادفان وأن السلم قيمة دينية على الرغم من اختلاف بين مفهوم السلم، يتيح الدين سلما داخليا في نفس المؤمن، ويتيح السلم بين المؤمنين، أما السلم مع غير المؤمنين فأمر ملتبس فيه في معظم الحالات.

الجذر الثاني: مؤدى هذا الجذر - وهو خارجي في طبيعته، إذ ينصرف إلى علاقة الدين ما بدين آخر - أن الأديان كلها من عند الله، وأنها تمثل رسالة واحدة اختلفت أساليب ايصالها إلى الناس، فتعددت الأديان، أو بالأصح، "تعددت الرسل والدين واحد". هذا الجذر الثاني اسلامي بالدرجة الأولى، وهو كذلك لاهوتي وتاريخي وجاءت إليه المسيحية أو إلى معظمه بعد فترة من ولادتها ولعل اليهودية لم تبلغه في الغالب من اتجاهاتها. من الممكن بالطبع أن نرد إلى التاريخ الاختلاف بين الأديان السماوية في تراتبية تبنيتها لهذا الجذر، فمن البديهي - تقريبا - أيضا اعتراف الدين اللاحق بالدين السابق.

مما سبق يطرح التساؤل ما هو الوضع الراهن للسلم بين الأديان في عالم اليوم؟ "رغم رسوخ جذر لاهوتي (غيبي) في كل دين ثابت في يقين المؤمنين به بأنه الدين الأفضل، وبأن من الواجب الإعلان عن ذلك ودعوة الآخرين إلى الإيمان به، سواء عن طريق التبشير أو الجهاد، إلا أن الأديان السماوية كلها (وغير السماوية أيضا) تتفق على نقاط كثيرة ذات علاقة بالنظام الأخلاقي وبقواعد السلوك اليومي، وهي أيضا تتفق على تقديس الحق في الحياة وما يعنيه هذا الحق من مناهضة للحرب والتزام بالسلم، وثمة اتجاه ثابت بارز جدا في المسيحية والإسلام - ولعله أقل بروزا في اليهودية - يؤكد على تغليب المشترك وإضعاف غير المشترك".²

1.4. مفهوم السلم في الفكر الحديث:

في هذا العنصر لا يسعنا إلا أن نستلهه بنبرة وجيزة عن خصائص عصرنا الزاخر بالمتناقضات. "عصرنا هذا الذي نسعى إلى تمثيله، عصر يلهث فيه قادمه يكاد يلحق سابقه، وتتهاوى فيه النظم والأفكار على مرأى من بدايتها وتتقادم فيه الأشياء في أوج وحدتها (طرازات الهاتف النقال التي تتوالى بمعدل يقاس بالأشهر) عصر تتألف فيه الأشياء مع أضدادها"³

1- خالد محمد خالد، مرجع سبق ذكره، ص 22.

2- بولس الفغالي، الرحمة في العهد الجديد، المطبعة البولسية جونوية، لبنان، 1999، ص 68.

3- نبيل علي، مرجع سبق ذكره، ص 11.

فخصائص عصرنا وتناقضاته أثارت قلق الفلاسفة والمفكرين ورجال السياسة في الوقت الذي صار فيه ذكاء الانسان الآلي يحاكي ذكاء الانسان. "لقد صنع انسان هذا العصر عالما يغص بالاحتمالات والتوقعات والايقين إلى درجة أصبح معها نخشى النجاح قدر ما نخشى الفشل".¹

فلقد دخل العالم مرحلة انتقال تتسم بأنماط فريدة من الاتجاهات المتضاربة والمتناقضات المتباينة. وخير دليل على ذلك هذه المتناقضات التي يتخبط فيها علمنا، ما نتابعه يوميا من صراعات وتجاوزات وحروب ساخنة أو باردة تعصف بجميع أنحاء المعمورة مخلفة وراءها دمارا وعداء لا يخدم البشرية. هذا العالم "يتوارى فيه تكتل دولة مع تفتت دويلاته ولا يفوق نموه الاقتصادي إلا زيادة عدد فقراءه، وها هي شبكة الأنترنت ... وليدة الحرب الباردة يرجون لها كأداة مثلى لإشاعة ثقافة السلام ونشر الوفاق والوئام بين الأنام، إنها البشرية تمارس هوايتها الأبدية في مزج الآمال بالأوهام، فلا حرج ولا تناقض بين حديث السلام، هذا والمائة وخمسين حربا التي نشبت منذ الحرب العالمية الثانية".²

تبدو فكرة السلام المراد نشرها وتوسيعها، نظرة إنسانية شاملة تتمنى للغير ما يتمناه المرأ لنفسه، فالسلام هنا قضية فردية ووطنية بل كونية. "السلام يتضمن شعورا داخليا بالتعاطف والشفقة تلتزم به الديانات ويؤكد على الجهود المتواصل اللازم لتعزيز علاقات اقتصادية وثقافية متساوية بين أفراد المجتمع الواحد".³

فالسلم في أقصى معانيه الأساسية هو قيمة إنسانية لا يمكن أن تحقق إلا إذا غير الناس سلوكهم وعلاقاتهم وذلك عن طريق تعلم كيفية ممارسة القيم الاجتماعية والانسانية.

ولتوضيح فكرة اللاعنف لابد من الرجوع إلى القول الشهير الذي أعرب عنه زعيم الهند غاندي عن موقفه من مسألة عيش النزاعات. قال: "إذا كان علي أن أختار بين العنف والجبن، فسأختار حتما المواجهة، ولما كانت المواجهة غير العنيفة هي أفضل طريقة عمل، فينبغي أن نتبناها كأفضل بديل عن العنف". فالنزاع موجود في حياة الانسان حتى في زمن السلم، وهو يحمل في طياته بعض العناصر الناقصة إلى جانب العواقب الوخيمة والقوى المدمرة والأليمة. فالنزاع موجود بسبب ضغوط الزمن على حياتنا، فنركز أولا على مصالحنا وقيمنا وحاجاتنا ونتجاهل في نفس الوقت مصالح الآخرين الذين تتفاعل معهم مما يدفع بنا إلى توجيه العداء لهم وإلزامهم بالامتثال لأهدافنا وتصبح القوة قسرية، فكلما ازدادت مقاومة الوسائل الحقيقية لحل النزاع، كلما تصاعدت المواجهة نحو الإكراه وإلى ردود الفعل العنيفة. في هذا الاطار يكفي أن نقف عند المؤتمر العالمي لحقوق الانسان وما تبناه إعلام فيينا لبرنامج عمل في النقطة السابعة حيث جاء فيها:

1- المرجع نفسه، ص 15.

2- المرجع نفسه، ص 13.

3- الرابطة الدولية لبحوث السلام ايبرا، دليل مرجعي ومادة تعليمية في مجال حل المنازعات والتربية من أجل حقوق الانسان والديمقراطية باريس 1994 ص 03.

"تساهم جهود منظومة الأمم المتحدة في اتجاه الاحترام العالمي والتقدير بحقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع في إرساء الاستقرار والحالة الصالحة الضرورية لعلاقات سليمة وودية بين الأمم وفي تحسين ظروف السلام والأمن والنمو الاجتماعي والاقتصادي بما يتطابق مع ميثاق الأمم المتحدة على هذا الأساس أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة العشرية الدولية لترقية ثقافة اللاعنف والسلام لأطفال العالم.(2001-2010).¹

المبحث الثاني: العنف وثقافة السلم في الجزائر

2. 1. ظهور اللاسلم الاجتماعي والعنف:

إن تطور اللاسلم الاجتماعي والعنف يكاد يغني عن استعراض وإثارة مظاهره العديدة الدالة عليه، والتي تأتي في مقدمتها ما يشاهد بوضوح، من نزوع الأكثرين إلى تحقيق هدفهم وإشباع غرائزهم بالقوة العنيفة وإحصاءات الحروب وحوادث الارهاب والعنف الاجتماعي، وتكاثر الجماعات المتطرفة وصور استخدام الموارد والاستعدادات المستمرة لممارسة أو مواجهة العنف، كتكوين الجيوش والعصابات والتكالب على الأسلحة وستعرض في هذا الموضوع إلى نقطتين هامتين تتمثل في توافر المصادر الاساسية لثقافة اللاسلم والعنف ثم إلى التنشئة. ولعل السؤال الذي يثيره شيوع ثقافة اللاسلم هو لماذا شاعت في المجتمع البشري ثقافة اللاسلم والعنف بدلا من ثقافة السلم والرفق؟

من الواضح أنه إذا كان الهدف هو الحد من ثقافة اللاسلم لتمكين ثقافة السلم أكثر فإن معالجة السؤال أعلاه المعالجة السليمة تبدو أمرا لا بد منه لاستكمال أسباب تحقيق الهدف المنشود فمن هنا لا بد أن نشير إلى بعض النقاط التي قد يفيد التذكير بها بخصوص المعالجة المطلوبة للسؤال السابق فنذكر منها:

- يبدو أن الانسان أو المجتمع وخاصة في حالته البدائية أقرب إلى استعجال أهدافه ولو بالنهج اللاسلمي وربما يعود ذلك إلى التركيبة النفسية للإنسان أو العوامل البيئية ، ولعل في ذلك ما يدفع الإنسان أو المجتمع إلى أن يكون أقرب إلى ثقافة اللاسلم و العنف منه إلى ثقافة السلم² .

- إن مختلف العوامل التي لها صلة بحالة الصراع والسلم لها أيضا صلة ما بالثقافة السائدة وتحديد طبيعتها السلمية أو اللاسلمية، وهو ما يعني أن شيوع ثقافة اللاسلم يعود إلى عدة عوامل منها ثقافية وغير ثقافية، يمكن القول بأنه ربما كان من أهم العوامل الثقافية وراء شيوع ثقافة اللاسلم و العنف في المجتمع البشري تركز على ما يأتي: أولا : توافر مصادر ثقافية لثقافة اللاسلم و العنف

لعل الغالب في الانسان ثقافيا هو التقليد ومسايرة الثقافة السائدة وليس إبداع أو إتباع ثقافة مغايرة أو خاصة وهو ما ترجحه ظاهرة انقسام العالم إلى مجموعات جغرافية تسود في كل منها ثقافة معينة، يميل أفراد المجموعة إلى التطلع بها وربما مناهضة ما سواه، ومن هنا تكون لطبيعة المصادر الثقافية المتوافرة لدى المجموعة المعنية، أهميتها في تحديد الثقافة السائدة فيها. ويلاحظ في هذا الصدد، توافر أو شيوع مصادر ثقافية عدة قد تختلف قوة حضور

1- Déclaration Officielle De 1 ONU Sur La Culture De Paix.

2- محمد مزيان، ثقافة السلم تحديات نفسية وحضارية، محاضرات الملتقى الوطني حول التربية وثقافة السلم ، جامعة وهران، 2002.

كل منها من مجموعة ثقافية إلى أخرى، ولكن يجمع بينها كلها، أنها تمثل مصادر محتملة لثقافة اللاسلم والعنف في تلك المجموعات. وتتضمن تلك المصادر:

أ- نصوص نافذة حاکمة: الغالب في هذه النصوص أنها تكون ذات طابع ديني، بغض النظر عن مدى ثبوتها للدين المعني، إلا أنها تتضمن أيضا نصوصا غير دينية مثبتة لبعض النصوص القبلية الموروثة في المجتمعات القبلية والنصوص التي تحتكم إليها بعض الجماعات المنظمة غير الدينية. ويجمع بين سائر هذه النصوص أنها تتمتع بقدر ما من القدسية لدى أصحابها، وبالتالي تمارس قدرا مماثلا من النفوذ و السلطة عليهم، ولعل أهم هذه النصوص النافذة، هي النصوص الدينية اليهودية والمسيحية والإسلامية والتي قد يفهم من بعضها (كما يذهب إليه البعض) أنها تحرض أو على الأقل تبرر اللجوء للعنف ولو ابتداء من أجل أهداف معينة¹. ومن المؤكد أن هذه النصوص لعبت دورا أساسيا في الحروب الدينية والطائفية العديدة التي شهدتها التاريخ البشري، وكانت وما زالت هناك دائما جماعات و أحيانا دول تتبع هذه الديانات الثلاث، تمارس أو تبرر العنف إما مدفوعة بمفاهيمها وتفاسيرها بتلك النصوص، وإما موظفة لها بتبرير عنفها الذي دفعها إليه دوافع أخرى غير تلك النصوص.

ب - نظرية: والمعني بها مجموعة النظريات التي تركز الصراع والعنف في المجتمع تحت دواع علمية، ولعل من أقدمها وأشهرها النظريات العرقية والعنصرية التي تقسم الجنس البشري إلى أجناس متقدمة وأخرى متخلفة، وتعطي الأولى حق الهيمنة ولو بالعنف على الأخير، ونظرية الصراع الطبقي التي ركز عليها الفكر الماركسي، وإذا كانت النظرية العرقية دعامة العنف الاستعماري المعروف، فإن نظرية الصراع الطبقي شجعت الكثير من الجماعات والدول على تبني العنف الذي عانت منه دول كثيرة خاصة في النصف الثاني من القرن الماضي²

ج - مفاهيم: أحيانا تسيطر على البعض، أفراد أو مجموعات، مفاهيم لا تبدو مستمدة من نصوص نافذة أو نظريات صراعية معينة، ولكنها تدفع بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تبني العنف أو إقراره في سلوكه، ومن تلك المفاهيم، مثلا اعتقاد بعض الآباء أو المعلمين أن استخدام العنف هو الوسيلة الأنسب والأجدي في تربية الأبناء أو تعليمهم وظن بعض الحكام أن الضغط والعنف يكفلان استمرار حكمهم أكثر من الديمقراطية والرفق، وتقليل البعض من أهمية التربية الخلقية والروحية في الحد من العنف الاجتماعي والعنف مع الذات، وتأمين السلم عموما والمفهوم الشائع للعنف والذي يكاد يحصره في العنف المادي من الغير أو عليه³.

1- Thierry Armand .C .Ezzouar .Fondamentalisme, Fanatisme ,Terrorisme quels dangers pour la paix.. Colloque d'Abidjan sur la paix ,violence et démocratie en Afrique du 09 au 11.01.2002 p.p39 -48.

2- مصطفى السباعي، مرجع سبق ذكره، ص 93-100.

3 - kouassi N Guessan, etat de droit et protection du citoyen. L' harmattan. Paris. 2003. p p146-149.

1.2 أسباب العنف وأخطاره:

إن الفعل العنفي، هو نتاج جملة من الحالات والعوامل المتداخلة والمركبة مع بعضها بعضا، والتي تتسع للعوامل والشروط الذاتية، كما تتسع للعوامل والظروف الموضوعية. وطبيعة الثقافة في مجتمع ما، هي التي تحدد إلى حد بعيد صور العنف، فإذا كانت الثقافة عنيفة يتحول اللسان إلى أداة للأذى بكل صنوفه وأشكاله، واليد إلى ممارسة القتل والتدمير وكل أشكال العنف المادي، أما إذا كانت الثقافة تحتضن مفاهيم الرفق والعفو والتسامح يتحقق السلم الأهلي والتوازن الاجتماعي في المجتمع. فالعنف بوصفه ظاهرة اجتماعية له جذوره الثقافية وموجباته المعرفية، لا يمكن معرفة هذه الظاهرة حق المعرفة إلا من خلال معرفة الجذور والحواسن الثقافية للعنف¹.

فلو تأملنا في واقع العنف في المجال الجزائري لاكتشفنا بدون عناء وصعوبة، أن اخفاقات التنمية والتفاوت الصارخ في مستويات المعيشية والبطالة وتدني مستويات العيش، من الحقائق التي تساهم في بروز ظاهرة العنف. فالثقافة التي تنتج الاقصاء الاجتماعي، والنبد الثقافي والمفاضلة صلة الشعورية بين المتخلفين والمغايرين هي ثقافة مولدة للعنف، فالمجتمعات المهمشة التي تعيش الضنك في كل مراحل حياتها، هي مجتمعات مريضة لأنها ببساطة لا تحيا حياة طبيعية، والمجتمع الذي نعيشه، سلوكه العام مضطرب، تنشأ الأزمات الفجائية في كل مجال، تنفجر أحداثه العامة بشكل هبات وانحرافات اجتماعية. كما أن فقدان الحوار بين الفئات يتحول إلى اضطهاد القوي فيها على الضعيف، وتسلمه عليه ومحاوله محوه وتدميره، وبالتالي يقود ذلك لمزيد من نشوء الفساد والعنف والجريمة والتفكك الاجتماعي والسياسي. من هنا لا بد من العدل الاجتماعي الذي يعطي الأفراد جميعا فرص الحياة والسماع ليتخلى الناس عن الأفكار الخاطئة طوعا وكرها. كما ينبغي أن نزيل الخوف من الأفكار الخاطئة والخوف هو بسبب وهم الناس بأن الحق ضعيف والباطل قوي، وهو ظن سيء بالحق والباطل أيضا، إذ ليس الباطل قويا وليس الحق ضعيفا، فجوهر الأزمة ينبع في أي مجتمع من خلال ذلك العقد المنفرط الذي يوجه الطاقات الداخلية ويسترها لاستهلاك نفسها واستنزاف تماسكها. وبالتالي يفضي إلى الصدام الذي يؤدي بمختلف الاتجاهات المتناحرة إلى تفكيك لحمة المجتمع، وتهديم أسسه القائمة على التكافل والتعاون والعيش المشترك فبالصدام نتخلى عن حكمة الحياة، ونسير ضد غايات البشر في السلم، نحو جحيم ممتلئ بالبؤس والتخلف والدم، ويمكن أن ننظر إلى التاريخ من بدايته حتى نستكشف أن آلام البشر لم يجلبها إلا أولئك الذين اختاروا طريق الصدام بديلا وحيدا لمصالحهم وأهدافهم ونزاعاتهم التسلطية، فالأمم تموت عندما تتوقف فيها حركة الإصلاح ويسيطر عليها الفساد.

والتطرف أنواع أيضا، منه الفكري، وهو التعصب لرأي معين دون غيره من الآراء، والتشبث به، والمغالاة في التمسك به والإصرار عليه.² وإذا ما غاب الحوار الموضوعي والإقناع الفكري فإن التطرف والتعصب يجدان مرتعا وربما تحولت الأفكار إلى أعمال وسلوكات إجرامية باستخدام العنف. وهنا تظهر أهمية دروس التربية لتعريف النشء

1- بيار فيو ترجمة الأب إلياس زحلاوي، المجتمع والعنف، منشورات المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1993، 165.

2- المرجع نفسه، ص79.

بالمبادئ الانسانية النبيلة التي تحث على الود والتواصل، والعدالة والأخوة والتفتح على الرأي الآخر، وعدم مناصرة العداة للمعتقدات الأخرى ، وبذلك نصون المراهقين والشباب ونحصنهم ضد المفاهيم المتطرفة التي تزرع بذور الكراهية لكل من يخالفنا الرأي و المعتقد، وبذور الفتنة و القسوة و العنف.

أولاً: أسباب العنف ويرى الباحثون في هذا المجال أن أسباب هذه الظاهرة عديدة ، نلخصها في الأنواع الآتية:

أ- أسباب اقتصادية: لاشك أن هذا النوع من الأسباب يؤدي دورا هاما في جنوح المراهقين والشباب إلى العنف ، فتفشي البطالة وتدهور القدرة الشرائية والأوضاع الاقتصادية وانخفاض مداخل الدولة ، تجعل نفوس الشباب مرتعا خصبا لكل الأفكار المغرية، وعرضة لكل إغراء مادي يستعمل مصيدة لهؤلاء لتوريطهم في أعمال عنف بطعم إخراجهم من وضعيتهم الصعبة ، فتنقاد بسهولة وراء كل داع بحق أو بغير حق¹ .

ب- أسباب اجتماعية: يترتب عن الأسباب الاقتصادية السالفة الذكر، أسباب اجتماعية، إذ بتدهور الاقتصاد تتدهور الأوضاع الاجتماعية، وتتفكك الأواصر الأسرية نتيجة تعقد المشاكل واستفحال مشكل البطالة والسكن فيجد الشاب نفسه في الثلاثين من العمر ولا يملك الا فراشا وغرفة ضيقه يتقاسمها مع إخوته، بل ربما مع أخواته في سن الشباب أيضا. ومن هنا يتكون الشعور بالتهميش ، وفقدان الثقة ويزداد قوة بعد طول انتظار فتصبح النفوس مهيأة لتقبل أي فكرة تنادي بتغيير الأوضاع - مهما كانت وسائل هذا التغيير - لأن الهدف هو تحطيم الأوضاع التي فرضت عليهم العيش في هذه الظروف القاسية، وجعلتهم طبقة منبوذة مهمشة فتكون الاستجابة تلقائيا لدعاة التغيير بالعنف.

ج- أسباب ثقافية: إذا كانت السلطات العمومية لا تولي اهتماما للثقافة وتشوه مفهومها وتحصره في الفلكلور والغناء والرقص فقط ولم تعط أي دور للمثقف في تجنيد الطاقات - خاصة الشابة منها - فإن ذلك يولد صراعا بين هؤلاء والسلطة ويمتد إلى أوساط الشباب، فتتكون الجماعات المتطرفة تحت غطاءات مختلفة.

ولكل ثقافة مبادئ وأسس تبنى عليها، وعلى المجتمع أن يراعي التوازن بينها وبين متطلبات البناء الحضاري والعصرنة . وإذا احتل التوازن فإنه ينشأ صراعا بين المجددين والمحافظين يؤدي إلى التعصب وزرع بذور العنف بدل غرس الأخلاق الحميدة والفكر القويم وثقافة السلم

د- أسباب سياسية: عندما تتسلط الإدارة على المواطن و تسيطر على شؤون المجتمع حتى يصبح الفرد لا يسأل عن السبل القانونية للقيام بنشاط ما، بل يبحث عن له نفوذ في دواليب الإدارة لتحقيق أغراضه، ولو كانت غير قانونية، فإن المجتمع، خاصة الشباب يشعر بخيبة الأمل² .

ويقول علماء الاجتماع، أن السياسة الاجتماعية الرشيدة، هي تلك التي تعالج أمور المجتمع باللمس، لا نظرة السياسي الذي يعيش فوق المجتمع سابحا في النظريات الفوقية . فإذا مارست السياسة التفرقة بين أفراد المجتمع فلا شك أن ذلك يؤدي إلى فقدان الثقة ، وهذا يؤدي بدوره إلى العصيان

1- بيار فيو، مرجع سبق ذكره، ص235.

2- محمد جواد رضا، ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة، عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الثالث، 1976، صص 60 و78.

ثانياً: أخطار العنف لا يختلف اثنان في كون الشباب أكثر الناس تعرضاً لممارسة العنف، فهم ضحاياه بالتغريب بهم لتنفيذ مخططاته وهم أيضاً ضحاياه المستهدفة، ولهذا فإنه من الأهمية أن نتعرض لبعض مقومات شخصيات المراهقين والشبان. إن المراهقين مرحلة انتقال بدني وعقلي ووجداني واجتماعي بين مرحلة الطفولة البريئة ومرحلة الشباب، ومن ثمة تكتسي أهمية في حياة الفرد وتكوين شخصيته لما يصاحبها من تغيرات كبيرة لها آثار عديدة على شخصيته.¹ وتستغل قيادات الجماعات المتطرفة هذه التحولات في هذه المرحلة لجذب العناصر المراهقة والشابة إلى نشاطها الظاهري في البداية، ثم التطرف والتعصب في مرحلة ثانية، ثم التورط في عمليات عنف وبذلك تفرض هذه القيادات هيمنتها عليهم، وتحكم سيطرتها ضامنة الولاء والطاعة العمياء، وهي مدركة أنها استطاعت تحطيم عقول الشباب، وتمكنت من تحطيم المجتمع كله "لأن مستقبل الإنسانية يجد التعبير عن نفسه في الدعم الجازم الذي يقدمه الشباب للجهاد والتعاون داخل المجتمع الواحد والتعاون بين الشعوب".²

وأهم المظاهر التي تستغل لدى هؤلاء الشباب، التحولات النفسية المرتبطة بالتغيرات العضوية، إذ تنشط الغدد التناسلية ويزداد النمو العظمي مما يجعل المراهق يشعر أنه أصبح راشداً مستقلاً بشخصيته وتصرفاته، فيحاول إثبات وجوده الشخصي باتخاذ قرارات بمفرده ويتعامله مع الراشدين دون وساطة.³ كما أن المراهق يشعر في هذه المرحلة باليأس والكآبة، ويبحث تلقائياً عن متنفس فينجر إلى التمرد والعصيان وكثرة أحلام اليقظة، ويجد في الجانب الديني متنفساً، لكنه يقع ضحية من يستغل ظروفه، فيوجهه وجهة أخرى، خاصة إذا كانت الأسرة قد تخلت عن دورها في التربية وتوجيه المراهق الوجهة السليمة وتحصينه فكرياً من تقبل رأي كل ناعق .

وما زاد الطين بلة في هذا الأمر، عدم فهم أغلبية الأسر لخصوصيات هذه المرحلة وخطورتها وأهميتها على مستقبل الفرد والأمة، وإذا لم تضع المدرسة استراتيجية التعامل مع هذه المرحلة ولم تهيء الجو الملائم للتعامل معها يقع المراهق لقمة سائغة، فيرى بعض مظاهر الانحلال الخلقي فيحكم من خلالها على المجتمع بالكفر والإلحاد.⁴ وعندما يلج هؤلاء مرحلة الشباب تكون عقولهم قد شحنت بالكراهية لكل من يخالفهم الرأي والمعتقد وأن السبيل الوحيد لإصلاح المجتمع هو محاربتهم بالقوة ومعاملتهم بالعنف.

1.3. موقف العلوم الإنسانية من ظاهرة العنف:

إن المقاربة بين العنف والقيم الإنسانية ليس لها من غاية سوى التنديد بالعنف وإدانته بشكل صارم باعتباره سلوكاً يهدف إلى تدمير الجانب الإنساني، ولا ينجو من عواقبه الوخيمة سواء من يمارسه أو يمارس ضده " لأن العنف يمثل انتصار الغريزة الشريرة على العقل والحكمة، وهذه الأخيرة يفترض أنها نزعة ذات جدور راسخة في الإنسان ومع ذلك ينبه الباحثون أن القضية معقدة أكثر مما قد نتصور من الوهلة الأولى، بحيث أن العنف يمثل أحد

1- محمد سلامة محمد غباري، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين، دار الفكر العربي، 1998، ص75.

2- عبد القادر مقام، مرجع سبق ذكره، 93.

3- يسرى دعبيس، الإرهاب، دار المعارف المصرية، القاهرة، 1998، ص27.

4- محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره، ص ص25 30.

السمات الأكثر ثباتا في العقل الانساني، مما يجعل التنديد به وإدانتته باسم الطبيعة الانسانية الخيرة، قبل القيام بتحليل عميق لأشكاله ودلالاته وفهم أسبابه المتنوعة. فالتعامل مع الظاهرة يتطلب التحليل الدقيق والفحص العميق وذلك بضرورة اعتماد أسلوب ينطلق من البسيط إلى المعقد، ومن الخاص إلى العام، ومن الملموس إلى المجرد لذلك يكون الانطلاق مما يعيشه الناس في حياتهم اليومية، من أحداث لها علاقة مباشرة بدائرة العنف وعليه على الباحث جمع المعطيات لظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة كما هي في ذاتها، ثم وضعها في إطارها الاجتماعي الذي يميزه وتسيطر عليه التقنية، وفي خطوة لاحقة، تسليط الأضواء الكاشفة عليه من خلال إخضاعه لتأويلات بعض العلوم الانسانية التي تلقي الواحدة منها نورها من الزاوية التي تختص بها.¹

1. 4. ثقافة السلم في تاريخ الجزائر وتطورها:

إن المتتبع للشأن الجزائري يجد أن قضية السلم في المجتمع تضرب بجذورها في تاريخ هذا المجتمع، وعلى هذا الأساس ارتأينا الوقوف على مظاهر تلك الثقافة التي تشكل إحدى أركان الثقافة العامة، وتكون الشخصية الجزائرية عبر المسار التاريخي والعقل الاجتماعي الذي يطبع الرؤية الكلية المعيشة في ظل هذه القيم التي تسود وتسيطر على السلوك العام للجماعة، وعلى هذا سنعمل على بحث مثل هذا السلوك ابتداء من عهود خلت من تاريخ الجزائر إلى الحقبة الزمنية الحالية حيث تأزمت الأمور واشتعلت نار الفتنة. فمسألة السلم في المجتمع الجزائري ليست وليدة الظروف الحالية التي يمر بها المجتمع الجزائري كما قد يتبادر إلى ذهن بعض الناس الذين يعتبرون ذلك كتعامل مع الظاهرة دون الفهم الحقيقي للتاريخ الثقافي للمجتمع الجزائري عبر تكوينه. فهو متعود على الجنوح إلى التضامن والتعاون والتآزر، وهذا ما يلاحظه أي باحث من خلال السلوك الجماعي أو الفردي لأبناء هذا المجتمع، وخاصة في أوقات الكوارث ويوم العوز، فهي إذن مسائل تدخل في ثقافة العامة، وهو ما يتبدى أكثر في قضايا ثقافية واجتماعية مثل الأفعال التعاونية التلقائية بين الجماعات الاجتماعية في المناسبات المتعددة.

ثم جاء الإسلام الذي يعد أحد المكونات الأساسية في ثقافة المجتمع الجزائري خاصة في جانبه التربوي والأخلاقي حيث زرع في نفوس الناس مبادئ الأخوة والتعاون ومكارم الأخلاق التي من أهمها الحث على السلم ونبذ العنف وذلك ما يتجلى كثير من نصوص القرآن الكريم، وهو ما عزز أكثر مستوى مفهوم السلام في ثقافة هذا المجتمع. فمسألة السلم والجنوح إليه، طبيعة من الطبائع المتأصلة في ثقافة المجتمع الجزائري، انتشرت مع مرور التاريخ والزمن على أكثر من مستوى ولذلك نجد في شخصيته الأمير عبد القادر وعظمته، نواحي كثيرة ومظاهر متعددة من أبرزها ثقافة يغلب عليها الطابع السلمي، كان بطلا في الحرب كما كان بطلا في السلم، أحد مثله العليا من ثقافته التي كان يغلب عليها الطابع الديني والحق، مما جعله يتأسى بسيرة الخلفاء الراشدين، فكان دستور القرآن الكريم القاضي بالماخاة والعيش في السلم والامان بين بني آدم فقيادته للأمة من أجل النضال والكفاح ضد الاستعمار الفرنسي، نابعة وصادرة من قناعاته الثقافية ومحتواها لمعنى الظلم والاستبداد والتعدي على حرمان

1- بيار فيو، مرجع سبق ذكره، ص160.

الشعوب، ومن هذه الزاوية هبّ الأمير للوقوف في وجه الغرباء ليس كأناس، ولكن كمحتلين ومخربين ومدمرين للبلاد.¹

وفي ذلك دليل قاطع على ثقافة السلم التي تشكل شخصية هذا الرجل الذي عمل على ضرورة الذهاب الى الحوار الذي يوحدته يمكنه أن يحل كل المشاكل التي تقع بين أبناء الوطن الواحد، وهذا ما وقع حيث أصبح هذا المبدأ أساس ثقافة المجتمع اللبني، وهو ما تكرر في أواخر الثمانينات التي تشاء الظروف ان يقع الحل للأزمة الخطيرة التي عصفت بالمجتمع اللبني على يد الجزائريين. تلك هي علامات بارزة في ثقافتنا وقد عبر عنها الأمير في وقته بالقول "لو أصغى إلي المسلمون والنصارى لوقف الخلاف بينهم ولكن لا يصغون إلي".² انطلاقاً من هذا، يرى الأمير عبد القادر أنه يمكن اجتناب النزاعات والحروب والفتن وتحقيق السلم الذي يعتبر حالة يمكن للمجتمعات التي تسعى في إظهارها إلى أهدافها الخاصة، وتنمو قوية في مواجهة الخلافات التي تدار بشكل معقول، فكان دائماً في خدمة الأمة راعياً مصالحها وتحلى ذلك في قوله: "أنني لا أحمل في قلبي إلا رغبة واحدة هي سعادة المسلمين وصالحهم وتقدمهم".³

على غرار الأمير عبد القادر عمل الشيخ بوعمامة وهو أحد القادة البارزين في تاريخ الجزائر المعاصر، على تجنيب الناس الحرب وشروع القتال إلا أن المستعمر رفض كل الحلول والاقترحات والتي هي في الحقيقة نابعة من ثقافة الرجل الأصيل.⁴ فعلى هذا الأساس فإن ما جاء بعد هذه الأحداث الكبرى، كان حلقة من سلسلة تاريخية طويلة، تتم عن تمجيد المجتمع الجزائري للسلم والحرية والعيش في كنف التفاهم والتحابب، من هذا نجد أن الحركات الوطنية المعاصرة كلها تقريباً إلا البعض، متشعبة بهذه الروح التي تدعو إلى ضرورة السلم الذي به تستطيع الأمم بناء نفسها في كل الميادين، ذلك لأن البناء الجاد والجدّي يقتضي أن يكون المجتمع برمته في حالة هدوء واستقرار كي يتمكن من وضع خطة التنمية المستقبلية.

ومن قادة السلم في بلادنا ومحبي الوئام، العلماء المسلمون وعلى رأسهم الإمام عبد الحميد بن باديس الذي بنى توجهه الفكري على أساس مبادئ الشريعة الإسلامية التي يرى فيها نظاماً مبنياً بقواعد الأخلاق والسلوك صالحاً لمسيرة الحياة في جميع تطوراتها وتقدمها، تزودها في كل عصر وفي كل جيل بما يكفل لها السعادة ويسبغ عليها السلم والأمن، وبما أن الأمم بالأخلاق، إذا صلحت أخلاقهم صلحوا، وإذا فسدت أخلاقهم فسدوا، فإن ابن باديس اهتم بهذا الجانب وذهب إلى التأكيد على أن الأخلاق تنبع من داخل الفرد وبالتالي يجب العناية بإصلاح هذا الداخل حتى يتمكن الفرد من إصلاح حاله الخارجي، وقد قال في هذا الصدد "إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقوم الأخلاق، والباطن أساس الظاهر إذا صلح صلح

1- محمد بوعباد، أهم الأحداث في حياة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، عدد 1983/75، الجزائر، ص ص 230-235.

2- أبو عمران الشيخ، قراءات في كتاب ذكرى العاقل وتبنيه الغافل للأمير عبد القادر، أشغال الملتقى الثقافي الوطني حول الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديث، جامعة معسكر، 1999، ص 35.

3- نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي الاسلامي وأثره في تحرير الجزائر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ص 19.

4- المرجع نفسه، ص 22.

الجسد كله".¹ وعلى أساس هذا التصور، كان الإمام أشد حرصا على نزعة الإنسانية، فيقول في كلمة وجهها للشباب الجزائري: "أنا زارع محبة، ولكن على أساس من العدل والإنصاف والاحترام مع كل واحد من كل جنس ومن أي دين كان فاعمل للأخوة، ولكن مع كل من يعمل للأخوة، فبذلك تكون الأخوة الصادقة".² وبعد وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس، تلاه على رأس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي هاجم فكرة الإدماج مع فرنسا مؤكدا استقلال الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، متأثرا هو الآخر بالتعاليم الدينية ومبادئ العقيدة الإسلامية مفضلا الاستمرار في تصعيد خطه السياسي ضد المستعمر الذي فسر مطالب العلماء بإصلاح العقيدة الإسلامية سياسة ضده. وقد أثارت أعمال الشيخ الإبراهيمي الأمة الجزائرية، ونبهتها إلى ما لها من حقوق وما عليها من واجبات، ومن ثم السير قدما نحو المطالبة بالاستقلال بانتهاج السبل السلمية، إيمانا منه بأن الشعور المؤمن، يمضي مع قدر الله في طاعة الله، لتحقيق الإرادة الإلهية وما يكسبه هذا الشعور في روحه من الطمأنينة والسلم والاستقرار، والمضي في الطريق بدون قلق ولا خوف حتى تحقيق الهدف المنشود، ومن ثم الإحساس بالسلم في روحه وهو يقاتل أعداءه وأعداء الله، لقد فهم الشيخ البشير الإبراهيمي، بناء المجتمع الجزائري، تكفل فيه حريات الناس وكرامتهم وحرماهم ومن هنا فإن سر نجاحه، وهذه السبل هيأت الظروف لقيام ثورة الفاتح نوفمبر 1954 التي كانت ترجمة عملية لفكرة العلماء العربية الإسلامية.³

وفي هذا السياق نمت جبهة التحرير الوطني نفس النهج، حيث اهتم قادتها بالتعليم العربي، وبث الثقافة الإسلامية وجعل ذلك جهادا. وأهم دليل على ذلك اهتمام العقيد عميروش بصفته قائدا للولاية الثالثة (القبائل الكبرى) بالجانب التعليمي للجنود إذ طلب من أحمد حمائي بصفته الأمين العام للعلماء في شرق الجزائر، معاونته في ارسال المعلمين لبث الوعي الديني والسياسي بين الجنود المجاهدين، وقد وصل إلى حد تفاني هؤلاء المعلمين في نشر رسالتهم الدينية والثقافية بين المسجونين داخل السجون والمعتقلات.⁴

ومما يؤكد تمسك قادة جبهة التحرير الوطني بالسلم والرحمة، سنهم لقوانين محددة لا يتعدها المجاهدين ويرجع إليها جميع القادة فلقد أصدروا قرارا بتحريم الإعدام ذبحا، وبتحريم جميع أنواع التمثيل بالشخص أو التشويه لخلقه، كما ينص القرار على أن كل من يتعدى على عرض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالإعدام لا يتم إلا بمحاكمة شرعية قانونية يتمكن فيها المذنب من الدفاع عن نفسه كما أمر بموجب العناية بالأسرى.⁵

وهكذا يبدو جليا أن السلم في المجتمع الجزائري ليس محليا أو ظرفيا، بل هو أسلوب ومحطات ذا قنوات متعددة في بعض الأحيان، وهو شيء طبيعي وفق المتغيرات المحلية والإقليمية من ذلك كله.

1- عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 420.

2- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، دار الهدى، الجزائر ط 11981، ص 121.

3- نبيل أحمد بلاسي، مرجع سبق ذكره، ص 127 - 128.

4- المرجع نفسه، ص 139.

5- أنظر دليل المجاهد، الجزائر.

فمسألة السلم في ثقافة المجتمع الجزائري، ليست قضية عابرة ولا وليدة الصدفة، بل هي تاريخية وتحدت في عمق الشخصية الجزائرية إلا أن ذلك لا يدعونا إلى التصور النمطي، بل لا بد من أن تقع من وقت لآخر الاهتزازات والاختلالات في نسيج المجتمع، تجعله يعرف بعض التوترات والاضطرابات على مستوى التعريفات للمفاهيم الجديدة، سواء أكان ذلك على مستوى القيم أم على مستوى المفاهيم السياسية، الاقتصادية والأخلاقية وهذا ما سنتعرض إليه بإيجاز في العنصر الموالي المتضمن خصائص البناء القيمي للمجتمع الجزائري ومتغيراته.

5.2. البناء القيمي للمجتمع الجزائري الخصائص والمتغيرات

أولاً: خصائص البناء القيمي للمجتمع الجزائري

شهد المجتمع الجزائري حديثاً تغيرات في النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وسوف نحاول فيما يلي تحديد خصائص البناء القيمي في المجتمع الجزائري والتغيرات التي طرأت عليه، وذلك من حيث عواملها وصورها.

تتميز المجتمع الجزائري ببناء قيمي تميز بالخصائص التالية:

- 1- يمكن القول بأن هناك ازدواجية في البناء القيمي للمجتمع الجزائري، فلقد تأرجحت أنساق القيم بين السلبية من ناحية، والايجابية والثورة من ناحية أخرى ومرد هذا لأسباب تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية.
- 2- يلاحظ أيضاً أن هذا البناء القيمي تميز بصفة التعقيد والتناقض فهو كيان متشعب يختلط فيه الماضي السحيق بالحاضر المتوتر، وتتداخل فيه عناصر المادة بعناصر الروح.
- 3- يحتوي البناء القيمي في المجتمع الجزائري على أنساق قيمية فرعية، فلا يوجد نظام قيمي واحد، كل نظام فيها قد يكون قيمة متسقة وغير متناقضة مع بعضها بعض، ويحكمها منطق داخلي يضمني عليها الوحدة والتماسك.¹
- 4- يتميز هذا البناء القيمي بالتعايش بين أنساق قيمية، ظهرت في ظروف تاريخية معينة، وكانت تلبي حاجات اجتماعية وبين أنساق أخرى فرضتها ظروف اجتماعية وحاجات متغيرة.
- 5- أدت هذه المعاشية إلى خلق خاصية أخرى تميز بها البناء القيمي في المجتمع الجزائري، وهي التراكمية فالثوابت فرزت نظاماً من القيم استمر كقاعدة وكخيط متصل طوال التاريخ الجزائري، والمتغيرات جلبت إلى الجزائر أنظمة متتالية من القيم، قدم كل منها بشكل أساسي مرحلة تاريخية معينة، ولكن بدلا من أن يلفظ بانتهاء المرحلة حدث له تخزين في الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري، وكما تتراكم الأشياء وتخزن في أي منزل جزائري متوسط تتراكم القيم وتخزن، وربما سيأتي الوقت الذي يعاد استخدامها أو توظيفها فيه، فالتراكمية قد تخلق ازدواجاً أو فوضى تعطل سرعة الحركة.
- 6- هناك خاصية أخرى للبناء القيمي في المجتمع الجزائري وهي التماسك والتوحد في أوقات الأزمة التاريخية فهناك توحيد مركزي بين نسق القيم والسلطة في الاوقات الحاسمة، الأفراح والأقراح والفتن.

1- عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 104-106.

- 7- أيضا يمكن القول بأن البناء القيمي للمجتمع الجزائري يتميز بالثبات المكاني والزمني، بمعنى أن أنساق القيمة في المجتمع الجزائري، تبث في المواطن على أن الجزائر هي مهد الثورات والتحرر وذلك نظرا لثورة التحرير الجيدة.
- 8- يلاحظ أن محور البناء القيمي للمجتمع الجزائري قائم على أساس القيم الجماعية، فنجد قيم التعاون في مواجهة الأخطاء الاجتماعية والطبيعية والغزو الخارجي، ونشأت عن هذه القيم المركزية قيم أخرى مثل قيم الصبر وقيم القدرة والإيمان بالقضاء والقدر.
- وعليه يمكن أن نلخص في آخر المطاف أهم خصائص الدينامية التي تحكم البناء القيمي للمجتمع الجزائري وهي:
1. القيم الخاصة بالتماسك والتوحد الوطني هي أكثر القيم ثباتا، إن المصدر الديني لنسق القيم الجزائري هو الأساس لكل أنساق القيم الفرعية الأخرى.
 2. في فترات الازدهار يسمح من خلال القيم الدينية بتبني أنساق قيمية أخرى فرضتها الظروف التاريخية، أو عن طريق التبني والانتشار الثقافي بين المجتمعات الأخرى.
 3. إن أنساق القيم ليست كلها متساوية الأهمية في الحياة اليومية، فبعض منها مؤثر في كل نشاط وسلوك فردي أو جماعي والبعض الآخر كامن في الضمير الجماعي ولا يظهر إلا في الظروف التي تستدعي ظهوره.
 4. إن هيمنة نسق أو آخر من أنساق القيم في مرحلة معينة راجع للظروف السياسية أو الحكام في تلك الفترة.
 5. تتسرب كل هذه الأنساق القيمية المتضاربة إلى الفرد الجزائري ولهذا يصعب التنبؤ بسلوكها في مواقف معينة.
- وفي هذا الصدد يمكن القول "كثيرا ما أخطأت حسابات الحكام والقوى الأجنبية لأنها نظرت إلى الجزائري من خلال نسق واحد من أنساق القيم بطريقة ثبوتية تجريدية ميتافيزيقية"¹.
- وعلى أثر ما سبق نشرع الآن للتعرض إلى التغيير القيمي في المجتمع الجزائري.

ثانيا: التغيير القيمي في المجتمع الجزائري

إن تبني سياسة السلم حاليا في الجزائر لم يأت صدفة، وعلى هذا الأساس تفرض علينا الموضوعية أن نلتمس الأسباب الحقيقية التي تولدت عنها ظاهرة العنف التي دفعت بقيادة البلاد إلى البحث عن الحلول الملائمة لذلك، هذا ما سنستخلصه من دراسة خصائص البناء القيمي للمجتمع الجزائري والتغيرات التي طرأت عليه.

فالقيمة شاع استعمال مفهومها في الميادين المختلفة، وتناولته بالدراسة والتحليل، الباحث والعلوم الانسانية وفي هذا الصدد برزت الاعمال المشهورة لكوكن C.Kluckhon1595 في ميدان البحث محاولة تحديد معنى القيمة بعد تجارب ميدانية حيث خلصت إلى التعريف التالي:

"القيم هي موجّهات للنشاط، سواء أكان ذلك النشاط إيجابيا أم سلبيا"².

1- إبراهيم سعد الدين، مدخل إلى فهم مصر معهد الإنماء العربي، بيروت، بط، 1981، ص ص 50-51.

2- الطاهر بوغازي، النسق القيمي للأسرة والمدرسة والتوافق والتحليلي المدرسين لتلاميذة السنة التاسعة أساسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في علم النفس وعلوم التربية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، ص ص 19-20.

كما يعرف دولانشير DELANDSCHERE القيمة بأنها تنظيم المعتقدات وأفكار مرتبطة بأحكام مرجعية تجريدية أو مبادئ ناتجة عن معايير أو نماذج سلوكية غائية فهي تعبر عن أحكام أخلاقية الزامية أو تفضيلية من أجل معايير ونماذج سلوكية، إن كل ما يمكننا تحقيقه ويعطي معنى للحياة يسمى قيمة¹. وتعد ظاهرة التغيير القيمي من أكثر الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية شيوعا وخطورة في الدول النامية والواقع أن مفهوم التغيير القيمي من المفاهيم الاجتماعية التي يكتنفها الكثير من الغموض والتعقيد. فقد يذهب البعض إلى استخدام المفهوم ليقصر على بعض التغييرات في العادات والتقاليد، وقد يوسع البعض من استخدام المفهوم ليشمل كل التحولات السريعة في القيم الثقافية للمجتمع. ومن المعلوم أن بعض أجزاء النسق القيمي سرعان ما يلحقها الفتور، نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية متجددة، ما لم يتعهد بها المجتمع بالتحديد والتحديث. في هذا السياق حلل علماء الاجتماع، القيم كمصوغات للتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية، فبالنسبة للقيم العليا يحتل إمكانية الصراع بينها، بينما نجد المعارضة والصراع في المستوى الأدنى للقيم وتحت ظروف التغيير الاجتماعي، فإن التفرقة بين الوسائل والغايات لا يمكن أن تتم بسهولة، ولهذا فإن الفرد والمجتمع يواجهان مشكلة الاختيار بين القيم.

وفي هذا الصدد نوهت دساتير الجزائر على السلم ونصت على ضرورة تدعيم ثقافة الأفراد بقيم نابعة من شخصيتهم التاريخية، ونستخلص من مضمون هذه الدساتير القيم المراد بثها في أفراد المجتمع الجزائري، وهي قيم وثوابت لا مساومة فيها وسنن يدعو إليها التطور ومنها:²

أولاً: تكامل الشخصية الصرامة، التمسك بالأصول، سرعة المبادرة، روح التحدي والاعتماد على النفس...

ثانياً: القيم المعرفية معرفة الفرد لنفسه والأشياء من حوله كما ينشد التطور الاقتصادي والاجتماعي...

ثالثاً: القيم الدينية والأخلاقية اعتزاز الفرد الجزائري بإسلامه وعروبته وأمازيغيته، خدمة دينه والحفاظ عليه والقيم المنبثقة من الدين كالعدالة والعمل، التكامل والتسامح...

رابعاً: القيم الاجتماعية يتطلب الحفاظ على وحدة المجتمع، احترام ما اتفقت عليه الجماعة من عادات وتقاليد وسلوك جماعي...

خامساً: القيم الاقتصادية الاهتمام بالمسائل المادية لمعالجة المتطلبات الحيوية للحياة والعيش...

فبعد هذا التعريف الموجز لمفهوم القيمة، والإشارة إلى خصائص البناء القيمي للمجتمع الجزائري باختصار، سوف يتم التطرق إلى التغيير القيمي في المجتمع الجزائري الذي أدى إلى تفاقم الأوضاع في الجزائر، مما دفع قادتها إلى استخلاص الدروس والعبر والبحث عن مخرج لحل الأزمة وضمان الأمن والسلم للوطن.

في هذا الصدد يمكن إيجاز عوامل التغيير القيمي في المجتمع الجزائري إلى ثلاثة عوامل أساسية:

1-G.DELANDSCHERE. Introduction à La recherche en éducation Armand, C Olin, Bourrelier 4 edition ,1976, P 182.

2- عبد العزيز بوتفليقة، خطاب رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جريدة المساء، الاثنين 31/05/1999.

أ. عدم الاستقرار الاقتصادي: من البديهي أن خريطة التطرف السياسي والعنف تتطابق مع خريطة الفقر والبطالة فقد لعبت الظروف المعيشية للغالبية العظمى من الجزائريين دورا هاما في خضوع الجزائري، وجعلت الطابع المميز لانساق القيمة هو الاستسلام والخضوع لجهات معينة متطرفة ودفعه إلى التمرد وبالتالي الانزلاق نحو طريق العنف بحجة التغيير وإيجاد بديل لنظام متعفن لا يبالي بمصلحة المجتمع.

تعرضت الجزائر مع نهاية الثمانينات إلى صعوبات واحتلال في التوازنات الاقتصادية تبلورت أساس في حالة عدم الاستقرار الاقتصادي، هذه الحالة أثرت كثيرا على النمو والتطور الاقتصادي وبالتالي الوصول بالمجتمع إلى الرفاه الاقتصادي. فعدم الاستقرار الاقتصادي يرجع إلى عدة أسباب نذكر منها الدين الخارجي حيث وصلت مديونية الجزائر في سنة 1989 إلى 15.5 مليار دولار ثم أخذت في الارتفاع من سنة لأخرى لزيادة الحاجة للاقتراض من الخارج من جهة ولزيادة خدمة الدين (الفوائد) من جهة أخرى، الأمر الذي أوصل الدين الخارجي قرابة 28 مليار دولار سنة 1998.¹ وفي هذا الصدد للتوضيح يشير رئيس الحكومة الجزائرية السابق عبد السلام بلعيد في ندوة صحيفة بتاريخ 92/07/27 يسجل أن "خزينة الدولة سددت 46 مليار دولار بين 1987/1992 خدمة لديونها فقط (26 في كل عام ندفع ما قيمته مركزي 2 مليار دولار لنحصل على قروض جديدة بشروط قاسية.

دخل الجزائر لا يتجاوز 12 مليار دولار سنويا ينفق منها 09 إلى 10 مليار دولار آنذاك). على خدمات الديون الخارجية وقد ضاعف من حدة الفقر والأمراض المرتبطة به في الجزائر حركة النزوح التي تكثفت في الفترة من بين 1992/1998 نتيجة لتصاعد الأعمال الإرهابية في الريف مما أدى إلى تدني مستوى المعيشة بين النازحين المقيمين على أطراف المدن في أحياء قصديرية تنعدم فيها أدنى شروط الصحة، حيث ظهور الأمراض الناتجة عن الفقر (الحرب، مرض السل والملاريا والتيفويد). إن نسبة الفقراء في الجزائر باتت تقترب من النسب المسجلة في بعض الدول الأفريقية المصنفة في دائرة الدول أكثر فقرا في العالم خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار العاملين والموظفين فأصبح هؤلاء فقراء في ظل غلاء المعيشة وضعف القدرة الشرائية للنقود بسبب ارتفاع معدلات التضخم. فكل هذه التبعات نتجت من عدم الاستقرار الاقتصادي وقد كان لها انعكاس سلبي في تفشي ظاهرة الجنوح والارهاب.

ب. عدم الاستقرار السياسي: سبق التكلم على منهج جمعية العلماء المسلمين في ارساء ثقافة السلم في الجزائر إبان الاستعمار، وبعد الاستقلال أهم ما يميز دور هذه الجمعية الشاعر الذي رفعه الشيخ الإبراهيمي للكشف عن خفايا الصراع القائم بين أجنحة الحكم الذي أفضى إلى التصحيح الثوري في 19 جوان 1965، حيث إن هذه الصرخة كانت تعبر عن الخلفية التاريخية للإرهاب الأعمى الذي عرفته البلاد.

بعد "التصحيح الثوري" فرض النظام الاشتراكي الذي نشب عنه صراع بين الدين والسياسة أو بين الأصالة والحداثة بالمفهوم الحضاري للمصطلحين، واستطاع الرئيس الراحل هواري بومدين أن يحسم الصراع الدائرة رحاه بين الامتداد الإسلامي والامتداد القومي من جهة، وبين المنادين بالخيار الاشتراكي والمنادين بالخيار الرأسمالي من

1- أحمد هي، المدبونية، موفم للنشر، الجزائر، 1992، ص 87.

جهة أخرى. على إثر ذلك استطاع نسف الخط الفاصل بين الإسلام والاشتراكية حتى لكأنهما يتكاملان ولا يتناقضان، فالإسلام دين العبادة والطهر والأخوة والتسامح، والاشتراكية منهج اقتصادي وعلاقات مالية وليست ديناً جديداً ولا هي بديلاً عن الإسلام.¹ إلا أن الصراع بين دعاة العربية ودعاة الفرنسية ظل قائماً إلى يومنا هذا زد على ذلك التراجعات السافرة عن التجربة الاشتراكية، والانتشار الواسع للصحوة الإسلامية كان له أثر على سياسة البلاد، وبدأ الصدام بين الطلبة في الجامعات الجزائرية، ولم يكن الصراع ثقافياً بل كان إيديولوجياً. وجاء عهد الرئيس الشاذلي بن جديد وتميزت فترته بالتراجع عن المبادئ الثورية وعزل حزب جبهة التحرير الوطني عن قواعده وإطلاق صراح أعدائه. ميلاد صحف نظامية بدأت تكشف بعض ممارسات الحزب. ميلاد المعارضة انفتاح النظام على أشكال ليبرالية جسدتها مظاهر الثراء الفاحش للأقلية وظهور الطبقة.²

تفاقم المشكلات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، إلى جانب الظلم والاضطهاد أدى ذلك إلى خلق قيم مناهضة لقيم الجماهير تدعو إلى سلوك من شأنه القيام على الوضع رغم اجتهاد السلطة في محاولتها التأثير على القيم الموجهة لسلوك بما في مصلحتها.³ ولعل تاريخ 11 جانفي 1992 يقيس النقطة الفاصلة بين الماضي والمستقبل، فبعد استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد وإيقاف المسار الانتخابي بدأت مؤشرات العنف تظهر .

ج. عدم الاستقرار الثقافي: إن الدراسات الاجتماعية والأدبية والسياسية اعتادت بأن تقدم للمجتمع الجزائري مجتمعا منسجما متماسكا هادئا في طبعه وثقافته وإيديولوجيته، في حين أن أحداث أكتوبر 1988 كشفت بأن هذا المجتمع لم يكن يوما من الأيام مجتمعا منسجما، فهو متناقض ويعود هذا التناقض بالدرجة الأولى إلى طبيعة العناصر البنيوية المشككة لهويته الحضارية والاجتماعية والثقافية. استقر في وجدان المجتمع الجزائري العديد من الهويات الثقافية وتحكمت في سيرورة المجتمع التاريخية مجموعة من المعطيات، فهو مجتمع أمازيغي الأصل، إسلامي الديانة، عربي الانتماء، متوسطي الفضاء، إفريقي الحوار حيث أن الشعب الجزائري يعود أصله الأول إلى الانتماء الأمازيغي، وقد أسلم نتيجة احتكاكه بالأمة الإسلامية منذ زمن مبكر، وقد شكلت العروبة همزة وصل بينه وبين الشعوب الأخرى، كما أم موقعه الجغرافي يجعله جزءا لا يتجزأ من ثقافة البحر الأبيض المتوسط، حيث تأثر وأثر في الوقت نفسه في الثقافة المتوسطية (1300) كلم على الساحل المتوسط كما أن هذا الشعب يتميز بجذور ثقافية إفريقية (ثقافة السود) وذلك نتيجة الموقع الجغرافي الذي تتميز به الجزائر وعلاقتها الوطيدة مع الشعوب الإفريقية.⁴ هذه العناصر لم تلتق بصورة هادئة، فكان كل عنصر يريد أن يفرض ثقافته على العناصر الأخرى غير أن العنصر الأكثر بروزا هو ذلك المستمد من الثقافة المتوسطية التي تبنها الفكر الاستعماري والذي عملت فرنسا على غرسه ضمن المنظومة القيمية الجزائرية.

1- أبو جرة سلطاني، مرجع سابق، ص ص 34-36.

2- المرجع نفسه، ص 45 46.

3 - Chaib Aissa Khaled, Le Président Genèse Du Renouveau National, Edition E nag, 2000, P P 28-29.

4- محفوظ نوح، الجزائر المنشودة، دار النبأ، الجزائر، ص ص 83-84.

فقد كان لإيديولوجية المستعمر أهمية كبيرة في تدمير العناصر الأخرى وبروزها كعنصر أساسي أرادت أن تصنع منه هوية جزائرية جديدة (130 سنة استعمار ثقافي).

إن الصراع الثقافي بين هذه العناصر (وعلى الخصوص الإسلامي والمتوسطي) أثر تأثيراً قويا في هرم الهوية الجزائرية وجعل منها هرما هشاً ضعيفاً مترشحا للسقوط بين لحظة وأخرى. وأحداث أكتوبر وما تركته من آثار سلبية في زعزعة القيم خير دليل على ذلك.¹

هكذا بدأ الصراع في الجزائر، كان أطرافه يحملون مشاريع متباينة إلى درجة التناقض والتصادم، وقد وجدت السلطة في قانون الرحمة خير وسيلة من أجل تأسيس ثقافة بعيدة عن الصراعات والقتال، ثقافة تكون رؤيتها الحضارية والمستقبلية مبنية وفق شعار الرحمة والتآخي والتقارب والسلم والحوار بين العناصر المختلفة في ظل الثقافة الوطنية الواحدة والعمل من أجل تأسيس مذهب اتجاه إيديولوجي وطني توفيقى يجمع بين دعاة الأصالة ودعاة المعاصرة بكل ما يحمله كل اتجاه من معطيات إيديولوجية وعقائدية وثقافية.

6.2. الاجراءات والتدابير المتخذة لإحلال ثقافة السلم في الجزائر

أولاً: قانون الرحمة

1. فلسفته: يستمد هذا القانون روحه من مبادئ الثورة الجزائرية المنصوص عليها في بيان أول نوفمبر وكذا المواثيق الرسمية للدولة الجزائرية ومن ضمنها دستور 1989 لا سيما المادتين 8/74 و115* منه وهو دستور جاء بعد أحداث أكتوبر 1988. فأصدر المشرع الجزائري المرسوم التشريعي رقم 03/92 المؤرخ في 30 سبتمبر 1992 الذي ألغاه بموجب الأمر رقم 11/95 المؤرخ في 25 فبراير 1995 والمتضمن أحكاماً خاصة تتعلق بالجرائم الموصوفة لأفعال إرهابية أو تخريبية. ويرتكز هذا القانون على الأرضية التي أقرها المجلس الوطني الانتقالي* والمتضمنة الوفاق الوطني حول المرحلة الانتقالية لا سيما المواد 25/13/5 و5/26 منه². وهذه المبادئ (الوفاق الرحمة التضامن الغفران...) مستمدة من التشريع الإسلامي ويكرسها النظام الجزائري في مواثيقه الرسمية وفلسفته العملية (بيان أول نوفمبر، الدساتير التي أخذت بمبدأ: "الإسلام دين الدولة").

وللملاحظة حتى قانون الرحمة صودق عليه في شهر رمضان ويعتبر ذلك مؤشراً حضارياً.

1- أبو جرة سلطاني، مرجع سبق ذكره، ص 138-150.

* أنظر عبد القادر مقام، ثقافة السلم، قانون استعادة الوثام المدني في الجزائر نموذجاً، دار الغرب، 2002.

* أنظر المادتين 8/74 و115 من دستور 1989.

* هو هيئة تشريعية تأسست في ظروف خاصة وظيفتها سن القوانين.

2- أنظر الملحق قانون تدابير الرحمة.

2. أهداف قانون الرحمة: يهدف قانون تدابير الرحمة إلى:

أ- تكريس مبدأ ضمان معنى الإنسانية: وهذا المبدأ مستمد من الشريعة الإسلامية التي تعتبر في طليعة الشرائع الدينية والنظم القانونية من حيث الاعتراف بكرامة الإنسان فقد ساهم الفقه في إرساء المبادئ لحماية الأفراد من الفساد، وقرر أسباب الإعفاء والتخفيف والعفو.

ب- تحقيق مصلحة تفوق المصلحة المحتملة من توقيع العقوبة:

يقر هذا القانون بالأعداد المخففة من العقوبة في حالات خاصة، على أساس أن المنفعة التي يحققها المجتمع في الإعفاء تفوق المنفعة المحتملة من العقوبة.

ج- علاج الجانحين: أثبتت التجارب العلمية، أن وضع المجرمين في المؤسسات العقابية ليس هو الطريق السليم في علاج المجرمين، وقد ذكر الباحثون أن السجون تعد مدارس للإجرام لذلك يؤكدون على ضرورة اتخاذ تدابير يمكن تطبيقها على المجرمين غير الخطرين، تكفل إصلاحهم، وتجنبهم تنفيذ العقوبات السالبة للحرية في السجون، وهذه التدابير متنوعة منها مثلاً تنفيذ الأحكام على شرط تعويض الأضرار التي تترتب على الجريمة.

3. إجراءات تدابير الرحمة:

أ. الهيئة المشرفة: يشرف على تطبيق تدابير الرحمة الهيئات القضائية الإدارية المدنية أو العسكرية، فقد نصت المادة 06 من الأمر على أنه:

"يجوز للأشخاص المذكورين في المادتين 02 و03 من هذا الأمر الحضور تلقائياً أمام السلطات القضائية أو الإدارية المدنية أو العسكرية".

تقرير تدابير الرحمة:

ب. تختص محكمة الموضوع بتقرير تدابير الرحمة إذ تنص المادة 07 من هذا الأمر على أنه: "يجوز للأشخاص المذكورين في المواد 11/10/09/08/04 من هذا الأمر فوراً إلى المحكمة المختصة لتقديمهم أمام وكيل الجمهورية الذي يقوم فوراً بتحرير محضر معاينة وتحريك الدعوة العمومية". وإذا توافرت شروط تدابير الرحمة يقضي القاضي بالإعفاء من العقوبة الأصلية وكذلك الإعفاء من العقوبة التبعية والعقوبة التكميلية في حالة وجودها أو وجود إحداها.¹ ومما سبق فإن هذا القانون يحمل في طياته حلاً للأزمة التي عاشتها البلاد إلا أنه رغم الجهود التي بذلت لإخماد نار الفتنة إلا أن هذا القانون وإن حقق نتائج معتبرة لم يرق إلى المستوى المطلوب والمنشود حيث استمرت الجماعات المسلحة في عنادها وواصلت الأعمال الحربية، وعلى هذا الأساس كان التفكير متواصلاً في إيجاد الحلول الملائمة لهذه الأزمة، وكان مشروع قانون استعادة الوثام المدني البديل للقانون السابق، وسنقدم فيما يلي دراسة لهذا القانون ومزاياه.

1- يذهب الفقهاء إلى القول بأنه لا تأثير للأعداد المعفية من العقوبة على المسؤولية المدنية إذ يبقى الجاني مسؤولاً عن تعويض الأضرار التي ألحقها بالغير.

ثانيا: الدراسة التحليلية والقانونية لقانون استعادة الوثام المدني

أ. تحليل بنية نص قانون استعادة الوثام المدني:

لعل ما يمكن الإشارة إليه منذ البداية هو أن نص قانون استعادة الوثام المدني ليس نصا قانونيا بالمفهوم القانوني والإداري للنصوص القانونية من حيث طرحه الدلالي والشكلي، فهو نص أدبي اجتماعي نفسي في قالب قانوني حيث غلبت على لغته النزعة الذاتية والعاطفة... * هذا من جهة، ومن جهة أخرى تترجم بنيته السطحية غياب الصرامة القانونية التي تميز عادة النصوص القانونية.

يحتوي قانون استعادة الوثام المدني على ثلاثة وأربعين (43) مادة، وستة 06 فصول وتتمحور نصوص هذا القانون على التدابير الثلاثة الأساسية والتي تتضمن:

1) الإعفاء من المتابعة.

2) الوضع رهن الإرجاء.

3) تخفيف العقوبة.

أ- الوظيفة: استعادة الوثام المدني.

ب- الإطار:

البشري	السياسي	النفسي	القانوني	الاجتماعي	الأخلاقي
الأشخاص المهورطين والمتورطين	أعمال ارهاب أو تخريب	يعبرون عن ارادتهم التوقف بكل وعي	الاستفادة من أحكام هذا القانون	إعادة الادمج المدني في المجتمع	تجسيد هذا الطموح

لقد جاءت هذه المقدمة والتي تحمل عنوان "أحكام عامة" مشحونة بدلالات مختلفة وهادفة، حيث استطاع النص بوعي أخلاقي وسياسي وقانوني واجتماعي أن يحدد موضوعه ووظيفته، فالنص موجه خاصة لشريحة اجتماعية سقطت بوعي أو بدون وعي في فخ الارهاب والتخريب وبالتالي يعمل هذا النص على إخراج هذه الشريحة من هذا الفخ وفق أطر قانونية واجتماعية محكمة.

وقد تداول مرارا التحدث عن هذه الفئة من الناس في المحافل السياسية والندوات، وخير ما عبر عن ذلك ما جاء على لسان رئيس الجمهورية: "أن الأسس القانونية هذه تعني بوضوح أن السلطة السياسة تأخذ على عاتقها إعطاء إطار شرعي يحدد شروط التكفل بالعلاقات الفعلية الناجمة عن تصرفات فعلية لمجموعة مسلحة أن تضع نفسها تحت تصرف الدولة وتخضع لسلطتها وهذا عمل جليل لا شك فيه، نتمنه بما يستحق من تقدير".

فالنص وإن بدأ هادئاً وبسيطا في لغته وفي أسلوبه فهو صرخة قوية ودعوة ملحة وأكيدة من أجل كسب هذه البشرية وتحريرها من قيد الإرهاب وما يدور في فلكه.¹ ولعل ما يترجم نية السلطة، وما بين وجهها الآخر هي تلك اللغة التي شكلت وعاء صريحا لهذا الخطاب ولهذا الدعوة: الغاية السامية استعادة الوئام المدني تدابير خاصة، توفير حلول ملائمة، تجسيد هذا الطموح، إعادة الإدماج في المجتمع.

المبحث الثالث: ثقافة السلم لدى المتصوفة

3.1 فلسفة السلم في التصوف الإسلامي

يستند الصوفيون في عقيدتهم بخصوص السلم في الإسلام على النصوص (القرآن والسنة)، فمن خلال كلمة المحبة أو الحب المتداول بينهم نستقي معنى السلم فمن الآيات القرآنية نجد:

1. " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (آل عمران: 31) .

2. " وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " (الصف: 12) .

3 " فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ " (المائدة: 54) .

والملاحظ على هذه الآيات أنها لا تتضمن معنى المحبة، ولكن اللفظ فقط، فالصوفية يحاولون تأويل هذه الآيات لأن المشكلة ليست في النص في حد ذاته، وإنما في تأويله وتفسيره وفهمه، وهذا ما يركز عليه ليس الصوفية فحسب، بل كل الفرق الإسلامية لتبرير عقائدهم أمام العامة، وهذا ما يؤدي بنا إلى التسليم بذلك الصراع المذهبي الذي بدأ سياسياً الأولى ب بروز مشكلة الخلافة مع الدولة الأموية، ثم تطور عقائدياً بعد ذلك، وخصوصاً بين الشيعة والخوارج والمعتزلة وحتى الصوفية، الذين لعبوا دوراً مهماً في تأويل وتفسير القرآن من خلال طريقتهم في التفسير من معنى اللغة إلى تأويل مُفعم بالرموز والاستعارات، دون إنكارهم للتفسير الظاهري للآيات. وانطلاقاً من الآيات السابقة الذكر، فإن التصوف يعتبر المحبة اللانهائية، فبدايتها" ظهور أثر بالخدمة، ووسطها ظهور أثرها بالشكر والهيام، ونهايتها ظهور بالسكون والصحو في مقام العرفان، وهذا ما يؤدي إلى تهذيب السلوك لديهم فلهذا انقسم الناس على ثلاث مراتب، أرباب الخدمة وأرباب الأحوال وأرباب المقامات".²

إذا كانت هذه حقيقة المحبة في نظر المتصوفة التي تؤدي بطبيعة الحال إلى تهذيب السلوك، فكيف السبيل للوصول إليها؟ يُجيبنا "معروف الكرخي" بقوله: المحبة ليست من تعليم الخلق، إنما من مواهب الحق وفضله "وقال "النصرابادي": "باتباع السنة وبأداء الفرائض تنال القرية، وبالمواظبة على النوافل تُنال المحبة"³، ويستند هذان

1- خطاب رئيس الجمهورية الجزائري عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة استدعاء الهيئة الانتخابية لاستفتاء 16 سبتمبر 1999 - وكالة الأنباء الجزائرية، الجزائر 02 أوت 1999.

2- ابن عجيبة عبد الله أحمد، معراج الشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دت، ص32.

3- الرازي يحيى بن معاذ، جواهر التصوف، مكتبة الآداب، القاهرة، 2000، ص 32.

القولان بإتباع السنة والتزام النوافل على الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبُّه"، وفي هذا المعنى يقول "ذو النون المصري": "من علامات المحبة لله متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته".¹ ومما هو جدير بالذكر أن المحبة في بداية التصوف أي حركة الزهد، لم تظهر بشكل جلي لأنها لم تكن أساس الزهاد والعباد، على العكس في التصوف النخبوي، أين اتخذت المحبة أو الحب الإلهي أساس الاتجاه الصوفي - كما سنرى - خصوصاً مع أبرز المتصوفة: رابعة العدوية "الحلاج"، و"ابن عربي".

ويمثل التصوف تجربة دينية بامتياز، لكن هذا لا يعني أنه متَّسِم بالروحانية فقط، وإنما له أبعاد لا تظهر للعيان، وهذه النقطة التي لم يتفطن لها معظم الباحثين، وذلك عندما يتم التركيز على الجانب العقدي أو الفقهي للتصوف دون ربطه بواقع الصوفيين، باعتبار أن الصوفية ذاهم ليسوا منعزلين عن المجتمع الإسلامي، إن كانوا منعزلين (زاهدين) عن المجتمع، فهذا فيه دلالات عميقة عن تقشفهم وزهدهم، ونوافق "عبد الرحمان ابن خلدون" عندما بيَّن أنه في دراسة الظاهرة التاريخية لا ينبغي إهمال ما أسماه "أحوال الاجتماع الإنساني"، وما عبَّر عنه أيضاً "ألان توران Alain Touraine" بمفهوم "التاريخانية" أي دراسة التاريخ بظروفه الاجتماعية المحيطة به. (Historicité) والتصوف ينطوي على أبعاد معرفية وسياسية واجتماعية ودينية، فضلاً عن كونه تجربة خاصة ونزعة روحية تختلف درجتها بين سالك وآخر.²

ولنحاول معرفة علاقة المحبة وأبعادها من خلال معطيات الواقع الاجتماعي الإسلامي، فأول ما بدأت به حركة التصوف هو الزهد والتقشُّف والابتعاد عن الملذات، وخصوصاً مع بداية الدولة الأموية، التي تأثرت بثقافات مجتمعات الفرس والروم، ولعلَّ ما يدلنا على ذلك هو الحوار الذي دار بين "عمر بن الخطاب" و"معاوية بن أبي سفيان" حين زاره في دمشق، ووجده في حالة من الملك والجاه، فقال له "عمر" أكسروية هذه يا بن أبي سفيان؟ قال: بل فُخُورِيَّة يا أمير المؤمنين" فكانت حركة الزهد منافية لانغماس المجتمع في ملذات الدنيا، ورفض للوضع القائم المتصف باللامن الاجتماعي، حيث يقول "ابن خلدون" في الفصل الذي عقده عن التصوف في مقدمته فلما فشا الاتباع على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقلوبون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"³

2.3. مقومات السلم في التصوف الاسلامي:

ويمكن فهم كيف أن التصوف يمثل رد فعل ثوري على طغيان الحياة المادية منذ قيام الدولة الأموية، والمحبة كانت تمثل قائد الثورة الوجدانية الداخلية للمتصوف حتى يبتعد عن فساد الأوضاع القائمة مما جعل أفراد المجتمع الإسلامي يعيشون تناقضاً بين القيم الروحية والقيم المادية، أو بصيغة أخرى تناقضاً في الأدوار الاجتماعية حمل الصوفية على الميل إلى الروح على حساب المادة، وإن كان الإسلام يجمع بين الروح

1- السلمي محمد بن الحسين، طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003، ص30.

2- إسماعيل محمود، سوسولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار، سينا للنشر، بيروت، ط1، 2000، ص225.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص449.

والمادة، كذلك ثاني بعد، أثرت به المحبة هو اختلاف نظرة الصوفية عن المتكلمين والفقهاء والفلاسفة، بل وصل تطرف الصوفية في المحبة إلى عداء السلطة السياسية، وخصوصاً مع الحلاج الذي كانت محبته بديلاً عن عزلته عن الواقع، "ويبدو لنا أن الحلاج كان من الغارقين في الوجد، وفي حال وجده كان يطير بخياله إلى الألوهية... وأن ما بداخله من شعور بالحلول أو الاتحاد بالألوهية لم يكن إلا وهم وشعور نفسي دافق مصاحب لنوع من الذهول النفسي".¹

وقد وُجّهت إلى الحلاج أربعة اتهامات من أجلها حكم وصلب وهذه الاتهامات هي:

1- مراسلاته السرية مع القرامطة أعداء الخلافة والدولة.

2- اعتقاد طلابه في ألوهيته.

3- قوله بالحلول، ومن أقواله في ذلك: أنا الحق.

4- قوله بالحج بالهمة بديلاً عن الحج الشرعي.

وهذه الاتهامات للحلاج وتعديبه ثم التنكيل به تُبيّن مدى شدة الصراع والعنف وغياب الأمن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي بالرغم من سلمية الحلاج ومحبته الصوفية، فحدّ هذا الحب جعله مسلماً، إلا أن حدّه الآخر المتمثل في التطرف في هذا الحب عند الحلاج المتمثل في التطرف في هذا الحب عند الحلاج الذي نفى به الآخرين جعل رد فعلهم عنيفاً، وبالتالي التطرف في المحبة أو الحب الصوفي أنتج العنف وكان مُضاداً للسلم. ولم يقتصر هذا في الجانب السياسي فحسب، بل تعدى إلى الجانب الفكري، "ولعل هذا ما يُفسّر استهزاء الحلاج بالعلم العقلي"². وقد نقد الصوفية كلاً من أصحاب علم الكلام والفلسفة من طريقتين

الطريق الأول: من حيث المنهج، وقد تمثل في تعويل الصوفية على الذوق - كبديل عن العقل والنقل - الذي بواسطته يتم ذلك النور الإلهي الذي يقذفه الله في القلب³، ويكون ذلك بالمحبة في أعلى درجاتها. ففي نظر الصوفية المعارف العقلية قاصرة ومحدودة ومتغيرة، كما أن معارف الوحي معطى قبلي وتسليمي في صورة أوامر ونواهي، في حين الذوق له القدرة على الكشف أي الوصول إلى المعرفة اليقينية، لذلك يغلب على جماعة العاشقين حال أخرى لأن في حمر المحبة نشوة لا يدركها إلا سواهم، وشتان بين المحبة القلبية والعلم الذي يُكتسب بالدراسة⁴.

الطريق الثاني: من حيث الموضوع، إذا كان علم الكلام والفلسفة يبحثان في الجانب النظري أي: صحة العقائد من اهتمام المتكلمين، والوجود المطلق من اهتمام الفلاسفة، فإن "التصوف لم يهتم بشرح عقائد ولا يعرض أصول ومبادئ فليس الصوفية أهل نظر عقلي، وإنما أهل سلوك وطريق...ومن أجل ذلك فلقد سلك الصوفية مسلكاً

1- إبراهيم ياسين إبراهيم، المدخل إلى التصوف الفلسفي دراسة روحية سيكوميثافريقية، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، المنصورة 2006، ص ص 51-50.

2- إسماعيل محمود، مرجع سبق ذكره، 230.

3- تركي إبراهيم محمد، التصوف الإسلامي أصوله وتطوره، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007.

4- إسماعيل محمود، مرجع سبق ذكره، ص ص 229-231.

معارضاً للمتكلمين¹. وقد تمثل هذا التعارض عملياً من خلال خصام المعتزلة باعتبارهم متكلمين خصوصاً في مسألة المحبة، وذلك كرد فعل للصوفية، حيث أن المعتزلة بنظرتهم العقلية يرون أن الله لا يجب ولا يجب حقيقة وإنما ما ورد ذلك في القرآن يعتبر مجازاً لا يتطابق مع اللذة والعشق التي لا تليق بالذات الإلهية المنزهة عن ذلك. وأخيراً ثالث يُعد يضاف للمحبة وهو قيمة التسامح والحوار وعدم معاداة الآخر، وقد ظهر ذلك جلياً في مرحلة التصوف الفلسفي، وخصوصاً مع ابن عربي وحتى الغزالي، وهذا مع نهاية الدولة العباسية وبداية عصر الماليك، حيث " ساد التصوف المعتدل في هذا العصر واختفت الاتجاهات المتطرفة أو كادت، واتصف المتصوفة عموماً بروح التسامح ". ويزر بوضوح عند ابن عربي حين جعل الحب دينه وإيمانه من جهة، وعاما وشاملاً للأديان من جهة أخرى، لأن في أبياته المذكورة آنفاً تبرز فكرة المحبة في أقصى درجاتها والتي عكست وبَيَّنت أنها "وسيلة لجمع الشمل بعد الفرقة والتشردم إبان العصر السابق"². فآراء ابن عربي في السلم والمحبة أسست لما يُعرف بالمعنوية أو الاتجاه المعنوي في الدين، الآخذ بروح الدين، وهذا بفهمه وفق المحبة والتسامح.³

3.3 الصحة الإيمانية للتربية الصوفية والسلوك:

عند استعراض تفاصيل التربية الصوفية يسجل للوهلة الأولى أن التصوف الإسلامي كرياضة روحية كمناسبة سلوكية يقوم أساساً على تدعيم مفهوم الصحة الإيمانية، فقد اشتغل اللسان الصوفي كثيراً بترقية البعد الإيماني في الفرد، سواء على مستوى الوجدان أو على مستوى السلوك الاجتماعي، فالصحة الإيمانية بالمنظور الصوفي تنطلق من العناية المركزة بالروح الإنسانية واعتبارها المحطة الأولى والأساسية في مسار التزكية والارتقاء الصوفي عامة وضمن هذا الإطار جعل التصوف لمراقبة الإطار العام الذي تتم من خلاله جميع الممارسات الدينية و الدنيوية، بحيث يحفظ هذا الإطار الفرد الصوفي من احتمالات الانحراف، فيصبح هذا الفرد داعية للحق ومصالح لما فسد من السلوك والأخلاق فهو طبيب يعالج الأنفس المريضة ويأخذ الناس أو مجتمعات من مواقع الرديء والهلاك إلى مواقع النجاح فهو سفينة الحق فلا غنى عنه في كل زمان ومكان. وتأخذ الصحة الإيمانية في التربية الصوفية تشكيلات متميزة تتوزع عبر مقامات متنوعة لا يمكن إيجادها في غيرها، فهذه الصحة تتجلى في الاستقامة على أحكام الشريعة وجمع الهمة على الثبات فيها من غير انحراف وبعيدا عن نزعات الشيطان وخطوات النفوس المريضة وهواجسها وتجاوز الخطوط المتعرجة الفاسدة، ثم التحلي بعد ذلك بالأدب الحسن أو كما يقول الإمام الطوسي "نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم"⁴. وهذه الاستقامة تقود الفرد إلى المعرفة الحقيقية بالله تعالى كخطوة أرقى في الصحة الإيمانية بالمنظور الصوفي والمعرفة في التربية الصوفية شجرة غرسها الله في قلوب

1- تركي إبراهيم محمد، مرجع سبق ذكره، ص 112-113.

2- إسماعيل محمود، مرجع سبق ذكره، ص 235-236.

3- ملكيان مصطفى ترجمة، عبد الجبار الرفاعي وحيدر نجف، العقلانية والمعنوية مقاربات في فلسفة الدين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط1، 2010، ص 163.

4- سعيد مراد، النصف الإسلامي رياضة روحية خالصة، دار العين، القاهرة، 2007، ص 89 98.

الموحدين فبقدر التربية تكون ثمرتها كما يشير إلى ذلك الحكيم الترمذي¹، وتزداد الصحة الإيمانية رقيا في التربية الصوفية بالوصول إلى إعادة صياغة الوجدان الصوفي بمفاهيم إيمانية روعي خالصة وهي بالمنظور الصوفي أحوال يكون عليها القلب الصوفي المتمتع بالصحة الإيمانية الجيدة، ومن هذه الأحوال حالة الحب، الذي يعتبر عند الصوفية منهجية متكاملة المفاهيم والوسائل التربوية تنطلق من التعلق بالذات الإلهية وما يقتضيه من معاداة للنفس وشهواتها، ليؤدي في النهاية إلى تسامي الأنا في معارج تصاعدي يجعل الفرد يتخلق عمليا بأخلاق الألوهية. ومن أحوال الصحة الإيمانية الصوفية الجيدة حالة الزهد، الذي يعني التجرد الكلي من الدنيا وما فيها من مقتضيات العمل والصراع على الكسب والحصول على المادة، فالصحة الإيمانية الصوفية تفرض على الصوفي قطع العلاقة مع الدنيا وملذاتها مما يرتب للفرد جوا أخلاقيا مثاليا بعيدا كل البعد عن مسببات ودوافع الانحراف. ومن أحوال الصحة الإيمانية الصوفية أيضا حالة العزلة التي تعني المحافظة على نسق عال من الرياضة الروحية عن طريق رفض ممارسة التفاعل الاجتماعي بصوره السلبية و الانحرافية أو الاكتفاء بالحد الأدنى من المخالطة الاجتماعية وفي حدود ما يضمن التواصل الإيجابي حول القضايا المعيشية الضرورية، وهكذا فإن العزلة الصوفية ميكانيزم أساسي وحساس في ضمان الصحة الإيمانية الجيدة، وهذا ما يترجمه عبد المجيد الشرنوبلي حينما يقول: "على الصوفي أن يعتزل الخلق الذين لا خير فيهم ويترك فعلهم وتزيد الصحة الإيمانية الصوفية في تحكّمها في الفرد الصوفي من خلال حالة التوكل، وفيه تتجلى فاعلية التربية الصوفية في صناعة السلوك الصوفي المثالي والفريد، فحال التوكل يعني وصول الفرد الصوفي إلى حالة وجدانية وروحية راقية تعترف بسلطة الوجود المادي غير عابئة بشظف العيش وقلة الأرزاق والموارد وتدهور الظروف الاجتماعية المعيشية والاقتصادية، فالجوع عند المتوكل هو شبع الروح أو اعمار الباطن بأجمل السمات الأخلاقية، وقمة المتاع عند المتوكل هو النزر اليسير الذي يحقق الضروري من القوت الذي يقوي البدن على الطاعة ومواصلة الرياضة الروحية.

وتتجاوز التربية الصوفية بمفهوم الصحة الإيمانية من الحقيقة الوجدانية إلى الحقيقة الاجتماعية والسلوكية، فحتى تظهر كمالات الصحة الإيمانية على الصوفي يتعلم كيف يزهّد فيما عند الناس من خلال عدم الطمع فيما عندهم من مال وسعة الرزق، لذلك جعل بعض شيوخ التصوف العمل والتكسب خلقا صوفيا أساسيا يعصم الصوفي من الحاجة إلى الناس من جهة، ويجعله يغيث طرفه عن التكسب الحرام من جهة أخرى، بل إن الإمام الشعراي يذهب إلى أبعد من هذا حينما يعتبر العمل والتعب والشقاء أفضل واعظ وناصح وأفصح من أي فقيه أو شيخ أو مرشد لأنهم يصلون بالنفس إلى الحد من كبرياتها وقطع غرورها والاعتزاز بقوتها فتتعلم التواضع وتقطع عنها الراحة والتساهل.²

كما أن من المظاهر الاجتماعية المعبرة عن الصحة الإيمانية في التربية الصوفية التضامن الاجتماعي والذي يسميه البعض بالتضامن الصوفي، بحيث تقتضي الصحة الإيمانية الصوفية الجيدة ممارسة التضامن على وجهين أساسيين

1- الحكيم الترمذي، المسائل المكونة، دار التراث العربي، القاهرة، 1980، ص133.

2- الإمام الشعراي، الطبقات الكبرى، دار التراث العربي، القاهرة، 1970، ص 82.

هما: التضامن داخل الطريقة الصوفية خاصة بين الشيخ والمريد، فالشيخ بعد التعليم موجود أساسا من أجل إغاثة المرید ونصحہ، وكذلك بين المریدين أنفسهم في إطار مبدأ الأخوة الذي يقتضي تبادل المودة والمساعدة، أما الصنف الثاني من التضامن الصوفي فيمارس مع سائر الفاعلين في البناء الاجتماعي، هذا التضامن الذي يتجاوز مفاهيم القرابة والانتماء القبلي والعشائري من خلال تسخير الزوايا وجعلها مراكز اجتماعيا لمساعدة الفئات المحتاجة والمحرومة خاصة الشيوخ والنساء والفقراء والارامل حيث يتولى المتصوفة توزيع الصدقات عليهم وكسوتهم و إطعامهم. وهكذا يتجلى لنا أن التربية الصوفية تعمل على الوصول بالمرید الصوفي إلى أعلى درجات الصحة الإيمانية من خلال مسارين، المسار الروحي و الوجداني والمسار الاجتماعي والسلوكي، بحيث يجب أن توضع هذه الصحة الإيمانية في خدمة المجتمع أخلاقيا من خلال الوعظ والإرشاد، واجتماعيا من خلال صناعة السلوك الاجتماعي السوي الذي يحفظ الأمن الاجتماعي ويساهم في تحقيق التوازن والاستقرار.

4.3. أثر التربية الروحية الصوفية في تهذيب السلوك:

الوقاية من الانحراف هي أهم مقصد من مقاصد التربية الصوفية، بحيث يحمل الفكر التربوي الصوفي تصورا دقيقا ومسطرا استباقيا للأهداف الأخلاقية أو السلوكية المراد الوصول إليها، لذلك فإن مبدأ التنمية الإيمانية المستديمة هي الأداة التربوية التي تستطيع الوقاية من الانحراف أو فك الارتباط مع السلوك غير السوي، وعليه سنحاول هنا تحديد مفهوم الوقاية أولا، آليات الوقاية التي تمارسها التربية الروحية الإيمانية الصوفية.

في مفهومية الوقاية من الجريمة:

من الضروري على كل المجتمعات الإنسانية أن تضع في صميم برامجها التربوية والتنموية مفهوم الوقاية ضمن أولى الأولويات، ذلك أن الوقاية تعني التهيئة الاجتماعية المسبقة لاجتثاث أسباب ودوافع السلوك الاجتماعي والظروف الاجتماعية والنفسية المساعدة في الاتجاه نحو هذا السلوك، و على هذا فإن الوقاية هي منظومة تربوية اجتماعية متكاملة تتضمن المعرفة المسبقة بأسباب الجريمة في الوسط الاجتماعي وفي ظل التفاعلات والتجاذبات والعلاقات الاجتماعية والقيم والمعايير والثقافة الاجتماعية المهيمنة والمسيطر، قصد تلافي حدوث السلوك الاجرامي أو الحد من مخاطره وانتشاره والتقليل من مخاطره وإفرازاته المختلفة، و هي فعل اجتماعي متكامل الأبعاد التنموية النفسية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية التي تضمن تحقيق الظروف المثالية و الإيجابية لممارسة الحياة بجميع تشكيلاتها الفردية والعاطفية والجماعية الأسرية والتعليمية والمهنية بحيث يبادل الجميع علاقاتهم الاجتماعية ويؤدون وظائفهم وأدوارهم ويتحصلون على مكانتهم الاجتماعية وفقا للنظام الاجتماعي المتبني اجتماعيا بعيدا عن نوازع الاختلاف والصراع والأنانية والأمراض النفسية وسائر السلوكات المنحرفة.

كما تعني الوقاية من السلوك غير السوي التنشئة الاجتماعية المتكاملة والمتوازنة الممارسة على مستوى الأسرة أو المدرسة أو المؤسسات الدينية والإعلامية ومؤسسات المجتمع المدني وغيرها، هذه التنشئة الاجتماعية التي يجب أن تفضي إلى إنتاج فرد نموذجي من حيث الامتثال الاجتماعي والقابلية للضبط وتسطير السلوك والأهداف والوسائل والممارسات الاجتماعية حسب ما يحقق الأمن الاجتماعي و يحفظ للبناء الاجتماعي بجميع مؤسساته الرسمية

وغير الرسمية الاستقرار والأداء الوظيفي الجيد، الأمر الذي يتيح في النهاية تجنب العوامل الدافعة للجريمة فتنمية حاسة التضامن الاجتماعي والتعاطف المتبادل مع أفكار ومعتقدات الجماعة، ومقدار الإذعان لأوامر ونواهي المجتمع وجعل العواطف والغايات الفردية في توافق مستمر مع ما يخدم المصالح المشتركة كل هذا يقوي المشاعر الإيجابية تجاه المجتمع ويخلق أنماط سلوكية إيجابية بالمنظور الاجتماعي تساهم في تحقيق السلامة للكيان الاجتماعي والتخلص من مظاهر الثقافة الفرعية أو الثقافة التحتية المسيطرة على بعض الجماعات أو الطبقات أو الفئات والتي تسود فيها عناصر جانحة رافض ومتصادمة مع الثقافة الاجتماعية الغالبة وبالتالي اللجوء إلى الجريمة كتعبير عن هذا الرفض. ومن معاني الوقاية من السلوك الإجرامي تهيئة المنظومة القانونية الردعية وتحسين طرق وأساليب إيصالها إلى الناس وتجويد عملية الإقناع بالالتزام بها والوقوف عند حدودها، فالنظرة إلى القانون ووظيفته يجب أن تتغير نحو إضفاء الصبغة الوقائية عليه، واستعماله كقوة وظاهرة اجتماعية ردعية و تخويفه من عواقب الخروج عن المجتمع وممارسة السلوك الإجرامي، فالاستعمال الاستباقي للقانون يساهم كثيرا في كبح جماح بعض من تدفعهم الظروف إلى الجريمة، وعلى هذا الأساس تصبح العملية التربوية داخل المدرسة محطة أساسية وضرورية للتدريب على التزام القانون وكذلك التعرف على تبعات أي سلوك يخترق منظومة القوانين الاجتماعية الوضعية أو الدينية أو العرفية منها. وتضع التربية الصوفية للسلوك أصول وقواعد محددة ومضبوطة، وفيها تتجلى قدرة الصحة الإيمانية الصوفية في إدراك السلوك المثالي المتزن والبعيد عن الجريمة والانحراف، فالسلوك الصوفي يبنى على أساس إتباع الحق الثابت الذي لا يجوز إنكاره لأنه هو المطابقة الحثيثة لله تعالى فيما يفعل وفيما يشرع، أي هو الوصول إلى حقائق الأشياء ودقائقها والانقياد بقانون الشريعة مع قلة الاكتراث بمن يعترض عليه لذلك كل شيء يقف ضده يسمى باطل فمنطلق كل السلوكات الإنسانية في منظور الصحة الإيمانية هو التزام الحق في كل شيء وتجنب الباطل في كل شيء، الأمر الذي يفيد أن الصحة الإيمانية لها قدرة خارقة على إنتاج الشعور والإحساس بالمراقبة الإلهية للإنسان والتي تمنعه من اقتراف الخطيئة والسباحة في فلك الجريمة والانحراف، وانما تحول الفرد إلى ساع في الأرض ينشد السلوك السوي ويتوخى الصرامة في احترام القيم و المثل الدينية التي يؤمن بها أو التي تصنع ضميره وتحرك أفعاله لذلك يظهر سلوك صاحب الصحة الإيمانية الصوفية الجيدة سويا و ملتزما وسهل الضبط الاجتماعي. و لكي يكون للحق تأثير على الفرد تصورا وسلوكا فإن الصحة الإيمانية الصوفية تقتضي وجود مكنزم إيماني آخر قوي وفعال وهو مكنزم التركيبة النفسية، الذي يعني صوفيا إعادة صياغة النفس الإنسانية وإعادة تربيها من خلال عمليتي التحلية والتخليية، فأما التحلية فتعني إفراغ النفس و إخلائها من كل مظاهر الشر والتعلق بالدنيا وحب العيش السهل والرغد وحب المال والسلطة والجاه والملك واتباع الشهوات، وأما التخليية فتعني إعادة إعمار النفس بالتقوى والزهد والورع والخشية والرضا بالقليل وحب الفقر والفقراء وتجنب المعصية والفجور وكثرة الاعتزال للذكر والتفكير والتأمل والسعي في الخير والعمل الصالح وخدمة الناس وقضاء حوائجهم و انصاف المظلوم وغيابته المكلموم والسعي في دروب العلم والتعلم واقتفاء آثار العلماء الصالحين والأولياء والتخليي بخصالمهم طلبا للقرب من الله وبهذا تخطو الصحة الإيمانية الصوفية خطوة كبيرة نحو إبعاد الفرد من كل المؤثرات النفسية والاجتماعية التي من

شأنها أن تدفع إلى صناعة السلوك الاجرامي، بحيث أن التزكية النفسية تصنع نموذجاً سلوكياً يتقيد داخلها بضوابط ومعايير وقيم تدعو كلها إلى عدم التعلق بالدنيا ورف المكاسب المادية والمالية والمصلحية والسلطوية، التي هي عادة مدار كل السلوكات الاجرامية، فالصحة الإيمانية تعمل على بناء تصور جديد للحياة يتأسس على اعتبار الدنيا محطة للعمل الصالح ودار مؤقتة أو مرحلة انتقالية يترتب عليها مصير الإنسان في الآخرة، لذلك فمستقبل الإنسان الحقيقي يتحدد وفقاً لنوعية سلوكه في الدنيا.¹

3. 5 أهمية التربية الروحية لدى المتصوفة في نبذ العنف والتشدد:

إن مشكلة التطرف التي نواجهها اليوم كما يحللها شيخ الطريقة الجشتية في لندن والهند السيد لخت حسين من بريطانيا في مداخلة الموسومة بأهمية التربية الروحية في نبذ العنف والتطرف والتشدد، والتي من أجلها انعقد مؤتمر دور أهل التصوف في حماية المجتمعات من التطرف بالمغرب، أنها ليست جديدة بل ظهرت منذ أكثر من خمسة وثلاثين سنة، فالصوفية بدأوا بالمحاولات لحل هذه المشكلة قبل ثلاثين سنة أو أكثر . وكما يقول الكاتب أنه ينتمي إلى طريقة صوفية ويعيش في بريطانيا وأنه كل يوم يشاهد مشاهدات كثيرة، وأن المسلمون بدأوا حياتهم قبل أربعين سنة في أوروبا " وأخص بالذكر بريطانيا والمسلمون يشكلون الأغلبية من سكان العالم . فظهر من هذا أن المسلمون يشكلون قوى كبرى في أوروبا وبريطانيا هذه القوى الكبرى تشكلت قبل 50 سنة فقط، كان هناك مسجدان في بريطانيا يمكنني أن أقول لكم، لأن أحد هذه المساجد لا يصلي فيه سوى ثلاثين مسلم والآن بعد مضي 50 سنة تلاحظ ازدياد عدد المصلين وأن المسلمين بدأوا يتكاثرون في تلك البلاد .

أينما حللتم في بلاد أوروبا أو بريطانيا ستجدون ازدياد عدد المسلمين، وعندما نفكر في سبب سرعة انتشار الإسلام في تلك البلاد، فسيكون الجواب أن المسلمين من ذوي الأصول الباكستانية والهندية والبنغلاديشية ومن بلاد المسلمين المختلفة جاءوا إلى بريطانيا وكانوا لا يعرفون الإسلام ، ولكنهم كانوا يعرفون أنهم من أصول إسلامية ، فلذلك سارعوا إلى إنشاء المساجد، وعمروا المساجد الصغيرة في بيوتهم ، وبعد ذلك تحولت تلك المساجد إلى مراكز إسلامية كبيرة ، وبالتالي أصبحنا نلاحظ وجود مختلف المذاهب الفقهية الإسلامية في تلك البلاد. ويضيف الكاتب أنه على يقين كامل بأن الإسلام قد دخل تلك البلاد وخاصة مدينة نيويورك عن طريق أهل التصوف فالصوفية نشروا الإسلام في هذه البلاد بالحكمة والموعظة الحسنة ومحاولاتهم الجادة.²

بعد هذا التمهيد يقول الكاتب فجأة ظهرت المشكلة الكبرى، فاليد العاملة التي جاءت من دول باكستان والهند ومن بلاد مختلفة، كانوا يعرفون اللغة الأردية فقط، عاشوا هناك وظهر الجيل الجديد، الذي تعلم اللغة الإنجليزية وكانوا لا يعرفون اللغة الأردية أو اللغة الأم ، فعندما احتاج هؤلاء إلى الدين ذهبوا إلى المساجد، والمساجد هناك يأمرها أئمة يجهلون اللغة العربية فظهر مدى احتياجهم لدراسة الدين في هذا الوقت، فقدمت السعودية المنح

1- أحمد عبد الكريم السايح، الحكيم الترمذي ونظريته في السلوك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 148.

2- لخت حسين، أهمية التربية الروحية في نبذ العنف والتشدد والتطرف، أعمال الندوة العلمية الدولية حول دور أهل التصوف في حماية المجتمعات من التطرف، دار أبي رزاق، الرباط، المغرب، 10-11/07/2015، ص 47.

التعليمية للتعليم المجاني والتذاكر والإقامة ، لنشر أفكارهم وقواعدهم عن طريق التعليم، وفي هذا الوقت أيضا ظهرت مشكلة التطرف عن طريق الطلبة الذين ذهبوا لتلقي تعليمهم في المملكة العربية السعودية، فكل طالب يذهب إلى بلاد معينة ويدرس في جامعاتها فإن الأستاذ يصدر فكره بالتأطير والطالب يقبل هذا الفكر، وينسخ هذا الفكر وعندما يعود إلى بلده يصبح الممثل الأول لهذا الفكر وكذلك أي طالب و أي شخص يذهب إلى السعودية كان يشحن من قبل الأساتذة بالتشدد والتطرف والإرهاب، فعندما يرجعون إلى بلادهم يستخدمون هذا الفكر لأغراضهم، وانتشر كذلك هذا الفكر في البلاد العربية كالأردن وغيرها من البلاد، وظهرت المشكلة نفسها خلال الحربين بين روسيا وأفغانستان وبالضبط عندما كانوا يعطون المال والأسلحة لهؤلاء السعوديين الذين كانوا يذهبون بعد ذلك إلى أفغانستان أو باكستان، وهذا حال الطلاب الذين كانوا يذهبون أيضا من البلاد العربية خلال الحرب بين روسيا وأفغانستان، فبعد انتهاء الحرب أصبحت باكستان مركزا للإرهاب والتشدد والطرف بسبب استخدام أشد أنواع الفكر المتطرف والإرهاب الذي وفد إلينا من السعودية وجامعاتها ومراكزها يضيف الكاتب أنه عندما نطالع التاريخ الباكستاني خلال الثمانينيات والتسعينيات فالعمل من ذوي الفكر الوهابي والسلفي لم يكونوا يمتلكون سوى الدراجات الهوائية ولا حتى الدراهم، أما الآن فلو رأينا هؤلاء العلماء لوجدناهم في السيارات الفارهة والفيئات والحسابات البنكية المملوءة بالدولارات التي لا نستطيع عدّها والتي تقدر بالمليارات الكبرى. من أين جاءت الأموال لهؤلاء العلماء الوهابية السلفية؟ من أين لهم بهذه السيارات الفارهة؟ كيف بنوا المدارس؟ كم عدد الطلاب والطالبات الذين يدرسون في هذه المدارس؟ يقدرون بالآلاف؟ كم منحة تعليمية تصرف على هؤلاء الطلاب؟ من أين يأتي المال؟ يضيف الكاتب أن هذا المال جاء من السعودية، الحقيقة أن الوهابية أو الخوارج لديهم المال ولديهم فكر ولديهم علم، ولكن ليس لديهم روحانية ونشر الاسلام لا يحتاج للمال والعلم بل يحتاج إلى المحبة .

فأهل التصوف ينشرون الاسلام عن طريق محبة الناس، الصوفية يحبون الناس ويتساحون ويتأخون معهم وقلوبهم عامرة بالمحبة والاخلاص، ولذلك نجحوا في نشر الاسلام في كل زمان ومكان، بالرغم من عدم توفرهم على المال وعلى العديد من الوسائل.¹

ويحكي الكاتب عن الطريقة الجشتية التي ينتمي إليها وعن مؤسسها العلامة الأزميزي رحمه الله، ضريحه موجود في الهند، العاصمة القديمة أزميز شريف، دخل على يديه حوالي تسع ملايين شخص إلى الاسلام فالعلامة الأزميزي رحمه الله تعالى، أحب الناس وأظهر لهم المحبة، وهكذا دخل الناس من دون سلاح ولا حرب لقد كان سلاحهم الوحيد هو المحبة .ويضيف أنه يجب علينا نحن معشر أهل التصوف أن نركز على الثقة بالنفس، فالثقة بالنفس هي القوة الكبرى والصوفية يعتمدون على الثقة بالنفس.

1- لخت حسين، المرجع نفسه، ص ص47-48.

وإذا تأملنا العالم كله في باكستان والهند وأفغانستان والبلاد الإفريقية مالي والسنغال والبلاد الأخرى، نجد أن معظمهم صوفية، وحتى بلاد أوروبا وبريطانيا نجد أن الأكثرية صوفية والحمد لله، وهذا الأمر يجعلنا نتحقق من أمر مهم وهو الثقة بالنفس التي ينبغي أن نتمتع بها.

الأمر الثاني، يضيف الكاتب أنه ينبغي علينا معاشر الصوفية أن نركز على الإصلاحات المؤقتة والإصلاحات الدائمة، وكثيرا ما نسمع أهل التصوف يقولون: ليس لدينا مال، وليست لدينا إمكانيات، يقول الكاتب إن أجدادهم وآبائهم لم يكن لديهم مال، ولكن كان لديهم الحب والاخلاص، بذلك نشروا الاسلام.

وهنا يتساءل الكاتب لماذا لا يظهر أمثال الإمام الغزالي في مدارسنا وفي زوايانا الصوفية، فرغم أن آلاف من الطلاب والطالبات يدرسون في المدرسة الدينية والزوايا الصوفية، ويتلقون التعاليم والتربية، لم يظهر لهم نتائج واضحة كسلفنا، فأنا أقول بأن نظام التربية هو الذي يولد أمثال الإمام الغزالي، فلا بد من التركيز على نظام التعليم والتربية في الزوايا الصوفية .

المسألة الأخرى يضيف الكاتب أن الناس يأتون لمبايعة الشيوخ والأخذ عنهم والمشايخ يتبححون ويقولون عندي مليون مريد، أو خمسة ملايين مريد، وهنا أتساءل هل استطاع هؤلاء الشيوخ تعريف هؤلاء المريدين بالإسلام؟ هل استطاعوا بناء الروحانية لديهم؟ هل قوموا إغواجهم بالتربية؟

كذلك الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي كلها مهمة جدا اليوم، علينا استخدام هذه الوسائل الاعلامية ومواقع التواصل الاجتماعي والانترنت لنشر الاسلام.

3.6. اختصاصات علم التصوف وفائدته على السلوك:

تتوحد مسائل التصوف وموضوعه حول قواعد كلية وضوابط شرعية لتهديب النفوس وإصلاح القلوب من حيث موافقة الظاهر بالباطن تزكية وصلاحا واستقامة وسلوكا.

قال ابن عجيبة "موضوع التصوف: النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها¹، لقوله تعالى " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" (سورة الشمس الآية: 10). هكذا نيط الفلاح بتزكية النفس لإشارة إلى أنها (أي تزكية النفس) السبب الأعظم في تحقيقه، وأن جميع الكمالات عنها تتفرع .

وقال ابن القيم "التصوف: زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها، لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحب"². ويقول الشيخ أحمد زروق: "فائدة الشيء، ما قصد له وجوده، وفائدته: حقيقته في ابتدائه، أو انتهائه أو فيهما كالتصوف: علم قصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله عما سواه. وكالفقه لإصلاح العمل، وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام. وكالأصول: لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحلية الإيمان بالإيقان. وكالطب: لحفظ الأبدان وكالحنو: لإصلاح اللسان إلى غير ذلك فافهم³.

1- ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، المكتبة التوفيقية، ط1، القاهرة، 2008، ص25.

2- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الحديث، مج2، القاهرة، 2005، ص259.

3- أحمد زروق، قواعد التصوف، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان، 2007، ص30.

من هنا يتبين لنا أن موضوع التصوف واختصاصه في السلوك ، هو أفعال القلب من حيث التزكية والتربية التي تنعكس على السلوك، فالتصوف هو العلم الذي يهتم بالجانب التربوي والروحي في النفس البشرية ويمدها بطاقات وجدانية تحررها من نزوات المادة وشهوات النفس، وتطهرها من الأغيار والأكدار وتحليها بالأنوار والأسرار فيتحقق به المحبة الإلهية التي تجعل صاحبها ينظر بعين الرضا والرحمة والعطف والمودة...، وفي هذا الإطار قال الجنيد البغدادي، سيد الطائفتين "التصوف اجتناب كل خلق دني، واستعمال كل خلق سني"¹. وقال عنه الكتاني² "التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الصفاء"³.

فإذا أدركنا أهمية النفس والقلب في الإسلام، وأن الفقهاء الأعلام اشتغلوا فقط بأحكام ظاهر الإثم، ولم يتعرضوا للمسائل التي تتعلق بباطن الإثم من آفات النفوس وأمراض القلوب ولا بطرق علاجها، فلا صلاح لأفعال العبد إلا بصلاح قلبه ولا صلاح للقلب إلا بطلب أسباب التزكية، وهو عين ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على تحقيقه...، وهو اختصاص عمل التصوف.

ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يوجه اهتمام أصحابه لإصلاح قلوبهم، ويبين لهم أن صلاح الإنسان متوقف على اصلاح قلبه وشفائه من الأمراض الخفية والعلل الكامنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب".

كما كان عليه الصلاة والسلام يعلمهم أن محل نظر الله تعالى إلى عبادة إنما القلب وما صدقه العمل "السلوك" قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".

قال الإمام جلال الدين السيوطي "وأما علم القلب ومعرفة أمراضه، من الحسد والعجب والرياء ونحوه فقال الغزالي: إنها فرض عين" وقال في ذلك "الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من العيب أو مرض إلا الانبياء عليهم السلام". وقال الشاذلي "من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر". فالتصوف بهذا الوصف طلب للكمال الروحي والسلوك، وطلب الكمال فرض عين .

وتصفية القلب وتهذيب النفس، من أهم الفرائض العينية والواجبات الربانية، بدليل ما ورد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء:

أ- بعض ما ورد في القرآن الكريم:

قال تعالى " قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ " (سورة الأعراف، الآية: 33)

وقال تعالى " وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ " (سورة الأنعام، الآية: 151)

1- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف، مكتبة الثقافة الدينية، بط، 2002، ص296.

2- هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني، كنيته أبو بكر، أصله من بغداد. صحب الجنيد البغدادي وأبا سعيد الخراز وأبا الحسن النوري، أقام في مكة مجاوراً، منقطعاً للعبادة إلى أن توفي سنة 322هـ.

3- أبو القاسم القشيري، تحقيق معروف مصطفى زريق، الرسالة القشيرية في علم التصوف، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، لبنان، 2005. ص281.

قال اصحاب التفسير " وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ "، كبار الذنوب " مَا ظَهَرَ مِنْهَا "، للناس " وَمَا بَطَّنَ " في خلوة، أو ما ظهر على الخوارج، وما بطن في القلوب من العيوب.¹

ب- بعض ما ورد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كل الأحاديث التي وردت في النهي عن الحقد والكبر والرياء والحسد...، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله اخوانا، ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. وأيضا من الاحاديث الآمرة بالحلي بالأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة، الحديث " الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان .

وقد أعطى الصوفية النموذج الأمثل للفرد الصالح المصلح الذي يكون له الأثر الواضح ليس فقط على نفسه، بل يتعدى ذلك الى مجتمعه عبر القدوة الصالحة، من قبيل المساهمة في بناء المجتمع على أسس أخلاقية راقية ومتمينة، لأن الأخلاق أساس بناء الحضارة وتقدم البشرية نحو مستقبل أفضل. يقول أحمد شوقي في ذلك :

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

فالإصلاح والصلاح مرتبطان ارتباطا وثيقا بالأخلاق، فالرسل عليهم الصلاة والسلام كان منطقتهم الإصلاحية هو الاهتمام بالجانب الأخلاقي ، انطلاقا من دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وأعلم أن الأمة إذا تخلت عن هذا الوصف، فهو إيذان بخرابها ومؤشر على هلاكها وقد صدق أحمد شوقي حين قال:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مآتما وعويلا

التصوف يسهم في تخليق الحياة الخاصة وكذا الحياة العامة، فهو يضع في حياة الانسان وروحه معني الطمأنينة والجمال والقيم النبيلة ويحد من تحافت النفس وراء إشباع رغباتها ونزواتها غير المشروعة، ومن تطرف وتشدد وغلو، والتي تضر بمستقبلها، وقد يتعدى ذلك الضرر إلى مستقبل الإنسانية جمعاء، سواء ي العاجل او الآجل ،نحو تأسيس حضارة روحية متميزة ترتقي بنا من درك البهيمية إلى أفق الروحانية الأخاذة ، والاطمئنان القلبي والسعادة الحقيقية، والصوفي هو الذي يبذل لكي يكون من السباقين للخير والعمل الصالح، والارتقاء في الكمال الخلقى، ويجعل مصلحة مجتمعه ومحيطه من أولى أولوياته.

لقد أخذ الصوفية على عاتقهم مشعل الإصلاح ، وجعلوا مشروع اصلاحهم ينطلق من النفس والقلب ، إذ هما مدار الصلاح أو الفساد ن مصداقا لقوله جل جلاله " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" (سورة الرعد، الآية:12).

1- إسماعيل راضي، بين التصوف والزهد محاولة في التصحيح، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 2014.

ملخص:

مما سبق تم تبين المظهر الوجداني للسلم في التصوف الإسلامي وهو المحبة أو الحب الإلهي، وهو أقصى درجات المحبة وأكثر ما نادى به معظم المتصوفة، كرابعة العدوية والحلاج وابن عربي، فبالرغم من أن المحبة تجربة ذاتية شخصية في فلسفتهم، إلا أن ذلك لا ينفي علاقتها بمعطيات وواقع هؤلاء المتصوفة، مما جعل المحبة إعراض عن ملذات الدنيا، ومعاداة للسلطة السياسية، واختلاف مع الفقهاء والمتكلمين، ونفس هذه المحبة كانت فيما بعد تعبيرا عن التسامح والحوار والإخاء .

تمهيد :

إن تحديد الإجراءات المنهجية للدراسة خصوصا في الدراسات السوسولوجية تدعيم للربط بين مختلف جوانب الدراسة من أجل الوصول إلى نتائج للإجابة عن التساؤل المطروح في المشكلة وعن الفرضيات المحددة مسبقا وعليه فالجانب الميداني هو تدعيم للجانب النظري، تعمل وفقه لتكرس حقيقة التصورات والأفكار النظرية التي جمعناها حول مشكلة الدراسة، فمنهجية البحث كما يراها فريديريك معتوق : "مجموعة المناهج و الطرق التي توجه الباحث في بحثه وبالتالي فإن وظيفة المنهجية في جمع المعلومات ثم العمل على تصنيفها و ترتيبها وقياسها وتحليلها من أجل استخلاص نتائجها والوقوف على جوانب الظاهرة الاجتماعية المدروسة".¹

وقد شملت الدراسة على الخطوات المنهجية التالية :

¹ - رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2002، ص119.

أولا / الإطار التحليل للدراسة : (المقاربة النظرية للدراسة)

يحق لنا بداية أن نميز في تاريخ السوسيولوجيا بين مجموعتين من العلماء، مجموعة العلماء الذين كانوا يحاولون قبل كل شيء التوصل إلى تعميمات مثالية و فلسفية، و يبحثون عن الطرق التي تمكنهم من صياغة القوانين السوسيولوجية، مغفلين في هذا أهمية جمع الملاحظات و البرهنة على هذه التعميمات و القوانين، و بين مجموعة أخرى من العلماء الذين غرقوا في إجراء البحوث الإمبريقية تكون في فرضيات ونتائج . إلا ان التطورات النظرية و المنهجية في السوسيولوجيا تؤكد لنا أن هذه الاتجاهات و تصوراتها قد أفل نجمها على العموم في الجانب البيداغوجي إذ لم تعد ترى اليوم نموذج الباحث السوسيولوجي الذي يهتم فقط بالقوالب الفكرية الخالصة دون إدراك صلتها بالواقع كما لم تعد ترى أيضا نموذج الباحث السوسيولوجي الذي يقع فريسة الوقائع و يغرق في الإحصائيات دون أن يهتم بتفسير هذه الوقائع و البحث عن دلالتها النظرية .

إن النتيجة هي ظهور كم هائل من الدراسات السوسيولوجية البيداغوجية الجزئية الخالية في اعتقادنا من أي خيال سوسيولوجي إذا كان استخدام تعبير " رايت ميلز " Mills أو تأمل سوسيولوجي إذا كان لنا أيضا أن نستخدم تعبير " ألفين جولدنر " Goldner . وهذه الدراسات تهتم إهتماما بالغا إما في جمع المعلومات النظرية و فقط، دون النزول الحقيقي للميدان بحيث أنها تستهلك جل مجهوداتها في جمع المادة العلمية النظرية و الباقي من المجهود تستنفذه في جمع المادة العلمية الميدانية. و النتيجة تكون دراساتهم و كأنها نماذج مثالية ترجعنا إلى ماكس فيبر و قبله، أما أنها تهتم اهتماما كبيرا في جمع المعلومات الكمية و الكيفية، وإهمال التحليل و التفسير السوسيولوجي، دونما اهتمام مواز بالكشف عن المعاني التي تنطوي عليها، و دونما الرجوع إلى التأسيس النظري للدراسة إلى درجة يصل بهم الأمر إلى الادعاء بفقر الاتجاهات النظرية لمعالجة بحوثهم و سيتحدثون أفكار بمفاهيم ساذجة و عامة لا أساس لهما من معرفة علمية ولا تتميز بأي خاصية للبحث العلمي و تكون نتيجة ذلك فقرا في المنطق و غموضا في الأفكار و الادعاء بالأصالة و الحداثة الرقمية الإحصائية و يكون هذا على حساب التحليل السوسيولوجي و البحث عن الحقائق الظاهرة و الباطنة .

ولكي لا نكون مثل الباحثين الحرفيين الذين يخضعون لطغيان عبودية المنهج و الأدوات و بدون وعي كامل حتى يصبحون عبيدا للمنهج و النظرية. دون أن يكونوا أسيادا لها، فإن موضوع الإنتاج العلمي هو جملة من الأفكار و التصورات و الحقائق التي أنتجها الفكر في مرحلة معينة و انطلاقا من واقع معين، فإذا كانت تحمل الصدق في هذه المرحلة، فإنها ستكون محل نقد و دحض و تشكيك و إعادة تقييم لمصادقيتها سواء بتغير المكان ولذا فإذا استعملنا نظرية ما في واقع مغاير لذلك الواقع الذي أنتجها فإنه ليس هناك من بد على الباحث أن يضع مقولات و تصورات هذه النظرية أو تلك محل هذا الواقع الجديد ليس للتأكد من مدى علميتها بل لتحديد مدى مناسبتها للواقع المدروس من جهة لتأطير و توجيه عملنا الميداني حتى يكون كل ما نقوم به يحمل مميزات العمل العلمي و تصوراتها ولكي نكون في قائمة الباحثين الذين يخضعون خضعا و بدون وعي لعبودية

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

النظرية ومفاهيمها ومنهجياتها وتصوراتها، ولكي نكون في قائمة الباحثين الذين يحدونها كمحددات لتصوراتهم العلمية وموجهات تبصر لهم أمور الدراسة ولكي لا نكون كأولئك الباحثين الذين يعيشون في حالة اغتراب واستلاب علمي. كمثال الأشخاص المهاجرين من القرى والبادي والداخلين للمدينة الحضرية، الذين يصابون بحالة اغتراب عن وضعياتهم و ثقافتهم الأصلية واستلاب لثقافتهم السابقة .

ولكننا هنا نرفض النظر إلى المسلمات المنهجية الضيقة، والمنطلقات النظرية الواسعة والشائعة في السوسيولوجيا واستعمالنا للخيال السوسيولوجي بربط الواقع بالأفكار ربطا إبداعيا في أطر علمية جدلية تتيح لنا في وقت واحد الاقتراب والابتعاد عن موضوع الدراسة ومعنى هذا أننا نتخذ موقفا مزدوجا كارتباطنا بالحقل الصوفي ومدى تأثير التربية الروحية على نشر ثقافة السلم الاجتماعي في أوساط مريديها.

تفرض الدراسة ضرورة التموضع في خلفية أو خلفيات نظرية تشكل لنا القاعدة الموجهة للدراسة حتى تكون لها مشروعية الانتماء إلى توجهات نظرية مشهودة لها بفاعليتها في السوسيولوجيا، تساعدنا على التحليل ثم التفسير بعد تحقيق الفهم، وتمدنا بإطار تصويري يساعد على تحديد الأبعاد والعلاقات التي ندرسها، كما تحدد لنا مسار واتجاه البحث وتمدنا بالسياق الذي يجري البحث في إطاره، بحيث نستخدمها كاستراتيجيات بحثية تقدم لنا نماذج من المفاهيم والأفكار تساعدنا في الشرح والتحليل والتفسير السوسيولوجي. ففي اعتقادنا أن أول خطوة والتي نعتبرها جوهرية وأساسية في أي عمل في هذا المستوى، أن يكون الباحث على وعي تام بكل الاتجاهات والأطر النظرية التي تحيك وتتعلق بموضوع بحثه. وهذا ما قمنا به طيلة الدراسة وبما أن دراستنا تبحث في تأثير التربية الروحية للطرق الصوفية على نشر ثقافة السلم الاجتماعي لدى مريديها، فإننا قمنا بمعية الأستاذ المشرف — : ربط متغيرات التربية الروحية للطرق الصوفية بالتغيرات الحاصلة في سلوكيات الأتباع من خلال استحداث علاقات وتفاعلات ومعاملات وظهور سلوكيات وأفعال اجتماعية ببيئتهم الفيزيائية، أي دراسة مدى تأثير التربية الروحية للطرق الصوفية على السلوكيات السلمية للفرد في بيئته مع رفاقه المتصوفة وخارجها في مجتمعه مع المختلفين معه فكريا وهذا ما يدعوننا إلى دراسة التربية الروحية للتصوف والمجال الصوفي والزوايا والسلم في المجتمع وتأثير هاته التربية على سلوك المريدين في المجتمع في دراسة من الجانب التربوي لهذا الحقل السوسيولوجي.

المدخل الخلدوني: لقد حرص المصلح الاجتماعي والتربوي ابن خلدون على تحديد منهج خاص بالتربية ذلك المنهج الذي لا تختلف أسسه ومبادئه عما يدعو إليه علم اللسان التربوي الحديث، بل يتميز عن المناهج الجديدة ببساطته وتدرجه في المعرفة واستناده إلى الحفظ والذكر، وتمسكه ببساطة المعلم، وبنظام صارم للثواب والعقاب. وتظهر معالم منهجه التربوي في الطريقة الناجعة التي رسمها في تعليم الناشئة، وفي تحديده للآداب والشروط الواجب توفرها في المعلم والمتعلم، فقد أكد صراحة أن عملية التعلم والتعليم طبيعية في العمران البشري فالإنسان متميز عن سائر خلق الله بالفكر الذي يهتدي به، فهو تواق إلى تحصيل ما ليس عنده من

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

الإدراكات، فينشأ عن ذلك موقف تعليمي. وتقوم عملية التعلم عادة على ثلاثة أعمدة، وهي المعلم والمتعلم والطريقة. وتحقق الأهداف التربوية والتعليمية بمقدار ما يتوفر لهذا الموقف التعليمي من شروط. ذلك أن التعلم عموماً هو (اكتساب العلوم واجتلابها إلى القلب). "قال ابن خلدون: "اعلم أن العلوم البشرية خزانتها النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الإدراك الذي يفيدها ذلك الفكر المحصل لها التصور للحقائق أولاً، ثم بإثبات العوارض الذاتية لها أو نفيها عنها ثانياً...". وفي ضوء هذا أورد ابن خلدون أثناء تحديده للمنهج التربوي السليم شروطاً دينية وديونية ينبغي على المعلم والمتعلم التحلي بها، حتى تكون عملية التعليم ناجحة، ومثمرة فمن البديهي أن الإنسان لا يتعلم أية خبرة أو مهارة فكرية إلا إذا كان حاصلاً على الشروط اللازمة للقيام بمثل هذه العملية.

المدخل الدوركايمي: إن تصور إميل دوركايم للتربية كظاهرة سوسولوجية لا ينفصل عن تصوره العام للظاهرة الاجتماعية، وهي أن التربية تتميز باستقلالها عن الفرد وبأسبقيتها عليه وعموماً فهي تتسم بخاصية الخارجية والقهر، لأن النظام الاجتماعي يفرض معايير أخلاقية وعادات تربوية يلزم الأفراد والجماعات بالامتثال لها والتكيف معها وإلا تعرضوا بفعل ذلك للعقاب، وفي اختلاف التربية حسب المستويات الاجتماعية ويمكن أن نقول أن إميل دوركايم يرى أن التربية تقتصر على الأجيال التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية وأنه جعل العلاقة تحدث بين شخصية الراشد والطفل، وأقر كذلك بأن غاية التربية في نظره ليست تكوين الفرد من أجل ذاته بل من أجل المجتمع في الدرجة الأولى، واعتباره التربية عملية حفظ التراث الثقافي ونقله من جيل إلى آخر.

مدخل التفاعلية الرمزية: المقاربة التفاعلية الرمزية: يعتمد هذا المنظور على معنى الرموز التي يطورها الناس خلال عملية التفاعل الاجتماعي، وتعود أصول هذه المقاربة إلى ماكس ووبر Max Weber، الذي اعتبر أن الأفراد يتصرفون وفقاً لتمثلاتهم وتفسيراتهم الخاصة لعالمهم. جاء بعده الفيلسوف الأمريكي جورج هيربرت ميد George Herbert Mead الذي قدم هذا المنظور الجديد نسبياً إلى علم الاجتماع الأمريكي وذلك في سنة 1920، حيث اعتبر أن النظام الاجتماعي هو نتاج الأفعال التي يصدرها أفراد المجتمع، بمعنى أن المعنى ليس مفروضاً عليهم، إنما هو موضوع خاضع للتفاوض والتداول بين هؤلاء الأفراد وتركز هذه النظرية أيضاً في شقها التربوي على مختلف التفاعلات في العملية التعليمية داخل الوسط المدرسي ومخرجاتها أو نتائجها فعلى سبيل المثال، يمكن القول أن التفاعل بين الطلاب والمدرس يتيح لهذا الأخير التنبؤ وتوقع سلوكيات المتعلمين المستقبلية "teacher expectancy effect" من حيث مستوى مردودهم أو المشاكل التي تواجههم وهو شيء إيجابي جداً إذا ما تم تقويم هذه السلوكيات وتشجيع الطلاب المتعثرين .

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

ثانياً /الإطار المنهجي للدراسة : يتوجه الباحث إلى ميدان الدراسة مزوداً برصيد نظري وأدوات وتقنيات منهجية متعددة تبدأ له متناسقة لأن ما يميز المعرفة العلمية للظواهر الاجتماعية أنها معرفة منهجية، قضاياها وفرضياتها وتحليلاتها تُستمد من واقع الظواهر، باستخدام مناهج وأساليب علمية، بأدواتها وتقنياتها من ملاحظة مقابلة واستبيان، سجلات وتقارير إدارية، كما أن عملية البحث عملية معقدة وشاقة تستلزم الكثير من الجهد المنظم والفحص والتقصي الدقيق والتحليل والتفسير النزيه إذا كان الفهم صحيح ومتوقف هذا على طبيعة ميدان الدراسة لأن مجرد احتكاك الباحث بمجتمع البحث تظهر بعض المتغيرات التي تحط من عزيمته وتجعل من عقلنة الواقع والوصول إلى الحقيقة أو الاتفاق حولها أمراً بعيد المنال بعض الشيء، فإلمام الباحث بكل عناصر الظاهرة أو الموضوع محل البحث باستقراء كامل أمر صعب نوعاً ما، نظراً لتعدد المتغيرات الفاعلة في الظاهرة وصعوبة لإدراك الكامل لكل المتغيرات وما يصعب ذلك العوائق والعراقيل والصعوبات الموجودة في ميدان البحث وهذا ما رآه "جورج بالانديبي" و"آلان توران" في أن واقع وميدان البحث في العالم الثالث معيق للباحث ولعل من أهم هذه العوائق صعوبة تحقيق قاعدة السير، أي أننا اجتهدنا في البحث عن المرئيين أتباع الطريقة التيجانية والشاذلية والبحث عن المرئيين الملتزمين الذين تتحقق فيهم مواصفات العينة، بالإضافة إلى بعد مقر الزاوية التيجانية عن مقر السكن وتعدد أماكن التقائهم بالإضافة إلى عدم معرفة انتهاج المرئيين للمنهج الصوفي قديماً أو حديثاً وهذا ما جعل لنا صعوبة في معرفة أقدمية المبحوثين، خصوصاً وأن عينة بحثنا قصدية غرضية ، وأنه بالرغم من هذا العدد الواحد من العراقيل التي واجهتها، وهذه الحثيات وغيرها، دفعتنا إلى تكييف مناهج وأساليب وأدوات وتقنيات بحث، بما يستجيب لهذه الظروف ولتطلبات الدراسة، وهذا ما يبدوا في اعتمادنا على المنهج العلمي وتقنياته البحثية.

1- المنهج المستخدم:

تدخل دراستنا ضمن البحوث الوصفية الكيفية التي تهدف إلى اكتشاف الوقائع والظواهر ووصفها وصفاً دقيقاً، وتحديد خصائصها تحديداً كفيها، والتي تهدف إلى:

- الاستكشاف: والذي نقوم به عند رغبتنا في خلق أفكار وحقائق جديدة عن مشكلة.
- الوصف: وهذا بوصف مميزات وخصائص الظاهرة موضوع الدراسة والأسباب الموجهة لها والعوامل المتحكمة فيها وتعدى هذا إلى.
- التحليل و التفسير: وهنا نكون مهتمين بتوضيح ماهية (الطبيعة والمضمون)، ومن (الأطراف) إلى متى (المدة الزمنية)، وكيف (آليات الحل)، ولماذا أن الظاهرة حدثت بهذا الشكل في هذا المجال ولم تحدث في غيره و بعد ذلك نخلص إلى:

- الفهم: وهو الفهم الدقيق لمجريات الظاهرة موضوع الدراسة ولظواهرها ولباطنها وحينها نصل إلى
- التنبؤ والتوقع: وهو إذا توفرت ظروف محددة، أي إلى ماذا آلت و ستؤول الظاهرة، وبالتالي نصل إلى

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

- التأثير: وهذا بمعنى تطبيق نتائج البحث إذا سنحت لنا الفرصة.

المنهج العلمي هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لإكتشاف الحقيقة للإجابة على الأسئلة والاستفسارات التي يثيرها موضوع البحث وهو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل إلى تلك الحقائق وطرق اكتشافها¹، ولأن المنهج العلمي أسلوب للتفكير فقد اعتمدها لتنظيم الأفكار وتحليلها وعرضها من أجل الكشف عن المعارف والحقائق، وبالتالي الوصول إلى حقائق معقولة وإلى إنتاج معرفة علمية . وعليه فإن موضوع البحث هو الذي يفرض على الباحث استخدام منهج دون غيره، لذلك تختلف المناهج باختلاف طرح الموضوع وحتى تتمكن من دراسة مشكلتنا دراسة علمية، فإن تحديد المنهج يعتبر خطوة هامة وضرورية ونظرا لطبيعة المشكلة فإن المنهج الوصفي هو المنهج الملائم للدراسة .

1.1 المنهج الوصفي:

اعتمدنا في الدراسة على المنهج الوصفي في تجميع البيانات والمعلومات والذي نسلكه في تحليل وتبيان الحقائق بحيث استعمال لإيضاح السبيل وتنظيم الأفكار، إذا هو المنهج الذي يتضمن الحقائق الراهنة بطبيعة الظاهرة وهو أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف مشكلة أو ظاهرة معينة وتصويرها عن طريق جمع المعلومات الكمية والكيفية وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة تم استخدامه لدراسة الأوضاع الراهنة للمشكلة لأنه يقوم برصد ومتابعة دقيقة للمشكلة وأسلوب كيفي في فترة زمنية محددة وفي مكان معين وذلك من أجل التعرف على تأثير التربية الروحية في ترسيخ ثقافة السلم الاجتماعي لدى أبناء مريدي الطرق الصوفية محل الدراسة؟.

وما طبيعة الدور الذي تؤديه هذه الطرق في تنشئة أبناء الأسر المنتمين إليها وهل توجد أساليب تربوية معينة تعتمدها هذه الطرق الصوفية؟ هل يعمل الآباء المنتمين للطرق الصوفية في ترسيخ قيم وقواعد أخلاقية لأبنائهم ويتحدثون معهم عن نهي الإسلام وأوامره فيما يخص التسامح والسلم والعفو في أوقات كثيرة حتى ترسخ في ذهنهم؟ هل ينقل مريدي هذه الطرق القيم الدينية التي تلقوها من علماء مسالكهم ومناهجهم التربوية في تنشئة أبناءه؟ كما تم استخدام هذا المنهج سعيا منا للوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتصويره. تتكون الاستراتيجية المنهجية في جملة مسائل تشير في مقدمتها طرق وأساليب البحث المعتمدة في سير الواقع وقراءته، فالمنهج الوصفي يشتمل على مجموعة من أساليب البحث العلمي التي تستخدم في البحوث العلمية وقد توقفت الدراسة مع استخدام أسلوب من أساليب المنهج الوصفي نراه مناسب وهو:

1.1.1 أسلوب دراسة الحالة :

دراسة الحالة أسلوب يدخل ضمن البحوث والمناهج الوصفية، وقد نجد في بعض كتابات المنهجية أن دراسة الحالة يعتبر كمنهج قائم بذاته على أساس الاهتمام بدراسة الوقف الكلي للظاهرة محل البحث والتقصي، مع

1- محمد شفيق، البحث العلمي، المكتبة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001، ص 86.

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

النظر إلى مكوناتها من خلال علاقتها بالكل الذي هي واحدة منه و على جانب آخر نجد كتابات أخرى في المنهجية ترى بأن دراسة الحالة لا تتعدى كونها مجرد أداة يعتمد عليها بصفة أساسية في جمع البيانات والمعلومات، وفي جانب ثالث نجد من يعتبر دراسة الحالة أنها عبارة عن إحدى الوسائل والأساليب المستخدمة في البحوث العلمية والتي تدخل ضمن منهج شامل ونحن في دراستنا ننتهج التي تقول بأن دراسة الحالة هي أسلوب من الأساليب المنهجية المساعدة في جمع البيانات وتحليلها ونطلق من منطلقات عالم المنهجية " هويتي " Whittey الذي لم يذكر دراسة الحالة كمنهج ولا كأداة، وإنما رأى بأنها أحد النماذج المتميزة للمنهج الوصفي، وذلك تكون دراسة الحالة وسيلة وأسلوب علمي من أساليب جمع المعلومات المستخدمة في البحوث العلمية، ويقصد هنا بالأسلوب أنه لا يرتقي إلى مستوى منهج، ولا يعامل معاملة الأداة، بمعنى أنها تحقق بعضا من أهداف المنهج وتتبع في ذلك عددا من خطوات البحث العلمي وحتى نؤكد على صحة ما انتهينا إليه باعتبار دراسة الحالة أسلوب وليس منهجا ولا أداة ونذكر هنا ما ذكره عالم المنهجية " ماركينز " Marquis عن دراسة الحالة في أنها تأخذ بعض الخطوات من خطوات المنهج العلمي وهي (مراجعة المعلومات إما عن طريق البيولوجرافيا أو الأفراد والقيام بالملاحظات الأولوية للوقائع محل الدراسة والقيام بمقابلات معمقة، تطبيق النتائج التي يتوصل إليها).

وبالتالي فدراسة الحالة تندرج ضمن المنهج الوصفي كأسلوب يستخدم لتنسيق وتحليل البيانات والمعلومات التي يتم جمعها عن التربية الروحية وعن الطريقة الصوفية والزواية التي يرئادها المريد (أنماط التربية والتنشئة الصوفية السلوك السلمي، تعاملات المريد مع رفاقه ومع الآخرين،...)، تقوم على أساس الاهتمام بدراسة تأثير التنشئة الصوفية بصفتها الكلية، ثم النظر إلى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل، وبعبارة أوضح تقوم بدراسة التربية الروحية للطرق الصوفية وتأثيرها على سلوك مريديها في المجتمع ثم النظر إلى الجزئيات والعناصر التي تحويها من حيث علاقتها ببعض البعض وبالكل، يقول فيه عبد الباسط محمد حسن بأنه " الأسلوب الذي يتجه إلى جمع المعلومات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء كانت فردا أو أسرة أو جماعة أو مؤسسة أو مجالا أو نطاقا اجتماعيا معنا " ¹.

يتميز هذا الأسلوب بالعمق، أكثر مما يتميز بالاتساع في دراسة الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية كما يتميز بالتركيز على الجوانب الفريدة من حياة الوحدة المدروسة كدراسة مسألة التربية الروحية للطرق الصوفية والسلوك السلمي للمريدين وبهذا فإننا قمنا بتطبيق هذا الأسلوب العلمي في جمع البيانات والمعلومات عن الطريقة الصوفية التيجانية والطريقة الصوفية الشاذلية ودراسة حالة الطريقتين من الجوانب التربوية والاجتماعية والثقافية إذأ دراسة الحالة وفقا لما سبق من شرح وتصور ليست منهجا ولا أداة ، وإنما هي طريقة علمية قد تتضمن عدة

1- عقيل حسن عقيل، فلسفة مناهج البحث، مكتبة مدبولي للطباعة و النشر، القاهرة، 1999، ص 129.

أدوات لجمع المعلومات في الدراسات العلمية، كما أنها قد تتكامل مع غيرها من طرق البحث العلمي الأخرى ولا سيما المسح الاجتماعي، وقمنا باستخدامها على هذا الأساس الأخير .

يطلق على دراسة الحالة مصطلح (المونوغراف) باللغة الفرنسية Monograph أي وصف موضوع مفرد ويقصد بها علماء الاجتماع الفرنسيين القيام بدراسة وحدة واحدة مثل الأسرة، أو القرية أو المصنع أو التنظيم دراسة مفصلة ومستفيضة لكشف جوانبها المتعددة والوصول إلى تعميمات تطبق على غيرها من الوحدات المتشابهة .

من الملاحظ أن المنهج الوصفي بأسلوبه في الدراسة، هو الذي رسمنا خطوطه من خلال امتلاك أدواته وتقنياته المنهجية التي تمكننا من فهم مشكلة الدراسة، ثم تحليلها وتفسيرها انطلاقاً منها، وتمثل هذه التقنيات والأدوات فيما يلي :

2. أدوات جمع المعلومات:

تشكل أدوات جمع المعلومات للباحث وسائل لإنتاج المعرفة، التي يعمل بواسطتها على دراسة الواقع وفهمه فهما علمياً دقيقاً، وليس فهم حدسي وتخميني، ومن ثمة تحتل هذه الأدوات أهمية خاصة وأساسية في عملية الإنتاج المعرفي، فلا بد على أن يمنحها حقها من العناية والتدقيق والجدية في اختيارها واستعمالها حتى تكون ذات فعالية في تحقيق الأهداف المتوخى منها، وفعالية هاته الأدوات والتقنيات يتوقف على كفاءتها من جهة أولى، وحتى من استعمالها من جهة ثانية ومصداقية توظيفها من جهة ثالثة، ومن هذا المنطلق اعتمدنا في الدراسة الاستكشافية والميدانية على مجموعة من الأدوات التي نعتقد بأنها متكاملة في ما بينها وتخدم بعضها البعض وتخدمنا من أجل تحقيق الهدف، فالأدوات والتقنيات المستخدمة في الدراسة كما يلي

1.2 تقنية الملاحظة :

يجمع الباحثون على أن الملاحظة كأداة تعتبر من أهم الأدوات الرئيسية التي تستعمل في البحث العلمي ومصدراً أساسياً للحصول على المعلومات اللازمة لموضوع الدراسة، فالملاحظة هي المعاينة المباشرة للظاهرة كما تعني المشاهدة أو المعاينة المباشرة لأشكال السلوك وأنماط التفاعل، وكذا الأنماط المعيشية كالنمط التربوي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني والتي تكون بأسلوب علمي منظم ومنتظم بغية التعرف على الظواهر والأحداث والسلوكيات، والمظاهر الظاهرة والخفية في موقف معين ووقت ومكان محددين، ولذلك يرى " أوغست كونت " Konte، أن ملاحظة الوقائع هي القاعدة العلمية الوحيدة لإنتاج المعارف الإنسانية " اعتمدنا في محاولتنا لفهم مجتمع الدراسة على الملاحظة المباشرة البسيطة منها والمنظمة، ليتحدد بها معنى الواقع وتبرز الإطار التربوي للطرق الصوفية محل الدراسة وتأثيره على سلوك المرشدين في المجتمع، لأنها تساعد على فهم الأحداث والوقائع والمظاهر والطبائع والسلوكيات والأفعال الاجتماعية، فقد استعملناها قصداً وبدليل لها يتضمن النقاط والمواضيع المتوقع ملاحظتها، ففي جولتنا العلمية وفي إطار البحث في الزوايا موضوع الدراسة تم

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

ملاحظة الطرق المعتمدة في التنشئة الصوفية وتأثيرها على ترسيخ ثقافة السلم الاجتماعي لدى أبناء المريدين والأدوار التي تؤديه هذه الطرق في تنشئة أبناء الأسر المنتمين إليها والأساليب التربوية التي تعتمدها هذه الطرق الصوفية والوسائل والسبل التي يطبقها الآباء المنتمين للطرق الصوفية في ترسيخ قيم وقواعد أخلاقية لأبنائهم تخص التسامح والسلم والعفو في أوقات كثيرة حتى ترسخ في ذهنهم ونقل مريدي هذه الطرق القيم الدينية التي يتلقونها من علماء مسالكهم ومناهجهم التربوية في تنشئة أبناءهم والسماح والسلوكات التي تتسم بها حياة المريدين في المجال الصوفي وتحديد طبيعة المريدين وعقلياتهم وتصوراتهم وحتى طرق الحديث واللباس والتعامل مع الأبناء والمشايخ، حتى يتسنى لنا معرفة أسلوب التنشئة الصوفية وتأثيرها على سلوكات المريدين في المجتمع. وفي سعينا للجمع بين أداة المقابلة وتقنية الملاحظة، كان استخدام هذه الخبرة لمراقبة المعلومات التي نتحصل عليها أثناء المقابلات، كما يمكن استخدام المقابلة للحصول على المعلومات عن بعض الحقائق التي نقوم بملاحظتها كما ساهمت البيانات والمعلومات الأولية التي جمعناها من خلال هذه التقنية في تحديد الخصائص التي قمنا على أساسها بعملية المعاينة والتدقيق في بلورة أسئلة الاستبيان، وتم توظيف المعلومات المجتمعة عن طريق الملاحظة في بناء حالة التنشئة الصوفية والأساليب التربوية التي تعتمدها هذه الطرق الصوفية كما تم توظيفها في بناء إشكالية البحث، و تجميع أسئلة الاستبيان، كما قمنا بتوظيف المعلومات المجتمعة عن طريق الملاحظة في التحليل السوسولوجي للجداول الإحصائية وكل هذا لكي نكون ذلك الباحث الذي يشير إلى استعماله للتقنيات والأساليب البحثية ولا يوظف أي من معطياتها في تحليلاته البحثية .

2.2 تقنية المقابلة :

تعتبر المقابلة من الأدوات الأساسية الأكثر استعمالا في الدراسات الإمبريقية وذلك لما توفره من بيانات ومعلومات حول الموضوع المدروس، وتعرف بأنها: " ذلك النمط أو الأسلوب المتخصص للاتصال الشخصي والتفاعل اللفظي الذي يجرى لتحقيق غرض خاص ويركز فيه على بيانات ومعلومات خاصة ويستبعد ما عداها من المعلومات الغريبة أو الدخيلة وغير الجوهرية في الموضوع، هذا بالإضافة إلى أن المقابلة هي نوع من التفاعل الذي يكون فيه دور كل من المقابل والمستجيب دورا متحددا يتوقف على خصائصه الخاصة على غرض المقابلة، أو الطابع الغالب عليها"¹.

إن استعمالنا للمقابلة في هذه الدراسة لم تكن أداة رئيسية في جمع المعلومات، إنما كأداة مساعدة، الهدف منها جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات، من أكبر قدر ممكن من المبحوثين المستجوبين، وهذا بغرض الكشف عن الحقيقة عن كتب، فقد تم إجراء مقابلات في شكل حوارات ومناقشات ومحدثات موجهة بين الباحث والمبحوث وجها لوجه بهدف الوصول إلى الحقيقة، يبدأ الحوار بخلق علاقة وثام بتهيئة المبحوث نفسيا وتبديد مخاوفه وشكوكه إزاء الباحث وأهداف البحث خصوصا عندما كانت تدور حول موضوع في منتهى الحساسية

1 - عبد الله محمد الشريف، مناهج البحث العلمي، مكتبة الإشعاع للطباعة و النشر الإسكندرية، 1996، ص126.

فإن الخوف والحذر الشديدين من قبل الباحث وعدم الثقة من طرف المبحوث، في أن الكثير منهم مع العلم المؤكد بأنهم من ذوي انتماء صوفي يتوانون في التصريح بانتمائهم، فهم يسعون إلى التغليف من أنهم ينتهجون منذ مدة زمنية طويلة هذا المنهج وعدم التصريح بحقيقة ذلك، والسبب في ذلك أن المنتمون لطوائف أخرى يكونون العدا للمتصوفة وعدم ثقة المريرين فيمن يسأل عن هذه العلاقة أو عن أمور تمس النظام أو الدولة وهذا راجع للتعصب ونبد الآخر في غالب الأحيان، هذا ما استدعى منا استعمال أساليب تمهيدية تمكننا من الوصول إلى الحقيقة والتي نذكر منها :

- إقامة علاقات ودية مع المبحوثين انطلاقا من علاقات الوساطة، لكي تتم الثقة وتعريف المبحوث بالباحث وبأهداف البحث، وإقناعهم بالأهمية العلمية والعملية لها كل هذا من أجل كسب معونتهم لنا ورضاهم وضمان إجاباتهم على الاستفسارات والأسئلة والتساؤلات، والرد على كل الأسئلة .

- التفاعل الرمزي مع المبحوثين أثناء المقابلات أي أننا في محاولتنا للوصول إلى الحقيقة، وإن اقتضت الضرورة إجراء تمثيلا اجتماعيا أي أننا جهدنا انفسنا في ارتداء اللباس الصوفي أو التهجي باللهجة المحلية أو لهجة سكان الارياف أين تتواجد الزاوية التيجانية، بمعنى عدم التكلف في ارتداء اللباس الرسمي، أو إظهار بعض السلوكات الرمزية وبعض الأنماط التعاملية وكل ذلك بقصد كسر حاجز الصمت وجمع أكبر قدر من المعلومات وبما أننا وجدنا صعوبات عديدة في السماح لنا أصلا بإجراء مقابلات مع بعض المبحوثين والهرب منها إن كانت المعلومات المقدمة من طرفهم في الغالب تكون بتحفظ وتزمت كبيرين وبخاصة الاسئلة التي تمس النظام لذلك دعنا الضرورة إلى استعمال كرة الثلج، أي أن كل مرير يضع ثقته فينا أو نعرفه من قبل يدلنا ويوجهنا ويوصي علينا إلى مثيله من المريرين وفي هذا اعتمدنا أول بأول على الاتصال بالأصدقاء الصوفيين وإجراء مقابلات استكشافية مع بعض المعارف الشخصية للذين نعرفهم من قبل أو تعرفنا عليهم أثناء إجراء الدراسة الميدانية، وفي بعض الأحيان نقوم بمقابلات جماعية وبخاصة في الزاوية التيجانية التي يتلاقون فيها مريرها يوميا بعد صلاة العصر مع شيوخ الطريقة أو بزقاق الحجاج في مقر الزاوية الشاذلية يوم الخميس مساء وكانت في شكل حوار ودي وصريح تحدثنا فيه عن اساليب التربية الروحية الصوفية وتأثيرها على سلوكات المريرين مع رفقاتهم ومع المختلفين معهم فكريا. هذه الأساليب وغيرها ممن لم نسردها زودتنا بمعلومات قيمة وإضافية كانت دعما للمعلومات التي تحصلنا عليها من المبحوثين أنفسهم أو من مبحوثين ثانويين ليسوا في نطاق الدراسة والذين استفدنا من معلوماتهم وتوجيهاتهم ابتغاء منا للوصف الدقيق للظاهرة أو المشكلة واستكشاف الرؤى والنظرات والتصورات الجديدة والمتنوعة حول الجوانب المتكشفة والضمنية وسير أغوار المشكلة التي نبحث فيها بعمق و تدقيق كبيرين . وقد استخدمنا تقنية المقابلة الحرة و المفتوحة لكونها تتمتع بجملة من المزايا بحيث :

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

- أمكن استخدامها في المجالات التي يصعب فيها استخدام استمارة المقابلة لحساسية الموضوع بحيث أن الكثيرين يتخوفون من تسجيل أو تدوين حديثهم على سجل أثناء المقابلة، بحيث كانت المقابلة مشافهة بدون كتابة من أجل كسب ثقة المبحوث فينا وتفتحه معنا.
- وقرت لنا عمقا في الإجابات، مع إمكانية التوضيح والاستفسار، وكان هذا بعد الحوار الطويل بين الباحث والمبحوثين.
- توفرها المؤشرات وملامح غير لفضية، تعزز الإجابات، وتوضح الانفعالات والسلوكيات و المظاهر.
- ارتفاع نسبة الردود مقارنة مع غيرها من الأدوات.
- لمرونتها، بحيث كانت في استطاعتنا السؤال عن قضية وتفسيرها أكثر من مرة والتأكيد عليها للحصول على معلومات محددة من قبل المستجيب، وخاصة إذا كان سوء فهم من قبله، أو حين خروجه عن إطار الموضوع المناقش فيه.
- التلقائية، ونعني بها قدرتنا على التسجيل الآني والبعدي للإجابة المباشرة والعفوية للمستجيب فغالبا ما كان أسلوب التسجيل بعد تقنية الملاحظة والمقابلة، وأحيانا حرني لكل ما يدلي به المبحوث أثناء المحادثة ويتوقف هذا على حسب الموقف وطبيعة المقابلة ومدى وجود جو ملائم ومريح لنا والمبحوث للكتابة وذلك بتناول كل ما هو واضح وموجود وواقعي والتنحي عن القول الزائف وغير الواقعي كلية بحيث جاء بناء الحالات والتحليلات بطريقة المنقول المعالج، وذلك بنقل الحديث ليس نقلا حقيقيا ولكن بطريقة غير مباشرة، أي تحويل الحديث من حديث بسيط وعامي إلى حديث سوسولوجي، أي من مادة خام إلى مادة علمية محللة، وهذا ما يسمح لنا بإضافة بعض العناصر وتجميل العبارات وتوظيف الملاحظات وذلك بالمحافظة على العناصر الأساسية في الحديث، بحيث لو قرأ التقرير لقال هذا ليس ما قلته بدقة ولكن هو ما أردنا قوله بالذات وقمنا بتوظيف كل المعلومات التي استقينها من الميدان عن طريق تقنية الملاحظة وأداة المقابلة في بناء أسئلة الاستبيان وفي تحليلاتنا السوسولوجية وهذا ما سيأتي الحديث عنه في المبحث الموالي لهذا المدخل المنهجي.
- أما عن نوع المقابلات المستعملة في دراستنا فهي المقابلات الشخصية وليست لتشخيص نفسية المبحوث ودراسات حالاته وشعوره وانفعالاته وسلوكاته كما هو الحال في السيكولوجيا، وإنما مقابلات شخصية تهدف من ورائها تحديد المشكلة الموضوعية للدراسة تحديدا دقيقا وتشخيصا بعامة (حالات التغير والتبدل في التفاعلات والسلوكيات والأفعال الاجتماعية) وقد أجرينا مقابلات فردية مع شخص واحد ليشرح بالحرية في التعبير عن نفسه وعن آراءه وتصوراته وتوجهاته، بالموازاة مع هذا أجرينا مقابلات جماعية (مع جماعات المريدين المسنين، وجماعات من الشباب) كما استخلصنا معلومات قيمة تبقى فقط حسب حيلة الباحث السوسولوجي في إلغائها بالمرّة أو تحويلها و العمل بها وتحويلها من كلام عامي إلى تعبير سوسولوجي جيد وتؤسي في هذا بأنثروبولوجي واحد أصحاب مدرسة شيكاغو الإيكولوجية روبرت ردفيلد في بحثه حين قال

"أنا نسلم بأن رجل الكلام العامي زميل يعيش في المجتمع، وأن جانبا مهما من عمله في الحياة أن يعمل مع الناس". وهذا ما دفعنا إلى استشارة بعض الأطراف من مرتادي الزاويتين التيجانية والشاذلية من محبين ومعجبين ومتعاطفين والذين لا يخصصهم موضوع بحثنا في الموضوع، بصفتهم من أبناء المنطقة و يفقهون القضايا والتغيرات والمظاهر والمشكلات الاجتماعية المحيطة بالزاويتين ومتواجدين دائما بحما، أما تايلور يقول: "الرجل العامي هو الذي يفهم تلك الكيفية التي تعمل بها الأشياء وأنه هو الذي يقدم النظرة العامة للموقف وأنه هو الذي يدرك الفهم العام لهذا الموقف، وأنه مفتاح يفسره، وأنا كباحثين اجتماعيين مجرد محلي للبيانات وجامعين للحقيقة بين المبحوثين سواء تخصهم أو تخصنا".¹

3.2 أداة الاستبيان :

الاستبيان وسيلة من وسائل جمع المعلومات، يعتمد أساسا على استمارة تتكون من مجموعة من الأسئلة توزع بواسطة البريد أو توضع في شكل استمارة إلكترونية ينشرها الباحث في مواقع التواصل الاجتماعي أو تسلم إلى المبحوثين الذين تم اختيارهم لموضوع الدراسة، ليقوموا بتسجيل إجاباتهم عن الأسئلة الواردة فيها وإعادته ثانية ويتم كذلك بمساعدة أو بدون مساعدة الباحث للمبحوثين عكس المقابلة، سواء في فهم الأسئلة أو تسجيل الإجابات عنها، وتكتب هذه الأسئلة على ما يسمى باستمارة الاستبيان.²

استخدمت هذه الأداة كوسيلة رئيسة في جمع المعلومات المتعلقة بعناصر الدراسة الميدانية (المبحوثين) وأخذت الجهد والوقت الكبير من قبلنا في إعدادها، حتى تكون أداة فعالة وناجعة في جمع المعلومات الميدانية والمتعلقة بمتغيرات الدراسة، أبعادها والمؤشرات.

وكان لزاما علينا أن تكون هذه الأداة مطابقة ومحترمة للشروط التالية:

- أن تتضمن كل متغيرات الدراسة ومؤشراتها .
- أن تكون الأسئلة المطروحة دقيقة ومحددة وواضحة.
- أن تتضمن أسئلة طبيعتها مغلقة مفتوحة.
- أن تكون بدائل الإجابة عن الأسئلة متكاملة.
- أن تكون مقتضبة لكي لا تدخل الملل في نفوس المبحوثين.

* تم بناء استمارة الاستبيان في شكل أسئلة مغلقة مفتوحة، هي مزيج بين الأسئلة المغلقة والأسئلة المفتوحة تتضمن أسئلة ذات أجوبة وبدائل محددة ومعدة سلفا، وهذا بهدف الحصول على المعلومات بطرق مختلفة تدفع المبحوثين لاختيار واحدة منها فقط، وتعطي لهم الفرصة للتعبير عن آرائهم بدقة ووضوح، كما جعلناها

1 - أحمد خصر، اعترافات علماء الاجتماع (عقم النظرية و حضور المنهج في علم الاجتماع) ، دار النشر الدولي، الرياض ، بط، 1993، ص 158.

2 - عبد الله محمد الشريف ، مرجع سبق ذكره ، ص 123.

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

– الأسئلة – تتصف بالسهولة والوضوح حتى تكون في متناول المبحوثين وعلى حسب قدراتهم العقلية ودرجة فهمهم، حتى يمكنهم الإجابة عليها في الوقت اللازم للإجابة، وقد استخدمنا أداة الاستبيان لعدة أسباب نذكر من بينها :

– إنها تعتبر أفضل وسيلة لجمع المعلومات عندما يكون عناصر مجتمع الدراسة (المبحوثين) في أماكن مفتوحة ويصعب الاتصال بهم، وخاصة بعض الأشخاص الذين تعذر الاتصال بهم لعدم وجود قاعدة، فاعتمدنا الاستبيان على هؤلاء ممن لم تسنح الفرصة لمقابلتهم وتقديم الاستبيان شخصيا لهم .

– أنها تشمل لنا كل عناصر الدراسة من الأفراد المبردين في الزاوية التيجانية والشاذلية، وذلك بجمع البيانات عنهم ومعرفة آرائهم وتصوراتهم وميولاتهم وجمع البعض عن معلوماتهم الشخصية بصفتها المعلومات التي تنبني عليها تحليلات الدراسة ونتائجها، إن كنا قد جمعنا معظمها من خلال آرائنا الملاحظة والمقابلة .

– أنها تعطي الفرصة لكل المبحوثين للإجابة على كل الأسئلة بتريث، وتدقيق ومراجعة، بمعية الباحث.

– أنها تساعد في الحصول على معلومات حساسة من المبحوثين، قد يصعب جمعها عن طريق المقابلة أو الملاحظة.

تم توزيع الاستبيان على العينة المختارة قصدا وفق مقاييس ومعايير من مجتمع البحث، بمعنى أنه تم توزيعها على عينة الدراسة، وتتضمن الأسئلة التي تخص جميع المعطيات والمتغيرات المتعلقة بكل الفرضيات الجزئية الثلاث واحتواء هذه الاستمارة على ثلاثة وسبعون سؤال، والمعتمدة على الجوانب التالية:

1- بيانات أولية: وتضمنت أسئلة حول المستوى العمري والتعليمي والحالة العائلية، وطبيعة العمل والطريقة الصوفية المنتمي إليها وأقدمية انتهاج هذا الطريق.

2- محور مساهمة الآباء في ترسيخ القيم الدينية الصوفية: ويضم أسئلة حول اتباع أحد الوالدين للطريقة المتبعة وعلاقتهم بهذه الطريقة ومساهمتهما في اتباعك للطريق الصوفي والطرق المتبعة من طرف الآباء في سبيل الحرص على اتباع الطريقة المتبعة وتوجه الزوجة والافتداء بالأفعال والاقوال التي يقوم بها الوالد في ما يخص الطريقة المتبعة .

3- محور مساهمة الافكار والممارسات من خلال المطالعة في التهذيب الروحي: ويضم أسئلة حول الكتب التي يطلعها المرید والحرص على مطالعة كتب المتصوفة وعدد الكتب التي يراجعها المرید الخاصة بطريقته المتبعة والفائدة المرجوة من ذلك وأنواع الكتب التي قرأها الدينية والمواضيع التي تشد انتباه المبحوثين أثناء المطالعة والفائدة المرجوة من خلال مطالعة كتب التصوف والأمور التي يستفيد منها المبحوثين أثناء تصفح مواقع الإنترنت ومتابعة محاضرات ودروس مشايخ الطريقة والوسائل المعتمدة في الاستماع ومشاهدة المحاضرات.

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

4- محور الالتزام بالأذكار والاوراد: ويضم أسئلة حول الالتزام بالعهد الذي قطعته المبحوثين لشييوخهم بخصوص الورد والأذكار التي يذكرها المبحوثين في كل مرة والمواظبة على هاته الأذكار والاوراد والاقوات المفضلة لذلك فرادا أم مع الجماعة وتلاوة القرآن الكريم وتلاوة الحزب الراتب.

5- قيم المحبة والعدالة والعيش في كنف الجماعة: ويضم أسئلة حول حضور الاحتفالات والمناسبات الخاصة بالطريقة والفائدة المرجوة من ذلك واختيار المرید لصحبته في حياته الاجتماعية والمواضيع التي تناقش مع الاصدقاء من نفس السبيل وزيارة الاصدقاء والاحباب المنتمين للطريقة والتفضيلات في عقد الصداقات.

6- الاتجاه الفكري: ويضم أسئلة حول حب الوطن والفخر بالانتماء له وتقديم المصلحة العامة عن الخاصة والالتزام بالقوانين والمعايير الاجتماعية وعلاقة المریدين بالتغيرات الحاصلة في البلاد وابتناء المرید للتصوف عليه الموالاتة للسلطة الحاكمة وأن يدافع عن مصالح بلده والطريقة الصوفية ومشاركته أو عدمها في المشاكل التي تنشأ ضد أمور متعلقة بشؤون البلاد والانتماء السياسي والجمعي للمریدين والمشاركة في المظاهرات وعلاقة المریدين مع الآخرين غير المنتمين للتصوف وتصرف المریدين حيال خلاف مع منتمين لطائفة أخرى ونفسية المریدين حيال قضايا العنف ورأى المریدين في الجماعات التي تمارس العنف ودعوة الآخرين إلى السلم والأمن داخل المجتمع وقضية الاحتكام عند حدوث المشاكل وتصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم ودعوتهم من مناصبهم للسلم والأمن في المجتمع والنصح عند حدوث سلوكات عنف والإيمان بثقافة السلم ومستقبل وآفاق الطرق الصوفية.

- الفهم لتغيرات الدراسة، أبعادها ومؤشراتها من الجانب المفاهيمي والفكري للاستمارة .

- صدق البيانات وثباتها.

- مدى وضوح عبارات الاستمارة وتسلسلها المنطقي، ومدى شمولية المؤشرات المراد قياسها ميدانيا.

- مدى قابلية الأسئلة للفهم، ومدى استجابة المبحوثين لها .

- التأكد من عدم الغلط المنهجي والفكري واللغوي لأسئلة الاستبيان.

وعلى ضوء هذه الاختبارات، قمنا بإجراء تغيرات وتعديلات والضبط على الاستمارة التمهيدية من جراء وجود أخطاء مفاهيمية وتقنية تم استدراكها، بحيث تم إجراء ضبط وتعديل في الاستبيان وشملت العناصر التالية :

- التخلي عن بعض الأسئلة التي رأينا أنه لا داعي لها ضمن الاستمارة، لأنها لا تخدم الموضوع المدروس من قريب أو من بعيد، وإضافة البعض منها، والتي رأينا أنها تخدمه وتخدمه.

- التقليل من عدد الأسئلة، بحيث كانت الاستمارة التمهيدية تتضمن في مجملنا اثنان وثمانون سؤالاً في تسع صفحات، وبالتالي ضبطناها في ثلاثة وسبعون سؤال في خمس صفحات.

- شكل الأسئلة التي كانت مهمة ومعقدة وعلمية، بحيث تم تبسيطها إلى أقصى ما يمكن، ووضع إجابات بديلة لها، محددة ومضبوطة لتسهيل الفهم والاستيعاب.

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

- إضافة المبحوثين لبعض البدائل، وبعض الاستفسارات وكذا لبعض الأسئلة بإجاباتها، رأينا أنها مهمة وضرورية لإدراجها ضمن استمارة الاستبيان.

- وقد تم توزيع استمارات الاستبيان وجمعها وفق طريقتين: الأولى توزيع الاستبيانات شخصيا أثناء الدراسة الميدانية، أي أثناء إجراء مقابلات مع المعنيين بذلك، وكان هذا على نطاق واسع، أما الباقي الذين لم تسنح الفرصة لضبطهم فطبقتنا عليهم الطريقة الثانية والتي تمت بتقديم البعض من الاستبيانات للزملاء الباحثين معنا بحيث قمنا باختيار لجامعي المعلومات وقد تم إخضاعهم لتدريبات علمية وعملية بسيطة على كيفية توزيع الاستبيان وتعبئته بأنفسهم على من سنحت لهم الفرصة لمقابلتهم خاصة مع المبحوثين من التركيبة العمرية وبخاصة مبحوثي الطريقة التيجانية لبعدهم عن مقر الزاوية على مقر السكن وصعوبة التنقل إلى هناك، لذلك تم الاستعانة بزميل أعرفه معرفة شخصية يقيم بالقرب من مقر الزاوية بغرض تعبئة الاستمارة عن طريق المقابلة الشخصية على عينة من مبحوثي الطريقة التيجانية، وتقديم الاستبيان لبعض المبحوثين بغرض تقديمه لمبحوثين آخرين من أتباع الطريقة الشاذلية .

إن استعمال أكثر من أداة واحدة لجمع المعلومات والبيانات قد يكون أمرا مرغوبا فيه، وذلك للتقليل من عملية التحيز، والحصول على المعلومات والبيانات الكافية، خصوصا وأن موضوع دراستنا واسع ومتشعب وعميق، بالإضافة للأدوات المنهجية السابقة استخدمنا المجالات والوثائق الإدارية كطرق لجمع المادة العلمية ميدانيا .

4.2. البيانات الجاهزة:

في حرصنا على الاقتصاد في الوقت والجهد والإمكانات في عملية البحث والجمع للمعلومات ثانيا من أهم الدوافع التي جعلتنا نفكر في استخدام بيانات في متناول اليد جاهزة والمعدة لأغراض غير أغراض البحث العلمي، وإنما أغراضها تتعلق بالمؤسسة التي قامت بجمع هاته المعلومات والبيانات وتأخذ البيانات الجاهزة صورا متعددة من أهمها السجلات الإحصائية التقارير الإدارية الرسمية الموجودة في المؤسسات العمومية والوزارات .

استخدمنا هذه الأدوات في جمع المعلومات بالتعريف بمجال الدراسة المكاني والبشري فبالإضافة إلى الملاحظة والمقابلة والاستبيان، تم استعمال الوثائق والمصادر المختلفة (المطبوعة والإلكترونية) التي تضم المعلومات والمصادر، كما تم الاعتماد على الوثائق والمقالات والكتب في مجال تاريخ المنطقة وسيرورتها التاريخية حول تاريخ الزوايا وأهم الطرق الصوفية بالمنطقة والتي تم اقتناؤها من المكتبات البلدية ومكتبات الجامعة وقد تم الرجوع إلى العديد من الوثائق والمستندات والاستفادة من محتوياتها، ونذكر منها ما كتب في تاريخ التصوف وأهم الطرق الصوفية بالمنطقة والسلم والأمن في الجزائر وهذه كلها تساعد في إعطاء صورة سليمة للموضوع المعالج. إن هذه الأدوات في الحقيقة استحسناها كثيرا، لأنها تعطي تكييفنا وتكميما واقعا لمجتمع الدراسة

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

المكاني والبشري، وكانت مساعدة على فهم المجتمع والواقع الميداني، وأخذ فكرة طيبة عن التصوف والتربية الروحية الصوفية والسلوك الصوفي، وكذا السلم الاجتماعي .

ولكن على الرغم من كل هذا فقد واجهتنا العديد من الصعوبات والعراقيل التي حالت دون جمع المادة العلمية بأحسن وجه، فمن بين العراقيل هي عدم تقديم المعلومات اللازمة للبحث من قبل بعض المريدين وذلك نظرا للتخوف الكبير من تقديم المعلومة للباحثين وخاصة منها المعلومات الخاصة بالأمن والنظام والمظاهرات وعن الاتجاه الأخرى وذلك نظرا لتخوف المريدين واعتقادهم بأننا أعضاء من قبل هيئات في الدولة أو أتباع لتوجهات تكن العداء للتصوف أو ما شابه ذلك ومن بين العراقيل كذلك طول مدة استرجاع الاستبيان بعد تعبئته من قبل الباحثين وكذا من قبل الباحثين المساعدين لنا، ولكن مع كل هذا العدد الكبير وغيره كثير فإنه تم تجاوز العراقيل وأصبحت دافع تدفعنا للتوغل من أجل سير أغوار المجتمع المدروس ودراسته سوسولوجيا وبالمستوى المطلوب.

3. مجالات الدراسة :

إن تحديد مجتمع البحث من أهم الخطوات المنهجية في الدراسات العلمية والسوسولوجية تتطلب منا دقة متناهية وبالغة، حيث يتوقف عليها إجراء الدراسة وتصميمها وكفاءة نتائجها لذلك نحاول في هذا العنصر الإجابة على ثلاثة أسئلة رئيسية وهي أين يجري البحث ؟ ومن سيجري عليهم البحث ؟ ومتى ؟

3.1 المجال المكاني :

والمقصود به هو ذلك المجال الجغرافي الذي يقوم به الباحث بتحديدته والدراسة في محيطه هذا وفقا لطبيعة المشكلة التي تقوم بدراستها، وطبيعة الميدان وخصائصه، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. وفي سبيل تحقيقنا لأهداف الدراسة بموضوعية تم اختيار مدينة والأغواط كمجال مكاني تجري فيه الدراسة الميدانية بالزاوية التيجانية بالضبط والواقعة بدائرة عين ماضي الواقعة بالجنوب الشرقي لعاصمة الولاية حيث تبعد عنها حوالي 70 كلم وتبعد عن الجزائر العاصمة 470 كلم، يحدها من الشمال الشرقي بلدية تاجموت، ومن الشمال بلدية الغيشة وبلدية واد مزي ومن الحدود الغربية الغيشة وتاجرونا، أما من الجنوب الغربي ولاية البيض وشرقا الحويطة وحاسي الرمل ويرجع أصل تسميتها إلى "ماضي بن يقرب" وهي عبارة عن جملة عن اسم الأمير ماضي ابن يقرب الهلالي حيث بنيت خلال القرن الرابع هجري وقيل في شأن ماضي بن يقرب أنه ينتمي إلى بطون الملايين الذين قدموا من شبه الجزيرة العربية حيث تتموقع الزاوية حاليا في وسط عين ماضي ويقع في الشمال منها محط السلطان وفي الجنوب منها حي الساتة، وشرقا الحي الجديد، ويقع القصر العتيق في غربها مساحتها تتجاوز 1000م² وأنشأت الزاوية التيجانية منذ أصبح الشيخ أحمد التيجاني شيخا للطريقة في 1196هـ الموافق لـ 1782م .

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

وكذلك بالزاوية الشاذلية وهي طريقة صوفية تفرعت عن الشاذلية، بدأ في نشر تعاليمها في مدينة الأغواط الشيخ سيدي موسى بن حسن المصري حين تواجد بها سنة 1929م تردد على حلقاته العديد من فقهاء وأعيان وعامة هذه المدينة نذكر منهم المشايخ قازي بن البوزياني وأحمد بلحاج بوهله ومحمد وغيرهم. وسميت بـ (الموساوية) نسبة إلى مؤسسها الشيخ سيدي موسى والذي ترك بصمات معتبرة في المجالين التربوي والديني عموماً. تقع الزاوية بشارع الحجاج أحد الشوارع العريقة بمدينة الأغواط والتي تقع على خطي الطول 33.8° شمالاً، وخط العرض 2.883° شرقاً وعلى ارتفاع 751 متر على سطح البحر، تنتمي المدينة إلى الشريط السهبي، والذي يطل على جبال الأطلس الصحراوي (جبل لزرق والميلق) من الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية تقع على الطريق الوطني رقم 01 وتبعد عن العاصمة بـ 400 كلم جنوباً وهي مركز للولاية وبوابة الصحراء تقع على ضفة أحد كبريات الأودية التي تتوغل بالصحراء، وهو وادي مزي الذي تغنيه بناييع جبل العمور، شيدت هذه المدينة على حافتي جبل (تيزيقرارين) حيث تصطف الدور كالمدرجات على منحدرين من هذا الجبل مكونة واحة شمالية غربية وأخرى جنوبية شرقية، وعلى ثلاث مرتفعات صخرية الأولى المطللة على وادي مزي وتحوي ضريح الولي الصالح سيدي الحاج عيسى وبالامتداد غرباً نجد صخرة الكلاب "بقصر الصادقية" وبالتالي نجد بالشمال الغربي سلسلة كاف لحرر وكاف مقران والأغواط الموقع المنيح الذي يمثله جبل تيزي قرارين ووفرة المياه بوجود منبع مائي مثل راس العيون ووادي مزي والأغواط الحصبة كالضوايات الغربية الشرقية والسهوب. فاختيارنا لمريدي هاتين الزاويتين ليس اعتباطاً أو بمحض الصدفة، وإنما كان بدافع عدة عوامل وأسباب منها ماهي ذاتية وماهي موضوعية نذكر منها. لكون الباحث من المنطقة وقيم بالأغواط أين تسهل عليه عملية الحركة والتنقل بسهولة أثناء الدراسة الميدانية هذا مع الدراية الكافية بأماكن تواجد المريدين واجتماعاتهم وأين يقطنون وهذا ما يستدعي زيادة الفهم للمشكلة المدروسة ومقدرتنا على تحليلها وتشابه هاتين الطريقتين إلى حد بعيد .

3. 1. 1 أصل تسمية الأغواط :

تضاربت الأقوال عن أصل تسمية المدينة بـ الأغواط وهي كلها افتراضات وروايات شفوية متناولة وكتابات لأصحاب التاريخ و الباحثين لذلك فقد حاولنا غربلة هذه الروايات واستنباط الروايات قريبة من الحقيقة. ترجع تسمية مدينة الأغواط حسب العلامة ابن خلدون إلى أحد القبائل البربرية "بني الأغواط" والتي كانت تقطن المنطقة، المنحدرة من قبيلة "مغراوة" أحد فروع القبيلة البربرية "زناتة" فكما ورد في قول ابن خلدون: "وقبيلة لقواط موجودة في نواحي البيض ويقال لهم كسال القبيلة البربرية "لقواط" سكنت المدينة وناحية البيض فحسب رأي ابن خلدون سميت الأغواط باسم سكانها، و نزع من أنه افترض ذلك أو أنه اعتمد على الروايات الشفهية ثم أنه في البداية كتبها "الأغواط".¹

1- يحي أوهيبة، مدن الاغواط، موقع دفاتر ثقافية، بتاريخ 2012/10/17، على الساعة 18:30.

2.3 المجال البشري :

هو ذلك المجتمع الذي يقوم الباحث بتحديد نوعه وخصائص هذا المجتمع البشري الذي يقوم بجمع المعلومات والبيانات اللازمة عنه ومنه، يهدف من خلاله إلى الوصول إلى نتائج يمكن تعميمها في مجتمعنا البشري، وهو جميع العناصر أو الأفراد الذي يتكون منه المجتمع المحرى الدراسة بشأنه ولأنه يستحيل علينا دراسة المجتمع ككل وممثل في المردين أتباع الطريقة التيجانية والشاذلية بمدينة الأغواط فقط تعين علينا انتهاج طريقة العينة بدلا من دراسة مجتمع الدراسة ككل، لأن العمل بدراسة العينة يستطيع الباحث فيما بعد تعميم نتائج بحثه على كل عناصر التي لم يتم دراستها بعد، وعلى المجتمع المدروس .

إن كون الباحث جزءا من الإقليم المبحوث فيه، أو جزءا من الظاهرة قد يؤثر ويتأثر بها لارتباطه بواقعه الاجتماعي سواء إن على مستوى انتمائه القبلي أو أصله الجغرافي أو انتمائه الجهوي، كل ذلك يحدد ضمان نقاء الوعي أو انحيازه أو حياده بالمعنى العلمي لأنه كشخص يميل إلى اسقاط وضعه الاجتماعي أو مصلحته على أفكاره، أو التحيز لولائه فتكون نتائج البحث متحيزة بل وموجهة لا تعكس بالضرورة واقع المشكلة المبحوثة كما أن غياب الموضوعية تفرض نفسها وتضفي على الباحث أحيانا في كل مراحل بحثه.

ف نجد أن البعض يختار عينته على حسب ما يرضيه ويساعده على حساب نتيجة البحث، فالباحث وراء اختياره للعينة يسعى وراء الطريق السهل في البحث، فقد يكون التحيز المنافي هو ذلك الناتج عن فعل إيرادي أو لا إيرادي يقوم بها الباحث قصد تشويه الحقيقة بقصد أو بدونه، قصد ابتغاء مصلحته الخاصة والمتمثلة في الحصول على الشهادة ونحن في دراستنا هاته وتوخينا الصدق والموضوعية العلمية في كل مرحلة من مراحل البحث، فقد سعينا قدر الاستطاعة والإمكان إلى إجراء البحث بالعينة، ذلك لانتهاجنا الطريقة العلمية في البحث فقد قصدنا البحث بالعينة لضرورة منهجية وعلمية وموضوعية منا، لعدم تمكننا من الحصر والدراسة لكل المردين أتباع الطريقتين بالمدينة وخارجها .

3. 2. 1 وحدة العينة :

إن عينة هذه الدراسة المعمقة هم الأفراد المردين الذين لهم صلة أو علاقة بالطريقتين الصوفيتين التيجانية والشاذلية (الموردين الملتزمين) أي من 25 إلى 65 سنة فما فوق.

3. 2. 2 حجم العينة وكيفية اختيارها

اشتملت عينة الدراسة على المردين الملتزمين بالطريقتين التيجانية والشاذلية من الفئات العمرية الأربعة كما هو مبين في الجداول الإحصائية، وقد تكونت العينة من 300 مبحوث تم اختيارهم لعدة أغراض ومقاصد تتعلق وتتصل بمتغيرات الدراسة، بحيث تم تحقيقات الميدانية عن طريق تعبئة الاستمارة بالمقابلة على العينة المختارة والتي تتميز بخصائص ومميزات تتمثل في أنها عينة من كل الفئات العمرية .

وقد تم توزيعنا لـ 400 استمارة استرجعنا 300 منها وكان بناء الاستمارة على النحو التالي:

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

- البيانات الشخصية والتي فيها ستة أسئلة، المستوى العمري، المستوى التعليمي، الحالة العائلية الوظيفة الطريقة الصوفية المنتمي إليها، انتهاج المنهج الصوفي قديما أو حديثا .

ثم تم تقسيمها كذلك إلى ستة محاور، المحور الأول حول مساهمة الآباء في ترسيخ القيم الدينية الصوفية واحتوى على 09 أسئلة جلها تتكلم عن مساهمة الأولياء في ترسيخ تعاليم وقيم التصوف لدى الأبناء .

المحور الثاني حول مساهمة الأفكار والممارسات من خلال المطالعة في التهذيب الروحي احتوى على 12 سؤالاً، دارت مجملها عن الكتب المطالعة وعددها و أنواعها وعن الأنترنت والمحاضرات والدروس التي تقام في الزاوية.

المحور الرابع حول الالتزام بالأذكار والأوراد احتوت على 08 أسئلة دارت مجملها حول الأذكار والأوراد والمواظبة عليها وتلاوة القرآن والحزب الراتب مع الجماعة .

المحور الخامس حول قيم المحبة والعدالة والعيش في كنف الجماعة احتوت على 09 أسئلة كانت تدور حول الأصدقاء والأحبة والتفضيلات في عقد الصداقات والحضور إلى الاحتفالات والمناسبات الخاصة بالطريقة.

المحور السادس حول الاتجاه الفكري للمريدين واحتوى على 30 سؤالاً دارت مجملها حول حب الوطن والفخر بالانتماء له والعلاقة مع التغييرات الحاصلة في الأنظمة والدفاع عن مصالح الوطن والمشاركة في المظاهرات ضد النظام والانتماء السياسي والجمعي والحديث عن السلم والدعوة له ومحاربة سلوكيات التطرف والعنف اللفظي و غير اللفظي والتطرف وكيفية القضاء عليه والنصح من الحد منه .

3.2.3 نوع العينة :

وفقا لطبيعة الدراسة وتماشيا مع الإمكانيات المادية والزمنية، تم استخدام طريقة العينة بدلا من طريقة الحصر الشامل لمجتمع الدراسة ككل، أي استخدام طريقة تعميم الجزء على الكل، كما وقع اختيار على العينة غير الاحتمالية القصدية بدافع أنها ملائمة، ومن أجل تضمين الموضوع المدروس، واختيار مفردات العينة بالصورة التي تحقق الهدف من المعاينة والبحث والمفردات التي بإمكانها توفير المعلومات المناسبة والمفيدة لنا .

وقد تم اعتماد هذا النوع من العينات، نظرا لعدم وجود قاعدة صبر نعتمد عليه بل وأن مجتمع الدراسة غير متجانس وغير متكامل وعدم التجمع الفيزيقي في غالب الأحوال تنظيميا وعدم وجود احصائيات دقيقة حول المريدين أتباع الطريقتين التيجانية والشاذلية ونظرا لهذا فقد تم اختيار عينة الدراسة بالقصد نظرا لوجود خصائص ومميزات تتميز بها هذه العينة والتي تدخل في مجال اهتمام البحث .

3.3 المجال الزمني :

والمقصود به هو تلك الفترة التي يستغرقها الباحث في جمع البيانات والمعلومات من ميدان الدراسة، أو هي فترة الدراسة الميدانية. وقد قمنا بإجراء الدراسة الميدانية خلال فترة زمنية محددة بداية من النصف الأخير من سنة 2015 حتى نهاية سنة 2016 وكانت وفق مرحلتين .

3.3 1. المرحلة الأولى: هذه المرحلة كانت بداية من شهر سبتمبر من سنة 2015 إلى غاية نهاية شهر ديسمبر من نفس السنة حيث قمنا بالزيارات والجولات العلمية لمقر الزاويتين، واجراء مشاهدات وملاحظات علمية بسيطة منتظمة، واجراء مقابلات مع عينة من مريدي الطريقتين وزيارة بعض المكاتب التي جمعت منها بعض المعلومات اللازمة إضافة إلى مكتبي الزاويتين كدراسة استطلاعية استكشافية وبالموازات مع هذا كنا بصدد تحضير وبناء استمارة استبيان .

3.3 2. المرحلة الثانية: أما هذه المرحلة من الدراسة فكانت بداية من شهر جانفي من سنة 2016 إلى غاية شهر جانفي 2017 أين تم في البداية تجريب الاستبيان على عينة مجتمع الدراسة بقصد ضبطه وحين ضبط الاستبيان وظهوره في صفته النهائية، تم مع بداية شهر مارس 2017 إجراء استبيان بالمقابلة مع المبحوثين شخصيا أو بمساعدة المبحوثين أو الزملاء، وانتظار استعادتها منهم، وقمنا بإعادة إرسالها من جديد لبعض المفردات قصد تعبئتها والتأكيد عليها، وبعد ذلك تم تفرغ الاستبيان وتحليل الجداول الاحصائية والخروج بنتائج على الشكل التي جاءت عليه الرسالة، هذه المرحلة استغرقت منا وقتا طويلا.

4. كيفية معالجات وتحليل البيانات و المعطيات :

دراستنا ليست دراسة كمية تعتمد على لغة الأرقام والاحصاء الوصفي والاستدلال الرياضي وعلى تحليل النزعة المركزية والتحقق من الصدق... وإنما جاءت الدراسة كيفية بحتة وذلك بتدعيم المعلومات والمعطيات الاحصائية بتحليلات سوسيولوجية معمقة من خلال العرض والنقد و طرح الحجج والبراهين والأدلة العلمية الواقعية .
اعتمدنا في معالجة المعلومات الكيفية، والبيانات والمعطيات الكمية الاحصائية أولا على منهجية دراسة حالة وثانيا على منهجية الوصف والتحليل والتفسير من أجل الفهم، لتقدم القراءة السوسيولوجية وفق الأطر التحليلية التي رسمناها من خلال عرض وتحليل الجانب النظري فقمنا بالتفريغ والتحليل وفق منهجيتين:
أولا : تم في هذا الأسلوب المنهجي عرض وتحليل المعلومات المجمعة عن طريق المشاهدات والمقابلات الميدانية والتقارير الميدانية في شكل تقرير مسحي عن علاقة المريدين وتعاملاتهم مع بعضهم ومع الاتجاهات التي لا توافق التصوف وتعاملهم مع مشايخهم وعلاقاتهم الاجتماعية...، وتم تحرير التقرير بالاعتماد على المعلومات المجمعة عن طريق البيانات المحصل عنها من الملاحظات والمقابلات والزيارات الاستطلاعية السابقة .

ثانيا: تم في هذا الأسلوب تفرغ البيانات والمعلومات الخاصة باستمارة الاستبيان في جداول التحليل وتفرغها وتبويبها باستخدام البرنامج الاحصائي SPSS.

ثم قمنا بعد ذلك بالدراسة التحليلية للمعطيات الاحصائية البسيطة المتمثلة في جداول بسيطة تضم متغير واحد وفي جداول مركبة تحمل متغيرين في محاولة منا اخضاع الجداول الاحصائية إلى مقاييس علمية ومنهجية هذا، لأن تنظيم الجداول ضروري. ومن الأهمية بمكان التنبه إلى أن دراستنا على العموم ليست علائقية تربط بين متغيرين اثنين أحدهما مستقل والآخر تابع بطريقة أكيدة ومحقة احصائيا ومعرفيا كما هو الحال في

المدخل المنهجي للدراسة الميدانية

الدراسات التجريبية والوظيفية في العلوم الطبيعية والحياة والسوسولوجية أي أنها علاقة سببية يؤثر السبب في الآخر، وإنما هي في أصلها دراسة استطلاعية علائقية نحاول من خلال التعرف على التأثير التربوية الروحية للطرق الصوفية على ترسيخ ثقافة سلم في المجتمع ولكن ظهرت أغلب جداولنا بأنها تحمل متغيرين اثنين ليست في شكل علاقات شرطية سببية، وإنما جاءت في شكل علاقات تفسيرية علائقية ثابتة وليست وهمية، وهي جلها لا تدرس العلاقة بين المتغيرين شرطيين أحدهما مستقل يؤثر تأثيراً بالغاً في التابع، بقدر ما تدرس متغيراً وعلاقته بمتغير آخر بداعي تفسير العلاقة كأن ندرس تفضيلات المريدين في عقد صداقات جديدة وعلاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف. كما تم اتباع طرق منهجية علمية في بناء الجداول ووضع التكرارات وحساب نسبها وكيفيات التنسيب وطرق قراءتها .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

أولاً: بيانات شخصية تعريفية

الجدول رقم 01: يوضح هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى العمري

النسبة	التكرار	المستوى العمري
22.3%	67	35-25
26.7%	80	45-36
23.0%	69	55-46
28.0%	84	65-56
100%	300	المجموع

يوضح الجدول أعلاه الذي يمثل توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى العمري، نلاحظ أن أكبر نسبة تمثيلية بالنسبة لمجموع أفراد العينة هي نسبة 28.0% بتكرار 84 مفردة من الفئة (56-65) سنة تليها نسبة تمثيلية بالنسبة لمجموع أفراد العينة هي نسبة 26.7% بتكرار 80 مفردة من الفئة العمرية (36-45) سنة وتليها نسبة 23.0% بتكرار 69 مفردة من الفئة العمرية (46-55) سنة تليها أقل نسبة تمثيلية بالنسبة لمجموع أفراد العينة هي 22.3% بتكرار 67 مفردة للفئة العمرية (25-35) سنة والملاحظ من خلال هذا الجدول أن النسب العمرية المسجلة متقاربة مما نستطيع القول من خلاله أن التصوف والالتزام فيه ليس حكراً على فئة عمرية معينة .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 02: يوضح هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى التعليمي

النسبة	التكرار	المستوى التعليمي
4.0%	12	بدون مستوى
3.3%	10	ابتدائي
18.3%	55	متوسط
41.7%	125	ثانوي
32.7%	98	جامعي
100%	300	المجموع

يوضح الجدول أعلاه، و الذي يمثل توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى التعليمي نلاحظ أن أكبر نسبة تمثيلية بالنسبة لمجموع أفراد العينة هي نسبة 41.7% بتكرار 125 مفردة مستوى ثانوي، تليها نسبة 32.7% بتكرار 98 مفردة مستوى جامعي، تليها نسبة 18.0% بتكرار 55 مفردة مستوى متوسط، ثم بنسبة قليلة مقارنة بسابقتها هي 4.0% بتكرار 12 مفردة بدون مستوى، ثم أقل نسبة سُجلت في هذا الجدول تمثل المستوى الابتدائي هي 3.3% بتكرار 10 مفردات .

من خلال هاته النتائج نلاحظ أنها تعكس الواقع للمؤهلات العلمية لمبحوثي الطريقتين الصوفيتين محل الدراسة (التيجانية والشاذلية) فهي متنوعة، و تشير هاته النتائج إلى أن المستوى الغالب لمبحوثي الطريقتين هو المستوى الثانوي، هذا يدل على أن أغلب المبحوثين يتمتعون بمستوى لا بأس به ويتقلدون مناصب مرموقة في الدولة مما يعطي انطبعا على أن أغلب مفردات العينة مثقفين واعيين بانتمائهم بالتصوف وأنه اختيار ليس عشوائيا بل جاء عن قناعة في سد الفراغ الروحي والبحث عن الراحة النفسية التعبدية .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 03: هذا الجدول يمثل توزيع أفراد العينة حسب متغير الحالة العائلية

النسبة	التكرار	الحالة العائلية
20.0%	60	أعزب
63.3%	190	متزوج
2.3%	07	مطلق
14.3%	43	أرمل
100%	300	المجموع

من خلال هذا الجدول و الذي يمثل توزيع أفراد العينة حسب متغير الحالة العائلية، نسجل أن أكبر نسبة تمثيلية بالنسبة لمجموع أفراد العينة هي نسبة 63.3% بتكرار 190 مفردة من فئة المتزوجين، تليها نسبة 20.0% بتكرار 60 مفردة من فئة العزاب، ثم نسبة 14.3% بتكرار 43 مفردة من فئة الأرامل، ثم أقل نسبة سجلت في هذا الجدول هي 2.3% بتكرار 07 مفردات من فئة المطلقين.

من خلال هاته المعطيات يتضح أن أغلب الباحثين المتزوجون في استقرار عائلي وهذا يدل أيضا على استقرار مادي و انتمائهم للتصوف جاء بحثا عن الاستقرار الروحي والتربية الروحية، أما فئة العزاب فهذا راجع لعامل السن فكثير من الباحثين شباب لأن أعمارهم تقل عن 30 سنة أو لعدم الاستقرار المادي، أما فئة المطلقين فيمكن أن نرجعها لظروف مادية ومشاكل عائلية .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 04: يوضح هذا الجدول توزيع الباحثين حسب الوظيفة

الوظيفة	التكرار	النسبة
وظيفة خاصة	94	31.3%
وظيفة حكومية	153	51.0%
عاطل عن العمل	53	17.7%
المجموع	300	100%

يوضح هذا الجدول توزيع الباحثين حسب الوظيفة حيث سجلت أعلى نسبة في هذا الجدول وهي 51.0% بتكرار 153 مفردة لفئة موظفي الحكومة، أما النسبة التمثيلية الموالية هي لفئة الوظائف الخاصة وقدرت بنسبة 31.3% بتكرار 94 مفردة، ثم النسبة التمثيلية الموالية هي لفئة العاطلين عن العمل بنسبة 17.7% بتكرار 53 مفردة .

وتفسير هاته النتائج المحصل عليها أن الطريقتين الصوفيتين محل الدراسة تحتويان على نسبة عالية من الإطارات التي تتقلد مناصب مرموقة في الدولة أما الوظائف الخاصة فتعددت من تاجر إلى مقاول إلى فلاح إلى موال، في دلالة على أن أغلب مفردات العينة هم ميسوري الحال ولا ينتظرون من انتمائهم للطريقة الصوفية مناصب أو مصالح خاصة، بل للتهذيب الروحي و العيش في كنف الجماعة الصوفية .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 05: يوضح هذا الجدول توزيع الباحثين حسب الطريقة الصوفية المنتمي إليها

النسبة	التكرار	الطريقة الصوفية المنتمي إليها
36.0%	108	الطريقة الشاذلية
64.0%	192	الطريقة التيجانية
100%	300	المجموع

يمثل هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب الطريقة الصوفية المنتمي إليها، فأعلى نسبة سجلت في هذا الجدول هي نسبة 64.0% بتكرار 192 مفردة هم الباحثين أتباع الطريقة التيجانية، ثم سجلت نسبة 36.0% بتكرار 108 مفردة هم الباحثين أتباع الطريقة الشاذلية، من خلال هاته النتائج يتضح أن أغلب أفراد العينة هم أتباع الطريقة التيجانية، وذلك نظرا لتوزيعهم على كامل تراب الولاية (الأغواط) وتوفرهم في عدة أماكن كمقرات متفرقة في مقر الولاية و خارجها أين يقومون باحتفالاتهم و لقاءاتهم لتأدية التزاماتهم الدينية، كاهليلة وقراءة الحزب الراتب والأذكار والأوراد، أما أتباع الطريقة الشاذلية فتواجههم محتشم مقارنة بسابقتها ولديهم مقر واحد عبر كامل تراب الولاية وهو مسجد الطريقة الشاذلية ولقائهم يكون يوم الخميس فقط بعد صلاة العصر أو بعد صلاة الجمعة ليس كمريدي الطريقة التيجانية الذين يلتقون كل يوم بعد صلاة العصر ما جعل التعامل معهم أسهل و لقائهم متاح في كل وقت وحين.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 06: يوضح هذا الجدول توزيع المبحوثين الأقدمية في اتباع المنهج الصوفي

النسبة	التكرار	اتجاه المنهج الصوفي
67.3%	202	قديمًا
32.7%	98	حديثًا
100%	300	المجموع

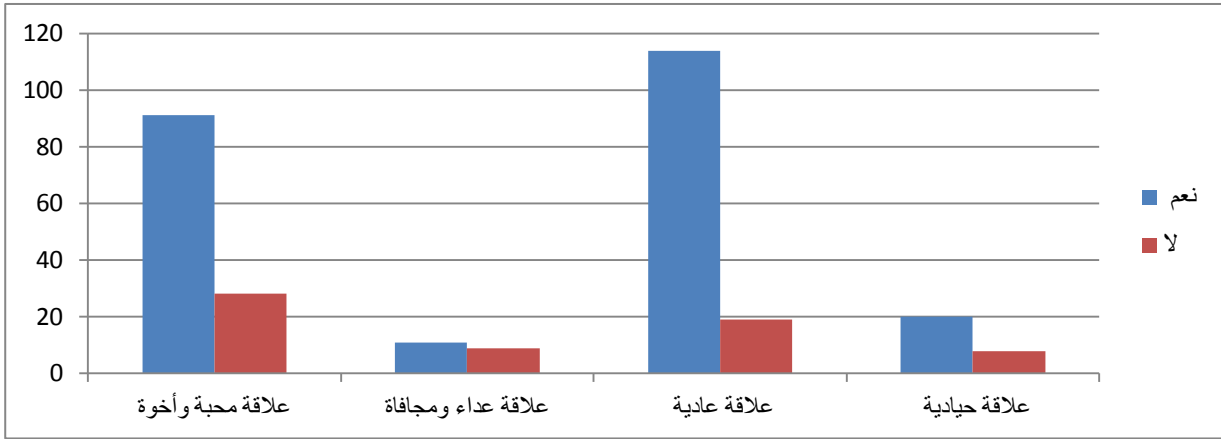
يوضح هذا الجدول توزيع مفردات العينة حسب الأقدمية في اتباع المنهج الصوفي، فأعلى نسبة سجلت هي 67.03% بتكرار 202 مفردة الذين انتهجوا المنهج الصوفي قديمًا، أما النسبة التمثيلية الموالية فهي 32.08% بتكرار 98 مفردة انتهجوا المنهج الصوفي حديثًا، من خلال هاته النتائج نستخلص أن أغلب مردي الطريقتين الصوفيتين محل الدراسة قد انتهجوا المنهج الصوفي قديمًا و ذلك بحثا عن التربية الروحية و الابتعاد عن الفراغ الروحي فالمقامات التي يتدرجها المرید يصلها بالمواظبة والالتزام بالأوراد و الاذكار المفروضة عليه و الصبر على مشقة هذا الطريق و الولاء للمشايخ و المرجعيات الصوفية ما يستدعي وقتا طويلا لا يقل عن 10 سنوات ليتصف السالك بلقب المرید التي يمكن أن تجعل المرید قد تعود على الالتزامات التي يقطعها لشيخ الطريقة .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

المحور الأول: مساهمة الآباء في نقل القيم الدينية الصوفية للأبناء والسلم في المجتمع

الجدول رقم 07: يبين توزيع المبحوثين واتباع أحد الوالدين للطريقة حسب العلاقة مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف

المجموع		لا		نعم		اتباع أحد الوالدين للطريقة العلاقة مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف
%	ك	%	ك	%	ك	
39.7	119	43.8	28	38.6	91	علاقة محبة وأخوة
6.7	20	14.1	9	4.7	11	علاقة عداء ومجافاة
44.3	133	29.7	19	48.3	114	علاقة عادية
9.3	28	12.5	08	8.5	20	علاقة حيادية
100	300	100	64	100	236	المجموع



الشكل رقم 01: يبين توزيع المبحوثين واتباع أحد الوالدين للطريقة حسب العلاقة مع الاتجاهات التي لا توافق لتصوف

تشير الإحصائيات الواردة في الجدول والذي يوضح إتباع أحد الوالدين للطريقة المنتمي إليها حسب العلاقة مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف إلى أن نسبة 44.3% من مجموع أفراد العينة، علاقتهم عادية مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف منهم 48.3% أحد والديهم يتبع التصوف سواء الطريقة التيجانية و الشاذلية أو حتى طرق أخرى كالرحمانية أو الهبرية وسجلت نسبة 29.7% الذين لا يتبع أولياؤهم أي طريقة صوفية وأشارت النسب كذلك على أن 39.7% من المبحوثين لديهم علاقة محبة وأخوة مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف، منهم نسبة 43.8%

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

% لا يتبع أحد والديهم أي منهج صوفي ما يقابله نسبة 38.6%، يتبع أحد والديهم منهجا صوفيا وأشارت نسبة 9.3% من المبحوثين الذي لديهم علاقة حيادية مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف منهم نسبة 12.5% علاقتهم حيادية مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف ولا يتبع أحد والديهم أي منهج صوفي وأشارت نسبة 6.7% من المبحوثين لديهم علاقة عداء ومخافة ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 14.1% من هؤلاء لا يتبع أحد والديهم أي منهج صوفي ما يقابلها نسبة 4.7% من المبحوثين لديهم علاقة عداء ومخافة ويتبع أحد أوليائهم منهجا صوفيا .

إذن نستنتج من الجدول أعلاه، أن أغلب أفراد العينة الذين يتبع أحد أوليائهم منهجا صوفيا لديهم علاقات عادية أحيانا وعلاقة محبة وأخوة أحيانا أخرى مما يعطي لنا انطبعا من أن الأسرة المتصوفة تؤثر على أبنائها من خلال إيمانها بالآخر ومن خلال الأيمان بالاختلاف من حيث هو أصل الوحدة، لهذا يركز الآباء المتصوفين على ظاهرية العبادة وباطنية السلوك والأذواق، بل إن أغلب ما يؤثر على المتصوفة في نقلهم للقيم الصوفية لأبنائهم هو حثهم على التسامي فوق الأنا إلى التسامح والاعتراف بحق الآخر.

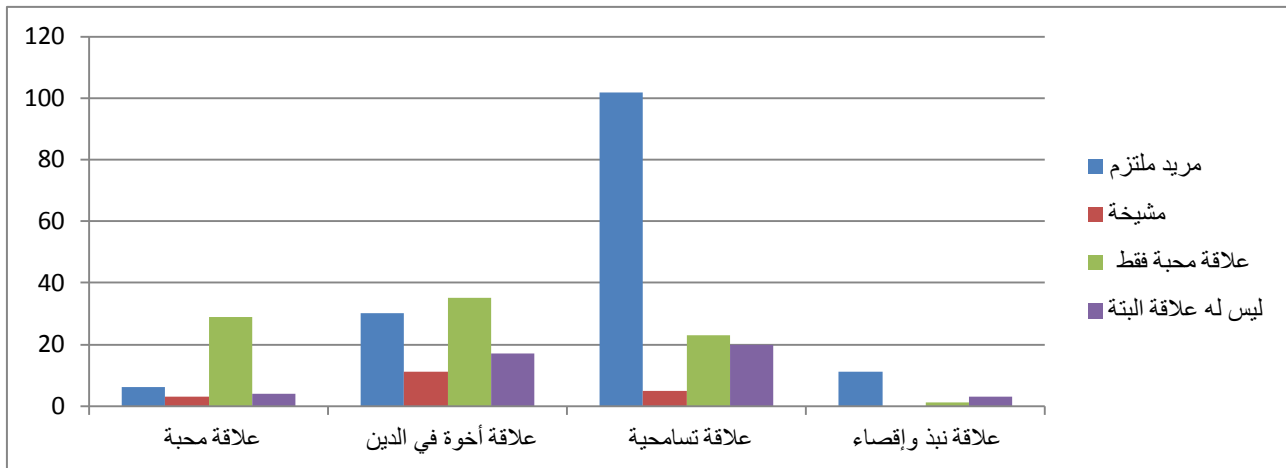
إن تعامل المتصوفة بالباطن لم يلغي الظاهر لذلك نجدهم يتعاملون مع الطوائف والمذاهب الأخرى من باب المغايرة والاختلاف وتعامل الموجود بالفعل هنا نجد أغلب الآباء يعطي مثالا للأبناء عن الحلاج و ما دفع به إلى الغضب غضبا شديدا من ذلك الذي سب اليهودي ورد عليه الحلاج رد المؤدب فقال : يا بني الأديان كلها لله عز وجل تشغل كل دين طائفة لا اختيار فيهم بل اختيارا عليهم أيضا تشيرون في هذا المقام عن عدم لوم الحلاج لقاتليه، بل عذرهم، لأنهم حكموا عليه ظاهرا ما قال ورأى أن ذلك أحب إليه غيره من هؤلاء الذين صدقوه واعتقدوا فيه الولاية على دين الله تعالى، هكذا يُظهر الأولياء المتصوفة لأبنائهم أن الفكر الصوفي فكرٌ تسامح و اعترافا بالآخر تفرضه طبيعة النظام الصوفي بل طبيعة الحياة نفسها، وإذا كان الاختلاف في شؤون الحياة والمجتمع هو اختلاف مصالح وأغراض، فإن الاختلاف شأن الدين والعقيدة، على حسب الأولياء المتصوفة هو اختلاف تأويلات يفرضها اختلاف الرؤى والتصورات، وائتلاف الخلفيات والمرجعيات وانطلاقا من هذا الوعي الإشكالي والمعرفي فإن المتصوفة ينقلون إلى أبنائهم عدم الانشغال بالرد أو الاعتراض أو المساجلات والمناظرات والذي يرى المتصوفة في نقلهم للقيم الدينية لأبنائهم أن الآخر لا يتحقق إلى بوجود الآخر، الذي يفارقه ويغياره ولا يطابقه أو يماثله وإلا انتفت سمة المغايرة وعليه فإن الدلالة ونظامها على حسبهم تعتمد أساسا على الاختلاف ، وأغلب المتمون للتصوف ينهلون من آباءهم أن هذا الاختلاف ليس من أجل الاختلاف بل من أجل التوافق الأفضل واللفهم الجيد ولا يقصدون الاختلاف لذاته

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

ويركز الآباء المتصوفة في تربيتهم لأبنائهم على أن الاختلاف مع الآخر ليس هدفا بقدر ما هو غاية لإقامة جسر للتواصل الاجتماعي والتفاعل، إذ الاختلاف لا يكون إلا داخل الائتلاف.

الجدول رقم 08: يبين توزيع المبحوثين حسب علاقة الوالد بالطريقة المنتمي إليها وتأثيرها على العلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف

المجموع		مريد ملتزم		مشيخة		علاقة محبة فقط		ليس له علاقة البتة		علاقة الوالد بالطريقة المنتمي إليها علاقتك مع الذين لا ينتمون إلى التصوف
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
14.0	42	4.0	06	15.8	03	33.0	29	9.1	04	علاقة محبة
31.0	93	20.1	30	57.9	11	39.8	35	38.6	17	علاقة أخوة في الدين
50.0	150	68.5	102	26.3	05	26.1	23	45.5	20	علاقة تسامحية
5.0	15	7.4	11	-	-	1.1	01	6.8	03	علاقة نبذ وإقصاء
100	300	100	149	100	19	100	88	100	44	المجموع



الشكل رقم 02 : علاقة الوالد بالطريقة المنتمي إليها وتأثيرها على العلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف

تشير الإحصائيات الواردة في الجدول والذي يبين علاقة الوالد بالطريقة المنتمي إليها وتأثيرها على علاقتك مع الذين لا ينتمون إلى التصوف، إلى أن نسبة 50.0% من مجموع أفراد العينة علاقتهم تسامحية مع الذين لا ينتمون إلى

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

التصوف حيث قدرت نسبة 68.5% من المبحوثين أولياؤهم مريرين ملتزمين وهي أعلى نسبة في عذا الاتجاه، وما نسبته 45.5% تمثل المبحوثين الذين ليس لوالديهم علاقة البتة بالطريقة وعلاقته تسامحية، أما نسبة 26.3% تمثل أفراد العينة الذين يمثل أولياؤهم بالنسبة للتصوف علاقة مشيخة بالطريقة المنتمي إليها، أما نسبة 26.1% فهم أفراد العينة الذين يمثل أولياؤهم علاقة محبة فقط بالنسبة للطريقة المنتمي إليها سواء التيجانية أو الشاذلية، وتشير نسبة 31.0% من أفراد العينة الذين يرون أن علاقتهم مع الذي لا ينتمون إلى التصوف علاقة أخوة في الدين، منهم 57.9% يمثل أولياؤهم مشايخ في الطريقة المنتمي إليها، أما نسبة 39.8% علاقة والديهم بالتصوف علاقة محبة فقط، كما أن نسبة 38.6% هم الذين لا توجد لدى والديهم علاقة بالتصوف، وأقل نسبة بالنسبة للذين يرون أن علاقتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف علاقة أخوة في الدين هم الذين يصرحون أن أولياؤهم مريرين ملتزمين في الطريقة سواء في الطريقة التيجانية أو الشاذلية، ثم نتقل إلى نسبة 14% من أفراد العينة الذين يرون أن علاقتهم بمن ليس لديه انتماء للتصوف علاقة محبة، ضمن هذه العينة نجد نسبة 33.0% أفراد العينة الذين يصرحون أن أولياؤهم محبين فقط للتصوف أما ما نسبته 15.8% من نفس التوجه أباؤهم يمثلون مشيخة ضمن طريقة صوفية سواء التيجانية أو الشاذلية، كذلك نجد نسبة 9.1% من هذا التوجه ليس لأباؤهم علاقة بالتصوف وما نسبته 4% أباؤهم مريرين ملتزمين، وفي الأخير نسبة 5% من أفراد العينة علاقتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف علاقة نبذ وإقصاء ضمن هذا التوجه نجد نسبة 7.4% أباؤهم مريرين ملتزمين في أحد الطرق الصوفية موضوع الدراسة وما نسبته 6.8% ليس لإباؤهم انتماء ولا علاقة بالتصوف وأقل نسبة ضمن هذه الفئة هي 1.1% الذين صرحوا بأن أباؤهم لديهم علاقة محبة فقط بالتصوف .

من خلال ما سبق نحاول أن نحلل ونفسر هاته النتائج المحصل عنها فعلاقة الوالد بالتصوف تؤثر في تربية وتنشئة الأبناء فمن خلال الجدول السابق نرى أن أعلى نسبة تصرح بعلاقتها التسامحية مع الذين لا ينتمون إلى التصوف نجد أن معظم والديهم هم مريرين من ملتزمين بطريقة صوفية معينة ولعل ما أرى في كون الدين الإسلامي، دين حضارة ومعرفة وتسامح وحوار، و تفكر وتدبر في الفعل الرباني وفي السلوك الإنساني، انعكس بوضوح على ماهية الروح هذه الروح التي سعى إليها صوفية الإسلام إلى رقيها، مجاهدة ورياضة، خلوة وعزلة، تخليا و تخليا وترقية نحو خالقها عرفان وكشفا ذوقا ورياء، فمن خلال ما نلمس من نتائج الجدول الآنف الذكر هو أن تربية الصوفي المرير الملتزم لأبنائه من وجهة نظرنا كانت نتاجا لفكر صوفي حاصل جمع عدة تجارب روحية متباينة تعددت وتنوعت سواء في الطريقة التيجانية أو الشاذلية في المنهج والسلوك وفي اللغة والتعبير والقول والفعل فكان السلوك لدى الأبناء تسامحيا مع الذين لا ينتمون إلى الطريق الصوفي لان تربية الأب المرير تكون فكريا وسلوكيا ليس كالأب الذي لا تربطه علاقة مع الطريق

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الصوفي فالأب المرید بعمل على تنشئة أبناءه بمقتضى تهذيب الروح وطبائعها وهدى نفسها ونوازعها، بعدما أدرك هذا الأب المرید الملتزم جوهر الصوفية الذي يكمن في تطابق الشريعة والحقيقة، شريعة الإسلام وحقيقة العرفان، عبر التمثيل السلوكي الخلقى التربوي لما انطوى عليه القرآن الكريم من معاني و دلالات تشكل معالم المنهج التربوي الصوفي تحقيقاً لقوله تعالى " يحبهم ويحبونه" وهو ما شكل في الوقت نفسه مضمون الحب الإلهي الذي سعى إليه هذا الأب المرید أو ذلك، وهو حب تجسد خلقاً وتربية لدى الأبناء وأدبا وتهذيباً.

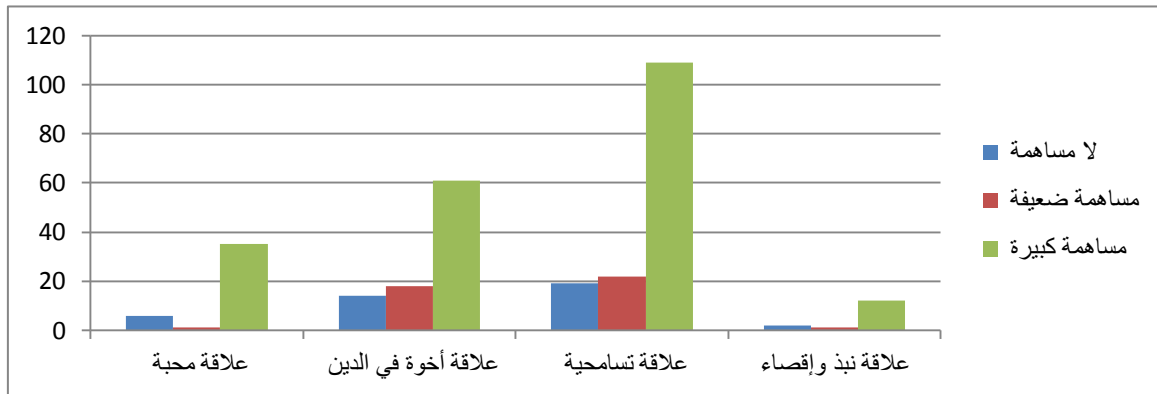
وعليه ما نقرأ هنا من خلال الجدول أعلاه فإن التزام الأب المرید بالتصوف يعطى لنا دلالات تسجل المنحى التربوي والسلوك الصوفي لدى الأبناء ونرصد هنا أيضاً أنه كلما قل إرتباط الأب المرید بمدراج الصوفية الساكنين قل رسوخ تعاليم الصوفية لدى الأبناء من محبة في الله وأخوة والتسامح وزاد ذلك من النبذ والإقصاء لغير السالكين للمنهج الصوفي من طرف الأبناء .

فمن خلال شرط الإحترام والود من طرف الأب المرید للشيخ ، فكلما كان هذا الأب محبا لشيخه متوددا لو بالخدمة والتعظيم والاحترام، كلما أفاض عليه الشيخ من علومه وأسراره، ومن لم يراعي ذمة شيخه عوقب بالحرمان وابتلاء الله بالذل والمهانة بين العباد هذا ما يشدد عليه مشايخ الصوفية، فنجد أن هذا كله ينعكس على تربية الأبناء وحثهم على أن يحكموا بداية السلوك ، وذلك بإتقان الضروري من علوم الدين لأن التصوف ترجمة لمقام الإحسان وقبل الوصول إلى هذا المقام لابد من تصحيح مقام الإسلام ثم مقام الإيمان، فنجد الأب غير المرید لا يعلم هاته الأحكام مما يضيع عليه الحظ الوفير في تربية أبناءه وتوجيه سلوكهم هذا ما تؤكدته النتائج المحصل عنها في الجدول.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 09: يبين توزيع المبحوثين حسب مساهمة الوالد في اتباع الطريقة والعلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف

المجموع		لا مساهمة		مساهمة ضعيفة		مساهمة كبيرة		مساهمة الوالد في اتباع الطريقة علاقتك مع الذين لا ينتمون إلى التصوف
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
14.0	42	14.6	06	2.4	01	16.1	35	علاقة محبة
31.0	93	34.1	14	42.9	18	28.1	61	علاقة أخوة في الدين
50.0	150	46.3	19	52.4	22	50.2	109	علاقة تسامحية
5.0	15	4.9	02	2.4	01	5.5	12	علاقة نبذ وإقصاء
100	300	100	41	100	42	100	217	المجموع



الشكل رقم 03: مساهمة الوالد في اتباع الطريقة والعلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف

تشير الإحصائيات الواردة في الجدول، والذي يوضح مساهمة الوالد في اتباع الأبناء للطريقة الصوفية وتأثير ذلك على علاقتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف، حيث سجلت أعلى نسبة وهي 50% من مجموع أفراد العينة وعلاقتهم تسامحية مع الذي لا ينتمون إلى التصوف منهم 52.4% مساهمة أوليائهم ضعيفة في اتباع لطريقة الصوفية تليها نسبة 50.2% تمثل المبحوثين مساهمة والديهم كبيرة في اتباع طريقة الصوفية سواء الطريقة الشاذلية أو التيجانية ثم أقل نسبة في هذا الاتجاه وتمثل 46.3% المبحوثين الذين لم يساهم أوليائهم في اتباع الطريقة الصوفية، ثم نسبة 31% من أفراد العينة علاقتهم بالذين لا ينتمون إلى التصوف علاقة أخوة في الدين، نجد ضمن هذا الاتجاه أعلى

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

نسبة هي 42.9% تمثل المبحوثين الذين كانت مساهمة والديهم ضعيفة في اتباع الطريقة الصوفية ثم نسبة 34.1% في نفس الاتجاه لهم المبحوثين الذين لم يساهم أولياؤهم في اتباعهم سواء الطريقة التيجانية أو الشاذلية أما ما نسبته 14% من مجموع أفراد العينة علاقتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف علاقة محبة ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 16.6% مساهمة والديهم في اتباع الطريقة الصوفية كانت كبيرة وما نسبته 14.6% ضمن هذه الفئة تمثل المبحوثين الذين لم يساهم أولياؤهم في اتباع المنهج الصوفي وأقل نسبة ضمن هذه الفئة هي 2.4% هم المبحوثين الذين نجد مساهمة أولياؤهم في اتباع المنهج الصوفي ضعيفة، أقل نسبة في هذا الجدول هي 5% تمثل علاقة نبد وإقصاء المرادين للذين لا ينتمون إلى التصوف نجد أعلى نسبة ضمن هذه الفئة وهي 5.5% مساهمة والديهم كبيرة في اتباع التصوف

نستطيع القول هنا أنه غالباً ما يسمى المرید ابنه البكر من أولاده على اسم شيخه إنه لا يمكن تصور اسم صوفي دون ذكر كلمة سيدي وهذا ليس من باب الاحترام فحسب هذه كلمة تكشف لنا عن استلام للإتباع واعتقادهم المطلق فحتى الذين لا ينتمون إلى الطريق الصوفي يعلمون هذا فنجد المتصوفة لديهم علاقات مع الذين لا ينتمون إلى التصوف هذا ناتج من التربية الروحية الصوفية التي تحث على التسامح والتراحم وتعطي لمریديها قيما دينية، نجد الأب المرید يحث أبناءه على القيم الدينية ويعلم يقينا أنها قضية سامية مقدسة ونجد أغلب آباء مریدی هذه الدراسة هم صوفية مما جعل إتباع الأبناء للمنهج الصوفي تحصيل حاصل حتى وإن لم يصرح بها الوالد تكن ضمنية فالتربية الروحية ليست علومها تدرس ولا أقوالا تسمع، وإنما هي سرعان أحوال من شيخ عارف بالله إلى مرید يبتغي السلوك الذي بدوره يكتسبه الأبناء من خلال تربية الآباء والذي ينعكس على مخالطتهم للأصحاب والرفاق غير التابعين للمنهج الصوفي فأغلب الآباء في هاته العينة هم مریدين ملتزمين تربو على أيدي مشايخ عارفين وأخذوا منهم العلوم والأحوال الربانية ، مما يجيز لهم الدعوة والإرشاد وحتى تربية أبناءهم نقصد (أفراد العينة هنا) تربية روحية ماثوقة مأمونة كما يدل على أن هؤلاء الآباء أغلبهم فرغ من تهذيب نفسه وأنه مؤهل لتهذيب غيره وهذا ما نلمسه في الجدول أعلاه فأغلب هؤلاء أبنائهم لديهم علاقة تسامحية بالبديهة الأول مع الذين لا ينتمون إلى التصوف وإخوة في الدين ومحبة وكأنها صورة تتجلى في التربية الصوفية الحقة، أما الذين قلة لديهم هاته القيم النبيلة أو تكاد تخلو منهم فنجد أن والديهم لم يتلقوا تعاليم التربية الروحية الحقة مما جعلهم يفتنون بتعلق قلوبهم بالناس وإظهار العداء للذين لا ينتمون إلى التصوف هذا راجع إلى تشوقهم الجنوني للشهرة والجاه والعجب، إن هذه الفتنة الروحية التي أصيبوا بها لا تبقى محسورة فيهم بل إنها تنتشر شيئا فشيئا في أتباعهم وأبنائهم الذين يرون أن علاقتهم علاقة نبد وإقصاء مع الذين لا ينتمون إلى التصوف هذا نابع مما نخلوه من آباءهم المفتونين، فلو بحثنا في قضية الدعوة إلى الله في مجتمعات الإسلامية المعاصرة

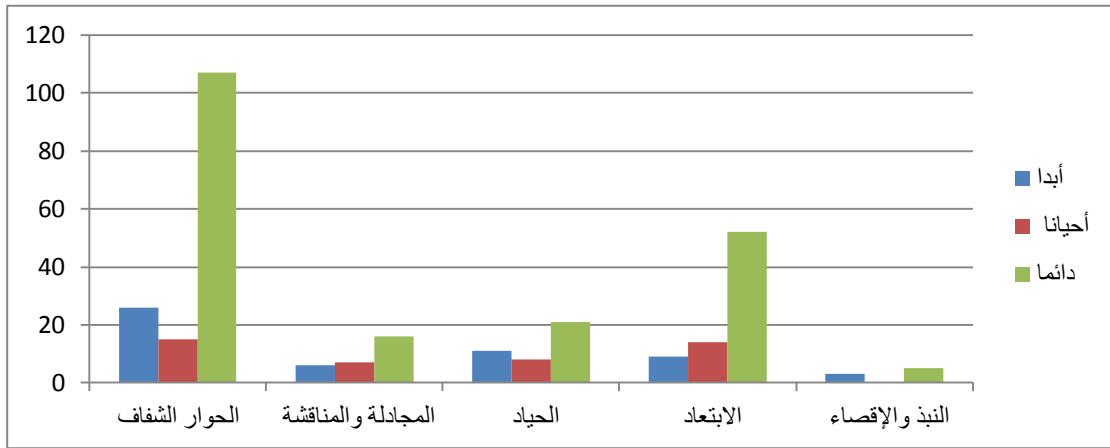
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

لوجدنا أن جل الفتنة الدينية ناجمة عن ظهور مثل هذا النوع من الدعاة المفتونين في كل المذاهب، وهم الذين لم يتحرروا من رق أنفسهم فعزتهم علوهم، وبروزا للناس دعاة ومرشدين، فهلكوا وأهلكوا، ولذى فإن أخشى ما يخشاه الصوفي الصادق هو البروز للناس ودعوتهم لله، فترى الواحد منهم حامل الذكر متوجس من الظهور وقد امتلك من العلوم والأخلاق والأحوال ما يؤهله لتربية أبناءه وفق منهج تربوي روحي يحث على التسامح والمحبة والأخوة وعدم النبذ والإقصاء للذين لا ينتمون إلى التصوف وهذا لا يعتبر نكوصا منهم ولا سلبية .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 10: يبين توزيع المبحوثين حسب حرص الوالدين على اتباعك للطريقة وطريقة التعامل مع شخص مختلف فكريا معهم

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		حرص الوالدين على طريقة اتباعك للطريقة التعامل مع شخص مختلف فكريا معك
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
49.3	148	47.3	26	34.1	15	53.2	107	الحوار الشفاف
9.7	29	10.9	06	15.9	7	8.0	16	المجادلة والمناقشة
13.3	40	20.0	11	18.2	08	10.4	21	الحياد
25.0	75	16.4	09	31.8	14	25.9	52	الابتعاد
2.7	08	5.5	03	-	-	2.5	05	النبد والإقصاء
100	300	100	55	100	44	100	201	المجموع



الشكل رقم 04: حرص الوالدين على اتباعك للطريقة وطريقة التعامل مع شخص مختلف فكريا معهم

من خلال الجدول أعلاه والذي يوضح العلاقة بين حرص الوالدين على إتباع الطريقة الصوفية وطريقة التعامل مع الأشخاص المختلفين مع المريدين فكريا في قضية التصوف، نسجل أعلى نسبة في هذا الجدول وهي 49.3% تمثل طريقة التعامل في الحوار بطريقة شفافة مع الأشخاص المختلفين مع المريدين فكريا نجد ضمن هذه الفئة نسبة 53.2% أسرهم حريصين جدا على اتباعهم للطريقة وما نسبته 34.1% أحيانا ما يحاولون التدخل في قضية اتباع

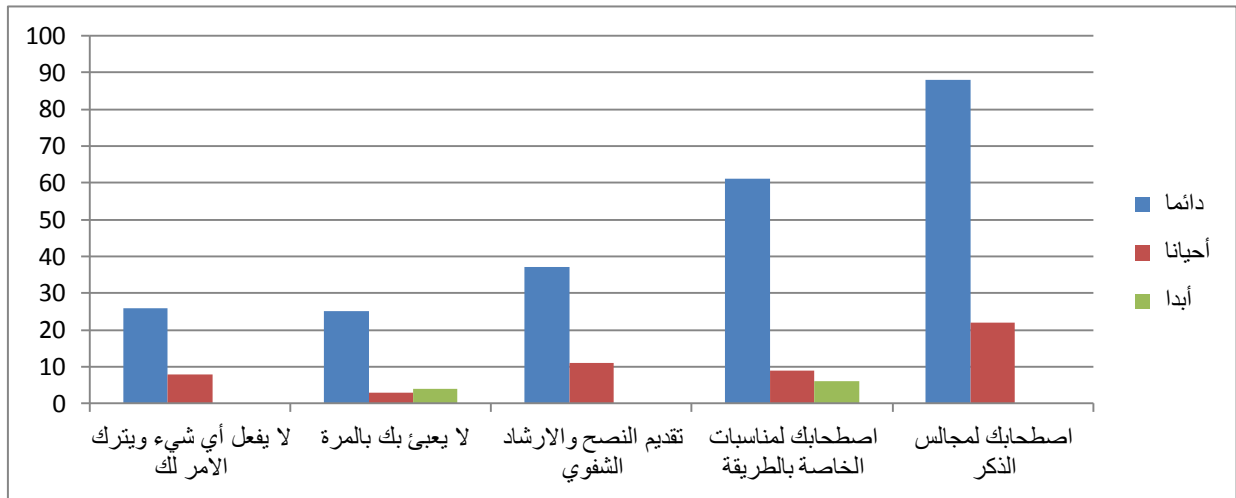
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الطريقة سواءا مريدي الطريقة التجانية أو الشاذلية لا يوجد اختلاف، أما ما نسبته 47.3% هم أفراد العينة الذين لم تتدخل أسرهم في إتباعهم للطريقة وحوارهم شفاف مع المختلفين معهم فكريا، تلي هذه النسبة من أفراد العينة 31.8% الذي يفضلون الابتعاد عن التعامل مع المختلفين معهم فكريا فهؤلاء أغلب الأحيان كان اتباعهم للتصوف سببه الأسرة لكن لم يتم التأثير عليهم من خلال التنشئة الصوفية أو كان تأثير جماعة الرفاق سلبيًا وغياب دور الأسرة كما ذكرت، تكونت شخصية مختلفة عن المرجوة في المنهج الصوفي، وهدف الصوفية في حد ذاته كذلك يكمن الاختلاف في أن بعض المريدين كان حرص والديهم على إتباعهم للطريقة الصوفية منذ الصبي وفيهم من اختارها وهو شاب، فالفرق كبير في طريقة التعامل مع الآخر ونجد أيضا نسبة 20% من أفراد العينة يفضلون الحياد في التصريح عن تعاملهم مع الآخر، أما ما نسبته 15.9% هم أفراد العينة الذي يرون أن المجادلة والمناقشة هي الطريقة الأنسب في التعامل مع الآخر وأسره لا تهتم باتباعهم للطريقة الصوفية بدرجة عالية، فهؤلاء أغلبهم نشؤا في أسر متسلطة متدخلة في أمور أبنائها، فنجد الأب مريدا في الطريقة التجانية أو الشاذلية متحكم في شؤون البيت يتدخل في شؤون أبنائه كشكل اللبس ونمط تدينهم وأصدقائهم وشكل الدراسة وتخصصها، فبطبيعة الحال يخلق لنا نوعين من الأبناء مطيع ومنتهمرد، فالمطيع هو الذي نجد لديه قابلية للتعامل مع الآخر ومسالمة ولا يرفض ثقافة الحوار وتقبل الآراء وليس متعصبا، أما الثاني وهو المنتهمرد فتأثير الضغط والمتابعة المستمرة للأسر جعلت منه ناقما، شخصا عدوانيا لا يقبل الحوار ولا يتقبل الآخر، من خلال بسط رؤيته وفرضها على الآخرين وكأن شخصيته أصبحت عدائية بعيدة عن التعاليم المرجوة والتربية الصوفية هذا ما تدل عليه أيضا نسبة 5.5% وهم أفراد العينة الذين اختاروا في تعاملهم مع الآخر النبذ والإقصاء كدليل على مكبوتاتهم وتشبعهم بفكر خاطئ لا يمت بصلة إلى تعاليم الصوفية وكان دور الوالدين غائب تماما وكذلك في بعض الأحيان لا تنتهج أسرهم المنهج الصوفية.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 11: يبين توزيع المبحوثين والطرق التي يتبعها الوالد في سبيل حرصك على الطريقة حسب محاربة سلوك العنف في المجتمع

المجموع	لا يفعل أي شيء ويترك الأمر لك		لا يعي بك بالمرّة		تقديم النصح والارشاد الشفوي		اصطحابك لمناسبات الخاصة بالطريقة		اصطحابك لمجالس الذكر		طرق الوالد في سبيل الحرص على اتباع الطريقة محاربة سلوك العنف في المجتمع	
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
79.0	237	76.5	26	78.1	25	77.1	37	80.3	61	80.0	88	دائما
17.7	53	23.5	08	9.4	03	22.9	11	11.8	09	20.0	22	أحيانا
3.3	10	-	-	12.5	04	-	-	7.9	06	-	-	أبدا
100	300	100	34	100	32	100	48	100	76	100	110	المجموع



الشكل رقم 05: الطرق التي يتبعها الوالد في سبيل حرصك على الطريقة حسب محاربة سلوك العنف في المجتمع

يبين الجدول أعلاه توزيع المبحوثين والطرق التي يتبعها والديهم في سبيل حرصهم على اتباع الطريقة حسب محاربة سلوك العنف في المجتمع، سجلت أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام 79.0% في هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة وهي 80.3% من المبحوثين الذين دائما ما يحاربون سلوك العنف ويصحبهم أولياؤهم إلى المناسبات الخاصة بالطريقة كوسيلة منه للحرص على تتبع الطريقة الصوفية والأساليب التي يتبعها الأولياء كلها بدرجات متفاوتة و متقاربة لأن

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

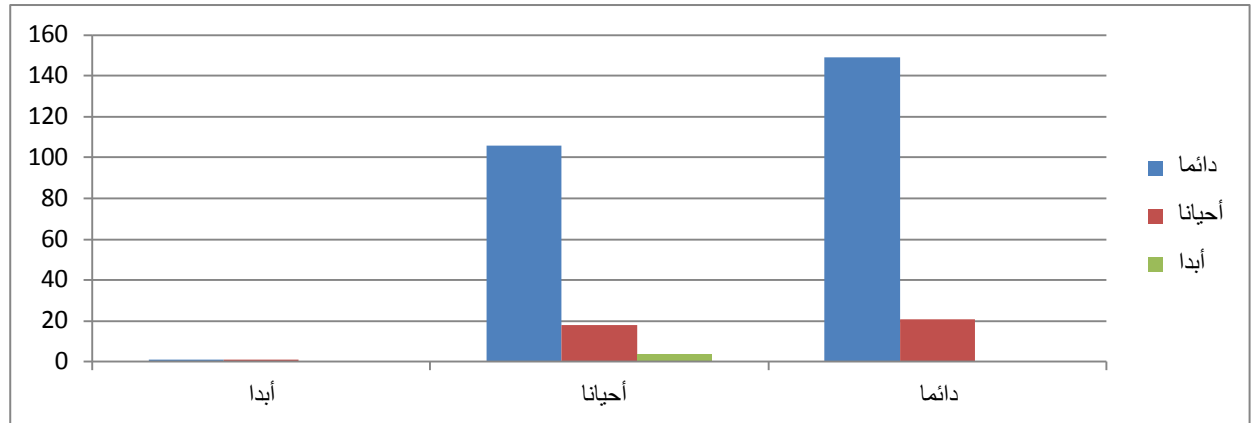
أغلب المبحوثين أشاروا على جميع الاختيارات في دلالة منهم على أن أوليائهم يحاولون جاهدين بشتى السبل لحث أبنائهم ومرافقتهم اليومية لكي يتشبعوا بالمنهج الصوفي التربوي الروحي الذي بدوره ساعدهم على نبذ العنف في المجتمع ما انطبع على سلوكياتهم اليومية ثم نجد نسبة 23.5% من مجموع أفراد العينة أحيانا ما يnehون عن سلوكيات العنف في المجتمع، نجد أن أوليائهم لا يفعلون أي شيء في سبيل حرصهم على تتبع المنهج الصوفي والتعلق به وترك الأمر لابنه المرید، أو في بعض الأحيان نجد الأب لا علاقة له بالمنهج الصوفي، وأبنة انتهج المنهج الصوفي وهو شاب في احتمال أنه تأثر بجماعة رفاقه، كذلك نسبة 14.5% من المبحوثين لا ينهى عن سلوكيات العنف أبدا في المجتمع ووالده لا يعبى البتة بإتباعه للطريقة الصوفية سواء التيجانية أو الشاذلية .

فمن خلال هذه النتائج المحصل عنها من هذا الجدول، نجد أن أغلب المریدین يحرص أباءهم على إتباعهم للطرق الصوفية، التجانية أو الشاذلية من اصطحابهم مجالس للذكر وللمناسبات الدينية لهاته الطرق أو الاكتفاء بالنصح والإرشاد سواء في الممارسات اليومية أو المنزل مما أعطى صبغة سلمية على هؤلاء المریدین الذين تربوا في كنف الطريقة المتبعة أو العائلة الصوفية التي تسهر على تربية أبنائهم وفق المنهج التربوي الروحي للطريقة، أما الذين اكتفوا بالحياة في قضية نبذ العنف في المجتمع أو أنهم لا يnehون عنه أصلا فنجد أن روابطهم الاجتماعية داخل الأسرة أو في الزاوية تتسم بالبرودة أو حتى مع المریدین من نفس الطريقة فعدم زيارتهم لمجالس الذكر وعدم ذهابهم للمناسبات الدينية المنظمة من طرف الزاوية قللت من روابط الانتماء الديني والطريقي، فكل هاته الأشياء التي يحرص عليها الأولياء تعمل على لقاء الأصدقاء والأحوة المریدین من الطريقة التجانية أو الشاذلية تزيد من تمتين العلاقة الاجتماعية وتوثيقها فالذين أعطوا عناية كبيرة لأبنائهم في حضور مجالس الذكر والمناسبات الدينية والنصح والإرشاد أثر على أبنائهم المریدین في طباعهم وسلوكياتهم مع الآخر ومسالمتهم في المجتمع ومحاربتهم لأوجه العنف سواء سلوكيات أو أفكار عكس الذين كان إحصار أبنائهم متذبذبا للزاوية أو مجالس الذكر أو النضج وهذا أمر مهم في التنشئة الصوفية يؤثر سلبا على الأبناء من خلال سلوكياتهم وتعاملهم مع الآخر، ونبذ أشكال العنف فنجدهم بعيدين في نهي الآخرين عن سلوكيات العنف التي يقومون بها داخل المجتمع.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 12: يبين توزيع المبحوثين حسب الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة والدعوة للسلام والأمن في المجتمع

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة والدعوة للسلام والأمن في المجتمع
		%	ك	%	ك	%	ك	
85.3	256	50.0	01	82.8	106	87.6	149	دائما
13.3	40	50.0	01	14.1	18	12.4	21	أحيانا
1.3	04	-	-	3.1	04	-	-	أبدا
100	300	100	02	100	128	100	170	المجموع



الشكل رقم 06: الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة والدعوة للسلام والأمن في المجتمع

يبين الجدول أعلاه والذي يبين توزيع المبحوثين حسب الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة والدعوة للسلام والأمن في المجتمع أن أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 85.3% في هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة هي 87.6% من المرئيين الذين يدعون دائما للسلام والأمن الاجتماعي ويقتدون دائما بسلوكات أوليائهم في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة وهذا بالنسبة للطريقة محل الدراسة، كما نجد نسبة 50.0% من المبحوثين أحيانا ما يدعون إلى السلم والأمن في المجتمع ولا يقتدون بسلوكات أوليائهم وما نسبته 3.1% هي أعلى نسبة في الاتجاه الذي يمثل عدم دعوة المرئيين إلى السلم والأمن في المجتمع وأحيانا ما يقتدون بأوليائهم فيما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة .

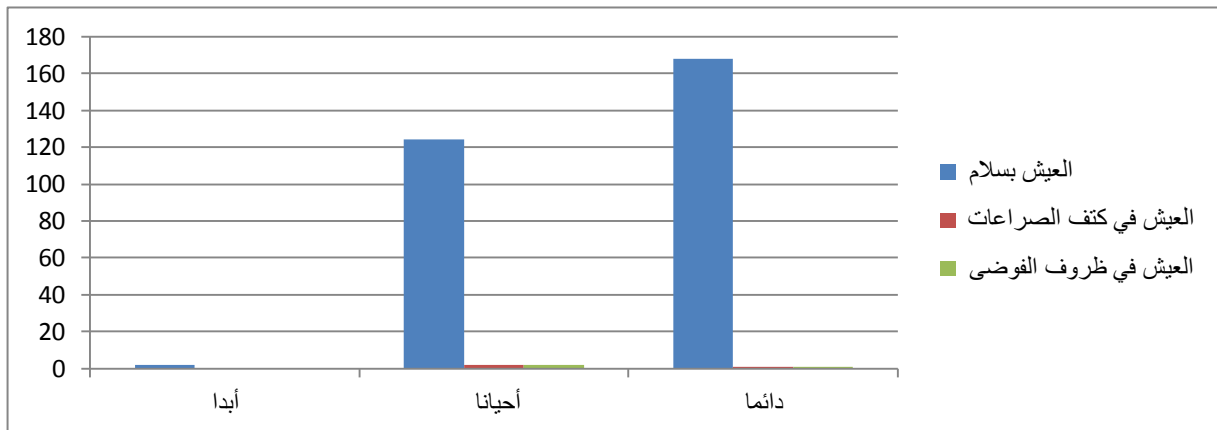
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

فبإجماع أفراد العينة حول موضوع الدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع على أهمية دور تنشئة الأولياء على مبادئ الطريقة الصوفية والتربية الروحية وتأثيرها على ذلك، نجد أن الأولياء الذين صادفناهم خلال الدراسة يتكلمون عن نشر الطرق الصوفية المتبعة للإسلام السطحى، ومخاربتها ومكافحتها للتطرف حيث يرى هؤلاء أن الزاوية استطاعت العمل على التماسك الاجتماعي للمريدين وأسرههم والدين والسياسة، من خلال تشبثها بلبنات أساسية في الحث على التربية السوية والحسنة لأفراد أسر مريديها وإعطائهم الكم الأوفر للتربية والتهديب الروحي، مما يمكن للزاوية في التأثير على المجتمع من خلال هاته التعاليم السمحة، فمن خلال المريدين الذين حاورناهم يرون أن التقدير والاحترام الكلي لطرقهم التي يتبعونها التجانية والشاذلية على سهرها وحرصها في نشر الإسلام وأصوله السمحة التي تحافظ على الأمن والاستقرار، وتمكن المريدين وأوليائهم وحتى جميع المواطنين من أداء عباداتهم والتقرب إلى الله دون الوقوع في التطرف وحتى الحث في المجتمع عن الروح السلم والأمن والاستقرار، وكذلك من خلال اقتداء الأبناء بالآباء يوفر أمن فكرياً لأبنائهم ويقيهم بعيدين كل البعد عن المخاطر باعتبار أن الأمن الفكري يشكل أساس واستقرار المجتمعات ويتجل ذلك في سلوكياتهم السليمة وحثهم على ذلك في المجتمع والنهي عن التطرف، يرى أغلب هؤلاء المريدين أن الطرق الصوفية المتبعة التجانية أو الشاذلية من خلال ما نقلوه عن أوليائهم المريدين الملتزمين أن بإمكانهم المساهمة في الحد من وقوعهم فريسة لدعاة التطرف، من خلال نشر علم وسطى والحث عن التسامح وقبول الاختلاف، فضلاً عن مساهمتها في المجالات التنموية لمحاربة الفقر، ودائماً نجد متابعة الأولياء الصوفيين يحاولون تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الشباب حول الدين والعقيدة والتحفيز على الاستثمار في مجال التربية الروحية هذا ما يؤدي بهم للتشبع الفكري مما ينعكس على سلوكياتهم السليمة والحث في المجتمع عن روح التعاون والعمل على الأمن والاستقرار.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 13: يبين توزيع المبحوثين والاقترءاء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة حسب ما يرغب به المرید خلال عيشه في المجتمع

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		الاقترءاء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة رغباتك خلال عيشك في المجتمع
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
98.0	294	100	02	96.9	124	98.8	168	العيش بسلام
1.0	03	-	-	1.6	02	0.6	01	العيش في كنف الصراعات
1.0	03	-	-	1.6	02	0.6	01	العيش في ظروف الفوضى
100	300	100	02	100	128	100	170	المجموع



الشكل رقم 07: الاقترءاء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة حسب ما يرغب به المرید خلال عيشه في المجتمع

من خلال هذا الجدول والذي يبين توزيع المبحوثين واقترءاءهم بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة حسب ما يرغبون به خلال عيشهم في المجتمع نسجل أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام وهي 98.0% إن لم نقل جميع أفراد العينة في هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة وهي 98.8% تمثل رغبة المریدين في العيش بسلام وأيضاً الاقترءاء دائماً بالوالد فيما يتعلق بسلوكاته تجاه الطريقة المتبعة سواء التيجانية أو الشاذلية ونجد نسبة ضئيلة جداً تكاد تنعدم قدرت بـ 1.6% هم الذين يجذبون العيش في كنف الصراعات وكذلك نفس النسبة من أفراد العينة اختاروا العيش في ظروف الفوضى وأحيانا ما يقتدون بأوليائهم في السلوكات المتعلقة بالطريقة الصوفية المتبعة .

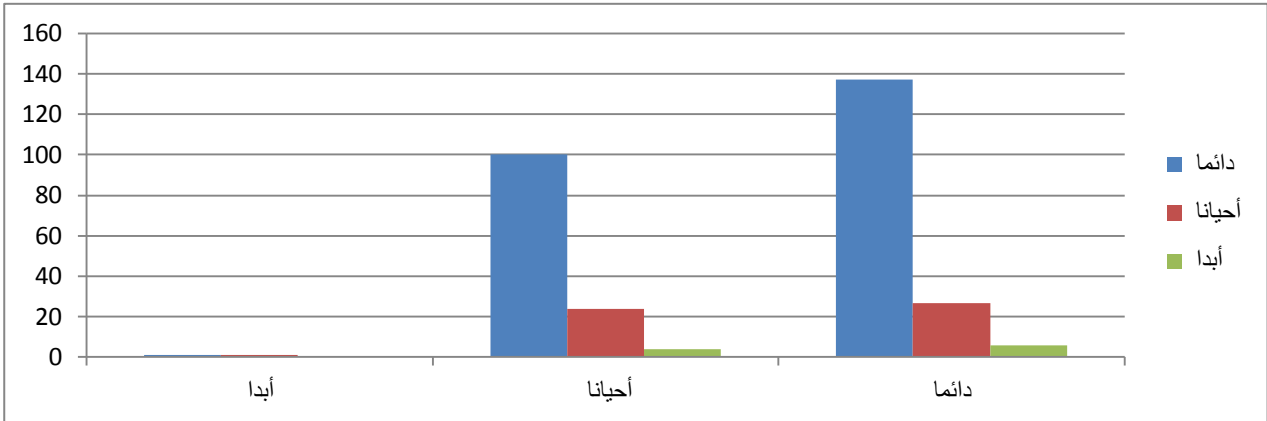
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

فعلى رأي أحد المریدین أن علی الشباب المسلم أن یعلم أن الإسلام هو السلام فجميع أفراد العينة يريدون العيش بسلام ودائما ما يقتدون بأوليائهم في شتى الأمور، فهذا برهان على أن التنشئة الصوفية في حد ذاتها تعطي أولية للسلام تعليميا وتربيا، ويحاول الوالد المرید أن يبني أفكار أبناءه على منهج الحوار الذي يعد من أبرز السبل لتحقيق السلام، فيركز دائما المریدون على التعارف، ويحثهم أوليائهم على ذلك لبناء مجتمع متعايش متماسك بقيم الأصالة ومفتوح على العالم والتحويلات و كذلك يقتدى جميع أفراد العينة بأوليائهم في قضية أن السلم مرتبط بالعدل كشرط وأن السلم مبني على العلم والمعرفة، لا توجد حضارة مغلقة على حسب آراء بعض المریدین كل الحضارات مبنية على حب السلم والعمل عليه وعلى التبادل في وجهات الراي والتوازن والتكامل والهدف هنا هو التعايش السلمي خاصة في عالم اليوم المتأزم ويرى كثيرا من المریدین أن الحضارة الإسلامية العربية حققت توزيع ثقافة التعايش السلمي بمفهومها العالمي، فقضية اقتداء الأبناء بالأباء في الزاوية وخارجها هي قضية اقتناع بأن الزاوية والطريقة الصوفية المتبعة لها دور في اظهار وسيطة الاسلام وتوازنه وبساطته وسماحته ويسره واعتداله وعفوه ورحمته التي وسعت كل شيء، وترسيخ الانتماء لدى الناس لهذا الدين الوسط شعارهم بالاعتزاز بهذه الوسطية التي تؤدي إلى العيش في كنف مجتمع مسالم بتعريف الأبناء من خلال التربية الأبوية للأفكار المنحرفة وتخصينهم ضدها وحثهم على التحقيق بالثوابت الدينية للوطن، بما يقتضيه الأمر من الحكمة والحزم والجد بالحوار لمفتوح وتقويم الاعوجاج الفكري لدى الأبناء بالحجة والإقناع الهادئ البعيد عن التصادم، مما يؤدي بالأبناء إلى التقليد حبا وليس كرها، هذا ما لمسناه من خلال تربية الأولياء المریدین للأبناء، وكذلك يرى مریدی هاته الدراسة أن اختيارهم للعيش بسلام وحب الحوار نابع من مسلمة دعوة المخطئ إلى الرجوع عن خطئه وبيان الحق بالمناقشة العلمية الهادئة، وأنهم قد جبلوا عليه من خلال تقليدهم للأولياء الذين قد تشبعوا بهذه القيم ولمسها في سلوكياتهم اليومية .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 14: يبين توزيع المبحوثين والافتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة حسب القيام بتعبئة النفوس والعقول لنبذ العنف

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		الافتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة	تعبئة النفوس والعقول لنبذ العنف
		%	ك	%	ك	%	ك		
79.3	238	50.0	01	78.1	100	80.6	137	دائما	
17.3	52	50.0	01	18.8	24	15.9	27	أحيانا	
3.3	10	-	-	3.1	04	3.5	06	أبدا	
100	300	100	02	100	128	100	170	المجموع	



الشكل رقم 08: الافتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة حسب القيام بتعبئة النفوس والعقول لنبذ العنف

يبين هذا الجدول توزيع المبحوثين والافتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة حسب القيام بتعبئة النفوس والعقول لنبذ العنف، فأعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 79.3% في هذا الاتجاه نجد نسبة 80.6% تمثل أفراد العينة الذين يعبئون الأنفس والعقول من أجل نبذ العنف من خلال مجال عملهم ومناصبهم ومكانتهم الاجتماعية متأثرين بسلوكات أوليائهم فيما يخص الطريقة الصوفية المتبعة، تليها في الاتجاه الآخر نسبة 50.0% الذين يعبئون العقول والأنفس من أجل نبذ العنف في المجتمع ولا يقتدون بأوليائهم في ما يخص السلوكات المتعلقة

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

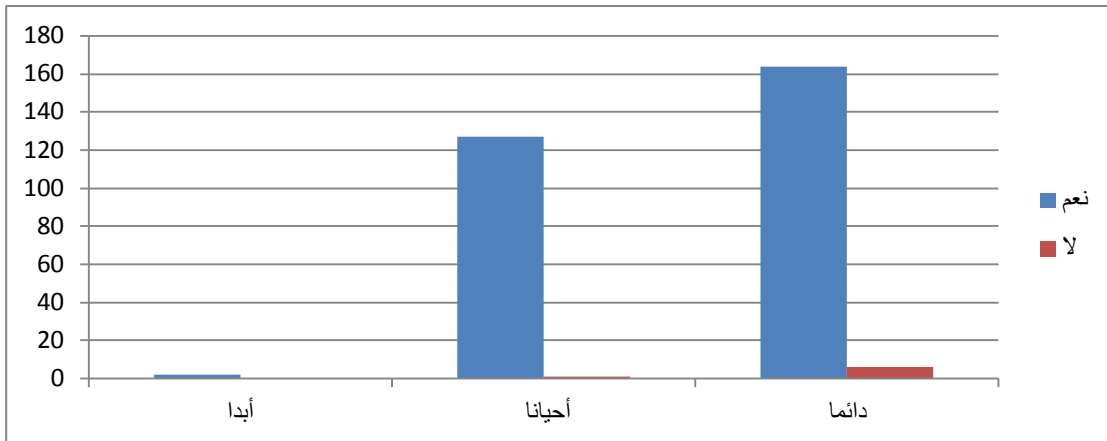
بالطريقة الصوفية، وبنسبة قليلة جدا قدرت بـ 03.5% كأعلى نسبة في الاتجاه الآخر الذي يمثل المريدين الذين لا يعيئون الأنفس ويقتدون بأوليائهم في سلوكياتهم المتعلقة بالجانب التربوي الصوفي.

هذا ما يوضح أن نشأة هذه القيمة السامية في محاولة إصلاح المجتمع من طرف مريدي الطرق الصوفية تعود في أصلها إلى ما في الإسلام ذاته وتشجع عليه الأولياء، وكذلك بواعث ساهمت في انبعائه في أنفس أولياء المريدين وترسيخها ونقلها للأبناء كان مصدرها القرآن والسنة أولا ثم الطريقة الصوفية التي تلقنها للإتباع فكلاهما يضمن ما يؤكد انغراس هذه القيم الدينية التي تكاد تندثر، لقد كان للتصوف أثر حاسم على تربية الأبناء، مما أدى بهم إلى اتباع أوليائهم فيما يخص التصوف كقناعة مؤداها الفخر والاعتزاز بالانتماء لهذا الفكر الوسطى الذي يؤدي إلى تعميق الشعور الديني وتوثيق المعتقد الإيماني وتعمل على جعل أتباع الصوفية يبتعدون عن الفوضى السياسية والاجتماعية ويحاولون قدر المستطاع دحر الفتن والحروب الداخلية وما يرافقها من قلق روحي ومظالم اجتماعية وثقافية، وعملوا أيضا على القضاء على التفاوت الفاحش بين الناس، هذا ما قد نتج عن التقليد السلوكي للأولياء الذين تشبعوا بالفكر الصوفي فكانت تصرفاتهم وسلوكياتهم تربيتهما لأبناءهم، وكان لها الأثر الكبير في نشأة فكرة التعبئة الفكرية والعقلية للآخر في تنمية روح الورع وحب التعاون والتآخي والتآزر، فحاول كل مريد أن يصلح ويقوم في المجتمع والأقرب له من أصدقاء وأحبة وعائلة وجيران، بحثا عن سبل لمجتمع مبنى على قيم نبيلة ومثل عليا وإعادة الأانس وصفاء النفوس لدى من يحيط بهمؤلاء المريدين الذين أخذوا كل هذا عن أوليائهم .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 15: يبين توزيع المبحوثين والافتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة حسب الايمان بثقافة السلم في مجتمع

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الايمان بثقافة السلم في مجتمعك
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
97.7	293	100	02	99.2	127	96.5	164	نعم
2.3	07	-	-	0.8	01	3.5	06	لا
100	300	100	02	100	128	100	170	المجموع



الشكل رقم 09 : الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة حسب الايمان بثقافة السلم في المجتمع

يبين هذا الجدول توزيع المبحوثين والافتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة حسب الإيمان بثقافة السلم الاجتماعي ، فأعلي نسبة في هذا الجدول تمثل الاتجاه العام هي 97.7% أي أغلب أفراد العينة لديهم ميول لإرساء ثقافة السلم في المجتمع وإيمانهم بها، نجد ضمن هذا الاتجاه نسبة 99.2% تمثل المبحوثين الذين أحيانا ما يتقيدون بسلوكات أوليائهم في ما يتعلق بالطريقة المتبعة، والاتجاه الثاني والنسبة التي تمثله هي 2.3% هم المرادين الذين لا يميلون إلى ثقافة السلم مقارنة بالاتجاه الأول يكاد هذا الاتجاه ينعدم فنجد 0% من الذين لا يقتدون بأوليائهم في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة

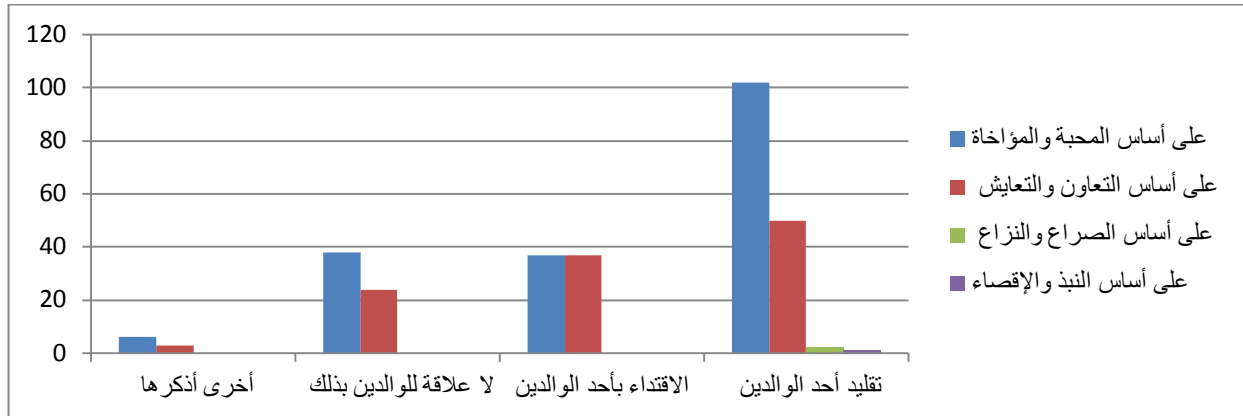
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

من خلال هذا الجدول نقول أن التقليد للوالد يكون في جميع التزاماته تجاه الطريقة الصوفية المتبعة سواءا التيجانية أو الشاذلية محل الدراسة من أذكار يومية وعبادات وتكون هاته الأذكار مستمد من القرآن الكريم للارتقاء بالنفس ودوام محبة الشيخ دون انقطاع، أن يتبع طريقة واحدة، وكما صرح أحد مشايخ هذه الطرق أن الصوفية عملت جاهدة على الاسلام الصحيح وذلك عن طريق الفتاوي ومماريتها للبدع والشعوذات كما عملت على اصلاح الأفراد من الانحراف عن الشرع، فمن خلال هذا ما يتعرض إليه أفراد المجتمع الجزائري من مشاكل اجتماعية واقتصادية وتربوية وحتى سياسية أصبح يبحث عن حلول وبدائل بعكس المتصوفة الذين بقوا متمسكين بالمنطق الديني المتمثل في الطرق الصوفية والزوايا فكانوا في عيشة أفضل ويؤمنون بمجتمع متماسك مؤمنين بثقافة الأمن والاستقرار لأن بطبيعة الحال تقليد المرید للوالدة الصوفي يكون في شتى الأشكال سواءا التضامن الاجتماعي والوعي الاجتماعي والضبط الاجتماعي والتكافل والتماسك الاجتماعي هذا من الناحية الاجتماعية ومن الناحية الدينية في التقليد حتى في قضية الالتزام بالأذكار والأوراد وحضور مجالس الذكر، ما يتعلق بالجانب الروحي إن صح التعبير وما يقرب إلى الله يعني بناء أفراد، وبقية وظيفية الزاوية محصورة على بعض النشاطات الدينية لكن أغلب مریدیها لا يجذبون الخوض في الأمور السياسية، هذا ما لمسناه في بداية الدراسة الاستطلاعية وحتى الميدانية على العموم استنتجنا من خلال حواراتنا معهم أن أغلب المریدین يساهمون في استقرار البلاد من خلال السير في تطبيق بعض برامج الدولة مثل برنامج الوئام المدني، المصلحة الوطنية، قانون الرحمة، هذا من أجل إحلال ثقافة السلم وتوفير الأمن والاستقرار بجميع أشكاله والطمأنينة للأفراد والأبناء الذين هم بحاجة لمن يرشدهم ويوعيهم في شكل تنظيم اجتماعي سياسي ويرجع السبب في ذلك في احتوائهم لما لهم من قوة وتأثير عليهم، فيركز جميع المشايخ والمریدین على متابعة الشباب والأبناء وإشراكهم في جميع القضايا وتوضيحها إن أمكن لعدم الوقوع في أزمات وحالة فوضى وعدم الوقوع في اضطرابات ومشاحنات أو وقوع شرخ بين الأبناء والآباء في قضايا سياسية وحدوث فجوات اجتماعية .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 16: يوضح توزيع المبحوثين وأسباب الحرص على اتباع الطريقة حسب أساس بناء العلاقات مع الآخرين

المجموع		أخرى أذكرها		لا علاقة للوالدين بذلك		الاقتداء بأحد الوالدين		تقليد أحد الوالدين		الحرص في اتباع الطريقة جاء عن طريق	أساس بناء العلاقة مع الآخرين
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
61.0	183	66.7	06	61.3	38	50.0	37	65.8	102	على أساس المحبة والمؤاخاة	
38.0	114	33.3	03	38.7	24	50.0	37	32.3	50	على أساس التعاون والتعايش	
0.7	02	-	-	-	-	-	-	1.3	02	على أساس الصراع والنزاع	
0.3	01	-	-	-	-	-	-	0.6	01	على أساس النبذ والإقصاء	
100	300	100	09	100	62	100	74	100	155	المجموع	



الشكل رقم 10: أسباب الحرص على اتباع الطريقة حسب أساس بناء العلاقات مع الآخرين

يبين الجدول أعلاه والذي يوضح توزيع المبحوثين و أسباب الحرص على إتباع الطريقة حسب بناء العلاقات مع الآخرين، نجد أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 61.0% والذي يمثل بناء العلاقات لدى المرئدين أساسه المحبة والمؤاخاة ضمن هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة 66.7% تمثل إتباع المرئدين للطريقة كان عن طريق عدة أشياء نذكر منها الاستقرار الروحي والبحث عن التربية الروحية أما الاتجاه الثاني الذي يقاربه نسبة 50.0% يمثل بناء العلاقات

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

على أساس التعاون والتعايش مع الآخرين ويقتدون بأحد الأولياء أما الاتجاهين المتبقيين هما بناء العلاقات مع الآخرين على أساس الصراع والنزاع وعلى أساس النبذ والإقصاء فهما منعدمان إلا بنسب ضئيلة جدا لا تستحق الذكر، أو عدم فهم المبحوثين للسؤال.

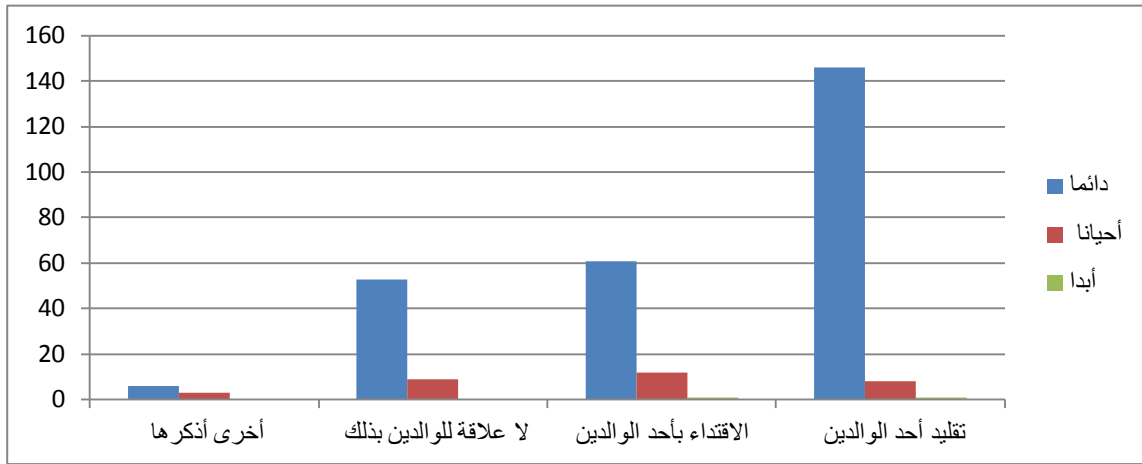
من خلال هذا الجدول نصل إلى فكرة مؤداها أن بناء العلاقات مع الآخرين من طرف المتصوفة أسبابه كثيرة زيادة على تقليد الوالد إذا كان صوفي أو الاقتداء به في شتى المجالات، وكذلك إذا كان الوالد ليس صوفيا فتأثير جماعة الرفاق الصوفية أو شيخ الطريقة قد يؤثر على شخصية المرید في ربط علاقاته مع الذين لا علاقة لهم بالتصوف. فبعض النظر عن الأب إذا كان صوفيا، فديننا يحننا على المشاركة في الإرث الإنساني، فحرية اختيار المنهج أو الطريق الديني أمر شخصي حث عليه الإسلام، هذا أسلوب حضاري لا مثيل له في تاريخ الحضارات، وكذلك أسلوب الحوار والمجادلة الحسنة مع المخالف للمنهج، قال تعالى "وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" ، " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " صدق الله العظيم، فما بالك بالمسلم الذي لا يتبع التصوف على حسب رأي جميع لمريدين وإذا ما عرفنا أن أهم أسباب الإرهاب في العالم قائم على مبدأ المخالفة والصراع والنزاع والنبذ والإقصاء.

واستدل عدد كبير من أفراد العينة على بعض الآيات فتتجلى لنا بوضوح حكمة المبدأ الإلهي فيها " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " وأيضا " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ " صدق الله العظيم، من هنا نستقى فكرة أن التربية الصوفية مبنية على مبدأ التسامح الديني وضمان حريات الآخرين، فجل المتصوفة يرى أن تربية أوليائهم المتصوفين جاءت بعدم إكراه الناس بسبب الاختلاف في العادات والفروع الدينية، ويصرح أحد المریدين أن إكراه الآخرين هو أول أسباب الإرهاب وأهم دواعيه، فلتحقيق الأمن والاستقرار لابد من بناء علاقاتنا على المحبة والمآخات وروح التعاون والتعايش ولا بد أن يدرك الناس أهمية انتزاع الكره من نفوس من ساءت مفاهيمهم لطبيعة ديننا، ويضيف نفس المرید أن الإنسانية لم تعرف ديننا يحمل من قيم التسامح والتعايش ما يحمله ديننا الإسلامي مع من يخالفنا في الدين فكيف بمن يخالفنا في المنهج والفكر، ونلاحظ من هنا مظاهر الانفتاح والسلوك الحضاري في أوساط الصوفية وفي تربيتهم لأبناءهم في التعامل مع أغلب أطياف المجتمع، فهم على صلة دائمة مع عامة الناس ويتعاملون معهم وينصحوهم ويساعدونهم في شتى أمور حياتهم، كل هذا راجع إلى التربية الصوفية التي يتلاقها جميع مریدی هاته الطرق الصوفية ولا فرق بين التجانية والشاذلية في ذلك .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 17: يوضح توزيع المبحوثين حسب سبب الحرص على اتباع الطريقة والدعوة إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل

المجموع		أخرى أذكرها		لا علاقة للوالدين بذلك		الاعتداء بأحد الوالدين		تقليد أحد الوالدين		سبب الحرص على إتباع الطريقة الدعوة إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
88.7	266	66.7	06	85.5	53	82.4	61	94.2	146	دائما
10.7	32	33.3	03	14.5	09	16.2	12	5.2	08	أحيانا
0.7	02	-	-	-	-	1.4	01	0.6	01	أبدا
100	300	100	09	100	62	100	74	100	155	المجموع



الشكل رقم 11: سبب الحرص على إتباع الطريقة والدعوة إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل

يبين الجدول أعلاه الذي يوضح توزيع المبحوثين حسب سبب الحرص على إتباع الطريقة والدعوة إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل، فأعلي نسبة تمثل الاتجاه العام هي 88.7% تمثل أفراد العينة الذين يدعون دائما الى السلم والأمن من خلال مجال العمل الذي يقومون به في حياتهم اليومية فنجد ضمن هذا الاتجاه نسبة 94.2% سبب حرصهم على إتباع الطريقة الصوفية راجع لتقليد أحد الأولياء، ثم الاتجاه الثاني نجد ضمنه أعلى نسبة وهي

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

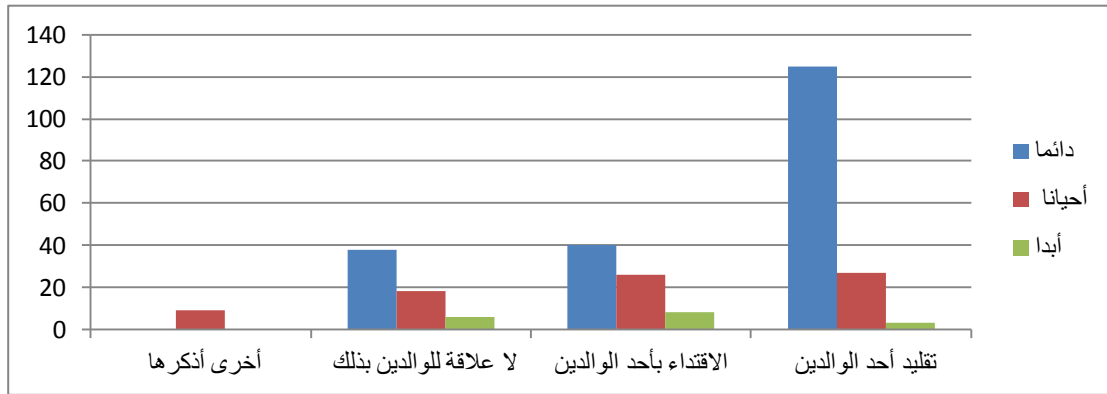
33.3% أحيانا ما يدعون هؤلاء المريدين إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل وسبب حرصهم على إتباع الطريقة راجع لعدة أسباب من بينها الراحة النفسية والروحية والبحث أيضا على التربية والتهذيب الروحي، أما الاتجاه الثالث فمنعدم تماما متقاربة بالاتجاهات الأولى، والذي يمثل الأفراد الذين لا يدعون إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل.

نستنتج من خلال هذا الجدول أن أغلب أفراد العينة يقومون بالدعوة إلى السلم والأمن كل واحد من مجال عمله وهذا راجع إلى التربية الصوفية التي يتلقاها هؤلاء سواء في تقليد الوالد الصوفي أو التربية الروحية التي يتلقاها هؤلاء المريدين في الزاوية فيري هؤلاء أن الدين الاسلامي جاء للتحرير وليس للحبس بتاتا، لفتح أفق التسامح، ويتفق أغلب المريدين على أن الجماعات التي تستعمل العنف الأعمى في البلدان العربية، وحتى في العشرية السوداء في الجزائر كان سببه توظيف الدين تحوفا من النقد العالمي وترفض السلم الديمقراطي، فهم يسرون ضد المرجعيات المؤسسة لهذا الدين وتكمن المهمة المنوطة على حسب رأي بعض المريدين في التعديل والتصحيح والتحديد عن طريق التحليل العقلاني للمواقف والدعوة إلى السلم والأمن داخل أوساط الشباب المندفع والمشحون بالقوة والاندفاع، وعدم الجري وراء الخطابات الداعية للتطرف والعنف قصد معارضة الانغلاق ومقاومة كل أشكاله فيعمل الآباء الصوفية جاهدين لاسترجاع مختلف أبعاد الإسلام وإيجاد الخط الوسطي الذي هو خاصته معناها حث الأبناء على العمل بعمق من أجل توصيف حركات الانغلاق والدعوة إلى السلم والأمن والابتعاد عن التطرف الذي هو ضد الإسلام ومعاديا له هذا متفشي في كثير من الشباب متعذر نصحه وإرشاده بسبب تحجر فكره، وعليه فان هدف الآباء المتصوفة هنا هو إعادة تأسيس وتجديد ثقافة السلم لدى أبناءهم والحث على نشرها لبلوغ هؤلاء الشباب المتصوفة للحق والعدل والإسلام الحقيقي الداعي إلى التسامح وتقبل الآخر والانفتاح .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 18: يوضح توزيع المبحوثين حسب سبب الحرص على إتباع الطريقة والنصح عند رؤية العنف

المجموع	أخرى أذكرها		لا علاقة للوالدين بذلك		الاعتداء بأحد الوالدين		تقليد أحد الوالدين		سبب الحرص على إتباع الطريقة هو النصح عند رؤية العنف	
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
67.7	203	-	-	61.3	38	54.1	40	80.6	125	دائما
26.7	80	100	09	29.0	18	35.1	26	17.4	27	أحيانا
5.7	17	-	-	9.7	06	10.8	08	1.9	03	أبدا
100	300	100	09	100	62	100	74	100	155	المجموع



الشكل رقم 12: سبب الحرص على إتباع الطريقة والنصح عند رؤية العنف

يبين هذا الجدول توزيع المبحوثين حسب سبب الحرص على إتباع الطريقة والنصح عند رؤية العنف، فأعلي نسبة تمثل الاتجاه العام هي 67.7% الذين ينصحون ويحاولون النهي عن العنف دائما ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 80.6% يقلدون أولياءهم تقليد أعمى فيما يخص إتباعهم للطريقة، ثم الاتجاه الثاني والذي تمثله نسبة 26.7% الذي يمثل المبحوثين الذين أحيانا ما ينهون على العنف وينصحون عند رؤيته بالكف عنه، ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 35.1% والتي تمثل المرادين الذين يقيدون بأفعال أباؤهم هذا هو سبب حرصهم على إتباع الطريقة التيجانية

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

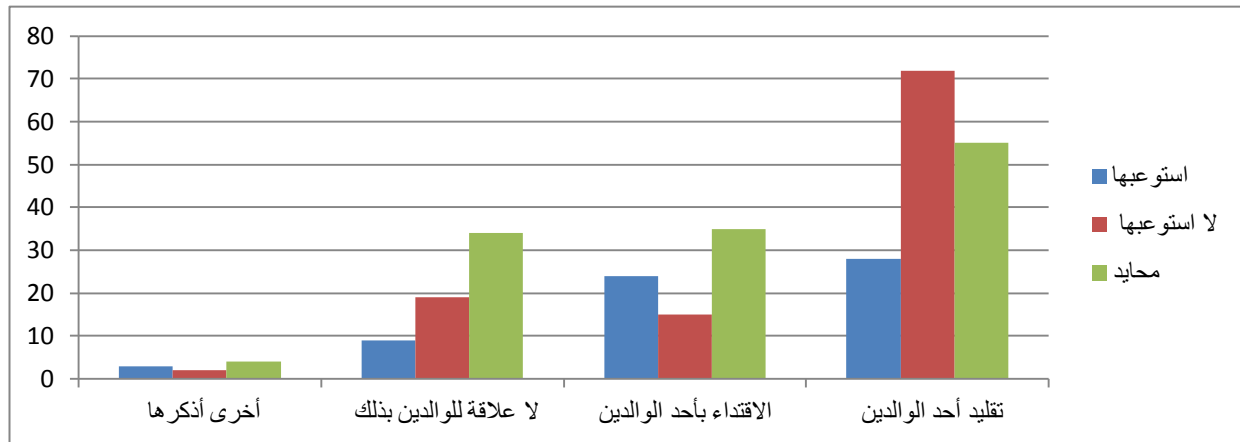
أو الشاذلية محل الدراسة، ثم نجد أعلى نسبة في الاتجاه الآخر 10.8% وهي نسبة تكاد تكون ضئيلة جدا مقارنة بسابقتها وهي عدم النصح عند رؤية العنف وبقنود بأولياهم فيما يتعلق بإتباعهم للطريقة الصوفية.

يتضح من خلال النتائج المحصل عليها من خلال هذا الجدول أن أغلب المبحوثين قد تأثروا في إتباعهم للطريقة الصوفية التيجانية كانت أو الشاذلية بتربية أولياءهم الذين حرصوا على تلقينهم تعاليم الدين الإسلامي وحثهم على الابتعاد على العنف لأن سببه الغضب والفظاظة فيجب أن يتحلى كل مريد على حسب الأولياء الصوفيين بالرفق واللين فهذا ناتج عن حسن الخلق والسلامة، بطبيعة الحال ما لحضناه من تعاملات الآباء المريرين الملتزمين مع أبناءهم يدل على أنه لا يوجد عنف حتى في تصرفاتهم وكلامهم وحوارهم فمن خلال مجالسة المشايخ نجدهم يشددون على أهمية التركيز على أساليب التربية النبوية الكريمة وأهمية التربية على مبادئ الإسلام الحقة ومكارم الأخلاق والابتعاد عن العنف، نجد أن الأبناء قد تحلوا بهذا فأصبحوا ينهون عنه (العنف) سواء اللفظي أو الجسدي نستنتج أن هذا مكتسب فلا نجد في وسط العائلة الصوفية فقط بل ينهون عنه حتى في الشارع وفي أماكن العمل فالذي يصدر عنه سلوك العنف يكون لحظتها بدون عقل أي يغيب عنه العقل، ويشدد أغلب أفراد العينة أنه لا بد أن نرجع لصاحب العنف عقله فهو عزيزة في الإنسان لا بد من أن يكبحها ويرى جميع أفراد هاته العينة أن التصوف حركة توعوية هادئة بديله على العنف في الإسلام، فيرى كل من ذاق حلاوة التصوف أنه يشعر بشكل مختلف للحياة ويحاول أن ينهى عن الغلو في الإسلام والتطرف، فأضحى كل صوفي يعطي صورة على أن التصوف تعبير راق عن الإسلام الوسطى فأضحى الصوفية يعطون صورة جميلة عن التصوف للقضاء على التشدد فأبدى الكثير من أطياف المجتمع اهتمامهم بالتصوف وذلك راجع لتدخلات المريرين في فك النزاعات بين المتخاصمين، ويرى عدد كبير من أفراد العينة أن التصوف في قضائه على المشاكل واعتماد أفراد النصح والقضاء على العنف يمكن أن يكون البديل المناسب والممتاز للإسلام السياسي الفاشل .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 19: يوضح توزيع المبحوثين حسب سبب الحرص على إتباع الطريقة ووجهات نظر غير المقتنعين بالتصوف

المجموع		أخرى أذكرها		لا علاقة للوالدين بذلك		الافتداء بأحد الوالدين		تقليد احد الوالدين		سبب الحرص على إتباع الطريقة	رأيك تجاه وجهات نظر غير المقتنعين بالتصوف
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
21.3	64	33.3	03	14.5	09	32.4	24	18.1	28	استوعبها	
36.0	108	22.2	02	30.6	19	20.3	15	46.5	72	لا استوعبها	
42.7	128	44.4	04	54.8	34	47.3	35	35.5	55	محايد	
100	300	100	09	100	62	100	74	100	155	المجموع	



الشكل رقم 13: سبب الحرص على إتباع الطريقة ووجهات نظر الغير مقتنعين بالتصوف

يوضح الجدول أعلاه توزيع المبحوثين حسب سبب الحرص على إتباع الطريقة الصوفية ووجهات نظر غير المقتنعين بالتصوف، فأعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 42.7% وهم أفراد العينة الذين أجابوا بالحيد حيال وجهات نظر غير المقتنعين بالتصوف، نجد ضمن هذا الاتجاه نسبة 54.8% هم أفراد العينة الذين لا علاقة لوالديهم في حرصهم على إتباع الطريقة، أما الاتجاه الثاني نجد أعلى نسبة فيه 46.5% وهم أفراد العينة الذين لا يستوعبون وجهات نظر غير المتصوفة وكان حرصهم في تقليد أحد الوالدين المتصوف سبب اتباعهم للتصوف، أما أقل فئة نجدها

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

في الاتجاه الأخير والذي يمثل استيعاب أفراد العينة لوجهات نظر غير المتصوفة بنسبة 33.3% وسبب حرصهم على اتباع التصوف سببه البحث عن أشياء روحية ونفسية .

نستنتج من خلال هاته النتائج المتحصل عنها من خلال هذا الجدول أن أغلب أفراد العينة يرون التصوف والزوايا على حق في قضية الفكر والعقيدة والمفاهيم ويجب أن تقف الزوايا والمتصوفة لتصحيح المفاهيم للقضاء على وجهات نظر غير المقتنعين بالتصوف وأن آراءهم تقضى على التعصب الطائفي والمذهبي المؤدية إلى التطرف، على هذا كانت أكبر نتيجة في الجدول تفضي بالحياد في الرد على هذا السؤال، وشدد هؤلاء أي أفراد العينة على ضرورة تزويد الشباب بتربية روحية حقيقية وبمعارف وكفاءات ضرورية في هذا العالم المعقد، كل هذا نابع من تربية الآباء المتصوفة التي آتت ثمارها على جميع مريدي الدراسة، ويرى أفراد العينة أن غير المقتنعين بالتصوف يخصهم تكوين هيكلية لأفكارهم ومثلهم الأيديولوجية التي يرضاها المجتمع ويرون أنهم متطرفين شئتهم شأن أي نسق معرفي يؤثر ويتأثر في غيره من الظواهر، فكل هاته الأفكار نابعة من تربية صوفية سهر عليها الأولياء المتصوفة أعطت أشخاص مسالمين لا يتقبلون العنف، فأغلب مظاهر الغلو في الدين والتشدد موجودين منذ القدم وأن العنف لا دين له ولا جنس له ولا لون له و أن هاته الظاهرة منذ القدم في الفكر المسيحي والفكر اليهودي القديم والمعاصر وفي الأيديولوجيات الماركسية والليبرالية والفاشية والنازية، وكذلك عند الجماعات الإسلامية المتشددة، وأن من أسباب التطرف الجهل بواسطة الإسلام وبمقاصد الشريعة والخوض في معانيها بالظن من غير تثبت علاوة على تقصير أهل العلم في القيام بواجب النصح والإرشاد والتوجيه لعموم الأمة داعين إلى ضرورة نشر العلم الشرعي مع التأكيد على تزكية النفوس والتربية الإيمانية وإرساء الحوار الهادئ الحكيم وفتح باب الأمل في هداية الناس والقيام بالدعوى إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وفتح باب الحوار مع الذين لا يتواصلون مع المتصوفة.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

خلاصة واستنتاجات

- من خلال تحليل وتفسير المعطيات الاحصائية الواردة في الجدول، والخاصة بالفرضية الجزئية الأولى وكذا من خلال التحقيقات الميدانية من تحليلات سوسولوجية :
- تبين أن اتباع أحد الوالدين للطريقة المنتمي إليها يؤثر في علاقة المرید مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف فما نسبته 48.3% علاقتهم عادية مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف وأحد والديهم يتبع التصوف سواء الطريقة التيجانية و الشاذلية أو حتى طرق أخرى كالرحمانية أو الهبرية .
 - تبين أن علاقة والد المرید بالطريقة المنتمي إليها تؤثر على علاقة المرید مع الذين لا ينتمون إلى التصوف فأغلب أفراد العينة علاقتهم تسامحية بنسبة 50.0% مع الذين لا ينتمون إلى التصوف فعلاقة الوالد بالتصوف تؤثر في تربية وتنشئة الأبناء ، نجد أن معظم أولياء المبحوثين مریدين ملتزمين بطريقة صوفية معينة حيث قدرت نسبة 68.5% من المریدين أولياءهم مریدين ملتزمين في الطريقة المنتمي إليها سواء التيجانية أو الشاذلية أو يمثل والديهم علاقة مشيخة بالطريقة أو مقدمين أو محبين .
 - تبين أن مساهمة الوالد في اتباع الأبناء للطريقة الصوفية يؤثر على علاقتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف حيث سجلت أعلى نسبة وهي 50.0% من مجموع أفراد العينة وعلاقتهم تسامحية مع الذي لا ينتمون إلى التصوف فما نسبته 50.2% ضمن هذا الاتجاه مساهمة والديهم كبيرة في اتباع طريقة الصوفية سواء الطريقة الشاذلية أو التيجانية .
 - تبين أن حرص الوالدين على إتباع الطريقة الصوفية يؤثر على طريقة التعامل مع الأشخاص المختلفين مع المریدين فكربا في قضية التصوف، نجد أعلى نسبة هي 49.3% تمثل طريقة التعامل في الحوار بطريقة شفافة مع الأشخاص المختلفين مع المریدين فكربا، ضمن هذه الفئة نسبة 53.2% أسرهم حريصين جدا على اتباعهم للطريقة ويحاولون التدخل في قضية اتباع الطريقة سواء مریدی الطريقة التيجانية أو الشاذلية لا يوجد اختلاف وحوارهم شفاف مع المختلفين فكربا معهم .
 - تبين أن الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة يؤدي بالمرید إلى الدعوة للسلم والأمن في المجتمع ما تعبر عليه أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 85.3% في هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة هي 87.6% من المریدين الذين يدعون دائما للسلم والأمن الاجتماعي ويقتدون دائما بسلوكات أوليائهم في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة وهذا بالنسبة للطرق محل الدراسة.
 - تبين أن الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة يؤدي بالمرید في التفكير بالعيش في المجتمع بسلام نسجل أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام وهي 98% إن لم نقل جميع أفراد العينة في هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

وهي 98.8% تمثل رغبة المريدين في العيش بسلام وأيضا الاقتداء دائما بالوالد فيما يتعلق بسلوكاته تجاه الطريقة المتبعة سواءا التيجانية أو الشاذلية فالتنشئة الصوفية في حد ذاتها تعطي أولية للسلام تعليميا وتربيا ويحاول الوالد المريد أن يبني أفكار أبنائه على منهج الحوار الذي يعد من أبرز السبل لتحقيق السلام.

- تبين أن الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة يؤدي بالمريد إلى تعبئة النفوس والعقول لنبذ العنف في المجتمع، أعلى نسبة هي 80.6% الذين يعبتون الأنفس والعقول من أجل نبذ العنف من خلال مجال عملهم ومناصبهم ومكانتهم الاجتماعية متأثرين بسلوكات أوليائهم فيما يخص الطريقة الصوفية المتبعة ما يوضح نشأة هذه القيمة السامية في محاولة إصلاح المجتمع من طرف مريدي الطرق الصوفية تعود في أصلها إلى ما في الإسلام ذاته وتشجع عليه الأولياء، وكذلك بواعث ساهمت في انبعائه في أنفس أولياء المريدين وترسيخها ونقلها للأبناء كان مصدرها القرآن والسنة أولا ثم الطريقة الصوفية التي تلقنها للإتباع فكلاهما يضمن ما يؤكد انغراس هذه القيم الدينية التي تكاد تندثر.

- تبين أن الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة تزيد من إيمان المريد بثقافة السلم في مجتمعه ما تعبر عليه نسبة 97.7% أي أغلب أفراد العينة لديهم ميول لإرساء ثقافة السلم في المجتمع وإيمانهم بها، فتقليد الوالد يكون في جميع التزاماته تجاه الطريقة الصوفية المتبعة سواءا التيجانية أو الشاذلية محل الدراسة من أذكار يومية وعبادات وتكون هاته الأذكار مستمد من القرآن الكريم للارتقاء بالنفس ودوام محبة الشيخ دون انقطاع.

- تبين أن تقليد أحد الوالدين في اتباع الطريقة الصوفية أحد الأسباب التي أدت بالحرص على إتباع الطريقة من شأنه التأثير في بناء العلاقات مع الآخرين، فبناء العلاقات لدى المريدين أساسه المحبة والمؤاخاة تمثلها أعلى نسبة وهي 66.7% وكان سبب اتباع الطريق الصوفي لهؤلاء عدة أشياء تقليد أحد الأولياء والتأثر به لتحقيق الاستقرار الروحي والبحث عن التربية الروحية وبناء العلاقات على أساس التعاون والتعايش مع الآخرين فبناء العلاقات مع الآخرين من طرف المتصوفة أسبابه كثيرة زيادة على تقليد الوالد إذا كان صوفيا أو الاقتداء به في شتى المجالات، وكذلك إذا كان الوالد ليس صوفيا فتأثير جماعة الرفاق الصوفية أو شيخ الطريقة قد يؤثر على شخصية المريد في ربط علاقاته مع الذين لا علاقة لهم بالتصوف. بغض النظر عن الأب إذا كان صوفيا.

- تبين أنه إذا كان سبب الحرص على إتباع الطريقة الصوفية راجع لتقليد أحد الأولياء يؤدي هذا إلى الدعوة إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل، ما تمثله نسبة 88.7% وهم أفراد العينة الذين يدعون دائما إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل الذي يقومون به في حياتهم اليومية وسبب حرصهم في اتباع الطريقة الصوفية راجع لتقليد أحد الأولياء والبحث عن الراحة النفسية والروحية وعلى التربية والتهديب الروحي.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

- تبين أنه إذا كان سبب الحرص على اتباع الطريقة تقليد أحد الوالدين يؤدي هذا بالأبناء المريدين إلى النصح عند رؤية العنف في المجتمع، فأغلب المريدين بنسبة 67.7% الذين ينصحون ويحاولون النهي عن العنف دائما ويقلدون أولياءهم فيما يخص إتياعهم للطريقة وينهون على العنف وينصحون عند رؤيته بالكف عنه فنجد أن أغلب المريدين تأثروا في إتياعهم للطريقة الصوفية التيجانية كانت أو الشاذلية بتربية أولياءهم الذين حرصوا على تلقينهم تعاليم الدين الإسلامي وحثهم على الابتعاد على العنف لأن سببه الغضب والفظاظة.

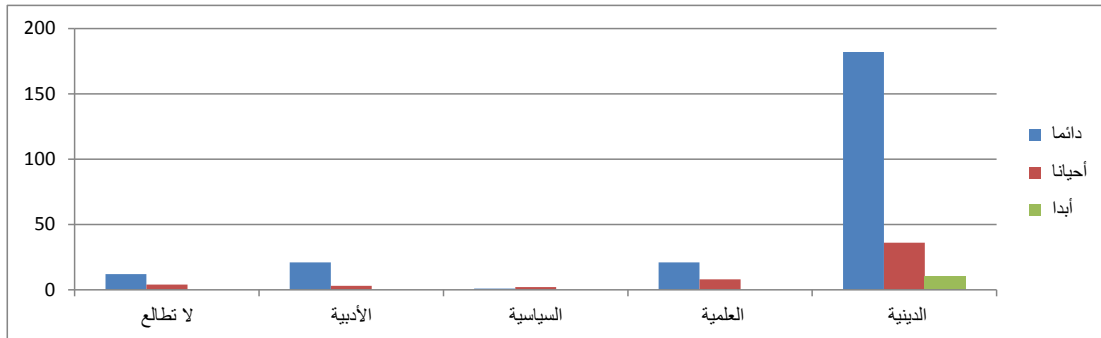
- تبين أنه إذا كان سبب الحرص على إتياع الطريقة الصوفية هو التأثير بشيخ الطريقة أو الرفاق يؤدي هذا بالحكمة والروية في الحكم على رأي غير المقتنعين بالتصوف، ما تمثل نسبة 54.8% وهم المريدين الذين أجابوا بالحياد حيال وجهات نظر غير المقتنعين بالتصوف، ولديهم علاقة لوالديهم في حرصهم على إتياع الطريقة فالتأثر بالشيخ أو جماعة الرفاق هو الذي جعلهم يتكتمون في إبداء رأيهم وتوكيل الأمر للشيخ هو الذي ينوب عنهم.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

المحور الثاني: مساهمة الأفكار والتوجهات الدينية الصوفية في ترسيخ ثقافة السلم الاجتماعي.

الجدول رقم 20: يوضح نوع الكتب التي يفضلها المبحوثين للمطالعة حسب محاربة سلوكيات العنف في المجتمع

المجموع	لا تطالع		الأدبية		السياسية		العلمية		الدينية		الكتب التي يفضل مطالعتها	محاربة سلوكيات العنف في المجتمع
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
79.0	237	75.0	12	87.5	21	33.3	01	72.4	21	79.8	182	دائما
17.7	53	25	4	12.5	3	66.7	2	27.6	8	15.8	36	أحيانا
3.3	10	-	-	--	-	--	-	--	-	4.4	10	أبدا
100	300	100	16	100	24	100	03	100	29	100	228	المجموع



الشكل رقم 15: نوع الكتب التي يفضلها المبحوثين للمطالعة حسب محاربتهم لسلوكيات العنف في المجتمع

يوضح هذا الجدول نوع الكتب التي يفضلها المبحوثين أثناء المطالعة حسب محاربة سلوكيات العنف في المجتمع فتشير الإحصائيات الواردة فيه

إلى أن 79.0% من مجموع أفراد العينة يجارون سلوكيات العنف في المجتمع، ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 87.5% تمثل المبحوثين الذين يطالعون

الكتب الأدبية و 79.8% نسبة المبحوثين الذين يطالعون الكتب الدينية و 75.0% نسبة المبحوثين الذين لا يطالعون، وأيضا نسبة 07.4% من

المبحوثين يطالعون كتب علمية، ونسبة 33.3% يطالعون كتب سياسية أما الاتجاه الثاني وهم الذين أحيانا ما يجارون سلوكيات العنف داخل المجتمع

بدرجة أقل نجد نسبة 66.7% ضمن هذا الاتجاه تمثل المبحوثين الذين يطالعون الكتب السياسية، والاتجاه الآخر نسبته التمثيلية قدرت بـ

03.3% تكاد تعدم مقارنة بالنسب التمثيلية للاتجاهات الأخرى وتمثل المبحوثين الذين لا ينهون عن سلوكيات العنف في المجتمع.

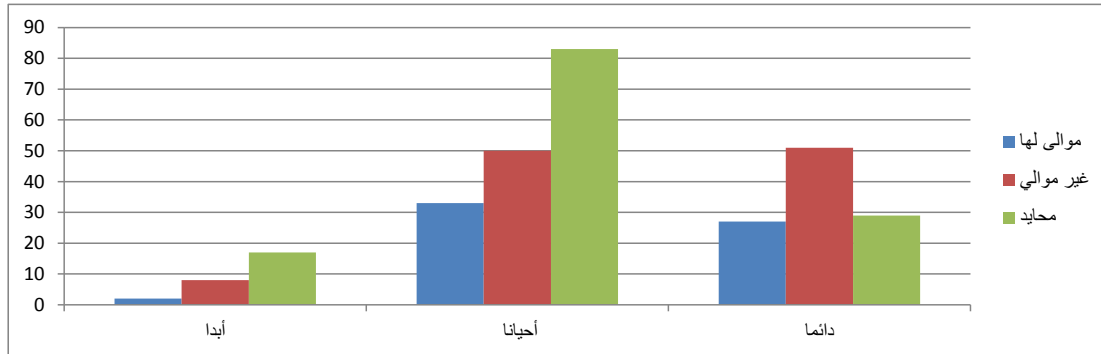
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

يتضح من هاته النسبة أن أغلب مبحوثي هاته الدراسة يتمتعون بدرجة علمية لا يستهان بيها لدرجة أن أغلبهم يطالع، فالمطالعة هي الوسيلة الأساسية لتثقيف المرء وتوعيته بما يدور، وتنقل الفرد إلى النضج الفكري والعقلي وتكوين شخصية بأبعادها المختلفة مما ينتج عنه حكمة في التعامل مع المواقف والسلوكيات في مجتمعه، كما أننا نجد من صفات القارئ الجيد الذي تتنوع قراءاته الالتزام والوعي والاتزان، والملاحظ من نتائج الجدول أن الذين يركزون على مطالعة في الكتب الدينية ميالون إلى السلم والإيمان به، إن ثقافتهم الدينية التي أكسبوها من خلال المطالعة وحتى إن تعاليم ديننا تنهى عن السلوك غير السوي في مجتمعنا، هذه الظاهرة السيئة المرعجة تقلل الأمن وتزعج المواطنين فمن خلال المطالعة للكتب الدينية يكتسب الإنسان تعاليم الإسلام السمحة، فلم يزل الناس يعبدون الله كما تعلموا من الكتب وتربوا عن طريق أهل العلم وعن طريق دراسة المتون والدراسة في الحلقات فهذا هو منهج الصوفية كما يخلو للبعض أن يسميه (المنهج التقليدي) وكما يصرح بعض المريدين أن هذه الطريقة التقليدية قام عليها هذا الدين العظيم فالبعض يزهدها فيها ويرى أنها جموداً للعقل ويرى فيها انحطاطاً كما يسمونها وأن طرق التعليم بدائية هذه كلها دسائس يسعى المستشرقون وأعداء الإسلام إلى التأثير بها على أذهان بعض الدراسين في الجامعات هذه الأفكار كان لها الأثر السيء على أفكار الشباب، ففناوتت طرق محاربة هذه الأفكار التي أدت إلى شذوذ السلوك الإنسان في المجتمع هذا ما أدى إلى المشايخ والشباب بالتركيز والرجوع إلى الأخذ من كتب العلماء والمشايخ سواء أفراداً أو في حلقات المساجد للقضاء على أساسيات التطرف الذي نفشى في المجتمع بسبب هذه الأمور الدخيلة، أن القضاء على هذه السلوكات غير السوية لا بد على التركيز في اقتناء الكتب التي يطالعها هؤلاء الشباب وحلقات الذكر في الرباطات والزوايا، فنجد أن أبناء الطرق التي سلطت عليها الدراسة يولون اهتمام كبير للمطالعة ويتحققون بما في الكتب، مثال كتاب الامام الغزالي رحمه الله تعالى الذي لا تزال كتبه تقرأ ليلاً نهاراً من طرف المريدين كالأحياء وبداية النهاية يركزون عليها الصوفية في تلقيها لأنبائهم منذ نعومة أظفارهم وبداية الهداية لا تكاد تفارق حلقات الدرس سواء في الزاوية التيجانية أو الشاذلية وكتاب الاحياء الذي يجزئونه إلى أربعين جزءاً ويختمونه في كل أربعين يوماً، وهذه الأرعينية يعملون بها في الخلوة التي يدخلوها الصالحون ليتركوا بها أنفسهم وطلابهم، فهذه الأساسية وهذه الطرق التدريسية التي يتلقاها الشباب، هي التي كانت ولا تزال تحافظ على الاستقرار وتعزيز الأمن في المجتمع بعمومه، ويرى هؤلاء المبحوثين أن التصدي لمن يحمل بعض الأفكار المغايرة المعادية للمذهبية أو المعادية للصوفية والمد الحاصل، لذا لا بد من تركيزه وتطهير القلوب أولاً بالمطالعة المعمقة وفهم ديننا الحنيف ليحصل الوثام ويقضى على أحداث العنف بين المسلمين التي غلبتها تأتي من السياسة ونادراً ما تكون من الدين والعلم .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 21: يوضح توزيع المبحوثين حسب مطالعة كتب المتصوفة وعلاقتهم بالتغيرات الحاصلة في الانظمة السياسية للبلاد

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		مطالع كتب المتصوفة	العلاقة بالتغيرات في الانظمة السياسية
		%	ك	%	ك	%	ك		
20.7	62	7.4	2	19.9	33	25.2	27	موالي لها	
36.3	109	29.6	8	30.1	50	47.7	51	غير موالي	
43.0	129	63.0	17	50.0	83	27.1	29	محايد	
100	300	100	27	100	166	100	107	المجموع	



الشكل رقم 16: مطالعة المريدون لكتب المتصوفة وعلاقتهم بالتغيرات الحاصلة في الانظمة السياسية للبلاد

يوضح الجدول أعلاه توزيع المبحوثين حسب مطالعة كتب المتصوفة وعلاقتهم بالتغيرات الحاصلة في الأنظمة السياسية للبلاد، تشير الاحصائيات إلى أن نسبة 43.0% تمثل الاتجاه العام في الجدول وتمثل أفراد العينة الذين هم محايدون في إبداء رأيهم حول التغيرات في الانظمة السياسية للبلاد، نجد ضمن هذا الاتجاه نسبة 63% وتمثل أفراد العينة الذين لا يطالعون كتب المتصوفة، اما في الاتجاه الثاني نسبة 36.3% والتي يمثل المبحوثين غير الموالين للتغيرات الحاصلة في البلاد سياسيا أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 47.7% هم المبحوثين الذين يطالعون كتب المتصوفة دائما، أما أقل نسبة هي 25.2% الذين يقرؤون كتب المتصوفة والموالين للمتغيرات الحاصلة في الانظمة السياسية للبلاد.

من خلال هذه النتائج المحصل عليها من هذا الجدول نستطيع القول أن المريدون الأكثر تعليما والأكثر مطالعة لكتب المتصوفة لديهم خبرات ومهارات لم تتوفر عند غيرهم من الذين لا يطالعون كتب المتصوفة، أو حتى الكتب العلمية فنجد لديهم قدرا لا يستهان به في مجال التكنولوجيا والمعلومات والاتصال

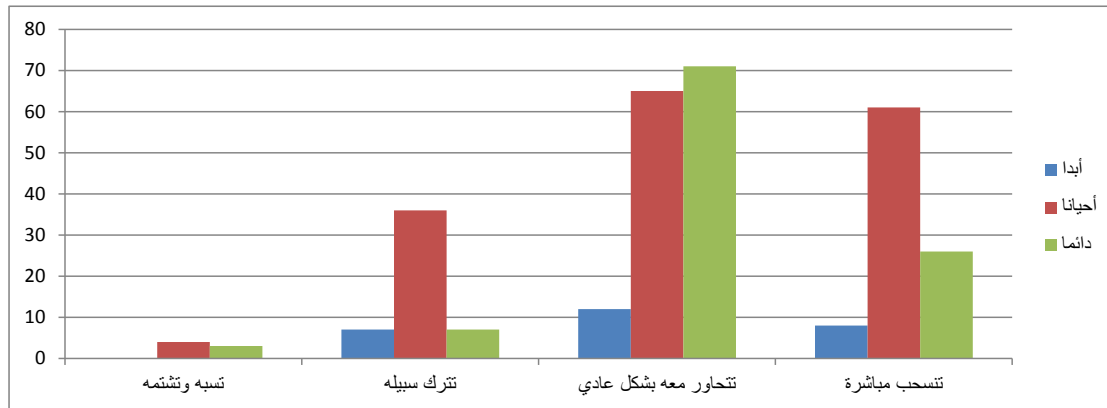
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

والتقدم، تتكون لدى هؤلاء المريدين ثقافة خدمة مجتمعتهم والارتقاء به، متسلحين بعلمهم ويرون أن هذا هو النجاح، لا نعتقد أن الأغاني الوطنية والشعارات الرنانة قادرة على تغذية الروح لهؤلاء المريدين الشباب، فالمطالعة لكتب الدين التي تنادي بالوسطية تعطى للمريدين مواقف إيجابية نحو قضايا الأنظمة السياسية فأغلب هذه الكتب تنادي بالاعتدال والابتعاد عن الدمار والمهجرة غير شرعية فمن المريدين من يصرح أن البحر أصبح مقبرة للفارين من أوطانهم هذا راجع للبعد عن الدين وعدم انتقاء المصاحبة الصحيحة وغموس هؤلاء الشباب في الفتن باسم الدين والدين منهم براء، فالابتعاد عن المطالعة الفعالة والابتعاد عن الدين يؤدي إلى ضعف في التعليم وضعف في الانتماء مما يجعل الشباب معاديا لأنظمتهم السياسية كما قال أحد المريدين " إذا مس القوم في روحهم أهدم المجتمع والقيم والعادات والتقاليد والدين " فالفهم الخاطئ للدين والمطالعة الخطأ أدت إلى مستنقعات الدمار فسمع عن تجارة الرقيق وهتك الأعراض باسم الدين والربيع العربي... الخ، كلها أشعلها الشباب في خطوة لعدم الرضى عن الأنظمة السياسية السائدة، فالمشايخ المتصوفة يحاولون تلقف الشباب لعدم الرجح بهم في أشياء ضد الانظمة، لأن من صنع هاته التفاهات هم باختصار أشد الناس عداوة للدين على حسب رأي مشايخ الطريقة التيجانية وكذلك الشاذلية وعدم تدمير البلاد من خلال تثقيف الشباب بدينهم السمح، وعدم المشيء في مخططات ضد أنظمة الحكم السائدة، وأن يعطى الشباب المسلم رؤية جيدة عن الاسلام الذي أصبح في نظر الغرباء دينا إرهابيا، فهم يرون المتطرفين لا ينشرون الاسلام إلا بالدم والأشلاء والحرق، وسياسة التكفير مما جعل الفرق لديهم واضح بين الاسلام الحقيقي الصحيح وبين تزوير وتشويه لصورة الاسلام وقتل أبنائه، فالمريدون يعطون صورة جميلة من خلال التلاحم لينصهروا في بوتقة الاسلام مخلفين جيلا ينادي بالموالاة للمتغيرات الحاصلة في البلاد من خلال المطالعة الجيدة والفهم الحسن للرسالة التي تنشرها الطريقة الصوفية لبناء وطن قوي راسخا ساححا. أما فيما يخص الذين لا توجد لديهم علاقة بالسياسة فغالبيتهم لا علاقة لهم بالمطالعة، وانعدام الثقافة السياسية لديهم، بل نجد عدم الاهتمام أصلا بمثل هذه الأمور والسبب في ذلك تدنى مستوى الوعي الثقافي للمجتمع الجزائري ككل وهو كغيره من مجتمعات العالم الثالث.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 22: يوضح توزيع المبحوثين حسب مطالعة كتب المتصوفة وتصرفهم حيال الخلافات مع المنتمين لطوائف أخرى

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		مطالعة كتب المتصوفة عند حدوث خلاف مع منتمين لطائفة أخرى
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
2.3	7	-	-	2.4	4	2.8	3	تسبه وتشتمه
16.7	50	25.9	7	21.7	36	6.5	7	ترك سبيله
49.3	148	44.4	12	39.2	65	66.4	71	تتجاوز معه بشكل عادي
31.7	95	29.6	8	36.7	61	24.3	26	تنسحب مباشرة
100	300	100	27	100	166	100	107	المجموع



الشكل رقم 17: مطالعة المريدن لكتب المتصوفة وتصرفهم حيال الخلافات مع المنتمين لطوائف أخرى

يوضح الجدول أعلاه توزيع المبحوثين حسب مطالعة كتب المتصوفة وتصرفهم حيال الخلافات مع المنتمين لطوائف أخرى، حيث أشارت أعلى نسبة في الجدول وهي 49.8% وهم المبحوثين الذين يرون أن الحوار يكون بشكل عادي جدا مع المنتمين للطوائف الأخرى في حالة نشوب خلاف نجد ضمن هذه الفئة نسبة 66.4% وهي أعلى نسبة تمثل المبحوثين الذين دائما ما يطالعون كتب المتصوفة أما الفئة التي تليها هم المبحوثين الذين ينسحبون مباشرة إذا حدث خلاف مع منتمين لطائفة أخرى أعلى نسبة هنا هي 36.7% هم المبحوثين الذين أحيانا ما يطالعون كتب المتصوفة، الفئة الثالثة هم الذين يتكون سبيل المنتمين لطائفة أخرى عند حدوث خلاف، أعلى نسبة هنا هي 25.9% هم المبحوثين الذين لا يطالعون أبدا كتب المتصوفة،

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

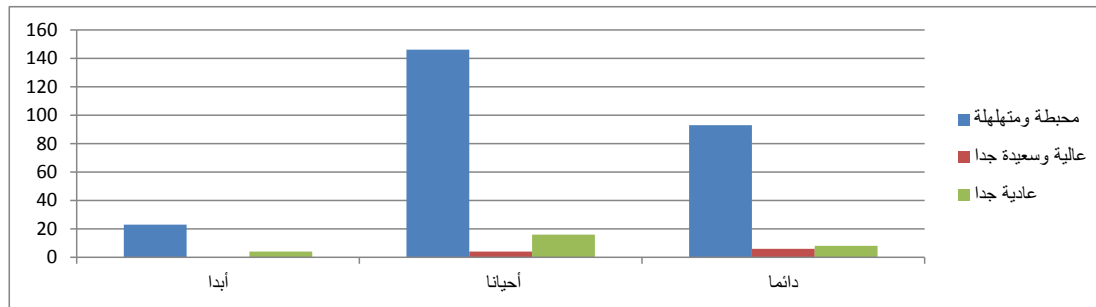
أما الفئة الأخيرة الذين يسبون ويشتمون المنتمين لطائفة أخرى إذا حدث خلاف فهي تكاد تنعدم في الجدول بنسبة ضئيلة جدا 2.8 % مع أنهم يطالعون كتب المتصوفة.

من اللافت للنظر من خلال النتائج المحصل عنها أن الاختلاف لا يكون في كل أمور الدين فحسب بل يمكن أن يكون في جميع أمور الحياة، فأول هذه الاختلافات قضية التشدد والغلو في الذين ما يؤدي إلى سلوك نفسي يظهر عند الاضطراب، وهو التطرف حتى في التصرفات اليومية الذي يدفع الانسان الآيس إلى الفساد والخراب، لأن الإنسان دائما يفكر في التقدم والرقى من الأسفل إلى الأعلى حتى يتمكن من الوصول إلى المراتب العليا، وعندما يفشل هذا الإنسان في نيل مرامه النبيلة التي يفكر بها في الأيام الفائتة فسيبدأ في فكرة تحطيم العلاقات الإنسانية ومن هنا لا يريد الحياة أصلا لذاته وللآخرين، هذا الشعور قل ما نجده عند المتصوفة الذين يركزون على التهذيب الروحي والرقى بالنفس إلى أسنى المراتب وزهدا في أمور الدين مما يجعلها راضية مرضية بما كتبه الله لها، هذا نابع من أمهات كتب التصوف لكن دائما نجد الشعور النفسي الذين تكلمنا عنه سابقا عند الطوائف الأخرى المتشددة، فنجد جماعة الصوفية تحتويهم لعلمها بما أصابهم من أمراض السلوك فهو مشكلة من المشاكل الاجتماعية والدينية والأخلاقية والروحية فالصوفيون قد حددوا سابقا المشكلة وتوجهوا إلى اقتلاعها من نفوس مرديهم، ثم بعد ذلك توجيه الطوائف الأخرى بالحسنى إلى الإصلاح والتحسين من سلوكياتهم بالتناور وعدم التصعيد في الخلاف مع المختلفين فكريا معهم من الطوائف الأخرى لتقديم الصورة الصحيحة للتصوف الاسلامي، وتدفع المجتمعات إلى الاحساس العميق متمثلة في التراث الصوفي الأصيل، متجذرة في المصادر الإسلامية، فنجد أهل التصوف يحاولون جاهدين أن يوصلوا الفكر السليم والعلم الصحيح لفتح المدارس في الزوايا الصوفية والحناقات والمساعدات الفكرية من أهل التصوف للذين هم مختلفين ويجهلون مذهب التصوف وزرع القيم الأخلاقية النبيلة من خلال كتبهم والحفاظ عن الوحدة المذهبية للأمة ونصرة القضايا الوطنية وتكوين المواطن الصالح المتصف بالاستقامة والصلاح والمتسم بالاعتدال والوسطية والتسامح، هذا ما لاحظناه عند المريدين محل الدراسة أنهم شغوفين بالعلم وبطلب المعرفة، يتميزون بروح المبادرة والإنتاج النافع والإفنتاج على مختلف العلوم العقلية والعقلية وعلى اللغات الأجنبية والتقنيات الحديثة ناهيك عن إشاعة ثقافة التضامن والتسامح والاعتدال وإشاعة ثقافة الوسطية، وترسيخ الالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية حفظا وسلوكا، والسعي على نشرها وتعليمها كل هذا لإعطاء صورة حسنة للذين هم مختلفين معهم فكريا، لأن هذا الطريق هو الأصح للعيش، كل هذا ينتج لنا أفراد غير متشددين وليسوا متعنتين في تعاملهم مع أهل المذاهب الأخرى كترسيخ لما نلوه من أمهات الكتب التي ينصح بقراءتها وفهمها والعمل بما لدى المتصوفة.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 23: يبين توزيع أفراد العينة حسب مطالعتهم لكتب المتصوفة وحالتهم النفسية حيال قضايا العنف في المجتمع

المجموع	أبدا		أحيانا		دائما		هل تطالع كتب المتصوفة	حالة نفسيته حيال قضايا العنف في المجتمع
	ك	%	ك	%	ك	%		
87.3	262	85.2	23	88.0	146	86.9	93	محبطة ومتهلهة
3.3	10	-	-	2.4	4	5.6	6	عالية وسعيدة جدا
9.3	28	14.8	4	9.6	16	7.5	8	عادية جدا
100	300	100	27	100	166	100	107	المجموع



الشكل رقم 18: مطالعة المرئدين لكتب المتصوفة وحالتهم النفسية حيال قضايا العنف في المجتمع

يوضح الجدول أعلاه توزيع أفراد العينة حسب مطالعتهم لكتب المتصوفة وحالتهم النفسية حيال قضية العنف في المجتمع فأعلى نسبة هي 87.3% في جدول وتمثل فئة أفراد العينة الذين يشعرون بإحباط وتلهل نفسياتهم حيال قضايا العنف في المجتمع ضمن هذه الفئة نجد أعلى نسبة وهي 88.0% وهم المبحوثين الذين أحيانا ما يطالعون كتب المتصوفة أما أعلى نسبة في الفئة التي تليها 14.8% نفسياتهم عادية إزاء قضايا العنف ولا يطالعون كتب المتصوفة وأقل نسبة نجدها في الفئة الأخيرة 5.6% وتمثل الأفراد الذين يسعدون جدا حيال قضايا العنف في المجتمع ودائما ما يطالعون كتب التصوف. يرى جميع من صادفناهم في هذه الدراسة أنهم لا يشعرون بالارتياح إزاء قضايا العنف في المجتمع ويردون هذا إلى التنشئة الحافظة للأجيال فالإنسان يولد على فطرة الله تعالى التي تنبذ القتل والإيذاء للبشر ويرى أفراد هاته العينة أنه عندما يتم تربية الأبناء صغارا على مفاهيم خاطئة وعادات وأعراف مغلوبة فإن ذلك يؤدي إلى بلورة الشخصية بشكل خاطئ، بحيث يتبنى أفكارا تخالف فطرته وتعاليم دينه السمحة إذن فالترقية الصوفية تركز على مطالعة كتب المتصوفة التي بدورها تحث على أن تتركز الجهود الوقائية على مرحلتين الطفولة والمراهقة لاستئصال الشر من النفس البشرية فجمل أفراد العينة لا يشعرون بارتياح إزاء قضايا العنف هذا نابع من تعاليم التصوف التي تؤدي إلى إيقاظ الشعور الديني والذي يعد الضابط الداخلي لدى كل فرد في المجتمع لضبط

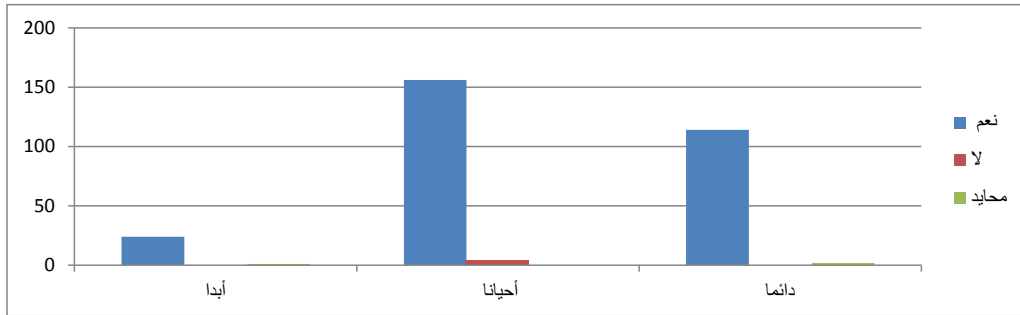
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

سلوكه ويجول دون العدوان والعنف وعدم الرضى النفسى إزاء الاعتداء على حقوق الآخرين، فتركز معظم الكتب الصوفية التي يطالعها المتصوفة لتربية أفراد في المجتمع على ترسيخ العقيدة الإيمانية كونها الأساس الأول لمنع السلوكيات الاجرامية والنهي عنها، فنجد أن القرآن ربط بين الايمان والامن في العديد من الآيات قال تعالى " الذين امنو ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون " (الانعام 82)، المتصوفة الذين يطالعون كتب التصوف يجاهدون في أنفسهم من أجل اكتساب عقيدة ايمانية اثرها يكون كبيرا على النفس في منع انتشار العنف أو عدم الرضى به، وذلك أن العقيدة الصحيحة هي أساس بناء الانسان المسلم المسلم فالعقيدة الصحيحة التي يأخذها المتصوفة من كتبهم تحث على عدم الغضب لأن الغضب هو الذي يؤدي الى سلوك عنيف وطابع إجرامي يؤدي إلى إيذاء الناس فنجد المتصوفة يناون عن مثل هذا السلوك ذا تبادر من أشخاص في المجتمع حتى ان كانوا غير منتمين للتصوف أو حتى لا يتفاهمون معهم في أمر العقيدة، فنجد هؤلاء المريدين دائما في دور الموجه والمرشد في المجتمع من خلال النصح وتبيين رسالة الاسلام الصحيح التي تحث على الرفق واللين والتسامح والعفو بعيدا عن العنف والترويع والإيذاء .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 24: يبين توزيع أفراد العينة حسب الحرص على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها وحب الوطن رغم الظروف الراهنة

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		الحرص على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها	حب الوطن رغم الظروف الراهنة
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
98.0	294	96.0	24	97.5	156	99.1	114	نعم	
1.3	4	- -	-	2.5	4	- -	-	لا	
0.7	2	4.0	1	- -	-	0.9	2	محايد	
100	300	100	25	100	160	100	115	المجموع	



الشكل رقم 19: الحرص على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها وحب الوطن رغم الظروف الراهنة

يبين الجدول أعلاه توزيع أفراد العينة حسب حرصهم على قراءة كتب الطريقة الصوفية المنتمي إليها وحب الوطن رغم الظروف الراهنة، فأعلى نسبة تمثل التوجه العام هي 98.0% الذين يحبون الوطن رغم الظروف الراهنة، نجد ضمن هذا التوجه نسبة 99.1% الذين يحرصون على مطالعة كتب التصوف الخاصة بطريقتهم سواء التجانية أو الشاذلية أي جميع أفراد العينة، ضمن التوجه الذي يليه نجد نسبة 4.0% الذين هم محايدون في قضية حب الوطن ولا يحرصون على مطالعة كتب التصوف، النسبة الأعلى في التوجه الاخير التي لا تذكر مقارنة بالأولى هي 2.5% الذين لا يحبون الوطن وأحيانا ما يطالعون كتب التصوف وهذا مستبعد نظرا لعدم فهم السؤال أو لمحدودية مستوى القراءة هؤلاء المرئيين .

من خلال ما لاحظناه من النتائج المتحصل عليها نستنتج أن حب الوطن لدى المتصوفة جزء لا يتجزأ من تربيتهم الصالحة الموجهة حيث أن واحد من أهم غايات التربية لديهم مساعدة النشء وأبنائهم على تنمية مشاعر الانتماء للمجتمع والوطن، ويصرح أبناء الطرق الصوفية الذين سلطت عليهم الدراسة أن كتب التصوف تحث على الانتماء للوطن وذلك نابع من الشريعة والدين الاسلامي من هنا ينطلق حب الوطن ويترسخ الانتماء، فيرى مشايخ الطريقتين

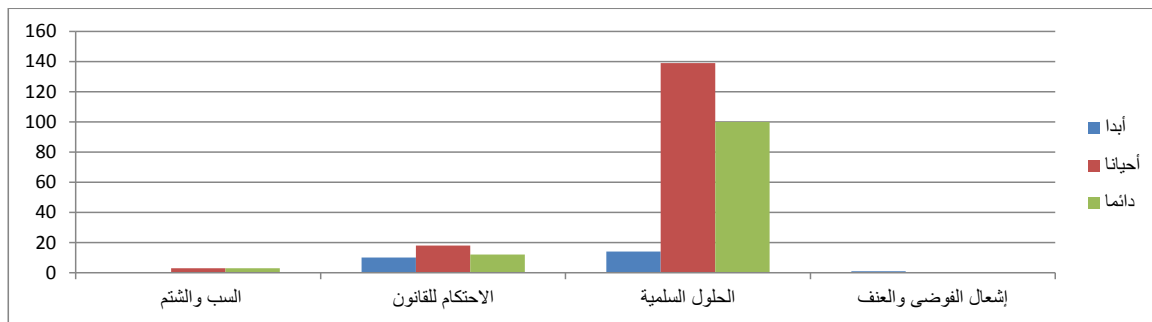
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

محل الدراسة أن تعاليم الصوفية التي نستقيها من كتبهم التي يحرصون على تلقيها للتباعد وينصحون بقراءتها تعمل على غرس مبادئ الشريعة السمحة في هذا الصدد من تعزيز للشعور بشرن الانتماء الى هذا الوطن والعمل من اجل رقيه وتقدمه، واعداد النفس من أجل خدمته ودفع الضرر عند الحفاظ على مكتسباته وتعميق الثقافة الوطنية بنقل المفاهيم الوطنية لهم، وبث الوعي بسرد تاريخ وطنهم وإنجازاته وتثقيفهم بالأهمية البالغة له، وتعويدهم على احترام الانظمة التي تنظم شؤون الوطن وتحافظ على حقوق المواطنين وتسيير شؤونهم وتنشئتهم من خلال مطالعة هاته الكتب على حب التقيد بالنظام والعمل به ما يؤدي الى تهذيب سلوكهم وتربيتهم على حب الأرين ومن خلال ايجابيات المبحوثين تم الاتفاق على أن التقصير في بيان حقوق الوطن واجبت تجاهه هو التعليم والتنشئة السوية فلا نترك مثل هذه القضايا الحساسة للاجتهادات الفردية والمبادرات الشخصية وبالتالي لا نحتاج الى متابعة كل معلم ومربي واب وشيخ ماذا فعل وكيف فعل؟ المسألة بحاجة الى نظرة اشمل وأعمق ومراجعة الأسس وبناء واستراتيجيات بعيدة المدى، قضية الوطنية وحب الوطن يشكو منها الكثيرون من مؤسسات ومجتمع وأفراد، فلا يقتصد الامر على ترديد شعارات وشكليات عامة لا ترسخ قيم ولا تبنى قناعات حقيقية فأغلب المريدين الذين صادفناهم لهم حب الانتماء وحب الوطن ومتأثرين بما يحدث داخله وغير راضين على ما يحدث من قضايا تسيء له وتحرص على العنف، ويحاولوا هؤلاء المريدين أن يتصدوا لهذه المشاكل بمحاولة اعطاء صورة جيدة للتصوف الصحيح الذي ينهى عن المنكر من خلال ما جاء في السنة والقران الكريم، كمحاولة لرسم صورة من صورة الوطنية.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 25: يبين توزيع أفراد العينة حسب الحرص على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها وتصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم ولها صلة بالسياسة

المجموع		أبدا		أحيانا		أبدا		الحرص على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها	التصرف حيال المشكلات التي لها علاقة بالسياسة
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
2.0	6	-	-	1.9	3	2.6	3	السب والشتم	
13.3	40	40.0	10	11.3	18	10.4	12	الاحتكام للقانون	
84.3	253	56.0	14	86.9	139	87.0	100	الحلول السلمية	
0.3	1	4.0	1	-	-	-	-	إشعال الفوضى والعنف	
100	300	100	25	100	160	100	115	المجموع	



الشكل رقم 20: الحرص على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها وتصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم ولها صلة بالسياسة

يبن توزيع المبحوثين حسب الحرص على قراءة كتب الطريقة الصوفية المنتمي إليها وتصرفاتهم حيال المشكلات التي تعترضهم أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 84.3% الذين يفضلون الحلول السلمية عند تعترضهم لمشاكل ولها علاقة بالسياسة، ضمن هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة 87.0% متمثلة في المرئيين الذين يحرصون على قراءة كتب الطريقة المنتمين إليها ثم أقل نسبة بعد هذه النسبة نجد في الاتجاه الثاني الذين يفضلون الاحتكام للقانون ولا يحرصون على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها لتتضاءل النسبة 4.0% الذين فضلوا إشعال الفوضى والعنف اذا صادفناهم مشاكل ولها علاقة بالسياسة

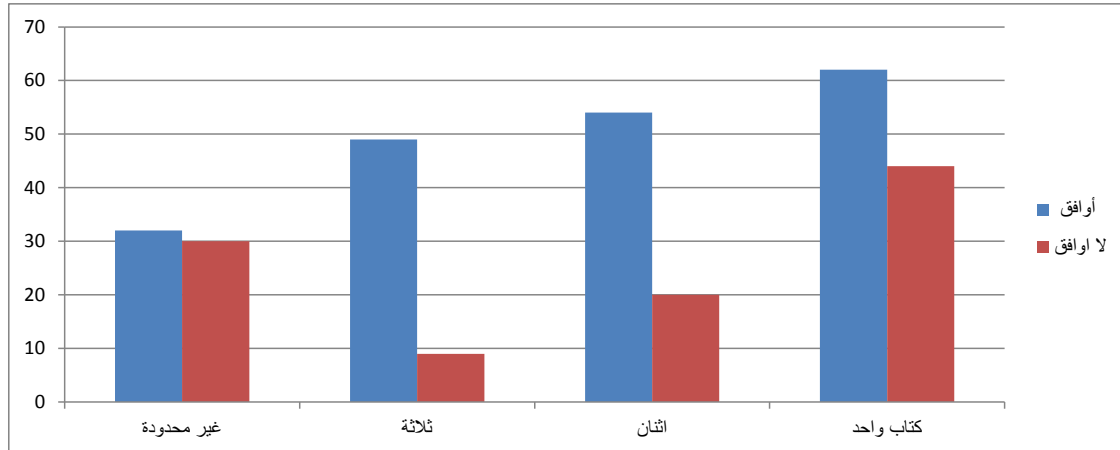
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

ولا يحرصون على قراءة كتب الطريقة المنتمين إليها، إلا أن نسبة 2.6% في اتجاه آخر تمثل المريدين الذين اختاروا السب والشتم عند تعرضهم لمشاكل متعلق بالسياسة ويحرصون على قراءة كتب الطريقة المنتمين إليها، إلا أن هذا الاتجاه يكاد ينعدم مقارنة بالاتجاه الاول الذي يمثل الحصة الأكبر نستخلص مما سبق ان الاجيال التي سبقتنا كانت اكثر عدائية واكثر تشدد ولاشك أن الاجيال الجديدة تختلف كلياً عن الاجيال القديمة في طريقة تفكيرها واهتماماتها منصبه على معيشتها وأمورها الدنيوية خاصة في حق المساواة في الدولة أكثر من شيء آخر، لكن اذا جاء من يحرصهم من حقوقهم الوطنية ويعاملهم كمواطنين من الدرجة الثانية في وطنهم بسبب قضية دينية مثلاً أو مذهبية، فعندئذ يتمسك بتوجهه ويتعصب له ويدفعه هذا الشعور الى التذمر والتمرد هذا عند الشباب العادي أما المرید الصوفي فيري أن احترام المرجعيات الدينية ودورها في حفظ السلم الاجتماعي ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة وترسيخ روح التسامح بين أتباع التصوف أو حتى مختلف الطوائف الدينية، كما يطلب بعض مریدی الطرق الصوفية من القادة السياسيين بعدم زج المرجعيات والمشايخ وتوريثهم في الشأن السياسي، كما يؤكدون على منع استخدام الرموز الدينية متعاطياً في الحملات الانتخابية والمنافسات الدينية أو أي نشاط سياسي وتجنب اصدار فتاوى دينية لأغراض سياسية ومن خلال التشبع الفكري لهؤلاء المريدين الذين تلقوا تعاليم الطرق الصوفية المنتمين إليها من خلال الكتب الصوفية يرون أن التقدم الحضاري لأي مجتمع لا يتحقق الا بمشاركة جميع أطراف المجتمع حتى المشاكل السياسية لا بد من اشراكهم فيها ومعرفة طبيعتها ووضعها على طاولة النقاش ومشاركتهم بإيجاد الحلول الصحيحة لهاته المشاكل بالطرق السلمية والودية، وكذلك المشاركة في تنفيذ هذه الحلول في الواقع بالعمل الجماعي، ويرى مریدی هاته الطرق الصوفية أن السبب الكثير من المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع وخاصة السياسية سببها السلبية والاعتزال عن حركة المجتمع فهي مشكلة تؤدي الى تخلف النمو الحضاري للمجتمع، فلا بد من قيمة المشاركة والحوار الشفاف بعيداً عن التعصب فنظرة المتصوفة لسياسة البلاد نظره مشرفة جوهرها الاصلاح وتحقيق مصالح الناس وعدم تعطيلها وجلب المصلحة ودرء المفسدة ولا بد أن تتكاتف الجهود من نظر المتصوفة الى الاصلاح وابعاد الفساد كل هذا يكون عن طريق التعامل بمبدأ الصالح مع الذات وعدم التعصب إلى الأفكار.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 26: يبين توزيع أفراد العينة حسب عدد الكتب المطالعة للطريقة المتبعة وتأثير الانتماء للطريقة الصوفية على الموالاتة للسلطة الحاكمة

المجموع		غير محدودة		ثلاثة		اثنان		كتاب واحد		عدد الكتب المطالعة الخاص بالطريقة المتبعة بانتمائك للصوفية عليك الموالاتة للسلطة الحاكمة
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
65.7	197	54.6	32	84.5	49	73.0	54	58.5	62	أوافق
34.3	103	48.4	30	15.5	9	27.0	20	41.5	44	لا اوافق
100	300	100	62	100	58	100	74	100	106	المجموع



الشكل رقم 21: عدد الكتب المطالعة للطريقة المتبعة وتأثير الانتماء للطريقة الصوفية على الموالاتة للسلطة الحاكمة

يوضح هذا الجدول والذي يبين توزيع أفراد العينة حسب عدد الكتب التي يتم مطالعتها الخاصة بالطريقة الصوفية المتبعة وتأثير الانتماء للطريقة على الموالاتة للسلطة فتشير أعلى نسبة في الجدول 65.7% والتي تمثل الاتجاه العام وهم الذين يوافقون على موالاتهم للسلطة بسبب الانتماء للصوفية نجد أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه 84.5% هم المريدين الذين يطالعون ثلاث كتب خاصة بالطريقة التي ينتمى إليها، لكن الملاحظ من الجدول أن أغلب أفراد العينة يوافقون على الموالاتة للسلطة أما ما نسبته 48.4% ليس لديهم موالاتة للسلطة ويطالعون أعداد غير محدودة من الكتب الخاصة بالطريقة.

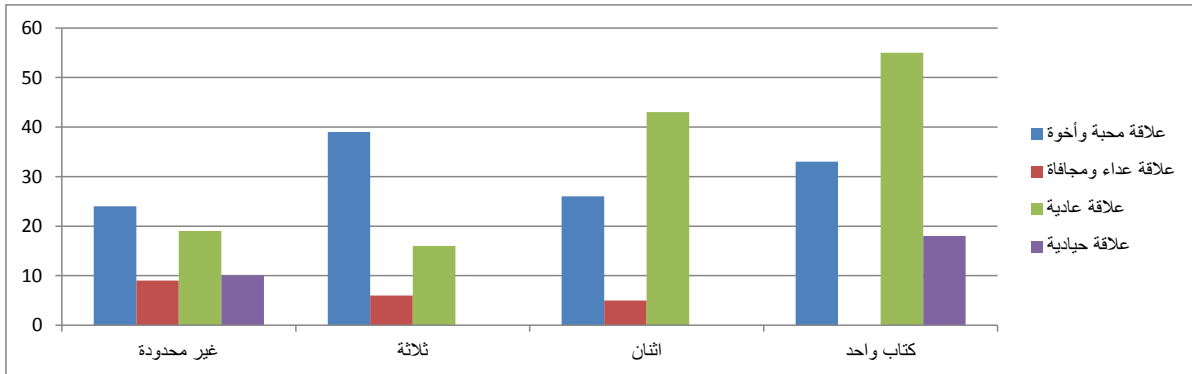
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

لا اختلاف في أن العمل الديني كان حاسما في نشأة التصوف الاسلامي عبر الانتماء الى المصدر الاسلامية، فقد ظهرت نواته الاولى لدى اصحابه من خلال التيار التعبدي الزهدي إلا أن أسباب ظهوره تعززت بجملة من العوامل السياسية الاجتماعية والثقافية، فالظروف التي عايشها الاسلام المبكر والتي تمثلت بالفوضى السياسية والنزاع على السلطة والفتن والحروب الداخلية عملت على شيوع حالة من القلق الروحي والاحساس بالظلم الاجتماعي والاستياء من انتشار التفاوت الطبقي بين المتفرقين والمعدومين الامر الذي ادى الى تنامي تيار الزهد فمعاناة المسلمين من ظلم الحكام واستبدادهم بعث على الميل الى الزهد كأداة للاحتياج والثورة الروحية على السلطة بهذا اتخذ مسار التشكيل الصوفي في بداياته مظهرا زهديا تعبديا أخلاقيا، ثم تحول من تجربة فردية شخصية ذات طبيعة نخوية الى ظاهرة اجتماعية واستقرت تصوفا طريقيا شعبيا إلى أن أدخلت الدولة هذا في اجهزتها الايديولوجية ولم يكن للصوفية أن تستمر وتزدهر دون مساندة السلطة ورعايتها، ولم تكن للسلطة لتحافظ على استقرارها دون تأييد الصوفية، فقد حكمت معادلة الولاء العلاقة بين الطرفين وعلى الرغم من أن هذه المعادلة لم تكن آلية مطردة تاريخيا لكن بفضل المشايخ ومرجعيات الصوفية الذين يثنون على السمع والطاعة لولاة الأمر لإدراكهم بعظم الامر على المجتمع واستقراره وذلك من خلال المراجع وأمهات كتب التصوف التي تزخر بها مكلف الزوايا، من خلال هذا باتت هاته الطرق أكثر موالاة واقتصرت من خلال ما ذكرنا سابقا وظيفتها على الولاء المطلق للسلطة فالسلوك السياسي للطرق الصوفية تاريخيا كان متأرجحا بين المعارضة والموالاة فالذين صرحوا بعدم مولاتهم للسلطة لديهم مشاكل مع الدولة أو مظالم مع هيئات معينة فحملوا الحقد والغل من هذا الجانب لكن في غالب الامر يأخذون على مشايخهم في هذا الباب وأيضا لم تتلبس هاته الطرق الصوفية "التيجانية و الشاذلية " تاريخيا بتقاليد النزاع أو الصراع على السلطة فضلا عن ممارسة الانقلاب وتحقيق ثورة لان هذا لا يمت بصلة لمبادئ الصوفية السمحة حتى في حالة غزو قوات احتلال خارجي لبلاد إسلامية كما حصل إبان المرحلة الاستعمارية فان الاختلاف بين الطرق كان يحصل حد التناقض بين اتجاه يتبنى المقاومة والجهاد وبين خيار يبين الموالاة والركون للإدارة الاستعمارية، فجميع الكتب التي يتبناها الصوفية تحث على الاعتدال والتي يجعلها الصوفيون مصدر أفكارهم والهامهم مرجعية لهم من خلال هذا نجد أن الدول تدعم قضية الاسلام المعتدل وتوليه له أهمية كبيرة دعمين ووجدت ضالتها في الطرق الصوفية حتى أن نجد أن الطريقة القادرية في الجزائر باتت أهم أركان الدولة بسبب دعمها ومساهمتها في فوز عبد العزيز بوتفليقة في انتخابات 2004/1999.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 27: يبين عدد الكتب التي يطالعها المبحوثين الخاصة بالطريقة المتبعة حسب علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف

المجموع		غير محدودة		ثلاثة		اثنان		كتاب واحد		عدد الكتب المطالعة الخاص علاقتك بالاتجاهات التي لا توافق التصوف
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
39.7	119	38.7	24	62.1	39	35.1	26	31.1	33	علاقة محبة وأخوة
6.7	20	14.5	9	10.3	6	6.8	5	-	-	علاقة عداة ومجافاة
44.3	133	30.6	19	27.6	16	58.1	43	51.9	55	علاقة عادية
9.3	28	16.1	10	--	-	--	-	17.0	18	علاقة حيادية
100	300	100	62	100	58	100	74	100	106	المجموع



الشكل رقم 22: عدد الكتب التي يطالعها المبحوثين الخاصة بالطريقة المتبعة حسب علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف

يوضح الجدول أعلاه توزيع أفراد العينة وعدد مطالعتهم لكتب الطريقة الصوفية المنتمين إليها حسب علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف نلاحظ أن أعلى نسبة في الجدول هي 44.3% وتمثل الاتجاه العام والذي يمثل علاقة المبحوثين بالاتجاهات التي لا توافق التصوف علاقة عادية جدا ضمن هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة و هي 58.1% الذين يطالعوننا كتابين خاصين بالطريقة المنتمين إليها، أما الاتجاه الذي يليه من خلال النسب والذي يمثل الأفراد الذين لديهم علاقة محبة وأخوة بالاتجاهات التي لا توافق التصوف، ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 62.1% يطالعون ثلاث كتب خاصة بالطريقة المنتمين إليها ، بعد هذا نلاحظ تدنى النسب للاتجاهين المتبقين وهما على التوالي علاقات حياء ومجافاة وعلاقة حيادية مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف، ضمن الاتجاه الأول نجد نسبة 14.5% وتمثل المرئيين الذين لم يجددوا عدد الكتب التي يطالعونها ونجد ضمن الاتجاه الثاني نسبة 17.0% من المبحوثين الذين يطالعون كتاب واحد خاص بالطريقة .

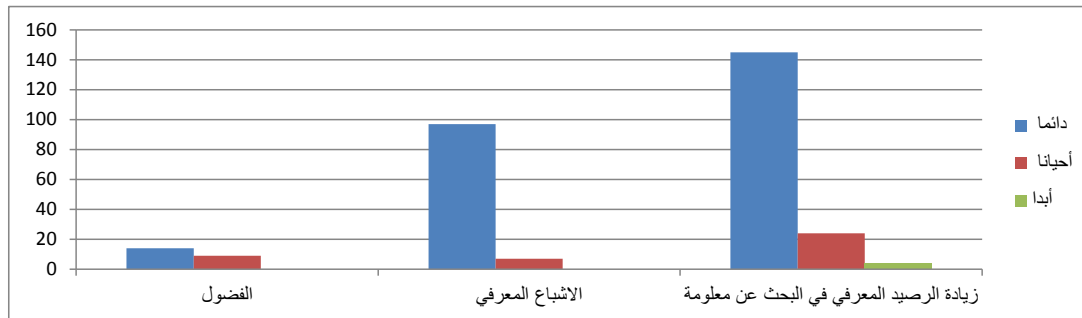
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

نستخلص من النتائج المحصل عليها من هذا الجدول أن هناك اتفاقا واختلافا بين الصوفية والاتجاهات الاخرى فيما يخص أمور العقيدة، لكن الصوفية لا يقعون في أخطاء سلوكية فهم مسلمون مع أتباع الاتجاهات الأخرى، لا يعتدون على أحد حتى وإن كان هناك خلافا فكري مع من لا يتفقون معهم أيضا من خلال ما قرأه هؤلاء المريدين في كتب طرقهم الصوفية التيجانية منها والشاذلية على اختلاف ألوانها وأعدادها لا يقومون بإكراه الغير في الدين بل لديهم طريقة مسالمة في الدعوة إلى ذلك ويؤمنون بعدم الاعتراض وحرية الدين، أي لديهم تنوع واختلاف مع عدة مناهج معتدية تستحل الدماء والأموال والأعراض وتستخدم الدين للوصول إلى التحكم في الناس عكس المتصوفة الذين يعلنون السلم والتسامح وعدم نبذ الآخر و يركزون على سلوكاتهم السليمة، كما يعد التصوف مزيجا ثقافي واسعا بين ثقافات محلية عديدة مع مبادئ الاسلام ويركز كما قلنا على الجانب الروحي للدين مقابل الجانب السياسي ويميل نحو تأويل المفاهيم الدينية السياسية مثل الجهاد إلى أمور روحية كترويض النفس على الطرق الخيرة، نجد أن علاقة مريدي الطرق الصوفية محل الدراسة بالاتجاهات الأخرى ودية جدا ويرجع سبب ذلك إلى رسوخ فكرة التعددية في النجاة الأخروية لدى المتصوفة، إضافة إلى أن طبيعة الثقافات المتنوعة تجعله متفتحا تجاه حتى على الأديان والثقافات المجاورة كل هذا مستمد مما يطالعه الصوفي من كتب طريقته التي يتبعها ويكن لها الولاء والانتماء، حتى أن رجال الصوفية البارزين ينادون بإعادة فتح العلاقات مع جميع الطوائف و الاتجاهات في سياق التصدي إلى الفكر المتطرف ومكافحته هذا من شأنه أن يلعب دورا كبيرا في عملية الإصلاح الديني الذي يحتاجه العالم الإسلامي في التصدي للتشدد والأصولية كل هذا نابع من منهج تدريسي تربوي صوفي، ما يؤكد على أن المتصوفة لديهم نية في دعم الديمقراطية و الإصلاح السياسي مع كل الأطياف والتوجهات في بناء دولة اسلامية مبنية على التعايش وحب الاسلام.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 28: يوضح الفائدة المرجوة للمطالعة لدى المبحوثين حسب الدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع

المجموع		الفضول		الاشباع المعرفي		زيادة الرصيد المعرفي في البحث عن معلومة		الفائدة المرجوة من المطالعة	الدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
85.3	256	60.9	14	93.3	97	83.8	145	دائما	
13.3	40	39.1	9	6.7	7	13.9	24	أحيانا	
1.3	4	-	-	-	-	2.3	4	أبدا	
100	300	100	23	100	104	100	173	المجموع	



الشكل رقم 23: الفائدة المرجوة للمطالعة لدى المبحوثين حسب الدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع

يوضح هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب الفائدة المرجوة من المطالعة والدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع، من خلال النتائج المتحصل عليها نلاحظ أن أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 85.3% ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 93.3% وهم الذين دائما ما يحرصون على الدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع ويطالعون الكتب بغرض الإشباع المعرفي، نجد أعلى نسبة في الاتجاه الثاني هي 39.1% تمثل المرئيين الذين أحيانا ما يدعون إلى السلم والأمن في المجتمع ويطالعون الكتب بغرض الفضول فقط، أما أقل نسبة في أقل اتجاه هي 02.3% تكاد تنعدم مقارنة بالنسب في الاتجاهات الأخرى وتمثل الذين لا يدعون إلى السلم والأمن في المجتمع ومطالعتهم للكتب بغرض زيادة الرصيد المعرفي في البحث عن المعلومة فقط .

نستطيع القول أن قضية العنف أو السلم ليس لها خصائص هيكلية أو كامنة في ثقافات أو شعوب أخرى لذا فإن ثقافة العنف مثل ثقافة السلم تشير بأشكال ودرجات مختلفة لدى كافة الشعوب، فأغلب مرئيين الطرق الصوفية يطالعون كتب التصوف باختلاف الغرض من ذلك إلا أننا نجد لديهم

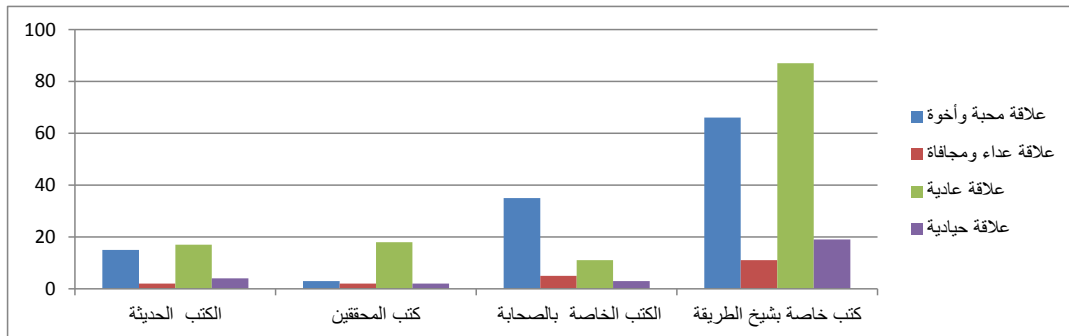
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

تكوين ثقافة تركز على إرث ديني يهدف إلى إشاعة المحبة ونشر السلم بالنظر إلى معوقات هذا السلم في المجتمع ومحاولاتهم واضحة في النأي بالمجتمعات المسلمة التي تتواجد فيها عن التنازع ابتداءً، لأنه معول هدم يفرضي إلى الفشل وذهاب الريح وهذا ما يتنافى بالضرورة مع مبادئ وأهداف المتصوفة التي تعمل من خلال التشيع الديني المكتسب من المطالعة إلى إحلال الأمن وتحقيقه بمسيراته المختلفة ولاسيما الدعوة إلى الأمن الاجتماعي، فيرى أتباع الطرق الصوفية أن هاته الطرق هي بمثابة مؤسسات مجتمعية فاعلة في تعميق أسباب الأمن والسلم الاجتماعي وأن الطرق الصوفية محل الدراسة (التيجانية والشاذلية) مؤسسات دينية في الأساس تلعب هي واتباعها المريدين دوراً ممتدة في المجتمع ذلك أن مشايخ الطريقتين وكتبهم هي الأساس في فض النزاع و الدعوة إلى السلم لأهل المنطقة، وأن مشايخ الطريقتين يتمتعون بكلمة مسموعة في جملة من القضايا فمن خلال ما جاء عن المريدين المبحوثين أنهم يحاولون جاهدين لبث لغة الحوار وعدم النزاع وفك الخصومات وتكون هاته الدعوة بنية صادقة وجادة وأن المدافعة تبدأ بالتالي هي أحسن وتحث هذه الطرق الصوفية مرديها بالدبلوماسية في الاطلاع بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفض النزاعات والشفاعة والتوسط وإصلاح ذات البين وامتصاص الآثار السلبية للمنازعات بما يضمن دوام الاستقرار والأمان للمواطنين فالطرق الصوفية بما فيها التيجانية و الشاذلية تتسم بالتغلغل في جذور المجتمع الأغواطي وتنتشر على اتساع الريف حيث تقع أكثر النزاعات حول ملكية الأراضي والمراعي فيحتكم المتخاصمون إلى مشايخ التصوف ويرضون بما يحكمون به وتطيب أنفسهم لذلك، وأكثر النزاعات التي يتداخل فيها الشيوخ الطرق الصوفية هي قضايا الموارث والأحوال الشخصية حيث يجلون النزاعات بين الأقارب والأزواج ولعل شعور المريدين والناس بأن شيوخ الطرق الصوفية هم حماة العقيدة والعرف ولهم تمكن في ثقافة المجتمع ودراية بالحلال والحرام و بالخطأ والصواب والشرف والعيب يعين كثيراً في الرضى والقناعة كل هذا لا يتنافى مع ما يطالعه مردي الطرق الصوفية عن احلال الأمن والسلم.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 29: يوضح توزيع أفراد العينة حسب أنواع الكتب التي يركزون على مطالعتها وعلاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف

المجموع		الكتب الحديثة		كتب المحققين		الكتب الخاصة بالصحابة		كتب خاصة بشيخ الطريقة		أنواع الكتب التي تركز على قراءتها	علاقتك بالاتجاهات التي لا توافق التصوف
		%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
39.7	119	39.5	15	12.0	3	64.8	35	36.1	66	علاقة محبة وأخوة	
6.7	20	5.3	2	8.0	2	9.3	5	6.0	11	علاقة عداً ومخافة	
44.3	133	44.7	17	72.0	18	20.4	11	47.5	87	علاقة عادية	
9.3	28	10.5	4	8.0	2	5.6	3	10.4	19	علاقة حيادية	
100	300	100	38	100	25	100	54	100	183	المجموع	



الشكل رقم 24: أنواع الكتب التي يركز على مطالعتها المريرين وعلاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف

بين هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب أنواع الكتب التي يركزون على مطالعتها وعلاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف، من خلال النتائج المتحصل عليها من هذا الجدول نلاحظ أن أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 44.3% وتمثل المريرين الذين لهم علاقة عادية مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف، نجد أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه 72.0% وتمثل المريرين الذين يقرؤون كتب المحققين يليها الاتجاه الثاني الأعلى نسبة بـ 39.7%. وتمثل المريرين الذين لديهم علاقة محبة وأخوة مع الذين لا يوافقون التصوف نجد ضمن هذا الاتجاه أعلى نسبة هي 64.8% تمثل المريرين الذين يقرؤون الكتب الخاصة بالصحابة ثم بأقل تمثيل في اتجاه آخرو الذين لديهم علاقة حيادية مع الذين لا يوافقون التصوف نجد ضمن هذا الاتجاه نسبة 10.5%

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

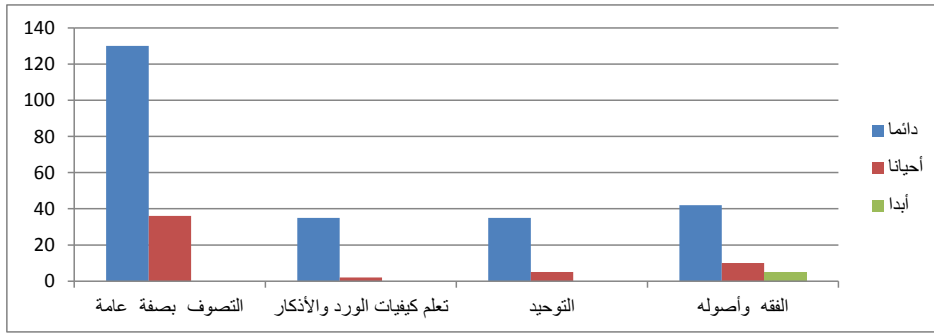
يطالعون كتب حديثة ثم النسبة الأقل نجدها تمثل المريدين الذين لديهم علاقة عداة ومخافات مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 9.3% الذين يقرؤون كتب خاصة بالصحابة .

إذن من خلال ما لمسناه من هذا الجدول أن المطالعة تشكل شغفا كبيرا لدى العديد من المريدين الذين يهتمون بالمزيد من العلم الشرعي والثقافة ويقتنع جميع من صادفناه من هاته الدراسة أن للمطالعة أهمية كبيرة في حياة الإنسان ويستدلون بالآية الكريمة "اقرأ باسم ربك الذي خلق" و دون القراءة سواء لكتب المحققين أو كتب الصوفية أو كتب الحديثة لا يمكن فهم أي عقيدة أو فكر ولن يستطيع المريد كذلك إبداء رأيه أو توجهه دون فهم معمق لأمر من خلالها يستطيع فهم قيمة نفسه ومكانته في جماعته، فالصوفي الذي يطالع تجده ملما بالعلوم الدنية مما يمكنه من الرد على انتقادات خصومه وحتى لا يتعرض لانحراف إذا ما تصرف على جهل، فبالمطالعة يفهم المتصوف حقيقة المجاهدة والرياضيات النفسية ويصب جل اهتمامه على الروح فيمرور الحال بكتب الصوفي من المطالعة أحوالا مثل المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين ومقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل، فمن خلال هذا يحاول أن يؤثر المتصوفة على المختلفين معهم فكريا من اتجاهات أخرى أو تكون علاقاتهم جيدة تساهمة من خلال ما اكتسب من المطالعة و التأثير هنا يكون عاملا ليس سلبيا وإنما يتحقق بفضل المطالعة لكتب التصوف التي تؤثر على المريد في تثقيف وحته على الانفتاح مع الآخر فيرى المتصوفة أن التأثير الايجابي على الذين لا يدركون قيمة التصوف تكن بالاحتكاك والتأثير عليهم بالعقيدة الصحيحة السمحاء فأغلب المتصوفة الذين تمت عليهم الدراسة لمسنا لديهم رغبة وإبداء استعداد من بداية الدراسة على حبهم للآخر مهما كان توجهه في خطوة منهم إلى التأخر والتأزر من أجل الاستقرار وعدم الانفعال عند الاحتكاك بمن لا يوافقون التصوف من أجل اكتساب قدر كبير من المتسامحين والمتصالحين مع الذات حتى يتسنى للجميع العيش في كنف مجتمع مسالم متقدم ومتطور ولا بد من الرغبة المستمرة في ذلك، إن هذا نابع من المطالعة والكتب الدينية الصوفية.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 30: يوضح توزيع المبحوثين حسب المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة و التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية

المجموع		التصوف بصفة عامة		تعلم كفاءات الورد والأذكار		التوحيد		الفقه وأصوله		المواضيع التي تشد انتباهك أثناء المطالعة	الالتزام بالقوانين والمعايير الاجتماعية
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
80.7	242	78.3	130	94.6	35	87.5	35	73.7	42	دائما	
17.7	53	21.7	36	5.4	2	12.5	5	17.5	10	أحيانا	
1.7	5	--	-	--	-	--	-	8.8	5	أبدا	
100	300	100	166	100	37	100	40	100	57	المجموع	



الشكل رقم 25: المواضيع التي تشد انتباه المبردين أثناء المطالعة و التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية

يوضح هذا الجدول توزيع المبحوثين حسب المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة و التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية نلاحظ أن أعلى نسبة في هذا الجدول تمثل الاتجاه العام هي 80.7% وتمثل أفراد العينة الذين دائما ما يلتزمون بالقوانين والمعايير الاجتماعية ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 94.6% تمثل الأفراد الذين يشد انتباههم أثناء المطالعة كتب تعلم كفاءات الورد والأذكار في الاتجاه الثاني و الذي يمثل أفراد العينة أحيانا ما يلتزمون بالقوانين والمعايير الاجتماعية ،ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 21.7% كأعلى نسبة تمثل الأفراد الذين يشد انتباههم أثناء المطالعة كتب التصوف بصفة عامة مقارنة بنسبة 8.8% وهم الأفراد الذين لا يلتزمون بالقوانين والمعايير الاجتماعية ويطالعون كتب الفقه وأصوله وهذه النسبة أقل ما يقال عنها أنها ضعيفة جدا مقارنة بسابقتها .

واستنتاجا مما سبق لا يخفى على أحد مدى أهمية القوانين والأنظمة والمعايير الاجتماعية التي تنظم شؤون الناس كأنظمة المرور والسكن والزراعة واستخدام العمال وغيرها كثير، من هذا المنطلق نجد من يفقد هذه الأنظمة ومن يجهلها على حسب علم مسلم وثقافته الدينية التي يكتسبها من خلال مرجعياته

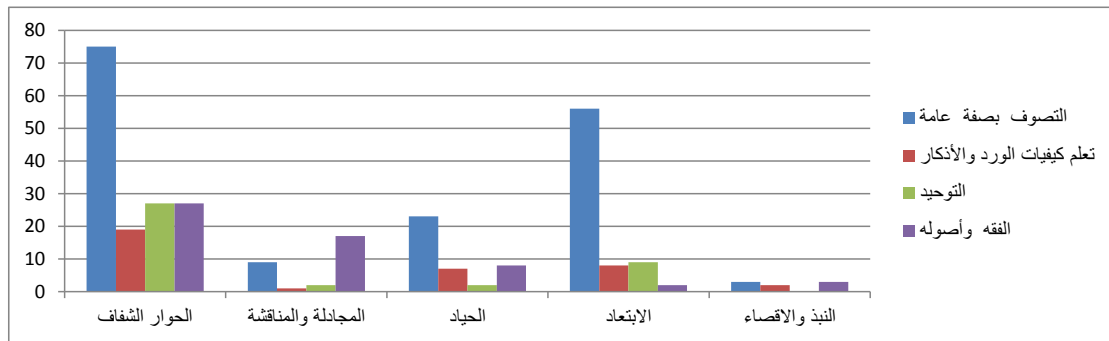
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

وشائعة أو مشايخه أو كتب التي يطالعها فمن هذه القوانين والمعايير طاعة ولاة الأمور بعدم تجاوز القوانين أو معصتها وذلك أن تلك القوانين إنما هي من المصالح المرسله التي يراعها المرید، فيجب طاعته لها للمصلحة المرجوة في التزامه والمفسدة المتوقعة عند عدم ذلك فنجد جميع المریدين يتبعون النص الشرعي وعلمائهم ومشايخهم على أن لولي الأمر تقيد المباح كالبيع والشراء والإجازة، إذا كانت في ذلك مصلحة البلاد وإلا فالأصل الإباحة ويعلم أغلب المریدين أن العبرة في اعتبار الشارع للمصلحة والمفسدة إنما هي بغلبة الظن ويعلم هؤلاء المتصوفة أن مخالفة هاته القوانين قد يحدث بسببها الضرر إما عليهم وإما على غيرهم ولا يرجع هؤلاء المریدين إلى اجتهاد الناس في هاته القوانين والمعايير الاجتماعية لأنه لا ينضبط لديهم لاختلاف أحوالهم وتقديراتهم بقدر ما يرجعون ذلك إلى أمهات كتب التصوف والفقه وأصوله وحتى رأي مشايخهم و مرجعياتهم الصوفية وكتبهم المتواترة عليهم فيرى هؤلاء المریدين أن الالتزام بالقوانين هو لدرأ المفسدة أولى من جلب المصلحة كما هو مقرر في القوانين والقواعد الفقهية وهم على علم تام أن من يخالفها هو آثم و عليه فإنه يجب مراعاة المصلحة الغالبة العامة مقدمة على المصلحة المظنونة الخاصة فيرى هؤلاء المریدين أن التزامهم بحاته القوانين والمعايير الاجتماعية واجب خصوصا وإن كان يترتب على ذلك الضرر وإن كان أحيانا لا ضرر فيه إلا أن المرید يرى أنه لا يوصل نفسه إلى الذل ويهينها بالمساءلة و أنه لا يجوز التحايل والتهرب من القوانين التي يسنها المشرع وحتى المعايير الاجتماعية و الأنظمة الإدارية نجد المریدين وقافين عند حدودها كل هذا نابع من ثقافة اكتسبها هؤلاء في طابعها دنية اسلامية مستمدة من الكتب التي يلزم بمطالعتها.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 31: يوضح توزيع الباحثين حسب المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة و طبيعة معاملتهم للمختلفين فكريا معهم

المجموع		التصوف بصفة عامة		تعلم كفاءات الورد والاذكار		التوحيد		الفقه وأصوله		المواضيع التي تشد انتباهك أثناء المطالعة
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
49.3	148	45.2	75	51.4	19	67.5	27	47.4	27	طبيعة معاملتك مع الاشخاص المختلفين فكريا معك في التصوف
9.7	29	5.4	9	2.7	1	5.0	2	29.8	17	الحوار الشفاف
13.3	40	13.9	23	18.9	7	5.0	2	14.0	8	المجادلة والمناقشة
25.0	75	33.7	56	21.6	8	22.5	9	3.5	2	الحياد
2.7	8	1.8	3	5.4	2	--	-	5.3	3	الابتعاد
2.7	8	1.8	3	5.4	2	--	-	5.3	3	النبد والاقصاء
100	300	100	166	100	37	100	40	100	57	المجموع



الشكل رقم 26: المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة و طبيعة معاملتهم للمختلفين فكريا معهم

يوضح هذا الجدول توزيع الباحثين حسب المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة وطبيعة معاملتهم للمختلفين معهم فكريا في التصوف فنلاحظ أعلى نسبة في الجدول تمثل الاتجاه العام 49.3% وهم أفراد العينة الذين يفضلون الحوار الشفاف مع الأشخاص الذين يختلفون معهم فكريا نجد ضمن هذا الاتجاه أعلى نسبة وهي 67.5% تمثل المریدین الذين يشد انتباههم كتب التوحيد أثناء المطالعة مقارنة بأعلى نسبة في الاتجاه الثاني 33.7% تمثل الذين يفضلون الابتعاد ويشد انتباههم كتب المتصوفة بصفة عامة، مقارنة أيضا بأعلى نسبة في الاتجاه الثالث 29.8% وتمثل الذين يفضلون المجادلة

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

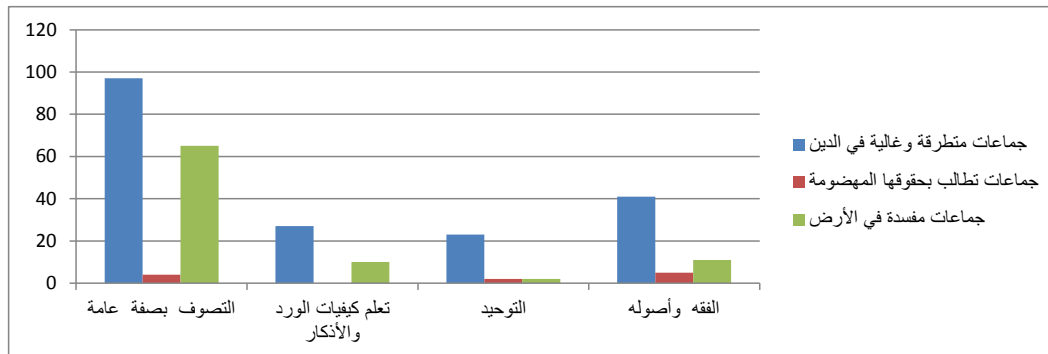
والمناقشة في تعاملهم مع المختلفين معهم فكريا، ويشد انتباههم كتب الفقه واصوله، اما أعلى نسبة في الاتجاه الرابع 18.9 % وتمثل المريرين الذين يفضلون الحياء في تعاملهم مع المختلفين معهم فكريا ويشد انتباههم كتب تعليم الورد والأذكار أقل نسبة في هذا الجدول وهي 5.4% وتمثل الاشخاص الذين يفضلون النبذ والاقصاء ويشد انتباههم كتب تعليم الذكر والورد.

من خلال هاته النتائج المتحصل عليها نلاحظ أن كتب التوحيد لها التأثير الكبير على المريرين محل الدراسة، بحيث فضلوا الحوار الشفاف في التعامل مع المختلفين معهم فكريا في التصوف رغم ما يتهمهم به الكثير من أتباع الاتجاهات الأخرى وما يحاولون إصافه من تم البدع والشرك بأرباب التصوف وبكل ما يخالفهم في المنهج والسلوك وفرض كتب الحديث التي فيها مشايخهم على طلبة الجامعات والباحثين والمكاتب والمساجد واستيراد الفتوى من المشرق العربي، والالتزام بلباس لا علاقة له بأصالة الجزائريين الادعاء بأنه لباس صحيح حتى أنهم الزموا الصبية على الالتزام بهذا اللباس رغم محاربتهم لإحياء المولد، النبوي بالمطويات والكتب والدروس ومنع الاحتفالات الجماعية الجهوية بالمناسبات الدينية الكبرى ومنع قراءة القران جماعة واستخدام العنف لغرض هذه القناعات على الجماهير الوسطية المسلمة كل هذا وذاك، إلا أن المريرين فضلوا لغة الحوار مع المختلفين معهم فكريا أو حتى الابتعاد تفاديا للمشاحنات والنقاشات التي قد تؤدي إلى الخصومات والمنازعات والمشاحنات التي قد تؤدي الى سلوك لا يتفق ومبادئ الصوفية كذلك يقول أحد أفراد العينة أن ما يعاني منه الشعب الجزائري من فوضى الفتوى سببه مخالفة هؤلاء المختلفين معهم في الفكر لما عليه الشعب الجزائري من التزام بالمذهب المالكي وأحكامه، فيتمنى هؤلاء المريرين ان يكون احترام المتصوفة من قبل هاته الاتجاهات التي تشدد في الدين، ويقول آخر أن هؤلاء الذين يتشددون في الدين نسوا دور الطرق الصوفية والزوايا فيما مرت به الجزائر، فتربعت حركة التصوف على كرسي الحب من خلال خطاباتهم التي تنسجم مع الوحدة الوطنية وحماية المرجعية الدينية ومع التداول الجزائري لشؤونهم بروح المسؤولية والصدق حتى أن هناك ثلاث تنظيمات معتمدة أو في طريق الاعتماد تمثل حركة التصوف كما ذكر شيخ الطريقة الشاذلية تعمل على لم الشمل والحوار الشفاف وهي الجمعية الجزائرية للزوايا قيد التأسيس الاتحاد الوطني للزوايا والرابطة الجزائرية للزوايا كل هذا نابع من حب الوطن والعمل على الاستقرار وتقديس الدين والوطن هذا نابع من وحدة المرجعية والكتب التي تطالع من طرف الصوفية .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 32: يوضح توزيع المبحوثين حسب المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة ورأيهم في الجماعات التي تمارس العنف

المجموع		التصوف بصفة عامة		تعلم كفايات الورد والاذكار		التوحيد		الفقه وأصوله		المواضيع التي تشد انتباهك أثناء المطالعة
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
62.7	188	58.4	97	73.0	27	57.5	23	71.9	41	رأيك في الجماعات التي تمارس العنف في المجتمع
3.7	11	2.4	4	--	-	5.0	2	8.8	5	جماعات متطرفة وغالية في الدين
33.7	101	39.2	65	27.0	10	37.5	15	19.3	11	جماعات تطالب بحقوقها المهضومة
100	300	100	166	100	37	100	40	100	57	جماعات مفسدة في الأرض
										المجموع



الشكل رقم 27: المواضيع التي تشد انتباه المبردين أثناء المطالعة ورأيهم في الجماعات التي تمارس العنف

يبين هذا الجدول توزيع المبحوثين حسب المواضيع التي تشد انتباههم أثناء المطالعة ورأيهم في الجماعات التي تمارس العنف نلاحظ أن أعلى نسبة في الجدول هي 62.7% تمثل الاتجاه العام الذين يرون أن الجماعات التي تمارس العنف هي جماعات متطرفة وغالية في الدين، ضمن هذا الاتجاه نجد أكبر نسبة وهي 73.0% تمثل المبردين الذين يشد انتباههم أثناء المطالعة كتب تعليم الورد والأذكار الخاصة بالطريقة المتبعة (التيجانية و الشاذلية) مقارنة بالاتجاه الآخر الذي يمثل رأي المبردين في الجماعات التي تمارس العنف بأنها جماعات تطالب بحقوقها المهضومة فأعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه 8.8% تطالع كتب الفقه وأصوله، مقارنة بنسبة 39.2% في الاتجاه الذي يمثل رأي المبحوثين في من يمارس العنف في المجتمع بأنهم جماعة مفسدة في الأرض ويطالعون كتب التصوف بصفة عامة.

إضافة إلى ما سبق يفخر بعض المبردين بأن للصوفية تاريخاً مشرفاً في مواجهة الاستعمار في الجزائر، وبأنهم لم يتورطوا أبداً في حمل السلاح ضد أي فصيلة أو توجه كما أنهم يلتزمون الصمت وقت الفتن ويطيعون الحكام دوماً ليحافظوا على استقرار البلاد، وأنهم حتى حين يتعرضون لمضايقات من

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

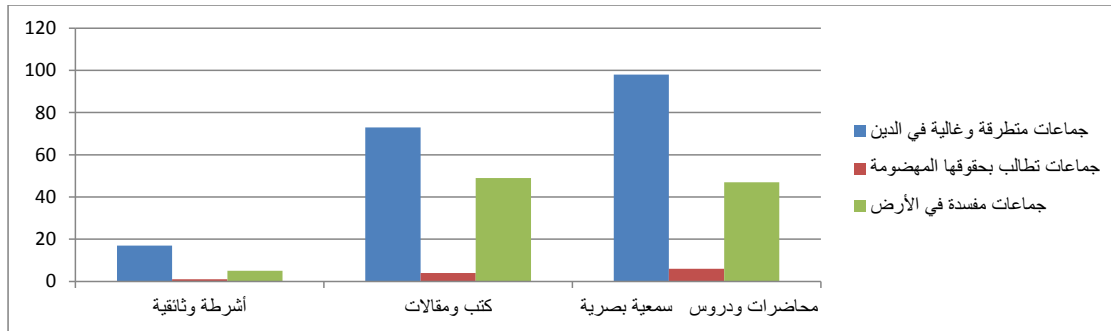
طرف توجهات أخرى وصلت إلى حد هدم قبور أوليائهم ووصلت إلى حد الهجوم بالأسلحة البيضاء على تجمعاتهم لم يرفعوا السلاح في مواجهتهم ولم يعلنوا استخدام القوة كل هذا نابع من تعاليم الصوفية والتنشئة على نبذ العنف وإزهاق الدماء بحق أو بغير حق لأن استقرار البلاد والوطن أعلى من كل شيء حتى أن الدولة راضية عن الزوايا رغم العداة التاريخي الذي يكنه جماعات التوجهات الأخرى للتصوف والعمل على تلطيخ صورة التصوف إلا أن الصوفية باختلاف آراءهم يرون التوجهات الأخرى على أنها جماعات متطرفة وغالية في الدين فقط لأنها تمارس العنف في المجتمع لأهمية استقرار الوطن في نفوس المتصوفة، وفي بعض الأحيان يرون أنهم عامة مفسدة في الأرض نظرا لما يهددون به مصالح الناس وإرهابهم، هذا كله نابع من موقف الصوفية الخاص يرفض حمل السلاح ضد أي خصم محلي، هذا نابع من الإيمان بالعتيدة الصوفية التي استمدت تعاليمها من كتب الفقه وأصوله وكتب التوحيد ومن كتب المشايخ الصوفية التي تحث على السلم والتسامح وطاعة الحكام والاكتفاء بالتربية الروحية للمريدين أي التركيز على السلوك الاسلامي المسالم وبذلك يتم تزيق القلوب والزهد في الدنيا، كما لا ينفى احد دور الزوايا الدبلوماسي في قضايا السلام مثل دور الزوايا التجانية في قضية دارفور وحل الكثير من المشاكل.

إن التعارض الكبير الذي نستنتجه من كل هذا نابع من التعارض الفكري وقناعات التيارات الأخرى ونظرتهم للدين مع أفكار التصوف لكن لا وجود بهذا الصراع عند الصوفية فالالتجاهات الأخرى هي التي تلصق تهم البدع والشرك بأرباب التصوف وبكل من خالفهم في الدين والعتيدة فلا يجوز تكفير الناس على حسب رأي بعض مريدي في الدراسة، فهذا تسيب ديني له مناحي كثيرة وبحسب المريدين يجب التصدي لهؤلاء ولحظرهم في استغلال مناصبهم لتبني أفكارهم وقناعاتهم المتطرفة.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 33: يوضح متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف

المجموع		أشرطة وثائقية		كتب ومقالات		محاضرات ودروس سمعية بصرية		الأمر التي تتابعها في الإنترنت والخاصة بالطريقة رأيك في الجماعات التي تمارس العنف في المجتمع
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
62.7	188	73.9	17	57.9	73	64.9	98	جماعات متطرفة وغالية في الدين
3.7	11	4.3	1	3.2	4	4.0	6	جماعات تطالب بحقوقها المهضومة
33.7	101	21.7	5	38.9	49	31.1	47	جماعات مفسدة في الأرض
100	300	100	23	100	126	100	151	المجموع



الشكل رقم 28: متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف

يبين الجدول أعلاه متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف من خلال النتائج المحصل عليها من هذا الجدول نلاحظ أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 62.7% تمثل رأي المبحوثين في الجماعات التي تمارس العنف في المجتمع بأنهم جماعة متطرفة وغالية في الدين، نجد ضمن هذا الاتجاه أعلى نسبة 73.9% تمثل الأفراد الذين يركزون في الإنترنت على مواضيع الطريقة من خلال الاشرطة الوثائقية مقارنة بأعلى نسبة في الاتجاه الثاني 38.6% والتي يمثل رأي المبحوثين في الجماعات التي يمارس العنف بأنها جماعات مفسدة في الارض وتتابع الإنترنت خاصة في المواضيع التي تخص الطريقة كتب ومقالات أما أقل نسبة في هذا الجدول هي 4.3% من المبحوثين الذين يرون أن الجماعة التي تمارس العنف هي جماعة تطالب بحقوقها المهضومة وتركيز على الأشرطة الوثائقية التي تخص الطريقة عن طريق تتبعها عبر الإنترنت.

من خلال ما سبق نستطيع القول أن السنوات الأخيرة شهدت انتعاش كبيراً للأدب والتراث الصوفي بفضل الإنترنت وبفضل البروز الثقافي والسياسي لهذه الطائفة، هذا ما يدل على بوادر نهضة صوفية جديدة في العالمين العربي والإسلامي، بعد الانتكاسة التي تعرض لهذه التصوف مع انهيار السلطة

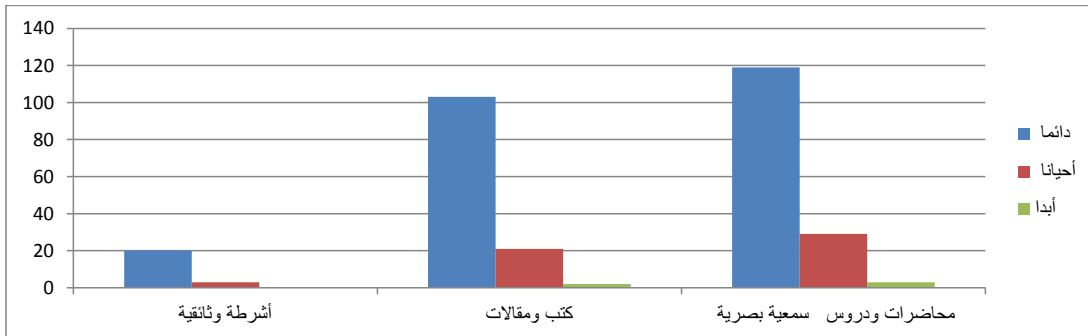
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

العثمانية وبرز تيارات سلفية - سنية شيعية - استحوذت على المشهد الحالي حتى وصلت المنطقة إلى مازق حقيقي في تحديد العلاقة بين الدولة والدين وفي إيجاد مصالحة بين الحداثة والدين خصوصا في ظل بطء وتعثر عملية الإصلاح الدين التشريعي لمواكبة تطور الاحوال في الوقت الذي نرى فيه اقتراب موجة إلحادية الى العالم العربي نلاحظ في الكفة الاخرى حدوث نوع من التدين الانتقائي لدى شريحة واسعة من الشباب العربي غير المشروط بالنسق التقليدي للمذاهب ولا بأراء فقهاءهم، تدين يؤمن الحاجات الانسانية هو تدين " التجربة الذاتية " الذي يتمتع بالكثير من اوجه التصوف أو هو التصوف بعد ذاته وهو تصوف عقلائي نجوي أن جاز التعبير الناتج عن التحرر من الأطر التقليدية التي ترسمها الزاوية فنجد المريدين يطالعون صفحات الأنترنت يومي ليطالعوا أو حتى ليفهموا الصوف من مواقع الأنترنت كالمحاضرات والكتب والمقالات والأشرطة الوثائقية الخاصة بالتصوف وحتى ثقافته القديمة، فتختلف آراء المريدين من خلال تصفحهم لمواقع الأنترنت في قضية الاشخاص الذين يمارسون العنف فمنهم من يراهم جماعات متطرفة وغالية في الدين هؤلاء يتأثرون بالأشرطة الوثائقية ومريدين يقرؤون من خلال الأنترنت الكتب ذات الصلة والمضامين الروحية والاخلاقية فنجدها هي المعلم الروحي لهم يرون أن هاته الجماعان مفسدة في الاراض اما المريدين الذين يرون أنهم جماعات تطالب بحقوقهم تعاطف معهم وكأنهم يرون أن التصوف لا بد أن ينعكس حتى في الحكم عن هاته الجماعات بعين الرحمة والمحبة وعدم الحكم المسبق عليهم لأنهم يرون كذلك أن التصوف جاء بشكل أساسي على إصلاح النفس وتهذيبها وتركيتها فيجب حتى الحكم على الاخرين لكن ايجابيا لا سلبيا .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 34: يوضح متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية

المجموع		أشرطة وثائقية		كتب ومقالات		محاضرات ودروس سمعية بصرية		الأمر التي تتابعها في الإنترنت والخاصة بالطريقة	الالتزام بالقوانين والمعايير الاجتماعية
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
80.7	242	87.0	20	81.7	103	78.8	119	دائما	
17.7	53	13.0	3	16.7	21	19.2	29	أحيانا	
1.7	5	--	-	1.6	2	2.0	3	أبدا	
100	300	100	23	100	126	100	151	المجموع	



الشكل رقم 29: متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية

يوضح متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية، من خلال النتائج المحصل عليها نجد أن 80.7% هي أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام وهو التزام المرئدين دائما بالقوانين والمعايير الاجتماعية نجد ضمن هذا الاتجاه أعلى نسبة 87.0% وتمثل الأفراد المبحوثين الذين يتابعون الاشرطة الوثائقية الخاصة بالتصوف عن طريق الأنترنت، نجد ضمن الإتجاه الأخر أعلى نسبة وهي 19.2% وتمثل المرئدين المبحوثين الذين يلزمون بالقوانين والمعايير الاجتماعية ويركزون على المحاضرات والدروس السمعية البصرية عبر تصفحهم لمواقع الأنترنت مقارنة بأعلى نسبة في الإتجاه الأخير وهي 20% تمثل المرئدين الذين لا يلتزمون بالقوانين والمعايير الاجتماعية ويركزون على المحاضرات والدروس الخاصة بالتصوف عبر الأنترنت وهذا الإتجاه هو أقل نسبة مقارنة بالأول .

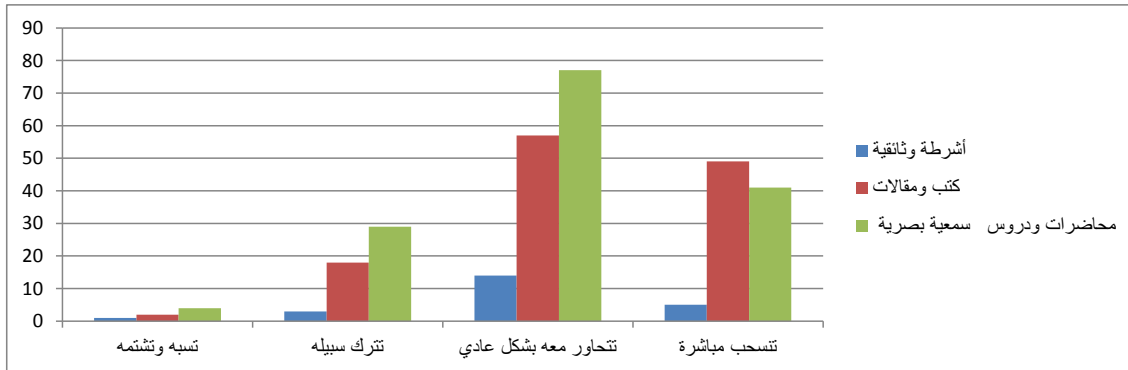
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

نستطيع القول أن الحضور الصوفي في الأنترنت لا بأس به فهناك منصات اعلامية متخصصة في التصوف تركز على توضيح التصوف كذلك لتعريف بأهم شخصيات التصوف وإظهارها اعلاميا فنجد الكثير من القنوات الصوفية مثل الإرث الصوفي وقنوات المدح الصوفي ومواقع التصوف كثيرة في الأنترنت يتبعها الصوفية عامة مثل الاتحاد العام للطرق الصوفية وموقع المسلم الصوفي وموقع الجعفري وموقع التصوف الاسلامي وموقع دعاء الصوفية وموقع التجمعات الصوفية والاتحاد العام للطرق الصوفية كلها مواقع تعمل على توصيل المعلومة وبعث التراث التقليدي الصوفي في أوساط المجتمع كذلك العديد من المواقع تصدر مجلات دورية على صيغة PDF ومجلة قوت القلوب يصدرها مركز الامام الجنيد فنجد الكثير من المريدين يرون أن التصوف من خلال الأنترنت كبديل عن الطرق التقليدية والحضور الجسدي فروا أن هناك كذلك تربية روحية من خلال القراءة من الأنترنت يدرسون الدين على طريقتهم فنجد الكثير يرى أن المناهج الاخرى متشددة وتحرمهم مباح الحياة عكس الصوفية الذين أباحوا الموسيقى والغناء والرقص واعتبروها طريق الى التربية الروحية فمن خلال الخطاب الديني المعتدل الذي يتلقاه الشباب الصوفي كالتغيب في طاعة ولي الامر وعدم الخروج عن الحاكم وعدم الخروج عن القوانين والمعايير الاجتماعية والتهيب من ذلك، فلا يبدو الخطاب السائد بالتخويف من الناس ناجعا أو جذابا بشريحة واسعة من هؤلاء المريدين وخاصة المثقفين انما يأخذون هذا عن طريق الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ويجذبهم بنظرة العشق الالهي فيرى المريدون أن استحضار الله في تطبيق القانون بنية العبادة هو في أصلها عبادة، من خلال هذا ان الصوفية تستغل المريد أن صح التعبير بفطرته وحبه للجمال والفن والطبيعة واعطائها بعدا روحيا تعبديا واستشعار الله في كل الاحوال ومحاولة اصلاح المجتمع من خلال اصلاح النفس يشكل اغراء كبيرا للباحث عن الروحية فتجعله إنسانا سويا مقارنة بما يقدمه التيارات المتشددة.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 35: يوضح متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب تعاملهم مع أحد المنتمين لطائفة أخرى في حالة خلاف

المجموع		أشرطة وثائقية		كتب ومقالات		محاضرات ودروس سمعية بصرية		الأمر التي تابعتها في الإنترنت والخاصة بالطريقة
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	إذا حدث بينك وبين أحد المنتمين لطائفة أخرى خلاف
2.3	7	4.3	1	1.6	2	2.6	4	تسبه وتشتمه
16.7	50	13.0	3	14.3	18	19.2	29	ترك سبيله
49.3	148	60.9	14	45.2	57	51.0	77	تتجاوز معه بشكل عادي
31.7	95	21.7	5	38.9	49	27.2	41	تنسحب مباشرة
100	300	100	23	100	126	100	151	المجموع



الشكل رقم 30: متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة عن طريق الإنترنت حسب تعاملهم مع أحد المنتمين لطائفة أخرى في حالة خلاف يوضح هذا الجدول متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة الصوفية المنتمي إليها عن طريق الإنترنت حسب تعاملهم مع أحد المنتمين لطائفة أخرى، من خلال النتائج المحصل عليها من الجدول نلاحظ أن أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام 49.3% هم أفراد العينة الذين فضلوا التحوار بشكل عادي مع المتخاصم معهم من طائفة أخرى ضمن الاتجاه، نجد أعلى نسبة تمثل المريدين الذين يتابعون أمور طريقتهم من خلال الأشرطة الوثائقية عبر الإنترنت، مقارنة بنسبة 38.9% هم الذين اختاروا الانسحاب عند وقوع خلاف لكنهم يتبعون أخبار الطريقة الصوفية عبر الكتب والمقالات من الإنترنت، أما بنسبة 19.2% تمثل المريدين الذين فضلوا ترك سبيل الشخص المتخالف معه من طائفة أخرى ويتركون على تتبع أحوال طريقتهم عبر

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

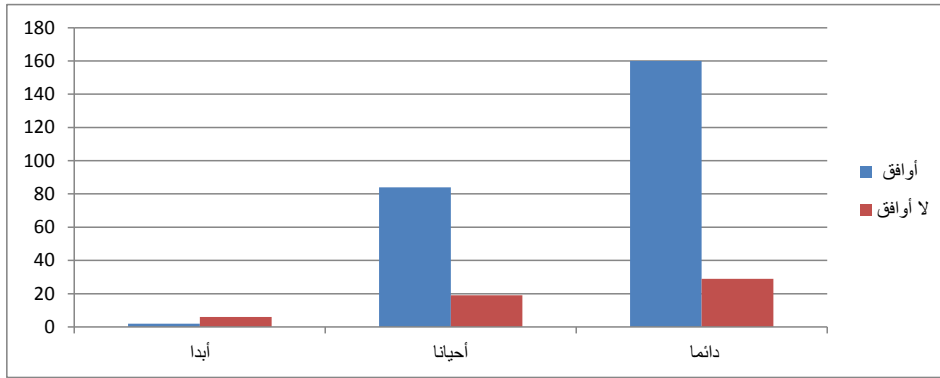
المحاضرات والمقالات من الانترنت، أقل نسبة مقارنة بسابقتها هي 4.3% تمثل الذين يفضلون سب وشتم المخاصم معه من طائفة أخرى ويفضلون معرفة الأشياء الخاصة بطريقتهم عن طريق الأشرطة الوثائقية عبر الانترنت.

من خلال ما سبق لا يخفى على أحد أن أهم شيء يواجهه الشباب الذي يدخل معترك الحياة هو تلك الطروحات التي كانت غائبة عنه في محيطه الذي كان فيه وخرج منه فيرى نفسه في الموقف الحرج ويضطر لاتخاذ قرارات آنية، دون أن يكون على بينة من أمره أو أن يعتمد على ركن وثيق فيخطئ تارة في الحكم ويصيب أخرى تم تتراكم الأخطاء ولعل الطريق الأمثل لمساعدته في مواجهة هذا الأمر هو أن يتم التركيز في التنشئة على المعايير والضوابط وعلى الاسس والمنطلقات، فيتعلم الشباب عن دينه من المواقع الخاصة بذلك من الانترنت ولا بد أن يتم توجيهه للمواقع التي من شأنها أن يجد فيها ضالته بذلك تساعده على اكتساب الكثير من المعلومات وتجعله قادرا على التحرز من أي حديث أو شبهة تضره وتضر دينه ما تجعله مقتنعا أن توجيهه هو الأصح هذا في رأي بعض المرشدين محل الدراسة ويضيف أحد الباحثين أن هذا الارشاد والتوجيه الذي تكلمنا عنه سابقا نجده عند المتصوف الذين يسهرون على تنشئة مرديهم مما يجعل هذه التنشئة وهذه العناية مبنية على معايير تحفظه وتصونه من الغزو الذي يتعرض له في فكرة وفي عقيدته وفي أخلاقه، وفي كل وجوده وحياته كما أن مما يساعده على تمسكه بأرائه ووقوفه ضد كل غزو فكري هو التربية الروحية الصحيحة التي تجعله في موقع الورع عن محارم الله والعمل بما يرضى الله والأهم من ذلك كله هو تعريفه بصورة صحيحة على أولياء الله وتربيته على حبهم وعلى أعداء الله وتربيته على البراءة منهم، فمن خلال اتجاه الكثيرين من الاتجاهات التي تدعم التطرف والإرهاب أدت إلى تعامل الكثير من المرشدين مع هذه الظاهرة بحكمة وعقلانية فيكون التضامن والمرونة والسكوت في المواقع التي يكون فيها التحدي أو عند الكلام بصوت عالي مع من يدافعون على هاته الطوائف لأن هذا موحيا لفتح الشبهة لأولئك المتطرفين محاولة الوثوب والافتراس، فيركز المرشدين على أن الحديث الهادئ والعقلاني، حيث تكون الأذان صاغية والقلوب مفتوحة لسماح الكلمة الطيبة والهادئة فيرى بعض المرشدين أن هؤلاء جماعة متطرفة يجب التعامل معهم بحذر لأنهم دعاة تطرف وارهاب حيث أنهم يجمعون على أن هاته الجماعات تسيى لمشايخهم وهم ليسوا على حق رغم هذا وذلك لا بد من التعامل مع الأمور بحكمة وروية المسؤولية.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 36: يوضح متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب دفاعهم عن مصالح بلدهم لانتمائهم لطريقة صوفية

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		متابعة دروس ومحاضرات مشايخ الطريقة	تدافع عن مصالح بلدك لأنك منتمي لطريقة صوفية
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
82.0	246	25.0	2	81.6	84	84.7	160	أوافق	
18.0	54	75.0	6	18.4	19	15.3	29	لا أوافق	
100	300	100	8	100	103	100	189	المجموع	



الشكل رقم 31: متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب دفاعهم عن مصالح بلدهم لانتمائهم لطريقة صوفية

يبين الجدول أعلاه توزيع المبحوثين من خلال متابعة دروس مشايخ الطريقة المنتمي إليها حسب دفاع المريدين عن مصالح بلدهم لأنهم ينتمون لطريقة صوفية، نلاحظ أن أعلى نسبة هي 82.0% تمثل الاتجاه العام الذي يمثل موافقة المبحوثين على الدفاع عن مصالح البلاد لانتمائهم لطريقة صوفية نجد أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه 84.7% تمثل المريدين الذين يتابعون دروس ومحاضرات مشايخ طريقتهم، مقارنة بأعلى نسبة بالاتجاه الثاني وهي 75.0% تمثل المريدين الذين لا يوافقون على الدفاع عن البلد لأنهم متصوفة بل لأنهم يحسون بالوطنية والانتماء لهذا الوطن قبل قضية الانتماء للتصوف ولا يحضرون إلى دروس مشايخ الطريقة.

من خلال ما سبق لا يمكن أن ننكر أن الدين الاسلامي حث على حب الوطن والدفاع عن مصالحه، فنجده يذكر المحبين لأوطانهم فهذا بلال لم يعرف في تاريخ الاسلام إلى نسبة إلى وطنه بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي فقد ظل كل هؤلاء بنسبتهم إلى أوطانهم ولا يتعارض هذا مع الاسلام فنجد مشايخ الصوفية يستدلون عن حب النبي صلى الله عليه وسلم لمكة، لقد أكد القرآن الكريم على مكانه الوطن وأن للديار حرمه

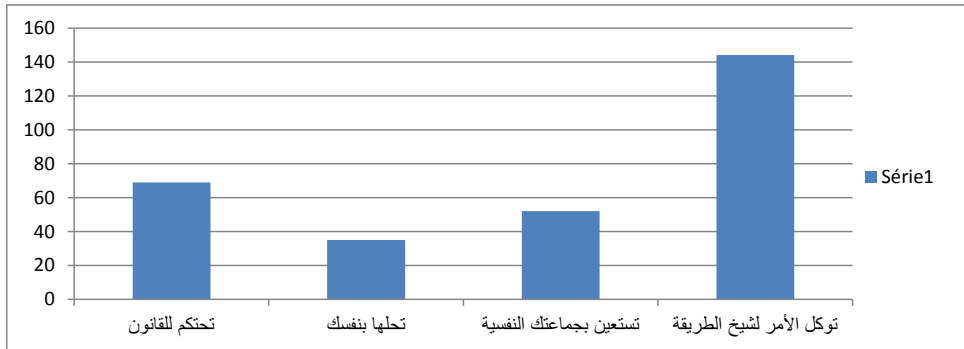
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

والاعتداء عليه جريمة، فيبين المشايخ للمريدين أن المواطن الصالح هو صاحب العزيمة القوية الذي يذود عن وطنه وعلى مصالحه فهذا شعور أصيل في نفس المؤمن ويؤثر مصالح بلد عن مصالح نفسه، فحب الوطن واجب شرعي وديني وأخلاقي هذا الحب يجب أن يترجم إلى واقع وإلى أفعال تؤكد هذا الحب وهذا الانتماء فليس من حب الوطن معادة الوطن وتخريبه ومعادة أهله، ليس من حب هذا البلد نهب خيراته وأمواله، يضيف أحد المريدين أنه ليس من حب هذا البلد العمل على فرقه أهله وغرس ونشر ثقافة الكراهية والحقد والبغضاء والمناطقية والمذهبية بينهم، وليس من حب الوطن أن نبتز الوطن من أجل مصالح أنانية أو ذاتية وليس من حب الوطن التهديد بأمنه وفك عرى وحدته، يقول أحد المقدمين في الطريقة التيجانية أن الفرق بين حب الوطن وخيانة الوطن أمر واضح جلي لا يحتاج منا إلى اجتهاد فكري حتى نتوصل إليه ولو كانت النوايا حسنة في حب هذا البلد الدفاع عن مصالحه فلن تشفع أبدا في اختيار الوسيلة غير المناسبة التعبير عن ذلك فمشايخ هاته الطرق التي تمت دراستها يحثون مريديهم للمساعدة في حالات التوعية أن يكونوا مواطنين متحضرين ومنظمين ومحترمون القوانين والنظام لتغيير الأمور إلى الأحسن وبالتدرج سوف تظهر معالم الرقي والتحضر في المجتمع.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 37: يبين رأي المبحوثين في قضية التحكيم في حال وأن نشبت مشاكل بين المرید وشخص آخر

النسبة	التكرار	في حال وإن نشبت بينك وبين أحد الأشخاص أو جهة معينة مشكلات وصراعات ونزاعات هل
23,0%	69	تحتكم للقانون
11,7%	35	تحلها بنفسك
17,3%	52	تستعين بجماعتك
48,0%	144	توكل الأمر لشيخ الطريقة
100%	300	المجموع



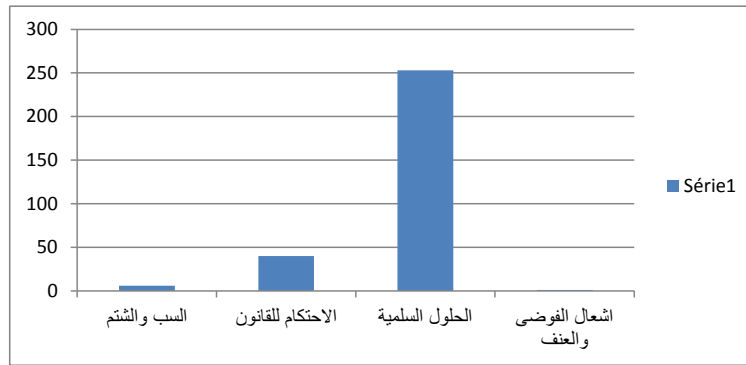
الشكل رقم 32: رأي المبحوثين في قضية التحكيم في حال وأن نشبت مشاكل بين المرید وشخص آخر

يبين هذا الجدول رأي المبحوثين إزاء التحكيم إلى من يردوه في حالة نشوب مشاكل مع أحد الأشخاص أو جهة معينة، فأعلى نسبة في هذا الجدول هي 48.0% تمثل اختيار المبحوثين للاحتكام إلى شيخ الطريقة مما يوضح أن الأدوار التي يلعبها شيخ الطريقة مازالت قائمة كفك الخصومات والنزاعات وإصلاح ذات البين والتوحيد بينهما فلا يجد المریدون حلا إلا اللجوء إلى الشيخ وهو موقف نابع من حاجة المرید لرجل الدين أو الأشراف من مشايخ الطريقة، خصوصا إذا اشتهروا بالصلاح والتقوى وهي ملاحظة لمسناها في الطريقتين محل الدراسة، ويرى المبحوثين أن الدولة سعت إلى استبدال الحكم الإسلامي بالتنظيم القضائي وحاولوا نزع القضاء الإسلامي والبحث في الأمور الجزائية واقتصره على الأحوال الشخصية، لكن هذا عند عامة الناس، أما المریدون فما زال الحكم للشيخ هذا الرمز الذي اكتسب قوة وشرعية بالتفاف أعداد كبيرة من الأتباع حوله ووجدوا فيه واجهة ومظهرا يعبر عن تقديمهم له للريادة والقيادة في المنطقة، أما نسبة 11.7% فهي أقل نسبة في الجدول تعبر عن الذين صرحوا بحل مشاكلهم بنفسهم في محاولة لعدم إزعاج شيخ الطريقة والرجوع له إن استعصى الأمر عليهم أو خرج عن السيطرة.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 38: يوضح تصرف المرشد حيال ما يعترضه من مشاكل لها علاقة بالنظام

النسبة	التكرار	كيف تتصرف حيال المشكلات التي تعترضك في المجتمع التي لها علاقة بالنظام السياسي
2.0%	6	السب والشتيم
13.3%	40	الاحتكام للقانون
84.3%	253	الحلول السلمية
0.3%	1	اشعال الفوضى والعنف
100%	300	المجموع



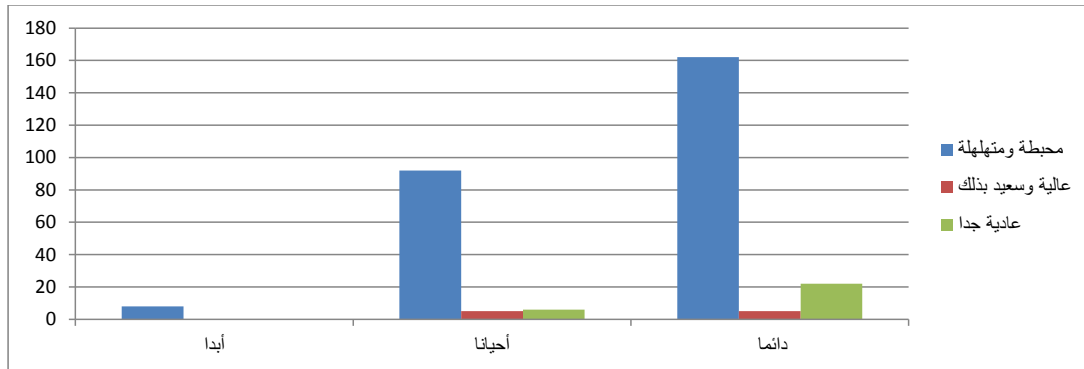
الشكل رقم 33: تصرف المرشد حيال ما يعترضه من مشاكل لها علاقة بالنظام

يبين هذا الجدول تصرف المرشدين حيال المشاكل التي تواجههم والتي لها علاقة بالنظام، فأعلى نسبة في هذا الجدول هي 84.3% تعبر عن اختيار المبحوثين إلى الحلول السلمية تجاه هذه المشاكل التي تعترضهم والتي لها علاقة بالنظام في دلالة على أن أغلب المبحوثين يهتمهم استقرار البلاد ولا يهتمهم المصالح الضيقة الشخصية فمن خلال هذا نستقي ملاحظة وهي أنهم استطاعوا أن يوفقوا بين المحافظة على النقاء الروحي والخلقي وتطبيعه في حياتهم وتقديم مصلحة البلاد وأمنها ونحن نعلم صعوبة هذا الأمر واستحالة تحقيقه في الغالب فأغلب المبحوثين يقومون بأدوار حيوية في المجتمع تعمل في غالبيتها على الاستقرار والسلم والتسامح ولحاجتهم إلى الهدوء والسكينة وما يملية عليهم من جهة القاضي بالحرية والتغيير بدون المساس بمصالح الشعب وأنهم مارسوا حق تغيير المنكر الذي منحهم إياه الشريعة الإسلامية بسلمية .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 39: يوضح متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب طبيعة نفسياتهم حيال قضايا العنف في المجتمع

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		متابعة دروس ومحاضرات مشايخ الطريقة	نفسيتك حيال قضايا العنف في المجتمع
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
87.3	262	100	8	89.3	92	85.7	162	محبطة ومتلهلة	
3.3	10	--	-	4.9	5	2.6	5	عالية وسعيد بذلك	
9.3	28	--	-	5.8	6	11.6	22	عادية جدا	
100	300	100	8	100	103	100	189	المجموع	



الشكل رقم 34: متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب طبيعة نفسياتهم حيال قضايا العنف في المجتمع

يوضح هذا الجدول متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب طبيعة نفسياتهم حيال قضايا العنف في المجتمع، نلاحظ من خلال النتائج أن أعلى نسبة 87.3% تمثل الاتجاه العام وهم المبحوثين الذين يحسون أنفسهم محبطة ومتلهلة إزاء العنف في المجتمع، نجد أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه 100% الذين يحسون بأن نفسياتهم محبطة ومتلهلة ولم يحضروا إلى دروس ومحاضرات المشايخ، لكن باقي النسب تدل على أن جميع المبحوثين لا يشعرون بارتياح تجاه قضايا العنف ما يمثل 290 مبحوث متضمرين من قضايا العنف والتي لا تستدعي تحليل ما تبقى من نتائج لقلة نسبها. من هذا الجدول نستطيع القول أنه لم يعد الخوف من العنف مشكلة المجتمعات الغربية فحسب وإنما أصبح ظاهرة عالمية تهدد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والتنظيمات الاجتماعية العامة، بمختلف مجالاتها والجزائر واحدة من الدول التي أصبحت تعاني من قوة الانتشار والتسارع الرهيب في ظهور الظواهر الاجرامية باختلاف أنواعها واختلاف مجالاتها وتتعدد أنماطها وأساليبها، الأمر الذي جعل أغلب مشايخ الطرق الصوفية تحاول جاهدة للتصدي

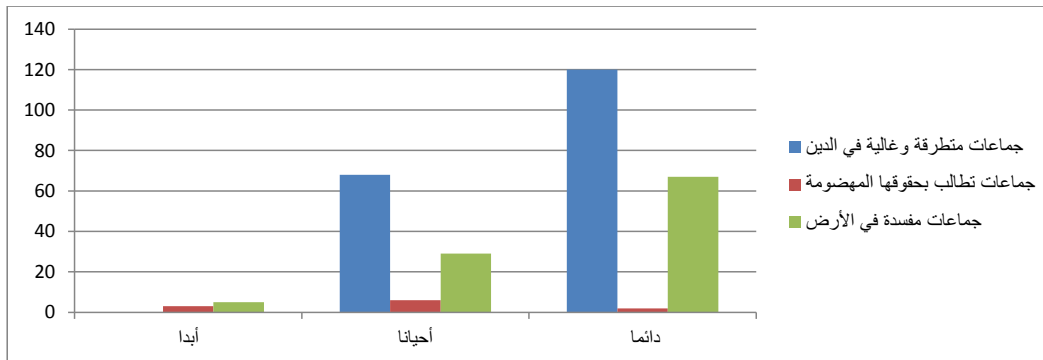
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

لهذا العنف الذي جعل الفرد الجزائري يعيش حالة من الرعب وعدم الشعور بالاستقرار والأمان، حيث أصبح لا يمر يوم إلا ونسمع مزيدا من الأخبار عن العنف والإجرام المروع الذي تفشى في مختلف الولايات، فما يعكر صفو المريرين ويجعل نفسيتهم متلهله أن الجريمة لم يعد لها ذلك الواقع العنيف في مجتمعنا فالخلافات البسيطة تتحول إلى مذابح، ومحاولات للسرقة تنتهي بالقتل والتنكيل لقاءات عاطفية تتحول إلى جرائم اعتداءات جنسية وجرائم قتل على مرأى من الناس، أسلحة بيضاء في متناول الجميع حي الأطفال القصر، هذا ما جعل مريدي الطرق الصوفية يدقون ناقوس الخطر لشعورهم بأنهم يعيشون في مجتمع مريض غريب، الذي حولته العشرية السوداء والأزمة الأمنية وما تبعها من غلو وتطرف وتشدد حيث أصبح يغلب على المجتمع طابع التوتر والعنف والنرفزة والقلق وهي مؤشرات تهيء الأفراد للوقوع في فخ الإجرام والعنف والاعتداء، فيرى مشايخ الطرق الصوفية أن الحل هو الطرق الصوفية التي تعمل على وضع حد لهذا بمنهجها التعليمي التربوي الروحي السلمي والمصالح خاصة في غياب عامل الردع والتساهل مع حوادث الاعتداءات بمختلف أنواعها، فوجب على الطرق الصوفية أن تقضى على هذا السلوك الحيواني بإحياء النفس البشرية والعمل على بعث الجانب الروحي التربوي الهادي إلى عدم العنف.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 40: يوضح متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		متابعة دروس ومحاضرات مشايخ الطريقة
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
62.7	188	--	-	66.0	68	63.5	120	رأيك في الجماعات التي تمارس العنف في المجتمع
3.7	11	37.5	3	5.8	6	1.1	2	جماعات متطرفة وغالية في الدين
33.7	101	62.5	5	28.2	29	35.4	67	جماعات تطالب بحقوقها المهضومة
100	300	100	8	100	103	100	189	جماعات مفسدة في الأرض
								المجموع



الشكل رقم 35: متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة حسب رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف

يوضح الجدول متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة الصوفية التابعين لها حسب رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف، نلاحظ أعلى نسبة 62.7% والتي تمثل الاتجاه العام الذي يرى بأن من يمارس العنف أنه متطرف وغالي في الدين، نجد أكبر نسبة في هذا الاتجاه 66.0% وتمثل أفراد العينة الذين أحيانا ما يتابعون دروس المشايخ الخاصة بالطريقة المتبعة، مقارنة بأعلى نسبة في الاتجاه الثاني 62.5% وتمثل المبحوثين الذين يرون بأن من يمارس العنف في المجتمع أنه مفسد في الأرض ولا يتابعون دروس مشايخ الطريقة التي تنتمون إليها، ثم أقل نسبة 37.5% وتمثل الأشخاص الذين يرون بأن الذين يمارسون العنف في المجتمع جماعة تطالب بحقوقها ولا يحضرون إلى دروس مشايخ الطرق المتبعة.

من خلال هذا نستطيع القول أن انتشار الخطاب الديني المتطرف بكثافة خلال العقود الأخيرة وتواتر الأعمال الإرهابية التي سارت تهدد كل دول العالم نجد أن الفكر الصوفي قد بدأ يظهر كبديل وراذع لهذه الأفكار التي تؤدي إلى التطرف وإلى العنف وفساد المجتمعات، فالتصوف كما يبينه شيوخ الزوايا

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

لمريدهم هو وجه آخر للإسلام الذي شوهته الأفكار المتطرفة الساعية للانتشار عبر التفجيرات والتقتيل والعنف مهددة استقرار البلاد فيصرح أحد المريدين أن التصوف هو حل لاحتواء حماسة بعض الشباب الجهاد وأن المتطرفون الميالون إلى العنف أوفياء لمشاريع بناء دولتهم مهما كلف الثمن عكس المتصوفة الذين يرون أن حب الوطن من الإيمان كما ذكرنا سابقا ، ودائما ما يحرص المشايخ الصوفية في خطبهم على تطبيق شرع الله والأمر بطاعة أولياء الأمر ودرء الفتنة، ويحرص المشايخ في تربيتهم ومنهجهم ونلمس ذلك من دروسهم على أن يكون الصوفي إنسانا نافعا حاملا لمسؤولية الإعمار في الوطن والسعي لإصلاح النفس حتى تصلح المجموعة هذا شعور المريدين الناجم عن حبهم للوطن ويرون أنه لا بد للتصدي للتطرف بمعالجة الوضع الاقتصادي والاجتماعي ودعم الجانب الثقافي، وأن الحل للتطرف والعنف هو التركيز على التربية الروحية والفكرية من قبل مشايخ هاته الطرق وهو كذلك حل للحد من هذه الأزمة.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

خلاصة واستنتاجات

من خلال تحليل وتفسير المعطيات الاحصائية الواردة في الجداول، والخاصة بالفرضية الجزئية الثانية وكذا من خلال التحقيقات الميدانية من تحليلات
سوسولوجية

- اتضح أن نوع الكتب التي يفضلها المبحوثون أثناء المطالعة تؤدي بهم إلى محاربة سلوكيات العنف في المجتمع فما نسبته 79.0% من المبحوثين يجارون سلوكيات العنف في المجتمع، الذين يطالعون الكتب الأدبية ومنهم الذين يطالعون الكتب الدينية والذين يطالعون كتب علمية، نجد أن أغلب مبحوثي هاته الدراسة يتمتعون بدرجة علمية لا يستهان بها لدرجة أن أغلبهم يطالع، فالمطالعة هي الوسيلة الأساسية لتثقيفهم وتوعيتهم بما يدور، وتنقلهم إلى النضج الفكري والعقلي وتكوين شخصية بأبعادها المختلفة مما ينتج عنه حكمة في التعامل مع المواقف والسلوكيات في المجتمع
- اتضح أن مطالعة كتب المتصوفة تحدد علاقة المرید بالتغيرات الحاصلة في الأنظمة السياسية للبلاد، فما نسبته 43.0% تمثل أفراد العينة الذين صرحوا بالحياة في إبداء رأيهم حول التغيرات في الانظمة السياسية للبلاد، ويرجعون ذلك إلى إلزامية التكتم وإبداء الرأي في هذا السياق ليس من شأنهم بل من شأن شيخهم وهو اللي ينوب عنهم في هذا الامر، نستطيع القول أن المریدين الأكثر تعليماً والأكثر مطالعة لكتب المتصوفة لديهم خبرات ومهارات لم تتوفر عند غيرهم من الذين لا يطالعون كتب المتصوفة ويكون الولاء التام لمشايخهم.
- اتضح أن مطالعة كتب المتصوفة تفيد المرید في إبداء حكمة حيال تصرفه مع الخلافات التي تصادفه و المنتمين لطوائف أخرى، حيث أن الحوار يكون بشكل عادي جداً مع المنتمين للطوائف أخرى في حالة نشوب خلاف ما أشارت إليه نسبة 66.4% وهي أعلى نسبة مثلت المریدين الذين دائماً ما يطالعون كتب المتصوفة و يطالعون كتب المتصوفة، ويبدون هدوء كبير في تعاملهم مع الآخر.
- اتضح أن مطالعة كتب المتصوفة توضح أكثر الحالة النفسية للمرید حيال قضية العنف في المجتمع فما نسبته 87.3% تمثل المبحوثين الذين يشعرون بإحباط وتلهل نفسياتهم حيال قضايا العنف في المجتمع ويطالعون كتب المتصوفة بتفاوت نسبي في كمية المطالعة، ويرى جميع من صادفناهم في هذه الدراسة أنهم لا يشعرون بالارتياح إزاء قضايا العنف في المجتمع ويردون هذا الى التنشئة الخاطئة للأجيال .
- اتضح أن الحرص على قراءة كتب الطريقة الصوفية المنتمي إليها يؤدي إلى حب الوطن رغم الظروف الراهنة، فأعلى نسبة تحصلنا عليها في هذا السياق هي 98.0% من مجموع المبحوثين الذين يحبون الوطن رغم الظروف الراهنة ويحرصون على مطالعة كتب التصوف الخاصة بطريقتهم سواء التيجانية أو الشاذلية أي جميع أفراد العينة، فحب الوطن لدى المتصوفة جزء لا يتجزأ من تربيتهم الصالحة الموجهة حيث أن واحد من أهم غايات التربية لديهم مساعدة النشء وأبنائهم على تنمية مشاعر الانتماء للمجتمع والوطن.
- اتضح أن الحرص على قراءة كتب الطريقة الصوفية المنتمي إليها يؤدي بالمرید إلى حسن التصرف حيال المشكلات التي تعترضه فأعلى نسبة تدل هي 84.3% الذين يفضلون الحلول السلمية عند تعرضهم لمشاكل ولها علاقة بالسياسة ويحرصون على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها بطريقة

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

- تفكيرهم واهتماماتها منصبة على معيشتهم وأمورها الدنيوية خاصة في حق المساواة في الدولة أكثر من شيء آخر وأن احترام المرجعيات الدينية ودورها في حفظ السلم الاجتماعي ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة وترسيخ روح التسامح بين أتباع التصوف أو حتى مختلف الطوائف الدينية.
- اتضح أن عدد الكتب المطالعة للطريقة الصوفية المتبعة يجعل المرید يحس الفخر والولاء للوطن ما دلت عليه نسبة 99.3% وتمثل الباحثين الذين يحسون بالولاء والفخر بالانتماء للوطن ويطالعون ثلاثة كتب فأكثر، فالشعور بالانتماء للوطن والفخر والاعتزاز بذلك من أهم دعائمهم والتي تحافظ على استقراره ونموه في هذا يشير اتباع الطريقة التيجانية والشاذلية إلى مدى شعورهم بالانتماء إلى وطنهم وهذا راجع إلى تشبعهم بمبادئ الصوفية الحقبة التي تحث على ذلك وهذا موثق في كتب الصوفية الخاصة بالطريقتين، والتي تحث أيضا على الدفاع عن مصالح الوطن والشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء له والمحافظة على ممتلكاته.
- اتضح أن عدد الكتب التي يتم مطالعتها الخاصة بالطريقة الصوفية المتبعة يؤدي بتمسك المرید بانتمائه لطريقته الصوفية ما أدى بموالاته للسلطة ما أشارت إليه نسبة 65.7% وهم الباحثين الذين يوافقون على موالاتهم للسلطة بسبب الانتماء للصوفية و يطالعون ثلاث كتب خاصة بالطريقة التي ينتمى إليها، فأغلب الباحثين يوافقون على الموالات للسلطة ويطالعون أعداد غير محدودة من الكتب الخاصة بالطريقة.
- اتضح أن عدد الكتب التي يطالعها المرید والتي تخص الطريقة الصوفية المنتمى إليها تحدد علاقته بالاتجاهات التي لا توافق التصوف فأعلى نسبة توضح ذلك هي 44.3% وتمثل الباحثين الذين لديهم علاقة عادية جدا بالاتجاهات التي لا توافق التصوف و يطالعون كتابين خاصين بالطريقة المنتمين إليها، أو يطالعون ثلاث كتب أو العدد غير محدود ما يبين الاتفاق بين الصوفية والاتجاهات الأخرى فيما يخص أمور العقيدة، لكن الصوفية لا يقعون في أخطاء سلوكية فهم مسلمون مع أتباع الاتجاهات الأخرى، لا يعتدون على أحد حتى وإن كان هناك خلافا فكري مع من لا يتفقون معهم أيضا من خلال ما قرأه هؤلاء المریدين في كتب طرقهم الصوفية التيجانية منها والشاذلية على اختلاف ألوانها وأعدادها لا يقومون بإكراه الغير في الدين بل لديهم طريقة مسالمة في الدعوة إلى ذلك ويؤمنون بعدم الاعتراض وحرية الدين.
- اتضح أن الفائدة المرجوة من المطالعة هي الدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع، والذي توضحه النسبة 85.3% وتمثل الباحثين الذين دائما ما يحرصون على الدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع ويطالعون الكتب بغرض الإشباع المعرفي أو بغرض الفضول أو بغرض زيادة الرصيد المعرفي في البحث عن المعلومة فقط، ففضية العنف أو السلم ليس لها خصائص هيكلية أو كامنة في ثقافات أو شعوب أخرى لذا فإن ثقافة العنف مثل ثقافة السلم، تشير بأشكال ودرجات مختلفة لدى كافة الشعوب، فأغلب مریدی الطرق الصوفية يطلعون كتب التصوف باختلاف الغرض من ذلك إلا أننا نجد لديهم تكوين ثقافة ترتكز على إرث ديني يهدف إلى إشاعة المحبة ونشر السلم بالنظر إلى معوقات هذا السلم في المجتمع ومحاولاتهم واضحة في النأي بالمجتمعات المسلمة التي تتواجد فيها عن التنازع ابتداء.
- اتضح أن أنواع الكتب التي يركز عليها المریدون في المطالعة تزيد من الفهم المعمق للأمر المتعلقة بعلاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف وتزيد من تحسين النظرة لهم وأن علاقتهم عادية مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف، نجد أعلى نسبة تمثل هذا الأمر 72.0% وهم المریدين

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الذين يقرؤون كتب المحققين و لديهم علاقة محبة وأخوة مع الذين لا يوافقون التصوف و يقرؤون الكتب الخاصة بالصحابة وكتب حديثة إن المطالعة تشكل شغفا كبيرا لدى العديد من المريدين الذين يهتمون بالمزيد من العلم الشرعي والثقافة ويقتنع جميع من صادفناه من هاته الدراسة أن للمطالعة أهمية كبيرة في حياة الإنسان و دون القراءة سواء لكتب المحققين أو كتب الصوفية أو كتب الحديثة لا يمكن فهم أي عقيدة أو فكر ولن يستطيع المرید كذلك إبداء رأيه أو توجيهه دون فهم معمق لأمر من خلالها يستطيع فهم قيمة نفسه ومكانته في جماعته.

— اتضح أن المواضيع التي تثير انتباه المريدين أثناء المطالعة تحدد مدى التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية فما نسبته 80.7% وتمثل المبحوثين الذين دائما ما يلتزمون بالقوانين والمعايير الاجتماعية و يشد انتباههم أثناء المطالعة كتب تعلم كيفيات الورد والأذكار ويشد انتباههم أثناء المطالعة كتب التصوف بصفة عامة ويطالعون كذلك كتب الفقه وأصوله، فيجب طاعة المردي لهاته القوانين للمصلحة المرجوة في التزامه والمفسدة المتوقعة عند عدم ذلك فنجد جميع المريدين يتبعون النص الشرعي وعلمائهم ومشايخهم ويعلم هؤلاء المتصوفة أن مخالفة هاته القوانين قد يحدث بسببها الضرر إما عليهم وإما على غيرهم ولا يرجع هؤلاء والمريدين إلى اجتهاد الناس في هاته القوانين والمعايير الاجتماعية لأنه لا ينضبط لديهم لاختلاف أحوالهم وتقديراتهم بقدر ما يرجعون ذلك إلى أمهات كتب التصوف والفقه وأصوله وحتى رأي مشايخهم و مرجعياتهم الصوفية وكتبهم المتواترة عليهم

— اتضح أن المواضيع التي تشد انتباه المريدين أثناء المطالعة تحدد طبيعة معاملتهم للمختلفين فكريا معهم في التصوف فمن خلال أعلى نسبة سجلت هي 49.3% وتمثل المبحوثين الذين يفضلون الحوار الشفاف مع الأشخاص الذين يختلفون معهم فكريا و يشد انتباههم أثناء المطالعة كتب التوحيد وكتب المتصوفة بصفة عامة، وكتب تعليم الورد والأذكار بدرجة أقل، نلاحظ أن كتب التوحيد لها التأثير الكبير على المريدين محل الدراسة، بحيث فضلوا الحوار الشفاف في التعامل مع المختلفين معهم فكريا في التصوف رغم ما يتهمهم به الكثير من أتباع الاتجاهات الأخرى وما يحاولون إصافه من تمم البدع والشرك بأرباب التصوف وبكل ما يخالفهم في المنهج والسلوك.

— اتضح أن المواضيع التي تشد انتباه المريدين أثناء المطالعة تحدد رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف وذلك من خلال النسبة المحصل عنها وهي 62.7% تمثل المبحوثين الذين يرون أن الجماعات التي تمارس العنف هي جماعات متطرفة وغالبية في الدين، ويشد انتباههم أثناء المطالعة كتب تعليم الورد والأذكار الخاصة بالطريقة المتبعة (التيجانية والشاذلية) وبدرجة أقل كتب الفقه وأصوله، ويطالعون كتب التصوف بصفة عامة كذلك، إضافة إلى ما سبق يفخر بعض المريدين بأن للصوفية تاريخا مشرفا في مواجهة الاستعمار في الجزائر، وبأنهم لم يتورطوا أبدا في حمل السلاح ضد أي فصيلة أو توجه كما أنهم يلتزمون الصمت وقت الفتن ويطيعون الحكام دوما ليحافظوا على استقرار البلاد.

— اتضح أن متابعة المبحوثين للأمر الخاصة بالطريقة الصوفية المتبعة عن طريق الأنترنت تبين رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف فأعلى نسبة تمثل هذا الطرح هي 62.7% وتمثل رأي المبحوثين في الجماعات التي تمارس العنف في المجتمع بأنهم جماعة متطرفة وغالبية في الدين و يركزون في الأنترنت على مواضيع الطريقة من خلال الاشرطة الوثائقية وتحميل كتب ومقالات تخص الطريقة فمن خلال هذا يمكن القول أن السنوات

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الأخيرة شهدت انتعاش كبيراً للأدب والتراث الصوفي بفضل الأنترنت وبفضل البروز الثقافي والسياسي لهذه الطائفة هذا ما يدل على بوادر نهضة صوفية جديدة في العالمين العربي والإسلامي وتمتعهم باتساع الرؤية من خلال الاحتكاك عبر الأنترنت.

- اتضح أن متابعة المبحوثين للأمور الخاصة بالطريقة الصوفية المتبعة عن طريق الأنترنت يحدد مدى التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية من خلال النتائج المحصل عليها نجد أن 80.7% تمثل المريدين الذين دائماً ما يلتزمون بالقوانين والمعايير الاجتماعية ويكثرون على متابعة الأشرطة الوثائقية الخاصة بالتصوف عن طريق الأنترنت وعلى المحاضرات والدروس السمعية البصرية عبر تصفحهم لمواقع الأنترنت بدرجة أقل ويكثرون كذلك على المحاضرات والدروس الخاصة بالتصوف، ويمكن القول هنا أن الحضور الصوفي في الأنترنت لا بأس به فهناك منصات اعلامية متخصصة في التصوف تركز على توضيح التصوف كذلك لتعريف بأهم شخصيات التصوف وإظهارها اعلامياً.

- اتضح أن متابعة المبحوثين للأمور الخاصة بالطريقة الصوفية المنتمى إليها عن طريق الأنترنت تحدد الموقف في تعاملهم مع أحد المنتمين لطائفة أخرى ما توضحه نسبة 49.3% وهم أفراد العينة الذين فضلوا التحوار بشكل عادي مع المتخاصم معه من طائفة أخرى و يتابعون أمور طريقتهم من خلال الأشرطة الوثائقية عبر الأنترنت وقراءة الكتب والمقالات من بدرجة أقل ومتابعة المحاضرات والمقالات كذلك من الأنترنت ولعل الطريق الأمثل لمساعدته في مواجهة هذا الأمر هو أن يتم التركيز في التنشئة على المعايير والضوابط وعلى الاسس والمنطلقات، فيتعلم المريد عن دينه من المواقع الخاصة بذلك من الأنترنت ولا بد أن يتم توجيهه للمواقع التي من شأنها أن يجد فيها ضالته بذلك تساعده على اكتساب الكثير من المعلومات وتجعله قادراً على التحرز من أي حديث أو شبهه أو موقف يضره ويضر بدينه وعدم تراكم الأخطاء.

- اتضح أن متابعة المريدين لدروس مشايخ الطريقة المنتمين إليها تمكنهم من الاقتناع بالدفاع عن مصالح بلدهم لأنهم يتمتعون بطريقة صوفية نلاحظ ذلك من خلال نسبة 82.0% والتي تمثل موافقة المبحوثين على الدفاع عن مصالح البلاد لانتمائهم لطريقة صوفية ويتابعون دروس ومحاضرات مشايخ طريقتهم ويمسسون بالوطنية والانتماء لهذا الوطن فالدين الإسلامي حث على حب الوطن والدفاع عن مصالحه فنجد أنه يذكر المحبين لأوطانهم في مواطن كثيرة.

- اتضح أن أغلب المبحوثين يرجعون في قضية التحكيم إلى شيخ الطريقة الصوفية المنتمى إليها في حالة نشوب مشاكل مع أحد الأشخاص أو وجهة معينة فالنسبة الدالة على ذلك هي 48.0% تمثل اختيار المبحوثين للاحتكام إلى شيخ الطريقة مما يوضح أن الأدوار التي يلعبها شيخ الطريقة مازالت قائمة كفك الحصومات والنزاعات وإصلاح ذات البين والتوحيد بينهما فلا يجد المريدون حلاً إلا اللجوء إلى الشيخ وهو موقف نابع من حاجة المريد لرجل الدين أو الأشراف من مشايخ الطريقة، خصوصاً إذا اشتبهوا بالصالح والتقاء وهي ملاحظة لمسناها في الطريقتين محل الدراسة.

- اتضح أن تصرف المريدين يكون سلمياً حيال المشاكل التي تواجههم والتي لها علاقة بالنظام، فالنسبة 84.3% تعبر عن اختيار المبحوثين إلى الحلول السلمية تجاه هذه المشاكل التي تعترضهم والتي لها علاقة بالنظام في دلالة على أن أغلب المبحوثين يهتمهم استقرار البلاد ولا يهمهم

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

المصالح الضيقة الشخصية فمن خلال هذا نستقي أنهم استطاعوا أن يوفقوا بين المحافظة على النقاء الروحي والخلقي وتطبيعه في حياتهم وتقديم مصلحة البلاد وأمنها، فأغلب المبحوثين يقومون بأدوار حيوية في المجتمع تعمل في غالبها على الاستقرار والسلم والتسامح ولحاجتهم إلى الهدوء والسكينة وما يمليه عليهم منهجهم القاضي بالحرية والتغيير بدون المساس بمصالح الشعب وأنهم مارسوا حق تغيير المنكر.

- اتضح أن متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة تجعل نفسياتهم متلهفة حيال قضايا العنف في المجتمع، وما تمثله نسبة 87.3% المبحوثين الذين يجسسون أنفسهم محبطة ومتلهفة إزاء قضايا العنف في المجتمع ويحضروا إلى دروس ومحاضرات المشايخ لخير دليل على ذلك ولا يشعرون بارتياح تجاه قضايا العنف والجزائر واحدة من الدول التي أصبحت تعاني من قوة الانتشار والتسارع الرهيب في ظهور الظواهر الاجرامية باختلاف أنواعها واختلاف مجالاتها وتعدد أزماتها وأساليبها، الأمر الذي جعل أغلب مشايخ الطرق الصوفية تحاول جاهدة للتصدي لهذا العنف الذي جعل الفرد الجزائري يعيش حالة من الرعب وعدم الشعور بالاستقرار والأمان.

- اتضح أن متابعة المبحوثين لدروس مشايخ الطريقة الصوفية التابعين لها توضح رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف بأنها جماعات متطرفة وغالبية في الدين فما نسبته 62.7% تمثل المبحوثين الذين يرون بأن من يمارس العنف هم جماعات متطرفة وغالبية في الدين و يتابعون دروس المشايخ الخاصة بالطريقة المتبعة، فنجد أن الفكر الصوفي قد بدأ يظهر كبديل وراذع للأفكار التي تؤدي إلى التطرف وإلى العنف وفساد المجتمعات فالتصوف كما يبينه شيوخ الروايا لمريدهم هو وجه آخر للإسلام الذي شوته الأفكار المتطرفة الساعية للانتشار عبر التفجيرات والتقتيل والعنف مهددة استقرار البلاد وأنه هو الحل لاحتواء حماسة بعض الشباب و المتصوفة يرون أن حب الوطن من الإيمان كما ذكرنا سابقا.

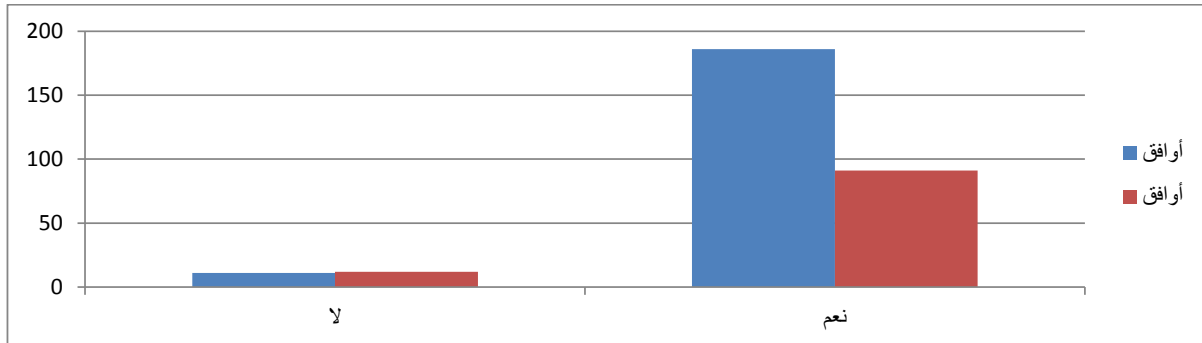
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

المحور الثالث: مساهمة الأذكار والأوراد في الالتزام الديني والتهديب الروحي والسلم الاجتماعي

1/ الالتزام بالأذكار والأوراد والسلم الاجتماعي

الجدول رقم 41: يبين توزيع أفراد العينة والالتزام بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد حسب الموالاة للسلطة وسببه انتمائهم للطريقة الصوفية

المجموع		لا		نعم		ملتزم بالعهد الذي قطعه للشيخ بالانتماء للطريقة عليك الموالاة للسلطة الحاكمة
%	ك	%	ك	%	ك	
65.8	197	47.8	11	67.1	186	أوافق
34.3	103	52.2	12	32.9	91	لا أوافق
100	300	100	23	100	277	المجموع



الشكل رقم 36: التزام المريدين بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد حسب الموالاة للسلطة وسببه انتمائهم للطريقة الصوفية

يوضح هذا الجدول العلاقة بين التزام أفراد العينة بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد والموالاة للسلطة وسببه انتمائهم للطريقة الصوفية تشير أعلى نسبة في الجدول 65.8 % تمثل الاتجاه العام الذي يمثل أفراد العينة الذين يرون أن سبب الولاء للسلطة الحاكمة هو الانتماء للطريقة الصوفية ضمن هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة وهي 67.1 % التي تمثل الأفراد الذين أكدوا على التزامهم بالوعد الذي قطعه لشيخوهم بخصوص الورد مقارنة بأعلى نسبة في الاتجاه الثاني وهي 52.2 % الذين نفوا التزامهم بالعهد الذي قطعه لشيخوهم بخصوص الورد لأسباب مختلفة.

من خلال النتائج المحصل عليها لا يمكن الاعتقاد بأن السياسة والتصوف خصمان لا يتصالحان وخطان متنافرين لا يلتقيان فالتصوف الجديد ولد من رحم السياسة ثم حركة دينية رغبة لم تقف عند حد شرذم الزهاد والمتنسكين بل امتثلت في طرائق لها

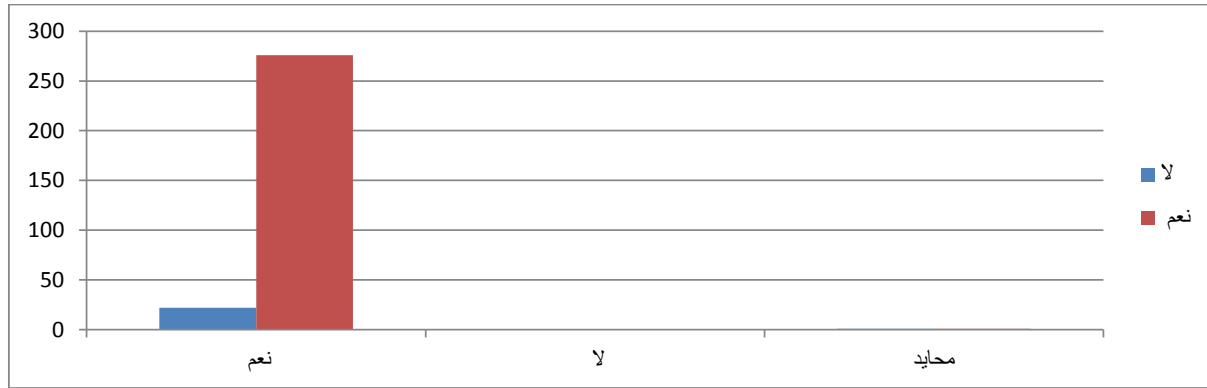
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

قاعدتها الشعبية الجماهيرية وإدارتها المالية وقادتها البارزين وهم المشايخ الذين يحكمون في هاته الحركات الدينية من خلال فرض عهود يقطعونها على المريدين الذين ينتسبون لهم في شكل مربى ومريد فكلما كان الشيخ ذو أهلية للدعوة والارشاد وله الإذن بالمشيخة والرفق بالمريدين والتواضع لهم والخبرة بعلم الرياضة الروحية وأن يكون الشيخ ذا بصيرة يمكنه من معرفة صلاحية المريد لسلوك الطريق الصوفي ومخالفة سياسة نفسه وموافقة قوله لعمله والعلم بالكتاب والسنة النبوية ومعرفة خواطر النفس واتخاذ مجالس للعلم هذا ما يؤدي بالمريد بطبيعة الحال إلى احترام الشيخ والأخذ بنصحه والتركيز والعمل على ما يأمر به كذلك التقوى وأداء ما افترضه الله من فروض وعبادات والتوبة، ورد المظالم والصدق وتصحيح العقيدة وتعلم علوم الشريعة فالذي لوحظ من خلال الدراسة أن المريدين يحترمون ويقدرون الشيخ أيما احترام إلى حد عدم قبول العلم إلا من جهته والمبالغة في طاعة الشيخ وعدم مخالفته في كل ما يأمر به حتى نجد في بعض التصريحات لبعض المريدين أنه يقدم العهد الذي عاهده لشيخه بخصوص الورد والذكر على كل شيء بما في ذلك أهم العبادات كقراءة القرآن الكريم والتوبة المشروطة بعدم نسيان الذنب ودوام تكراره وهجران القرآن مما ساعد هذا في السيطرة على أفكاره وأذهان المريدين من طرف المشايخ فعمل هؤلاء على الولاء للسلطة وتأسى بذلك أتباعهم دون أدنى تفكير لأن المشايخ يرون أن قوة الصوفية تدور في فلك النظام الحاكم، فعلى حسب رأي مشايخ الطرق الصوفية موضوع الدراسة التي تكلمنا معهم أن هذا النظام السائد هو الذي ساعد الطرق الصوفية على الظهور والاستمرار والنمو، حتى وصلت إلى شكلها الراهن لتثبت هاته الطرق الصوفية شرعية هذا النظام متخذاً في دعمه لها أداة في مواجهة الجماعات المعارضة فحب هاته الطرق وولائها لهذا النظام نابع من المنافع التي يغدقها عليها والعكس صحيح فالحديث عن علاقة الشيخ المري بالمريد في الفكر التربوي الصوفي يأتي في إطار الحديث عن أخلاقيات العالم والمتعلم التي تحكم العلاقة التربوية بين كافت أركان العملية التعليمية في الفكر التربوي الإسلامي، ذلك الفكر الذي يعد رسالة وعملاً دينياً قبل أن يكون مهنة أو وسيلة للتكسب، فنجد أن الولاء للشيخ المري يكون في شتى المجالات حتى وإن لم يتقبل المريد الفكرة، فالذين صرحوا بأنهم لا يوافقون فكرة ولائهم للسلطة الحاكمة سببه انتمائهم للطريقة، يرون أن الولاء شيء لا بد منه وليس سبب الطريقة الصوفية هذا يصب في نفس رأي المجموعة الأولى ويشير رأيهم إلى أنهم مهادنون وخاضعون للمشايخ ولا يعارضونهم وخاصة في القضايا التي تمس السلطة والسياسة أنهم لم يعارضوا هذا النظام إطلاقاً أو اتخذوا موقف معارض ضد تلاعباته أو فساده وطغيانه.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 42: يبين توزيع أفراد العينة والالتزام بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد حسب الاحساس بالفخر بالولاء والانتماء للوطنك

المجموع	لا		نعم		ملتزم بالعهد الذي قطعه لشيخك الفخر بالولاء والانتماء للوطن بخصوص	
	ك	%	ك	%	ك	%
99.3	298	95.7	22	99.6	276	نعم
--	-	--	-	--	-	لا
0.7	2	4.3	1	0.4	1	محايد
100	300	100	23	100	277	المجموع



الشكل رقم 37: التزام المريدين بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد حسب الاحساس بالفخر بالولاء والانتماء للوطن

يوضح الجدول العلاقة بين التزام المريدين بالعهد الذي قطعه لشيخوهم بخصوص الورد والاحساس بالفخر لولائه وانتمائه للوطن، من خلال النتائج المحصل عليها نلاحظ أن الاتجاه الغالب في الجدول وهو فخر المبحوثين بولائهم وانتمائهم للوطن بنسبة 99.3% يتخلل هذا الاتجاه أعلى نسبة 99.6% تمثل المبحوثين الملتزمين بالعهد الذي قطعه لشيخوهم فيما يخص الالتزام بالورد مقارنة بالاتجاه الثاني الذي انعدم تماما بنسبة 0% أما الاتجاه الثالث الذي يمثل التزام الحياد في تصريحات المبحوثين فيما يخص قضية الفخر بالولاء والانتماء للوطن بنسبة 4.3% هم المبحوثين الذين لا يلتزمون بالعهد الذي قطعه لشيخوهم بخصوص الورد

من خلال هاته النتائج وكما ذكرنا سابق أن هاته الزوايا لازالت تؤدي دورا اجتماعيا وسياسيا وثقافيا وأن الدولة تعتمد على الشعور الديني وقوة الرباط الروحي لدى المشايخ مع مريديهم لفرض وجودهم تلقائيا، إن الوزن الروحي والمعنوي الذي تمثله

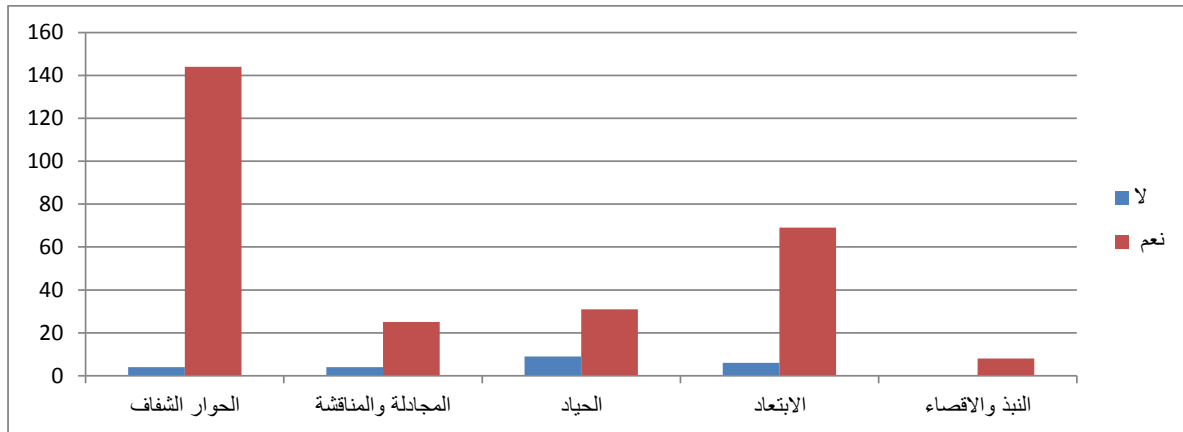
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الشخصيات الدينية والمشايخ الصوفية لمريديهم إنما كان انطلاقاً من الزوايا والمساجد وأماكن العبادة والتعليم والعناية بالمعوزين والتحكيم بين الناس، هكذا استمالوا قلوب الناس جميعاً ليس فقط المريدين لأنهم رجال أتقياء من جهة، وعلماء وأصحاب قلم من جهة أخرى فكانوا موضع احترام ممزوج بالخوف من طرف المريدين الذين يعتقدون أن لشييوخهم سواء أتباع الطريقة التيجانية أو الشاذلية قدرات خارقة ومعرفة بما تكنه النفوس هذا ما يميزهم وجعل لهم مكانه بين المريدين مما جعلهم يقلدونهم حتى في توجههم السياسي وآرائهم تجاه قضايا الوطن، فالأدوار المفصلية التي يقوم بها المشايخ الصوفية في الأرياف والقرى في إعادة التوازن إلى البنى الاجتماعية أدى إلى شدة التأثير على وجدان المريدين عبر امتلاك عقولهم وقلوبهم باسم قداسة تكتسب عبر مجاهدات تربوية وروحية أو عبر كرامات وخرقات أو بواسطة نسب شريف مما يؤدي إلى القدرة على فرض وجهات نظر على المريدين مثل الحب والولاء للوطن والفخر بذلك وما الاهتمام الذي أبدته الدولة الجزائرية مؤخراً بالطرق الصوفية باعتبارها من أهم المؤسسات الروحية التي حافظت على الشخصية الوطنية والهوية الحضارية للشعب الجزائري لخير دليل على توظيف قوة وسلطة المشايخ في تحقيق قدر كبير من الاستقرار الاجتماعي والسياسي داخل وخارج الزوايا، لاسيما في المناطق التي مزال يسود فيها الفكر الغيبي والديني ونظرتهم المقدسة للشيخ وطاعته في مجالات الحياة وازدراء حطام الدنيا لأنه مصدر الشقاء والشر في نظر المريدين، فنجد أن الفخر بالولاء والانتماء للوطن لدى أغلب المريدين نابع من رأي الشيخ الذي يتمتع بسلطة سياسية على المجتمع المحلي والذي يرى أن الرقي والنمو لا يأتي إلا من خلال الاستقرار والإيمان بما هو سائد، من خلال هذا نستنتج أن الممارسة الصوفية لم تعد انسحاباً من الحياة والانطواء على الذات بقدر ما صارت تشكل قوة كبيرة في تشكيل الرأي لدى المتصوفة وحتى المجتمع.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 43: يبين توزيع أفراد العينة والالتزام بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد حسب طبيعة معاملتهم مع الأشخاص المختلفين معهم في فكر التصوف

المجموع		لا		نعم		ملتزم بالعهد الذي قطعه لشيخك بطبيعة معاملتك مع المختلفين معك فكريا في مسألة التصوف
%	ك	%	ك	%	ك	
49.3	148	17.4	4	52.0	144	الحوار الشفاف
9.7	29	17.4	4	9.0	25	المجادلة والمناقشة
13.3	40	39.1	9	11.2	31	الحياد
25.0	75	26.1	6	24.9	69	الابتعاد
2.7	8	-	-	2.9	8	النبد والاقصاء
100	300	100	23	100	277	المجموع



الشكل رقم 38: التزام المريدين بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد حسب طبيعة معاملتهم مع الأشخاص المختلفين معهم في فكر التصوف

يبين هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب التزامهم بالعهد الذي قطعه لشيخوهم بخصوص الورد وطبيعة معاملتهم مع الأشخاص المختلفين معهم في فكر التصوف تشير الاحصائيات أن أعلى نسبة هي 49.3% تمثل الاتجاه العام للدراسة وهم أفراد العينة الذين يفضلون الحوار الشفاف مع الأشخاص المختلفين معهم فكريا في قضية التصوف، أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 52.0% تمثل أفراد العينة الذين يلتزمون بالعهد الذي قطعه لشيخوهم سواء في الطريقة التيجانية أو الشاذلية بخصوص الالتزام بالورد مقارنة بأعلى نسبة في الاتجاه الذي يفضلون فيه المبحوثين الحياد وقدّر بنسبة 39.1% في تعاملهم مع مختلفين

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

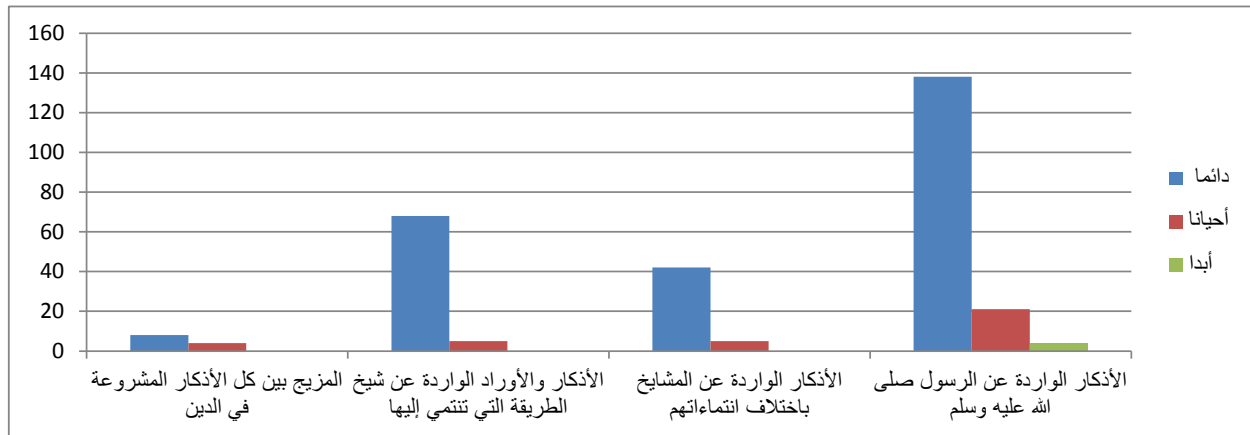
معهم فكريا ولا يلتزمون بالعهد الذي قطعوه لشييوخهم بخصوص الورد، مقارنة أما ما نسبته 26.1% نجدها ضمن الاتجاه الذي يفضل الابتعاد وعدم الخوض في الجدال مع المختلفين فكريا معهم في قضية التصوف ولا يلتزمون بالعهد الذي قطعوه لشييوخهم بخصوص الورد، في حين تشكل نسبة 17.4% تمثل أعلى نسبة في الاتجاه الذي يمثل أفراد العينة الذين فضلوا الجدال والمناقشة مع المختلفين فكريا معهم في مسألة التصوف ولا يلتزمون بالعهد وأقل نسبة مقارنة بسبب بقيمتها هي 2.9% تمثل أفراد العينة الذين فضلوا النبد والاقصاء في التعامل مع المختلفين فكريا معهم ويلتزمون بالعهد الذي قطعوه لشييوخهم بخصوص الورد.

من خلال هاته النتائج المحصل عليها من الجدول أعلاه نستنتج أن أغلب أفراد العينة فضلوا الحوار الشفاف مع المختلفين فكريا معهم في مسألة التصوف وكذلك هم ملتزمون بالعهد الذي قطعوه لشييوخهم فيما يخص الورد، فالذكر مقام شريف ومكانته مرموقة عند الصوفية فهو الذي يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى الشهود ويثمر المعارف والأحوال التي ثمر إليها السالكون والتي لا سبيل إلى نيلها وأخذ بركاتها إلى من شجرة الذكر التي خص بها المشايخ مريديهم، فهذا الورد الذي يركز عليها المشايخ في نيل أعلى مراتب التصوف، فالذكر أصل كل مقام وقاعدته التي يبني عليها، ولم يحظى نمط من أنماط العبادة بعد أداء الفروض بالعناية الفائقة من طرف المشايخ مثل ما حظي به الذكر، فالذكر عندهم ركن أساسي وقوي في طريق الحق سبحانه وتعالى ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر، فبداية الطريق تتمثل في تزكية النفس وتطهير القلب والهدف تحقيق الحب الإلهي والوصول إلى معرفة الله تعالى فإن وصل العبد إلى هاته المراتب تشعب بسلك سوي في تعامله مع غيره من الأشخاص المختلفين في فكر التصوف معهم لأن الأصل من هذا الورد هو صحبة الذاكرين والتمسك بالعمل الصالح الذي يتصل به الشيء من العلل وهو التمسك بالشرعية الحمدية، فديننا ينهانا عن المشاحنات والمجادلة والمناقشة الحادة والنبد والاقصاء فلقد ركز هؤلاء المشايخ على أداء الأوراد لأنها السبب في السعادة الغامرة واللذة العارمة التي يستشعرها العارفون بالله من خلال تجربتهم الباطنية القلبية، فيرى مشايخ الطرق محل الدراسة ان التزام المرید بأداء الأوراد يجعله حريصا على ابداء الأخلاق الحميدة مع غيره وإظهار القيم الوطنية وعلى المحافظة على مقومات الهوية الوطنية (اللغة والدين) فالحفاظ على الوعد الذي قطعه المرید لشيخه بخصوص الورد زاد من مسؤولية المرید اتجاه خدمة دينه وأمته ووطنه عن طريق نشر العلم واشاعة محاسن الأخلاق مع المتصوفة وحتى غير المتصوفة والدعوة إلى الوحدة والحوار الشفاف والمهادن والتأخي وعدم الانسياق وراء العصبية الطائفية أو المذهبية والتي تدعو إلى الفرقة والتشتت وذهاب الريح، فمن خلال هاته النتائج نستطيع القول أن الصوفية بتركيزهم على أمور التصوف والعمل بما يأمر به المشايخ ويتقيدون بذلك يجعلهم بعددين عن التطرف والنظرة الاقصائية لبقية الفرق الاسلامية والطوائف الأخرى الدينية كانت أو وثنية، فيطمح المشايخ لأخلقه الانسان المعاصر من خلال التركيز على الأوراد والأذكار وتفعيل دوره في تحريك روح التسامح والحوار والتضامن ونشر التصوف المعتدل المسالم وترسيخ كذلك قيم المواطنة والانسانية.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 44: يبين توزيع أفراد العينة و الأذكار التي يذكرونها دائما حسب دعوة الآخرين إلى السلم في المجتمع

المجموع	المزيج بين كل الأذكار المشروعة في الدين		الأذكار والأوراد الواردة عن شيخ الطريقة التي تنتمي إليها		الأذكار الواردة عن المشايخ باختلاف انتماءاتهم		الأذكار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم		الأذكار والأوراد التي تذكرها في كل مرة تدعوة الآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%		
85.3	256	66.7	8	93.2	68	80.8	42	84.7	138	دائما
13.3	40	33.3	4	6.8	5	19.2	5	12,9	21	أحيانا
1.3	4	--	-	--	-	--	-	2,5	4	أبدا
100	300	100	12	100	73	100	52	100	163	المجموع



الشكل رقم 39: الأذكار التي يذكرها المرشدون دائما حسب دعوة الآخرين إلى السلم في المجتمع

يوضح هذا الجدول العلاقة بين الأذكار التي يذكرها الباحثون ورأيهم في وجهات نظر غير المنتمين، للتصوف فأعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 85.3% هم أفراد العينة الذين دائما ما يدعون الآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع يتخلل هذا الاتجاه أعلى نسبة هي 93.2% تمثل الباحثين الذين يواظبون على الأذكار والأوراد الواردة عن شيخ الطريقة المنتمين إليها، مقارنة بالاتجاه الثاني الذي يمثل الباحثين الذين أحيانا ما يدعون الآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع، أعلى نسبة هي 33.3% نجدها ضمن هذا الاتجاه وتمثل الباحثين الذين مزجوا بين كل الأذكار المشروعة في الدين، أما الاتجاه الثالث ويمثل أفراد العينة الذين لا يدعون إلى السلم داخل المجتمع نسبتهم التمثيلية تكاد تنعدم مقارنة بالاتجاهات السابقة وتمثلها أقل نسبة وهي 2.5% الذين يلتزمون بالأذكار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

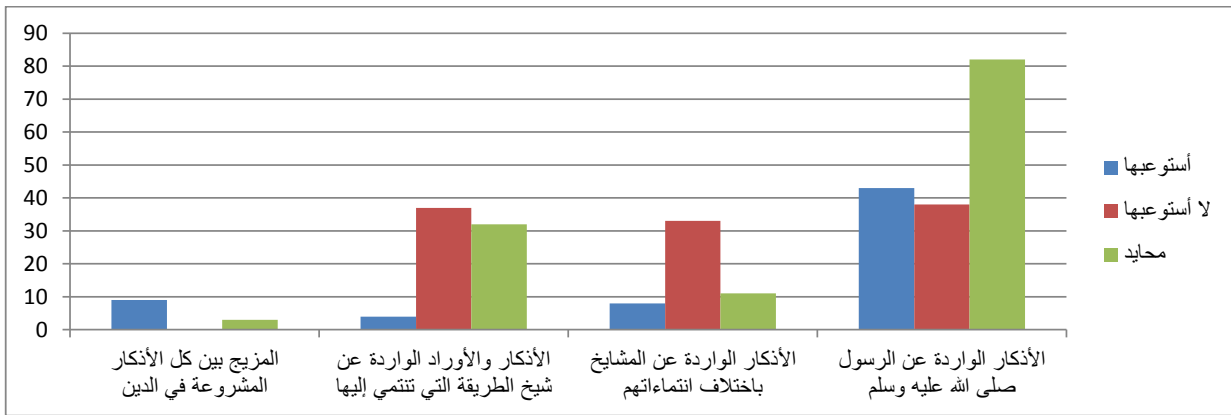
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

من خلال هذا الجدول يتضح لنا أن أغلب أفراد العينة يدعون إلى السلم والأمن داخل المجتمع وهؤلاء يركزون في ذكرهم اليومي على الأذكار الواردة عن شيوخ طرقهم سواء التيجانية أو الشاذلية، فالعلاقة بين الشيخ المري والمريد المتربي علاقة وطيدة ومتميزة تقوم على المحبة والاحترام والرعاية نظرا لما يحظى به الشيخ الصوفي من مكانة رفيعة أهلته لأن يكون مصدرا للأذكار والأوراد التي يرددها المريدون في كل مرة فنجد أن هؤلاء المشايخ قد جمعوا بين الفقه والأحوال الباطنية وتكلموا في القضايا التي تتعلق بالسلم والأمن والدعوة له من خلال ما جاء في النصوص الدينية التي تحث على ذلك والتسامح ونبد العنف والدعوة إلى الأمن في المجتمع وعدم السكوت عن الباطل ومحاولة تغييره، مما أثر نفسيا وأخلاقيا على نفوس المريدين فعملوا على إرساء هاته القواعد الداعمة للأمن والسلم وأصبحت مرجعا أساسيا في حياتهم، فنجد أن الغالب على سلوك المريدين الطابع الأخلاقي النفسي الذي يهدف إلى تنظيم العلاقات مع الآخرين والمريدين في جو يملأه النصح والإرشاد إلى الصالح العام الذي ينظم هاته العلاقة وفق ما جاء في الدين الاسلامي وما جاء في فكر المشايخ الصوفية وحتى أن التأثر بأفكار المشايخ نظم الحياة لدى المريدين في اجتناب كل خلق دنيء مع الآخر واستعمال كل خلق سني، وأن يكون كل عمل لله يقوم على الكتاب والسنة ومما يزيد من تمسك المريدين بالمنهج الصوفي والعمل على النصح والدعوة إلى الأمن والسلم في المجتمع هو تواضع مشايخهم لهم، فكلما كان العلم مقرونا بالتواضع زاد من أنس المريدين لا موحشا لهم، فينعكس هذا على تصرفاتهم في المجتمع فنجدهم يتعاملون بالرفق مع الآخرين ويعطون صورة جيدة عن التصوف السمع، ونجدهم يقرؤون أوراد وأذكار مشايخهم أسوة وتأثر بهم وقناعة بعلمهم فهذه آداب العلم تنعكس في نفوس المريدين، الذين تتسم حركاتهم وسكناتهم بالود والحنان مع الآخرين في قناعة منهم في أن ما كان من سلوك سيء من الآخر هو من طبيعة البشرية التي تعترضها النقائص، فلا بد من النصح والإرشاد لتدارك هاته النقائص.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 45: يبين توزيع أفراد العينة و الأذكار التي يذكرونها دائما حسب رأيهم في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف

المجموع		المزيج بين كل الأذكار المشروعة في الدين		الأذكار والأوراد الواردة عن شيخ الطريقة التي تنتمي إليها		الأذكار الواردة عن المشايخ باختلاف انتماءاتهم		الأذكار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم		الأذكار والأوراد التي تذكرها في كل مرة رأيك في وجهات نظر غير المقتنعين بالتصوف
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
21.3	64	75.0	9	5.5	4	15.4	8	26.4	43	أستوعبها
36.0	108	--	-	50.7	37	63.5	33	23.3	38	لا أستوعبها
42.7	128	25.0	3	43.8	32	21.2	11	50.3	82	محايد
100	300	100	12	100	73	100	52	100	163	المجموع



الشكل رقم 40: الأذكار التي يذكرونها المريدون دائما حسب رأيهم في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف

تبين المعطيات الواردة في الجدول أعلاه توزيع أفراد العينة والأذكار التي يذكرونها دائما حسب رأيهم في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف فأغلب المبحوثين أفراد العينة الذين يلتزمون دائما بالأذكار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، مقارنة بالاتجاه الثاني الذي يمثل أفراد العينة الذين لا يستوعبون رأي ووجهات نظر غير المنتمين للتصوف، أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 63.5% وهم المبحوثين الذين يركزون في أذكارهم الواردة عن المشايخ باختلاف انتماءهم، أما الاتجاه الثالث وهو الأقل من حيث النسبة الذين يستوعبون وجهات نظر غير المنتمين للتصوف ضمن هذا الاتجاه نجد النسبة الغالبة هي 75% تمثل المريدون الذين يأخذون الأذكار كمزيج من الأذكار المشروعة في الدين .

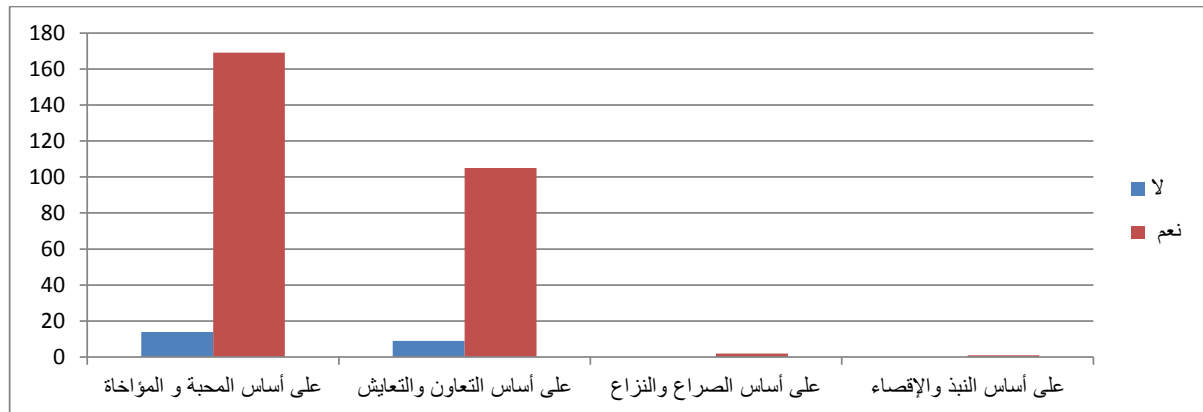
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

نلاحظ هنا من خلال نتائج الجدول أن أغلب المريدين فضلوا عدم الخوض في هذا الموضوع وفضلوا الحياد في رأيهم تجاه غير المقتنعين بالتصوف لأنهم يرون أن الصمت في هذا الموضوع عبادة و يرون أن صمت اللسان من منازل العامة وأرياب السلوك فيرجعون أن هذا الصمت عن رأيهم تجاه غير المقتنعين بالتصوف المدف منه السلامة من الآفات لا ينتبه إليها الناس ويحذر المشايخ الصوفية مريدتهم من خطر الكلام وبالأخص في هذا الشأن، نجد أغلب هؤلاء يركزون في أذكارهم و أوردتهم الواردة عن الرسول (ص)، وكانت مشارهم متعددة ومتفتحين عن أغلب المشايخ والمرجعيات الصوفية، أما الذين لا يستوعبون وجهات نظر الآخر فيبررون ذلك بأن من يتكلم على الصوفية أو يتهجم عليها هو في حد ذاته عدو للمسلمين لأن أفكار هؤلاء غير الصوفية وسلوكياتهم تحرض على العنف والإرهاب والكراهية وسهولة التكفير ضد كل من يخالفهم في الرأي، حتى أن أغلب المبحوثين أكدوا على أنه من الواجب شرعا مقاومة هاته الأفكار وأتباعها بكافة السبل المتاحة لأن الذين لا يتفقون مع الصوفية أفكارهم تقوم على نفي الآخر وتكفيره وأنهم يهددون الأمن والسلم في المجتمع، فيقول بعض المريدين أن أفكار الصوفية سلمية مبنية على التسامح ونبذ العنف وقبول الآخر والتعايش معه إن كان لا يدس العداة للصوفية، أما إن كان فكره يدفع الشباب المسلم إلى التكفير وزعزعة المجتمع والتمرد على الحكام لأوهى الأسباب، فهذا عدو للصوفية والعالم المسلم وفكره شذوذ لا ينتسب للإسلام فأفكار هؤلاء دعوة للجاهلية بحسب بعض أفراد العينة أو عبّر عنه آخرون بمثابة دين آخر غير دين الإسلام دين يدعو إلى الإرهاب و القتل بسم الله فما يجري في العراق و أفغانستان واليمن يؤكد على أننا أمام دعوة للإجرام والقتل وليس أمام دعوة للإسلام الذي يدعو إلى التسامح الاعتدال ونبذ العنف. هذا الاتجاه يركزون في ذكرهم عن الأوراد التي انبثقت عن المشايخ باختلاف انتمائهم وكأن المرجعية الصوفية قد كان لها دور في وجهة نظر هؤلاء، أما الذين يستوعبون آراء ووجهات نظر غير المنتمين للتصوف فيرجعون ذلك إلى حقيقة تختلج لها الصدور منذ زمن لم يفصح عنها إذ أن الجميع يتحاشون البوح بالسبب الحقيقي الذي أنتج الفكر والسلوك غير السوي في المجتمع الذي يناهض التصوف السني المبني على التسامح ونبذ العنف والتطرف، فجلا الذين يقطعون ويتكلمون في الصوفية ومشايخها على حسب قول أغلب المريدين هم شباب مغرر بهم لزراعة الموت والخوف والدمار وأن من يتكلم عن هاته الفكرة يتم اسكاته وتكسيم فمه لأن في ذلك قطع لمصالح بعض الأشخاص فوجهات نظر هؤلاء الشباب لا تؤثر في مواقفنا على حسب قول بعض المريدين لأنهم تأثروا بالفكر الإجرامي لأعمدة الفكر الإرهابي إن الذين يستوعبون رأي غير المنتسبين للتصوف في الصوفية يركزون في أذكارهم على جملة من الأذكار المشروعة في الدين و التي أعطت لهم سبغة التسامح ونبذ العنف وقبول الآخر .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 46: يبين توزيع أفراد العينة ومواقبتهم على أداء الأوراد حسب أسس بناء العلاقات مع الآخرين

المجموع		لا		نعم		القيام بأداء الأذكار والأوراد مع الجماعة أساس بناء العلاقة مع الآخرين
%	ك	%	ك	%	ك	
61,0	183	60,9	14	61,0	169	على أساس المحبة و المؤاخاة
38,0	114	39,1	9	37,9	105	على أساس التعاون والتعايش
0,7	2	--	-	0,7	2	على أساس الصراع والنزاع
0,3	1	--	-	0,4	1	على أساس النبذ والإقصاء
100	300	100	13	100	256	المجموع



الشكل رقم 41: مواظبة المريدین على أداء الأوراد حسب أسس بناء العلاقات مع الآخرين

تبين المعطيات الواردة في الجدول أعلاه توزيع أفراد العينة و مواظبتهم على أداء الأوراد حسب أسس بناء علاقاتهم مع الآخرين فأعلى نسبة في هذا الجدول تمثل الاتجاه العام هي 61.0% هم أفراد العينة الذين يبنون علاقاتهم مع الآخرين على أساس المحبة والمؤاخاة ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 61.0% تمثل أفراد العينة الذين دائماً ما يقومون بأداء الذكر مع الجماعة مقارنة بالاتجاه الثاني والذي يبنى علاقته مع الآخرين على أساس التعاون والتعايش نجد أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه وهي 39.1% للذين لا يؤدون الأذكار دائماً مع الجماعة فيمكن أن تكون مع الجماعة أو فرداً على أساس أنهم بعيدين عن مقر الزاوية أو لظروف أخرى قاهرة تجعلهم يؤدون الأذكار فرداً أما أقل نسبة سجلت على التوالي هي نسبة 0.7% و 0.4% هم الذين يبنون علاقاتهم على أساس الصراع والنزاع و على أساس النبذ والإقصاء هذين الاتجاهين نستطيع أن نقول أنهم معدومين فنسبتهما لا تذكر مقارنة بسابقتها .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

من خلال النتائج المحصل عنها وتعبيرا عنها نستطيع القول أن أداء الأوراد في الصوفية تعتبر التزاما ووفاء فيدمنون عليها بدون انقطاع وهو أذكاء يلقتها الشيخ للمريد، منها الصباحية ومنها المسائية فيكون وقت المريد مملوء بالأذكاء ويستبدل أغلب المرادين بمحدثين شريفين لرسول صلى الله عليه وسلم "لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة" والحديث الثاني " ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكر الله فيه إلا رأوه حسرة يوم القيامة " ثم إن الأوراد تتفرق الى ثلاثة أقسام : ورد العباد والزهاد من المجتهدين وورد أهل السلوك من السائرين وولاد أهل الوصول من العارفين كل هاته الأوراد تعمل على الخروج من الشواغل و الشواغب وترك العلائق والعوائق وتطهير القلوب من المساوئ والوساوس والعيوب وزرع المحبة للآخر وعدم النبذ والاقصاء وتخليتها من الرذائل والأفعال المشينة على حسب قول بعض المرادين الذين يرون أن من أسباب التهذيب الروحي والعيش مع الآخر وبناء علاقات معه إنما يتجلى في اسقاط الهوى ومحبة المولى بفضل الأذكاء والأوراد المفروضة من مشايخ الطرق الصوفية سواء التيجانية أو الشاذلية التي تركز على الاعتكاف في الحضرة التي هي ذكر جماعي فكل من أقامها والتزام بها إلا ويتعدى في نفسه الأشياء المشينة التي تمس الآخر وتعطي نظرة خاطئة عن التصوف والصوفية مثل الصراع والنزاع والنبذ والاقصاء واستحقار الغير بل نجد الذكاء الورع الذي يعطى للورد حقه ووقته يصبر مع كل واحد في مقامه ولا يتسرع في الحكم على الناس ولا يجادل جهولا أو عنودا فنجد أن الورد يؤثر في نفسه المريد وقابلية للآخر وبناء علاقاته معه حتى أن المرادين يرون أن الورد فيه بعض الأذكاء دواء بعينه من أمراض نفسه وقلبية، فعمل هاته الأوراد هو محاسبة النفس على الزلات لتعود صفيحة الأعمال نقية بيضاء بما فيها ذلك اصلاح العلاقة مع الناس وامتلاء قلوبهم حبا و مودتا تكنه صدورهم بغيرهم على مستوى راق من الأخلاق و السلوكيات النقية التي تمثل الطهر والعفاف والروح النبيلة في تعامل المريد مع غيره، ويرى أغلب أفراد العينة أن هناك شباب غليظي التعامل بعدين عن الدين يسعى أعداء الاسلام إلى استخدامهم كسلاح لتدمير المجتمع الاسلامي وهم أصحاب النفوس الضعيفة حملة الأفكار المريضة فكانوا كجنود سلاحهم التمرد على الأخلاق والتقاليد والسلوكيات والموروث الاجتماعي النبيل في مجتمعنا المسلم كعمول هدم في بنية المجتمع الاسلامي المتينة، وهذا كله بسبب انتهاج سبيل التعصب والابتعاد عن الوسطية والابتعاد عن الأذكاء المشروطة في الدين التي تعمل على تنوير القلوب وتحسها بالروح السلمية وعدم تمردا واستحضارها لعظمه العلي.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 47: يبين توزيع أفراد العينة ومواظبتهم على تلاوة القرآن حسب علاقتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		هل أنت مواظب على تلاوة القرآن كيف ترى علاقتك مع الآخرين الذين لا ينتمون إلى التصوف
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
14.0	42	--	-	15.3	24	12.8	18	علاقة محبة
31.0	93	50.0	1	31.8	50	29.8	42	علاقة أخوة في الدين
50.0	150	--	-	45.9	72	55.3	78	علاقة تسامحية
5.0	15	50.0	1	7.0	11	2.1	3	علاقة نبذ وإقصاء
100	300	100	2	100	157	100	141	المجموع



الشكل رقم 41: مواظبة المرئيين على تلاوة القرآن حسب علاقتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف

يوضح هذا الجدول العلاقة بين المواظبة على تلاوة القرآن والعلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف فالأغلب في هذا الجدول هم أفراد العينة الذين لديهم علاقة تسامحية مع غير المنتمين للتصوف، نجد أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 55.3% تمثل المرئيين الذين دائماً ما يواظبون على قراءة القرآن مقارنة مع أعلى نسبة في الاتجاه الذي يمثل أفراد العينة الذين لديهم علاقة أخوة في الدين مع غير المنتمين للتصوف وهي 31.8% هؤلاء أحيانا ما يقرأون القرآن، أما الاتجاه الثالث وهو أقل نسبة تمثيلية بسابقه، ويمثل علاقة محبة مع غير التابعين للتصوف وأحيانا ما يقرأون القرآن، أما أقل نسبة في هذا الجدول هو الاتجاه الذي يمثل علاقة النبذ والإقصاء لغير التابعين للتصوف، أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 7% وأحيانا ما يقرأون القرآن أما الذين لا يقرأون القرآن نسبتهم تكاد تنعدم مقارنة بنتائج الجدول المحصل عليها وتمثل الاتجاهات الأخرى.

من خلال القراءة الإحصائية لهذا الجدول نستخلص أن تأثير قراءة القرآن على علاقة المرئيين بغير التابعين للتصوف كبيرة وذلك للحاجة الملحة والذاتية للوسطية في التعامل مع الآخر وما يمليه القرآن الكريم في ذلك، فالذات الإنسانية بحاجة ماسة للفهم المعتدل السليم مع الآخر فإذا كان عنوان الذات القومية والطائفية فإنه لا يمكن لهاته الذات من إدراك الحقائق وحسن

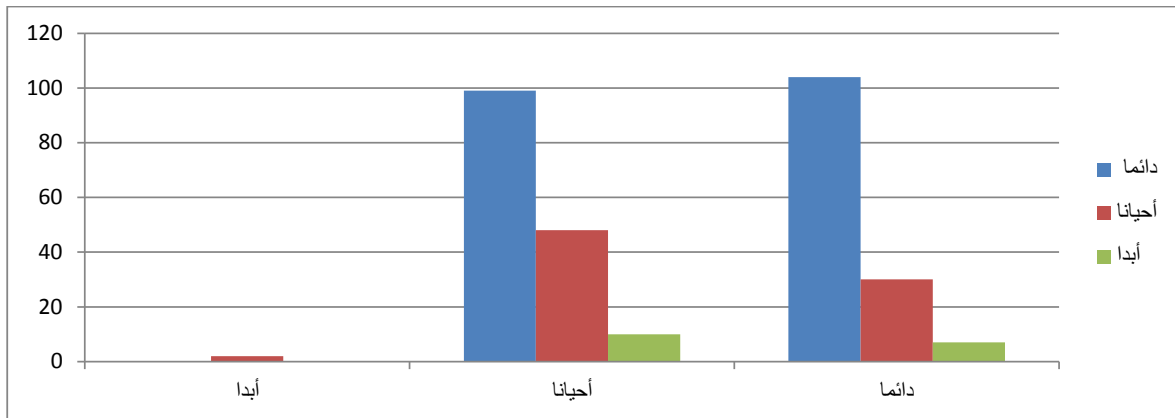
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

التعامل مع الآخر، فمن خلال القرآن يرى أغلب المريدين أن الوسطية هاته والسمعة والتسامح جاء من القرآن وما تمليه السنة النبوية فذكر المريدون عديد الآيات التي تحث على الوسطية والتسامحية في التعامل وكان القرآن هو المحفز الأساسي لذلك قال تعالى " قَالَ أَوْسَطُهُمْ " (سورة القلم 28) أي أعدلهم وخيرهم وقال تعالى " .. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " (سورة البقرة 143) قال تعالى " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " (ورة ال عمران 110) والآيات التي تحث على المعاملة الحسنة والطيبة التي ذكرها المريدين كثيرة تلخص أن المبحوثين يستمدون حبهم لبذل الجهد في التعامل الحسن الطيب مع الآخر، والإحسان له من القرآن، وحثه على ذلك حتى يستحق المرید شرفاً ومكانة ومنزلة بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أن المشايخ يحثون مريديهم أن وصفهم بالوسطية لا يكون إلا بالعمل بهدى الرسول والسنة على سنته ويحذرونهم عن الانحراف عن القرآن والسنة ولا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا بد من احاطتها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن مع غير التابعين للتصوف، ويرى أغلب المبحوثين أن الإكراه عن الدين منفي في الإسلام بنص القرآن قال تعالى " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " (سورة يونس 99) فيجمع أغلبهم على أن الآخر المختلف ليس موضوعاً للنبد والإقصاء وإنما هو موضوع للحوار والتواصل والتعارف وأن العلاقات مهما علا شأنها لا تشرع لأحد ممارسة العنف والظلم والحييف على الآخر المخالف، فنجد المرید يبنذ التناز بالألقاب ويترك سوء الظن ويمارس العدل والإنصاف مع الآخر، فإتباع المرید للقرآن الكريم وتعاليمه يتحقق مفهوم العدل في العلاقة مع المخالف وبطبيعة الحال إذا غاب منهج الوسطية والاعتدال عن الذات وغياب قيم الحوار والتواصل والتعاون حل محلها الغلو والتطرف الفكري الذي يرهق الذات أو يهلكها أحياناً، فيركز المبحوثين على قراءة القرآن لحاجتهم للوسطية والتعايش الآمن بعيداً عن التطرف والغلو اللذان نحى عنهما القرآن لكونهما يؤديان إلى حقيقة التعددية والتنوع في الاجتماع الإنساني، واحترام الإنسان والتعامل معه بالحكمة والدعوة بالعلم لا بالجهل بالرفق واللين، فعلاقة المبحوثين عامة مع الآخر إنما هي مبنية على أمر القرآن ونهيه ما يؤدي إلى الإنفتاح والتواصل معه فالقرآن في تعامله ينهي عن الانعزال والانكفاء والاستغناء عن الآخر الذي لا يتبع التصوف ويؤديان إلى التفاعل معه فلاشك في أن القرآن المنهج الرباني العالمي الذي يأمرنا بعمارة الأرض وبناء حياة وتطويرها .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 48: يوضح توزيع المبحوثين ومواظبتهم على تلاوة القرآن حسب نصحهم للأشخاص الذين يقومون بسلوك عنف

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		المواظبة على تلاوة القرآن النصح عند قيام أحد بسلوك عنف
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
67.7	203	-	-	63.1	99	73.8	104	دائما
26.7	80	100	2	30.6	48	21.3	30	أحيانا
5.7	17	--	-	6.4	10	5.0	7	أبدا
100	300	100	2	100	157	100	141	المجموع



الشكل رقم 42: مواظبة المريدین على تلاوة القرآن حسب نصحهم للأشخاص الذين يقومون بسلوك عنف

يبين هذا الجدول توزيع المبحوثين ومواظبتهم على تلاوة القرآن حسب نصحهم للأشخاص الذين يقومون بسلوك العنف فالإتجاه الغالب في هذا الجدول هم أفراد العينة الذين دائما ما ينصحون الأفراد وأثناء قيامهم بسلوكات عنف في المجتمع بنسبة 67.7% أعلى نسبة في هذا الإتجاه هي 73.8% هم الذين يواظبون دائما على تلاوة القرآن، مقارنة بالإتجاه الذي يليه والذي يمثل المبحوثين الذين أحيانا ما ينصحون الأفراد في المجتمع أثناء قيامهم بسلوكات عنف أعلى نسبة هي 30.6% وأحيانا ما يقرؤون القرآن أما أقل نسبة مقارنة بسابقتها هي 6.4% كأعلى نسبة في الإتجاه الآخر وهم أفراد العينة الذين لا ينصحون الأشخاص أثناء قيامهم بسلوك عنف في المجتمع ولا يقرؤون القرآن الكريم.

من خلال النتائج المحصل عليها نستخلص أن الزاوية وكأنها مؤسسة إعلامية تربية تقع عليها مسؤولية كبيرة في تبصير الشباب بخطورة الفكر المتشدد والتصدي له من خلال النهي عن السلوكات التي تنبؤ عن ذلك، وبيان قيمة التسامح التي نجدها في

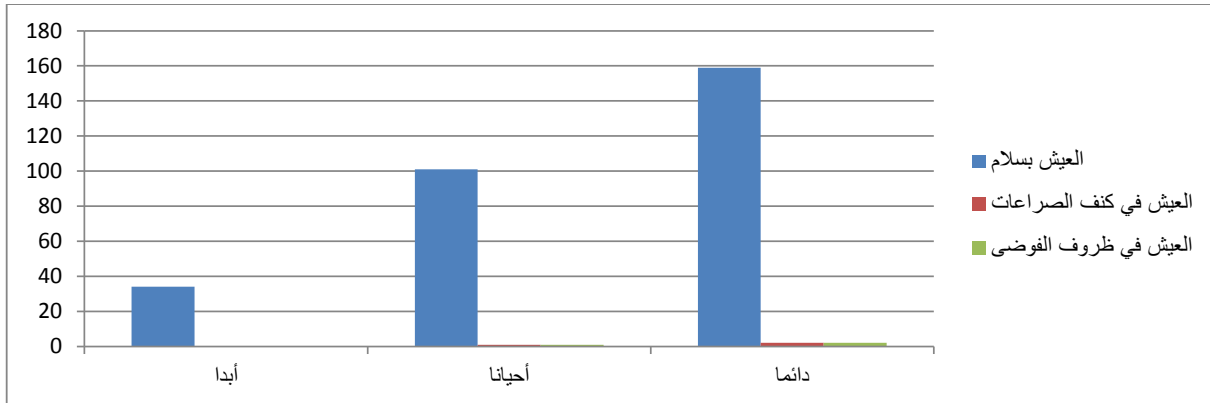
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

تعاليم ديننا الحنيف وفي آيات القران الكريم والدعوة إلى الحكمة والموعظة الحسنة، فالزوايا والطرق الصوفية هي أماكن تواجد الخيرين فتواجه الفرد داخل أسوار الزاوية يحدث في نفسه ألفة ترده إليها إن بعد وتشده إليها إن دنى، في رحابها يلتقى بأحسن الناس وأفضلهم فيتأثر بهم ويحبهم ويحبونه، كذلك تعين المرید على اختيار الصحبة الطيبة التي تعين على فضائل الاخلاق وتقويم السلوك والتي يدونها تبث في نفسيته حب النهى عن المنكر وعن السلوكات المشينة والتصدي لها بالنصح ومحاولة التغير إلى الأحسن، كل هذا نابع من تعاليم القرآن الذي يدرس ويركز على قراءته صباح مساء مما يجعلها قضية ذاتية وإنسانية وهي من أهم مزايا المنهج الإسلامي وصفات الأمة الإسلامية بتوجيهها لأفرادها للنهي عن سلوكات التطرف والعنف واستغلال جميع طاقاتها ووجودها من أجل التصدي لمثل هاته التصرفات سواء ماديا أو تربويا أو علميا أو ثقافيا، من أجل تحقيق التوازن بين الفرد والجماعة، فيرى أفراد العينة الذين سلطت عليها الدراسة أن للوصول إلى أمة وسط يكون بالأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية وما يملئها عليها الكتاب أي القرآن ويتجسد ذلك في النهى عن نبذ وإقصاء الآخر ونصح وإرشاده إلى ما فيه صلاح ويرى أفراد العينة أن يتمثل ذلك في سلوكاتنا وأفكارنا وتعاملنا فيما بيننا بسلوك وسطي معتدل ثم تجسيدا في نقل هذا إلى غيرنا غير المتفق والمنهج الصوفي ويتجسد أيضا هذا النصح والإرشاد للكف عن سلوك العنف في غرس قيم التسامح والإيمان بالتعددية، إعطاء مجال كبير للحوار الخير داخل المجتمع الواحد هذا ما يملئه القرآن الكريم وتقويم الاعوجاج الحاصل في المجتمع سواء فكريا أو سلوكيا بالحجة والإقناع والتي هي أحسن، فيقول أحد المریدین أن الإسلام لا يمنع من حسن المعاملة والنصح مع المسلمین حتى وإن كانوا لا يتفقون والمنهج الصوفي بالإحسان إليهم هذا ما يدعو إلى الأمن وتحسين الأوضاع بين الناس ويكون النصح بطرق شتى عن طريق الأسرة والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام كل هاته الأمور من شأنها النهى عن المنكر والسلوكات غير السوية وإيقاظ الوعي والإحساس بالمسؤولية لمفتعلبيها واحترام الآخر في المجتمع يجعله يراجع تصرفاته فيحسنها لحسن المعاشرة أي القدوة الحسنة هذا ما يجعل المرید قادرا على ممارسة النصح بفاعلية والتوعية والتصدي لبعض مظاهر الفهم الخاطيء للإسلام الذي أساسه الخير والعدل والإحسان والمعروف وسلامة الصدر والحرية والمسؤولية والاحترام للأخر ومحاولة منعه من القيام بسلوكات غير سوية وذلك من هدى القرآن الكريم .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 49: يوضح توزيع المبحوثين و تلاوتهم للحزب الراتب مع الجماعة حسب الأمور التي يرغبون فيها حيال عيشتهم في المجتمع

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		تلاوة الحزب الراتب مع الجماعة التي تنتمي إليها الأمور التي ترغب فيها حيال عيشك بالمجتمع
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
98.0	294	100	34	98.1	101	97.5	159	العيش بسلام
1.0	3	--	-	1.0	1	1.2	2	العيش في كنف الصراعات
3	1.0	--	-	1.0	1	1.2	2	العيش في ظروف الفوضى
100	300	100	34	100	103	100	163	المجموع



الشكل رقم 43: تلاوة المرئدين للحزب الراتب مع الجماعة حسب الأمور التي يرغبون فيها حيال عيشتهم في المجتمع

يبين هذا الجدول العلاقة بين تلاوة المرئدين للحزب الراتب مع الجماعة والأمر التي يرغبون فيها حيال عيشتهم في المجتمع تشير النتائج إلى أن أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام الذين يريدون العيش بسلام في المجتمع هي 98.0% ضمن هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة 97.5% وهم المبحوثين الذين دائما ما يقرؤون الحزب الراتب مع الجماعة وذلك دائما يوم الجمعة بعد صلاة العصر مقارنة بالاتجاهين المتبقين فنسبهم المتحصل عليها ضعيفة جدا قدرت 1.2% للمبحوثين الذين يريدون العيش في كنف الصراع وأيضا نسبة 1.2% للمبحوثين الذين يريدون العيش في ظروف الفوضى وكلتي الاتجاهين دائما ما يقرأ الحزب الراتب مع الجماعة

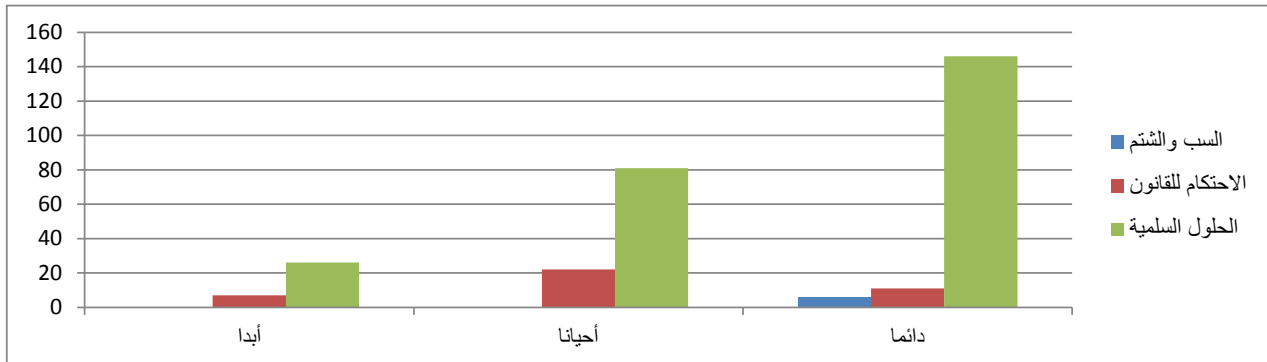
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

من خلال قراءة هذا الجدول يتضح أن قراءة القرآن تعطى صبغة سليمة نظرا لما جاء به القرآن من آيات داعية للتراحم والتأمن والتسامح كذلك قضية قراءته في كنف الجماعة يعطى للمريد نوعا من الإحساس بقوة الجماعة التي تحته دائما على الأعمال الصالحة الخيرة، ويمكن القول هنا أن كل من واضب على قراءة القرآن مع الجماعة (الحزب الراتب) وتحدث في أمور تعارف الناس على أنها موضوعات التصوف كالزهد والعزلة والأحوال والمقامات كالتوكل والمحبة والرضى والكشف والإلهام والولاية والكرامة والالتزام بالكتاب والسنة فيما يقال وكانت رغبته في العيش بسلم في كنف الجماعة يمكن أن نصنف علمة وممارسته بالتصوف الحق كما يقول الجنيد من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر (التصوف) لأن عملنا أي التصوف مقيد بالكتاب والسنة، وقال أيضا الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقه وواظب على قراءة القرآن هاتان المقدمتان للجنيد يركز عليهما المبحوثين مما يجعلهم يولون أهمية للحزب الراتب وقراءته جماعة ما يعطى صبغت التلاحم بين الجماعة الصوفية وتعزيز مواقف الأفراد بالنقاشات البناءة التي تسبق قراءة الحزب وبعده، مما يعزز المبادئ التربوية التي تتفق مع روح الإسلام السمحة الداعية إلى السلم ومحبة العيش في كنف الجماعة كل هذا ينبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، كل هذا يجعل الجماعة الصوفية تستفيد منها في حاضر ومستقبل العملية التعليمية التربوية في الزاوية، وما تضمنه هاته الطرق التربوية في مجال تنظيم العلاقات بين المريدين وشيخهم وبين المريدين فيها بينهم هذا جزء مما ينبثق عن لقاءات المريدين والتعامل مع بعضهم قائم على انتقاء الألفاظ الطيبة وتنقيه الباطن وتعزيز ذلك بقراءة القرآن والنقل لما هو صالح ومناسب للأبناء وحتى الأصدقاء وغير التابعين للتصوف، فنجد علاقة المريد مع جماعته موثقة بعري الاحترام والمودة والتقدير هاته كمدخلات تتجلى في المخرجات التي تكون أنجازا تربويا روحيا يدعو إلى السلم والعيش في إبداع وتقدم واكتساب معرفة وتحصيل أخلاق وغير ذلك من النتائج التي تسهم في تضامن المريد وعزته لجماعته ومع محيطه ومع الرافضين للتصوف في العيش في سلم وحب ومودة هذا ما دلت عليه النتائج في الجدول أعلاه، فقدم المريدين قراءة الحزب الراتب على عدة أمور دنيوية لأنهم على حسب اعتقادهم أعظم درجة وحتى يستمروا في حفظ القرآن وتلاوته ويرتبطون به ارتباط وثيقا ينعكس في سلوكياتهم وأخلاقهم.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 50: يوضح توزيع المبحوثين و تلاوتهم للحزب الراتب مع الجماعة حسب تصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم ولها علاقة بالسياسة

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		تلاوة الحزب الراتب مع الجماعة التي تنتمي إليها التصرف حيال المشكلات التي تعترضك في المجتمع التي لها علاقة بالنظام السياسي
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
2.0	6	--	-	--	-	3.7	6	السب والشتم
13.3	40	20.6	7	21.4	22	6.7	11	الاحتكام للقانون
84.3	253	76.5	26	78.6	81	89.6	146	الحلول السلمية
0.3	1	2.9	1	--	-	--	-	اشعال الفوضى
100	300	100	34	100	103	100	163	المجموع



الشكل رقم 44: تلاوة المرئدين للحزب الراتب مع الجماعة حسب تصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم ولها علاقة بالسياسة
يبين هذا الجدول توزيع المبحوثين وتلاوتهم للحزب الراتب مع الجماعة حسب تصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم ولها علاقة بالسياسة فأعلى نسبة في هذا الجدول تمثل الاتجاه العام هي 84.3% وهم أفراد العينة الذين اختاروا الحلول السلمية في تصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم، فأعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 98.6% هم المبحوثين الذين دائما ما يتلون الحزب الراتب مع الجماعة التي تنتمون إليها يمكن أن يكون ذلك في مقر الزاوية التيجانية أو الشاذلية أو في عديد المساجد التي يجتمع فيها مردي كل من الطريقتين، مقارنة بالاتجاه الثاني والذي يمثل أفراد العينة الذين يحتكمون إلى القانون عند حصول

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

مشكلة تعرضهم في المجتمع والتي لها علاقة بالنظام السياسي أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 21.8 % هم المبحوثين الذين أحيانا ما يقرؤون الحزب الراتب مع الجماعة وأقل نسبة في هذا الجدول هي 2.9 % هم المبحوثين الذين يشعلون الفوضى عند اعتراضهم لمشكلة في المجتمع لها علاقة بالسياسة ولا يداومون على قراءة الحزب الراتب مع الجماعة.

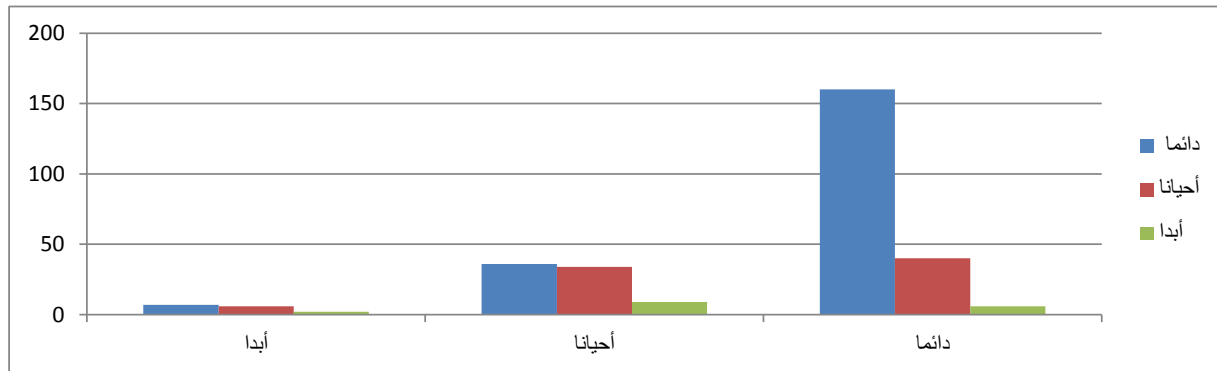
من خلال هاته القراءة الاحصائية نستنتج أن الحزب الراتب هو قراءة جماعية للقرآن الكريم كما يمثل إحدى أهم السمات البارزة التي تعكس جانبا من جوانب التصوف وخاصة من خصوصياته التي تحول دون ذوبانه في غيره بما يرتبط من تنمية لروح الجماعة وتوحيد القراءة ودوام التعاهد للقرآن فهم يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم حتى يتعلم بعضهم من بعض ويأخذ بعضهم على بعض فنجد أن كلمتهم واحدة حتى أن الولاء والخوف من الشيخ لدرجة أن الشيخ هو الأمر النهائي في كل شيء ونعرف أن الشيخ هو الذي يفك النزاعات الحاصلة في المنطقة مما يجعل المبحوثين يرجعون له في قضاياهم ونزاعاتهم حتى المشاكل الأسرية هو الذي يحلها لمعرفته وخبرته، فالأرجح أن كل المشاكل حتى تتعلق بالسياسة وبالنظام يتم الرجوع إلى الشيخ أو مرجعيات الطريقة للفصل فيها والأخذ برأيه ورأيه دائما ما يكون من وحي القرآن بغير روح القرآن لا يكون الفصل في مثل هاته القضايا وإحلالها في كيان المريدين من خلال التلاوة والتدبر، ويلح المشايخ على الاجتهاد وتطبيق تعاليم القرآن حتى أن حل المشاكل كما قلنا يكون من القرآن بعيدا عن إشعال الفوضى والاحتكام إلى القانون والسب والشتم لأن هاته ليست من شيم المريدين، فنجد أن المرید يتبع مفاهيم القرآن التي توصله إلى حقيقة مؤداها أن كل الحلول لمشاكله التي تعرضه إنما هي من القرآن فنجد المرید في سكينه ومطمئن قلبه ويعرف أن الحل من جماعته سيكون أسهل كذلك بوجود شيخ له خبرة ينوب عنه في التصدي للمشاكل التي تؤرقه فيه فيقول أحد المبحوثين أن الحياة بدون جماعة وشيخ مرة لا تطاق ولا تشعر بالأمن دون جماعة ففيه دلالة على أن الحزب الراتب في مضمونه يجمع كلمتهم ويوحدها ويعطى للجماعة والشيخ حق التصرف في حياة المرید الذي لا يناله أحد بسوء فنجده يسير آمن لا يعترضه أحد بسوء .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

02/ قيم المحبة والعدالة والعيش في كنف الجماعة والسلم الاجتماعي

الجدول رقم 51: يمثل توزيع المبحوثين وحضورهم للاحتفالات الخاصة بالطريقة حسب النصح عن سلوكات العنف في المجتمع

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		الحضور للاحتفالات والمناسبات الخاصة بالطريقة النصح للأشخاص وهم يقومون بسلوك عنف في المجتمع
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
67.7	203	46.7	7	45.6	36	77.7	160	دائما
26.7	80	40.0	6	43.0	34	19.4	40	أحيانا
5.7	17	13.3	2	11.4	9	2.9	6	أبدا
100	300	100	15	100	79	100	206	المجموع



الشكل رقم 45: حضور المبحوثين للاحتفالات الخاصة بالطريقة حسب النصح عن سلوكات العنف في المجتمع يوضح الجدول أعلاه توزيع المبحوثين وحضورهم للاحتفالات الخاصة بالطريقة حسب نصحهم للأشخاص وهم يقومون بسلوك العنف في المجتمع فأعلى نسبة في هذا الجدول هي 67.7% تمثل أفراد العينة الذين دائما ما ينصحون الأشخاص الذين يقومون بسلوكات عنف في المجتمع نجد أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه هي 77.7% هم أفراد العينة الذين دائما ما يحضرون احتفالات ومناسبات الطريقة التي ينتمون إليها مقارنة بالاتجاه الثاني الذي يمثل أفراد العينة الذين أحيانا ما ينهون عن سلوكات العنف في المجتمع ضمن هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة هي 43.0% تمثل أفراد العينة الذين أحيانا ما يذهبون إلى الاحتفالات

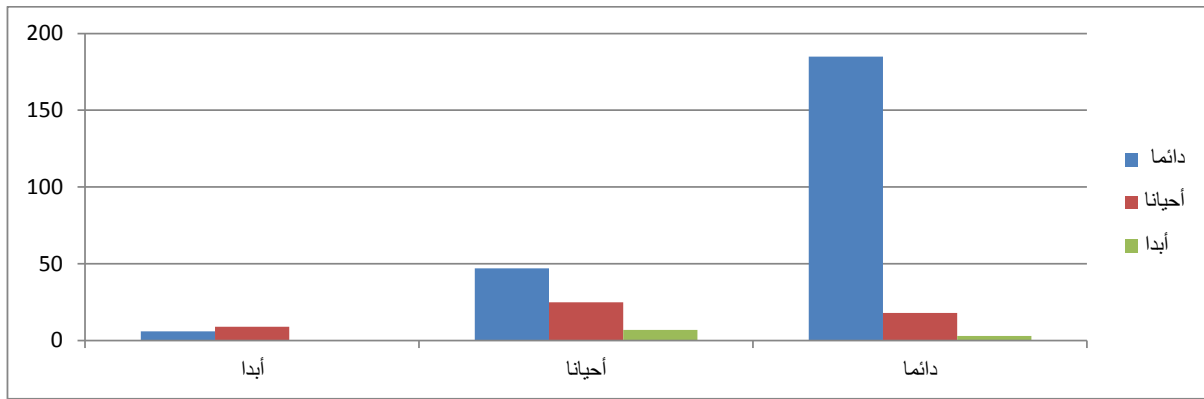
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

والمناسبات التي تخص الطريقة، أما الاتجاه الثالث الذي يمثل أفراد العينة الذين لا ينفون عن سلوكيات العنف داخل المجتمع أعلى نسبة هنا هي 13.3% وهم الذين لا يذهبون أبداً لمناسبات الطريقة ولا حتى الاحتفالات التي تقام في الزاوية. من خلال النتائج المحصل عنها هنا نستطيع القول أن النصح والإرشاد يعد من القضايا الرئيسية التي يهتم لها المريدين في مجتمعاتهم حيث أصبحت قضية يومية حياتية تمتد بجذورها في التكوين الهيكلي للأفكار والمثل الأيديولوجية التي يرتضيها المجتمع هذا نابع من التزود الحاصل للمبشرين بالتربية الروحية الحقيقية التي يتلقونها في اجتماعاتهم واحتفالاتهم ومناسباتهم التي يحث فيها مشايخ ومرجعيات هاته الطرق الصوفية على التحلي بروح المسؤولية تجاه الأفراد داخل المجتمع والتصدي لسلوكيات العنف التي تهددهم شأنها شأن أي سياق معرفي يؤثر ويتأثر في غيرها من الظواهر المرتبطة إلى حد كبير بالظروف التاريخية والسياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الظروف التي يتعرض لها المجتمع، ويعتبر أغلب المبشرين الذين يواظبون على حضور الاحتفالات والمناسبات المقامة في الزاوية مثل يوم الجمعة لحضور المهيلة أو الاحتفال بالمولد أو بعاشوراء أو ليلة القدر إن سلوكيات العنف ليست مرتبطة بالإسلام كديانة توحيدية بل يتعلق بقراءات وتأويلات سياسية دينية بشرية للقرآن الكريم والسنة النبوية وأن سلوكيات العنف لادين لها ولا جنس ولا لون لها مذكرين أن هذه الظاهرة التي تفشت في مجتمعنا متواجدة منذ القدم في الفكر المسيحي والفكر اليهودي القديم المعاصر ولها حضور في الفكر الاشتراكي وفي الأيديولوجية الماركسية والليبرالية والأيديولوجية الشمولية والتكفيرية الجهادية، أما الذين لا يحضرون إلا قليلاً أو أبداً لا يفقهون عن أسباب العنف أو حتى أنهم لا يتصدون لها سببه عدم مجالستهم للمشايخ الذين يخللون ويفسرون كيفية التصدي لسلوكيات العنف فهم يجهلون بكيفية النصح وكيفية توضيح أن الإسلام الوسطى المعتدل هو الحل فثقافتهم محدودة بمقاصد الشريعة والخوض في معانيها وتطبيقها على أرض الواقع علاوة على تقصيرهم في القيام بواجبتهم بالنصح والإرشاد والتوجيه لعموم أفراد المجتمع ابتداءً بالعائلة والأبناء فهنا يقول شيخ الطريقة التيجانية إن ندعو كل المريدين في مجالسنا واحتفالاتنا إلى ضرورة نشر العلم الشرعي مع التأكيد بتزكية النفوس والتربية الإيمانية وإرساء الحوار الهادي الحكيم وفتح باب الأمل في هداية الناس والقيام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بعيداً عن التعصب ورفض الآخر بل الأخذ بيده ونصحه وكفه عن سلوكيات العنف .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 52: يمثل توزيع المبحوثين وحضورهم للاحتفالات الخاصة بالطريقة حسب تعبئة النفوس والعقول من أجل نبذ العنف

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		الحضور للاحتفالات والمناسبات الخاصة بالطريقة	القيام بتعبئة النفوس من أجل نبذ العنف حسب منصب
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
79.3	238	40.0	6	59.5	47	89.8	185	دائما	
17.3	52	60.0	9	31.6	25	8.7	18	أحيانا	
3.3	10	--	-	8.9	7	1.5	3	أبدا	
100	300	100	15	100	79	100	206	المجموع	



الشكل رقم 47: حضور المريدين للاحتفالات الخاصة بالطريقة حسب تعبئة النفوس والعقول من أجل نبذ العنف يوضح هذا الجدول توزيع المبحوثين وحضورهم للاحتفالات الخاصة بالطريقة حسب تعبئة النفوس والعقول من أجل نبذ العنف فأعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 79.3% هم أفراد العينة الذين دائما ما يقومون بتعبئة النفوس من أجل نبذ العنف حسب مناصبهم أعلى نسبة في الاتجاه هي 89.8% هم أفراد العينة الذين دائما ما يحضرون إلى مناسبات واحتفالات الطريقة مقارنة بأعلى نسبة في الاتجاه الثاني وهي 60.0% هم الذين أحيانا ما يقومون بتعبئة النفوس من أجل نبذ العنف ولا يحضرون إلى الاحتفالات والمناسبات المقامة في مقر الزاوية التي هو تابع لها، أما أقل نسبة هي 8.9% تمثل الذين لا يعنون بتعبئة النفوس من أجل نبذ العنف وأحيانا ما يذهبون إلى الاحتفالات والمناسبات المقامة في الزاوية سواء التيجانية أو الشاذلية.

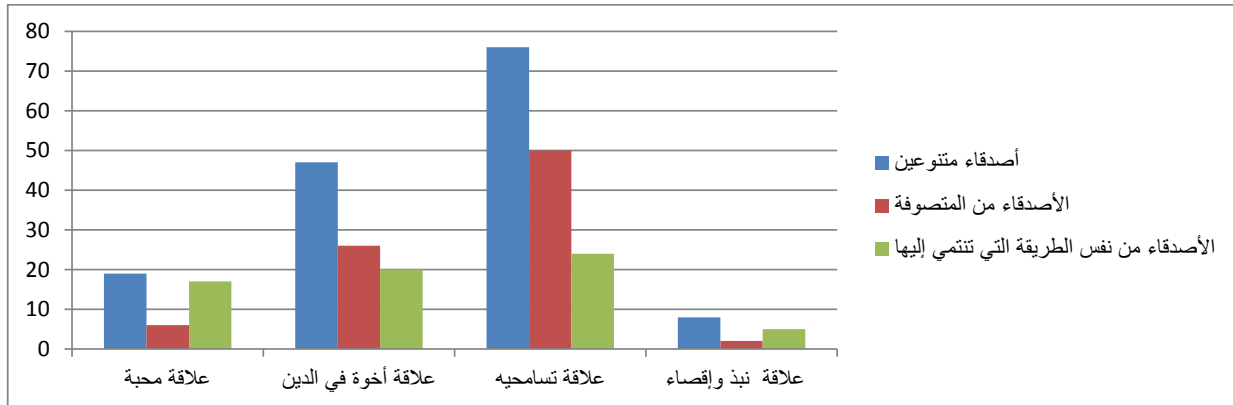
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

من خلال هاته القراءة الإحصائية نستطيع القول أن المريدين الذين يحضرون إلى الاحتفالات والمناسبات لديهم دراية بقضية العنف ومعرفة أهميتها على التأثير على الأفراد فنجدهم يتصدون لها بتعبئة النفوس من أجل نبذ العنف كل من منصبه ومستواه ويؤكد هؤلاء على أنه لا بد أن يكون هناك انفتاح على معالجة قضايا العنف والتصدي لها وأن هذا العنف الحاصل في المجتمعات الإسلامية غير مرتبط بالفقر بل هناك أغنياء يسرون أفراداً من أجل تنفيذ أهدافهم الإجرامية التي تهدد أمن وسلامة المواطنين وأن هذا العنف غير جديد على المجتمعات فهو ظاهرة علمية فكرية مستمدة من تاريخ قدم ونمت في الوقت الحاضر فيؤكد هؤلاء المريدين كل من منصبه أنه يتوجب إعادة النظر ودراسة هاته الظاهرة للتصدي لها والرجوع إلى الإسلام الوسطي وقراءته من خلال آيات القران والسنة والإجماع، ومعرفة اسباب نزول الآيات ومجالسة مشايخ ومرجعيات الطرق الصوفية في هذا دليل على أن هؤلاء المريدين يجالسون المشايخ ومتأثرين بفكرهم وهذا دائماً من خلال اجتماعاتهم التي تقام في الزاوية وحضورهم للاحتفالات والمناسبات ويرى أغلب المبحوثين أنه لا يمكن تحميل المسؤولية للغرب واعتبروا ذلك بمثابة الهروب من الواقع وأكدوا أنه لا يجب ربط الإسلام مع العنف والتطرف لأن تلك العلاقة غير صحيحة ولأن مبادئ وقيم الإسلام بعيدة كل البعد عن التطرف والعنف ولأن العنف ظهر بظهور حركات إسلامية أثرت سلباً على المجتمعات الإسلامية وأنه لا بد من التصدي له بكل الطرق وكل من منبره، ويؤكد هؤلاء المبحوثين أنه في مثل هاته المناسبات التي تقام في الزوايا يتم فيها شرح وتنوير الآخر بحقيقة الإسلام السمحة ومحاولة النهي عن العنف وتم الدعوة فيها إلى التصدي له ووضع إجراءات وقائية شاملة لمحاربة العنف لأن شبحة سعى جاهداً لزعزعة استقرار البلاد، كما أن هاته المجالس تدعو إلى وعي الزوايا والطرق الصوفية بأهمية الموضوع ووضع خطط محكمة من أجل حماية أفكارها وتوجهات أفرادها من جميع التهديدات لأن في الزوايا الصوفية أثناء قيامها بمهام الاحتفالات والمناسبات يحضر فيها علماء ومشايخ ومن يجالسهم يتحدثون عن هذا العدو اللدود وهو العنف وكيف يتم التصدي له، فيحثون المريدين على مواجهته بالحجة والعقل وبالمناقشة العلمية الهادئة بعيداً عن التعصب حتى تبقى الزاوية تقوم بدورها العملي الذي جاءت من أجله التوعية والتربية على القيم ونبذ العنف بكل أشكاله والالتزام الثابت على هذه الأدوار أما الذين لا يحضرون إلى احتفالات الزاوية نجدهم لا يفقهون هاته الأمور فكانت إجاباتهم متذبذبة عن التصدي للعنف حتى أنهم لا يفقهون أسبابه ودواعيه ما أوضح الصورة أكثر عن الاحتفالات التي تقام في الزاوية التيجانية أو الشاذلية على حد سواء.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 53: يمثل توزيع المبحوثين وتفضيلاتهم في اختيار الأصدقاء حسب العلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف

المجموع		أصدقاء متنوعين		الأصدقاء من المتصوفة		الأصدقاء من نفس الطريقة التي تنتمي إليها		من تحب أن تصاحب في حياتك اليومية الاجتماعية الرؤية للعلاقة مع الآخرين الذين لا ينتمون إلى الصوفية
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
14.0	42	12.7	19	7.1	6	25.8	17	علاقة محبة
31.0	93	31.3	47	31.0	26	30.3	20	علاقة أخوة في الدين
50.0	150	50.7	76	59.5	50	36.4	24	علاقة تسامحيه
5.0	15	5.3	8	2.4	2	7.6	5	علاقة نبذ وإقصاء
100	300	100	150	100	84	100	66	المجموع



الشكل رقم 47: تفضيلات المبحوثين في اختيار الأصدقاء حسب العلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف

يمثل هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب تفضيلاتهم في اختبار أصدقائهم وعلاقاتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف فالإتجاه الغالب في هذا الجدول وتدل عليه أعلى نسبة 50.0% هم أفراد العينة الذين لديهم علاقة تسامحيه مع الذين لا ينتمون إلى التصوف أعلى نسبة في هذا الإتجاه هم الذين يفضلون عقد صدقات مع المتصوفة من نفس السبيل أو من طريقة أخرى مقارنة بالذين يرون أن علاقتهم مع غير المنتمين للتصوف هي علاقة أخوة في الدين، أعلى نسبة في هذا الإتجاه هي 31.3% تمثل أفراد العينة الذين يفضلون عقد صدقات متنوعة ليس شرطاً أن يكونوا متصوفة، أما الإتجاه الثالث الذي يرى مبحوثيه أن علاقتهم مع غير المنتمين إلى التصوف هي علاقة محبة، أعلى نسبة في هذا الإتجاه وهي 25.8% هم أفراد العينة الذين

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

يفضلون الصداقة مع مریدین من نفس الطريقة المنتمی لها، أقل نسبة نجدها في الاتجاه الرابع والذي تمثل أفراد العينة الذين يرون أن علاقاتهم مع غير المنتمين للتصوف هي علاقة نبذ وإقصاء بنسبة تمثيلية قدرت 7.6% الذين يفضلون عقد علاقات مع المنتمين لنفس الطريقة.

إذن من خلال القراءة الإحصائية لهذا الجدول نستنتج أن أغلب مفردات العينة يرى أن علاقته بغير التابعين للتصوف تسامحية وأن أصدقائهم من نفس السبيل، فهؤلاء نجدهم على مستوى راقي من الأخلاق وسلوكاتهم نقيه تمثل الطهر والعفاف والروح النبيلة التي اكتسبوها عبر مراحل تصوفهم ومخالطتهم لأصدقائهم من نفس المنهج والتي تنعكس على علاقاتهم مع غير التابعين التصوف في تعامل تسامحي تصالحي راقي يكون مؤدياً لرسالة تامة غير منقوصة عن مدى وسطية المتصوفة ما جعل ذلك بادياً في مخالطتهم لأفراد المجتمع، فمن خلال مخالطتهم للمتصوفة وصحبتهم لهم ليتصدوا لتأثيرات وتغيرات الصحبة السيئة التي لها تأثير بالغ على التغيير في السلوك الفردي والجماعي والأخلاقي وما يحدث هذا من تأثير في تراث الأمة وشعوبها كذلك لعدم التأثير بنظريات بطرحها مفكرون غير إسلاميين بين الفينة والأخرى يمكن أن تؤثر على نفسية المرید تتجلى في سلوكياته لتقلل من تسامحه ومحبهه للآخر فنجد أن المریدین الذين اخترتوا الصحبة الصوفية من نفس المنهج أو منهج آخر لديهم أسلوب هادئ في الحوار والدعوة وقدرة كبيرة على الإقناع بهدوء ويتمتعون بانضباط نفسي مطلق، معتمدين على تعاليم مشايخهم التي تستمد ذلك من الكتاب والسنة ويرون أن غير التابعين للتصوف هم أخوة في نظرة لا تعارض مع روح الشريعة الإسلامية السمحاء بل يحثون على احتواء هؤلاء المغرر بهم وتوضيح تعاليم الإسلام السمحاء لهم، كذلك يهتم المریدون في عقد صداقاتهم مع المقربين من المنهج الصوفي لااعتدالهم ووسطيتهم في التفكير والسلوك بالمقابل يساعدون على احتواء الآخر، ونبذ ومحاربة كل ما هو سيء ومشين من العادات والسلوكات البالية التي لا تمت إلى سماحة التصوف، حتى أن المبحوثين يتكلمون عن غير التابعين للتصوف من شباب مسلم بروح تسامحية نبيلة ومحاوله منهم في تنقية وتهذيب سلوكيات بعض الأصدقاء غير الصوفية من تصرفات رعونية وهمجية وكل ما هو قبيح ومحاوله منعهم من سلوكيات غريبة عن الإسلام ودخيلة عنه ومن عادات وتقاليده وافدة إليه من مجتمعات أخرى إسلامية كانت أو غريبة، في محاولة من المبحوثين في دمج وانصهار غير المتصوفة وادخالهم إلى منهج التصوف ومحاوله انتزاع كل مورث دخيل ينادى بالنبذ والإقصاء ليزرع في أجسادهم أعلى مستويات المبادئ الأخلاقية والسلوكية النبيلة الداعية لتسامح واحتواء الآخر، فمن خلال الجدول نلاحظ أن أغلب المریدین ليس لديهم أمراض نفسية تجعلهم يتخذون مواقف من غير التابعين للتصوف بغض النظر عن بناء صداقاتهم سواء أكانت من المتصوفة أم من غيرها، فرسوخ تعاليم التصوف من المشايخ والمرجعيات حال دون اتخاذهم مواقف من الآخر وأعلنت من إرادتهم وعدم هزال شخصياتهم وأبعدتهم عن مرض الجهل، بل إن كل همهم وغايتهم زرع روح الألفة والمحبة والتواصل الإنساني السامح مع كل أطراف المجتمع .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 54: يمثل توزيع المبحوثين وتفضيلاتهم في اختيار الاصدقاء حسب تصرفهم مع غير المنتمين للتصوف في حالة حدوث خلاف

المجموع		أصدقاء متنوعين		الأصدقاء من المتصوفة		الأصدقاء من نفس الطريقة التي تنتمي إليها		التفضيلات في اختيار الاصدقاء التصرف إذا حدث خلاف مع أحد المنتمين لطائفة أو مذهب آخر
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
2.3	7	2.0	3	-	-	6.1	4	تسبه وتشتمه
16.7	50	10.7	16	13.1	11	34.8	23	ترك سبيله
49.3	148	36.7	55	75.0	63	45.5	30	تتجاوز معه بشكل عادي
31.7	95	50.7	76	11.9	10	13.6	9	تنسحب مباشرة
100	300	100	150	100	84	100	66	المجموع



الشكل رقم 48: تفضيلات المرئيين في اختيار الاصدقاء حسب تصرفهم مع غير المنتمين للتصوف في حالة حدوث خلاف
يبين هذا الجدول توزيع المبحوثين وتفضيلاتهم في اختيار الأصدقاء وحسب تصرفاتهم مع غير المنتمين للتصوف في حالة حدوث خلاف، أعلى نسبة هي 49.3% تمثل الاتجاه العام والذي يعبر عن أفراد العينة الذين يفضلون الحوار بشكل عادي مع المنتمين للتصوف في حالة حدوث خلاف، أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه هي 75.0% هم أفراد العينة الذين يفضلون عقد الصداقات مع المتصوفة مقارنة بالاتجاه الذي يمثل أفراد العينة الذين يفضلون الانسحاب مباشرة عند حدوث خلاف مع أحد من أتباع طائفة أو مذهب آخر أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 50.7% تمثل أفراد العينة الذين يعقدون صداقات متنوعة بدرجة أقل نجد الاتجاه الثالث يمثل أفراد العينة الذين فضلوا ترك سبيل المتخالف مع المنتمي لطائفة أخرى أو مذهب آخر

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 34.8% يفضلون في عقد صداقاتهم الأفراد المنتمين لنفس الطريقة، أقل نسبة نجدها ضمن الاتجاه الذي يفضل السب والشتم أثناء وقوع خلاف مع شخص تابع لطائفة أخرى أو منهج آخر هاته النسبة هي 6.1% هم المبحوثين الذين يفضلون عقد صداقات مع مريرين من نفس الطريقة كل حسب انتمائه سواء الطريقة التيجانية أو الطريقة الشاذلية موضوع الدراسة.

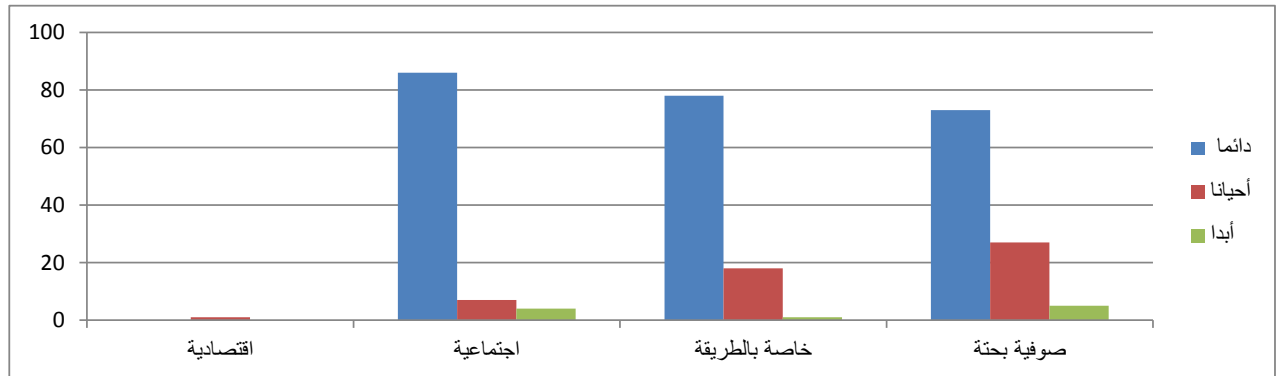
من خلال هذا الجدول يتضح لنا أن عقد الصداقات من طرف المريرين يتركز على المريرين كذلك مما يؤثر على نفسية المرير في التعامل مع المشاحنات والمشاجرات التي تحصل دائما مع المنتمين لطوائف ومذاهب أخرى، رغم أنه من الممكن أن يعد السلوك العدواني أمر طبيعي عند العديد من المريرين لما يمكن أن يتلقاه من إهانة أو كلام جارح عن توجهه أو عن الصوفية جمعاء أو ربما يصادف هذا الخلاف وقت عصب على المرير مما يتوقع منه سلوكا عدوانيا لكن في الغالب نجد أن جماعة الرفاق تؤثر على المرير، فنلاحظ من خلال الجدول أن الذين يختارون أصدقاء متنوعين يميلون إلى فقدان الأعصاب بكل سهولة ويمتنعون عن الحوار أو يكون هناك جدال غير مسوغ حتى أن إجاباته تكون مزعجة عمدا لغير التابعين للتصوف في النقاشات التي تحدث بين المريرين والتابعين لمذاهب أخرى، حتى أنهم يظهرون غضبا مستمرا حيال ذلك ويحتقروهم، ونجد أن كثير من هؤلاء المريرين وقع لهم مشاكل سابقة مع غير الصوفية التابعين لمنهج آخر، فاختيار المرير لأصدقاء عدوانيين يؤثر سلبا على نمط حياته من حيث قدرته على استيعاب الآخر واحتوائه أو حتى من حيث بناء علاقات صداقة مع المريرين فيجد هذا المرير مشكلة تتطلب منه التعامل معها مبكرا قبل أن تزداد سوءا وهي الغضب وعدم السيطرة على السلوك غير المتوقع مقارنة بالمريرين الذين يختارون في عقد صداقاتهم مريرين من نفس الطريقة أو من طريقة أخرى المهم صوفية لعدم الوقوع فيما وقع فيه سابقه فالسيطرة على الأعصاب وضبط النفس والسلوك تعد من أكبر التحديات التي من الممكن أن يواجهها المرير ومع هذا نجد المرير يتفاعل مع زملائه من نفس التوجه كطريقة لمعرفة عيوبه والأخذ منهم لإرشاد سلوكه والتحكم فيه، فالصديق يأخذ على صديقه من تعاملاته وكلامه ونذكر أن المريرين يركزون في تعاملاتهم مع المنتمين إلى مذاهب أخرى على السلوك غير العدواني في التعامل والحوار معهم فمن المحفزات على ظهور السلوك العدواني لدى المرير هي أحكامه السابقة عن أتباع المذاهب الأخرى فيجب التحكم في السلوك لإعطاء نظرة سليمة عن التصوف والمتصوفة هذا ما يشدد عليه مشايخ الصوفية، فنجد أن المشايخ يتعاملون بحذر مع المشاكل التي تعترضهم وتجنب الصراخ أو العنف الجسدي لأن الاحتمال الأكبر أن المريرين سوف يستجيبون بطريقة عدوانية مماثلة عندما تواجههم مشكلة أو حوار يمس التصوف فالشيخ يأخذ عنه المريرين في تصرفاتهم وفي بعضهم البعض كذلك، فنجد المريرين يناقشون هاته المشاكل ويحدون من النتائج المتوقعة لسلوكاتهم إن لم يتحكم المرير في أعصابه فالمرير الذي لديه صداقة مع المريرين من نفس الطريقة أو حتى من طريقة أخرى يظهر المودة والمحبة والاهتمام لغير الصوفية والعطف، فأثر الأصدقاء أو الرفاق على المرير يحدد تعامله مع المواقف فيحاول دائما المريرين مناقشة هاته الأمور التي

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

يمكن أن يناقشوها مع غير المرئيين مما يجعلهم مهينين لمثل هاته النقاشات فيتفاعلون مع بعضهم مما يقلل من المشاكل اللفظية والعدوان السلوكي واللفظي مع أتباع المذاهب الأخرى .

الجدول رقم 55: يمثل توزيع المبحوثين والمواضيع التي يناقشونها مع الاصدقاء المتصوفة حسب محاربتهم لسلوك العنف في المجتمع

المجموع		اقتصادية		اجتماعية		بالطريقة خاصة		بحنة صوفية		المواضيع التي تناقش مع الاصدقاء المتصوفة	محرارية سلوكيات العنف في المجتمع
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
79.0	237	--	-	88.4	86	80.4	78	69.5	73	دائما	
17.7	53	100	1	7.2	7	18.6	18	25.7	27	أحيانا	
3.3	10	--	-	4.1	4	1.0	1	4.8	5	أبدا	
100	300	100	1	100	97	100	97	100	105	المجموع	



الشكل رقم 50: المواضيع التي يناقشوها المرئيين مع الاصدقاء المتصوفة حسب محاربتهم لسلوك العنف في المجتمع

يبين هذا الجدول توزيع المبحوثين والمواضيع التي يناقشونها مع الأصدقاء المتصوفة حسب محاربتهم لسلوك العنف في المجتمع فأعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 79.0% هم المبحوثين الذين دائما ما يحاربون سلوكيات العنف في المجتمع نجد أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه هي 88.4% تمثل أفراد العينة الذين يناقشون مع الأصدقاء المتصوفة مواضيع اجتماعية مقارنة بالاتجاه الثاني يمثل أفراد العينة الذين أحيانا ما يحاربون سلوك العنف في المجتمع ضمن هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة هي 25.7% الذين

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

يناقشون مواضيع صوفية فيما بينهم، أقل نسبة في هذا الجدول وهي أعلى نسبة في الاتجاه الآخر تمثل أفراد العينة الذين نادرا ما يجارون سلوكيات العنف في المجتمع هي 4.8% ويناقشون كتب صوفية بحتة.

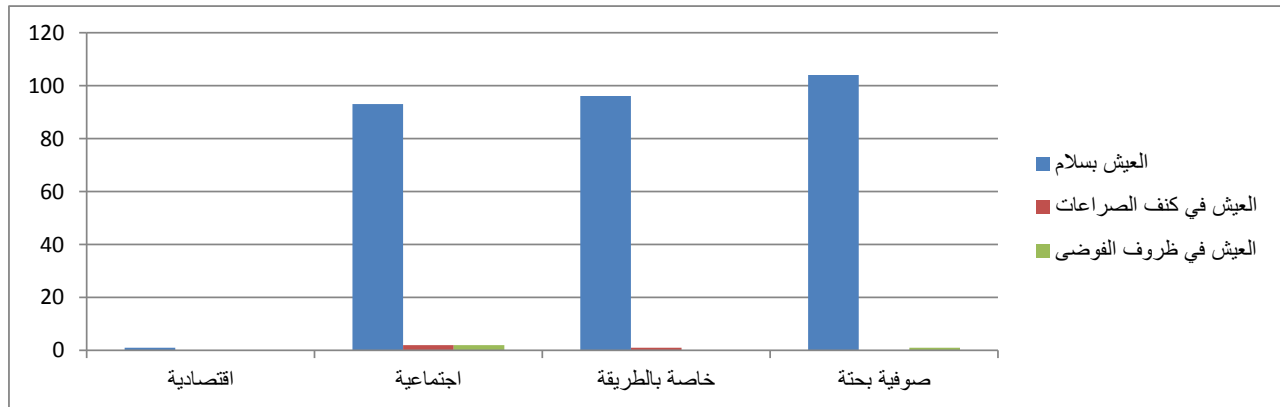
إذن من خلال النتائج المحصل عليها من هذا الجدول يتبين أن جل أفراد العينة لديهم مشارب مختلفة في المطالعة مثال ذلك جلهم يطالعون كتب اجتماعية تحكى عن الواقع المعاش فيها نوع من المعاشية اليومية، منها يستمد المرید السلوكيات العنيفة التي يجب التصدي لها ووضع أنشطة توعوية للكف منها وتدعوا إلى نبذ العنف والتسامح من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية فنجد هاته القصص الاجتماعية التي تحكي عن الواقع تتعدد فيها أشكال العنف منها البدني والعنف الشفوي والعنف بالتسلط على الآخرين فنجد أغلب المبحوثين يعرفون أنواع العنف حتى المشروع منها مثل حق التأديب لولى الأمر وحق الضبط القضائي وحق الشرطة والعنف الرياضي لألعاب القوى كالملاكمة والمصارعة، وأغلب المبحوثين الذين دائما ما يnehون عن العنف في المجتمع يعرفون العنف غير المشروع الذي يجب التصدي له على حد قولهم مثل العنف الذي يخالف المعايير والقيم والقوانين والعنف المتوسط وهو إساءة استخدام الحق المشروع ويفسر أغلب الذين يطالعون الكتب الاجتماعية أو الصوفية أسباب العنف إلى أسباب ذاتية (كضعف الوازع الديني وضعف الثقة بالنفس وغياب الحوار والتأثير السليبي لوسائل الإعلام، العجز والاحباط وكذلك غياب التربية السوية وعدم احترام القوانين) من خلال هذا نجد أن قصص المبحوثين تعددت في النهى عن العنف منها الجرح والضرب والإيذاء والسرقه والمشادات الكلامية الحادة وحتى المشاحنات والملاصقات الجسدية كلها تعددت قصص النهى فيها من قبل المبحوثين حتى أن التأثير بالكتب الاجتماعية التي تجعل المریدين يحاولون نشر ثقافة التسامح ونبذ العنف والدليل على ذلك عدم اهتمامهم بالكتب الاقتصادية محاولة رفع رصيدهم العلمي وتهديب النفس والاهتمام بها والانتقاص من قيمة الأمور الكمالية ونشر ثقافة حقوق الإنسان التي من خلالها يتم النهى عن إيذاء الآخر وزرع التنشئة السوية للكبار وللصغار التي تركز على منح الأفراد مساحة من الحرية وإبداء الرأي بعيد عن التعصب والشحناء التي من خلالها تحدث الانزلاقات وتؤدي إلى العنف في المجتمع فنجد المتصوفة يحاولون التصدي لها والأسباب التي تؤدي إلى ذلك من ظروف الضغط التي يتعرض لها الأشخاص القريبين من المتصوفة أو أصدقائهم التي تؤدي إلى أساليب غير سوية في محاولة منهم لتنمية الجانب القيمي لدى الأفراد فالمریدين من خلال مطالعتهم وتنمية الجانب الروحي لديهم يركزون في تعاملاتهم على استخدام مهارات التواصل الفعالة القائمة على الجانب الإنساني والتي من أهمها حسن الاستماع والإصغاء وإظهار التعاطف والاهتمام للمتعبين والمتشددين والمتشاحنين والمتخاصمين للقضاء على سلوكياتهم العنيفة في المهدي قبل الظهور، فيحاول المرید تعديل السلوك العنيف بالنصح والارشاد والتصحيح واستخدام الأساليب المعرفية والعقلانية التي يتعلمها من خلال المطالعة في القضاء عن الانفعالات السلوكية والتخفيف من حدتها ومحاولة إظهار النتائج المترتبة عن السلوك العنيف والمساندة النفسية للذين يتبادر منهم هذا السلوك، وجل الكتب التي يطالعها المتصوفة سواء دينية أو اجتماعية تعمل على تعاليم طرق ضبط الذات، توجيه الذات، تقييم الذات، تنمية

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

المهارات الاجتماعية في التعامل مع الأصدقاء وغير الأصدقاء وارشادهم بالروابط الوجدانية التي تقوم على الاستقرار والتسامح المؤدي إلى التوحد ونبذ المشادات والمشاحنات .

الجدول رقم 56: يمثل توزيع المبحوثين والمواضيع التي يناقشونها مع الأصدقاء المتصوفة حسب الأمور التي يرغبون فيها حيال عيشتهم بالمجتمع

المجموع		اقتصادية		اجتماعية		بالطريقة خاصة		صوفية بحتة		المواضيع التي تناقش مع الأصدقاء المتصوفة
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
98.0	294	100	1	95.9	93	99.0	96	99.0	104	الامور التي يرغب فيها حيال العيش في المجتمع
										العيش بسلام
1.0	3	--	-	2.1	2	1.0	1	--	-	العيش في كنف الصراعات
1.0	3	--	-	2.1	2	--	-	1.0	1	العيش في ظروف الفوضى
100	300	100	1	100	97	100	97	100	105	المجموع



الشكل رقم 51: المواضيع التي يناقشوها المرادين مع الأصدقاء المتصوفة حسب الأمور التي يرغبون فيها حيال عيشتهم بالمجتمع يوضح هذا الجدول توزيع المبحوثين والمواضيع التي يناقشونها مع الأصدقاء المتصوفة حسب الأمور التي يرغبون فيها حيال عيشتهم بالمجتمع من خلال النتائج المتحصل عنها نلاحظ أن أعلى نسبة في هذا الجدول هي 98.0% تمثل الاتجاه العام الذي يعبر عن رغبة المبحوثين في العيش بسلام في المجتمع، ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 99.0% تعبر عن المبحوثين الذين يناقشون مواضيع صوفية بحتة مع أصدقائهم وهذا الاتجاه يمثل أغلب المبحوثين بالنظر إلى الاتجاهات الأخرى، أما الاتجاه الأخير والذي

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

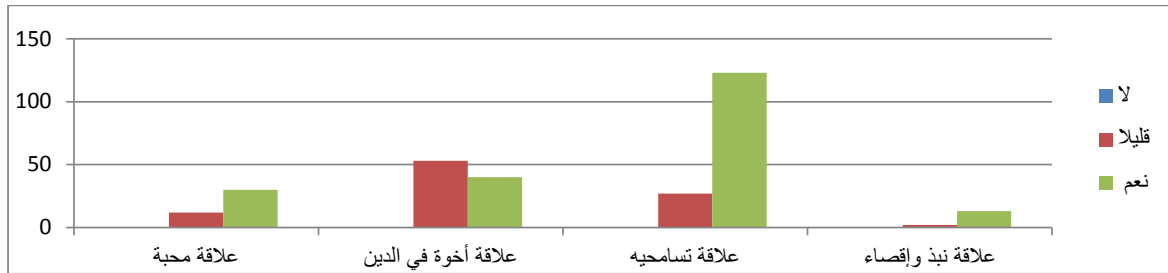
يمثل رغبة المبحوثين في العيش في كنف الصراعات بنسبة قليلة جدا والاتجاه الثالث والذي يمثل رغبة المبحوثين في العيش في ظروف الفوضى كل من هذين الاتجاهين لا يرغب فيهما المريدين كتعبير للرفض القاطع عن الرغبة في الصراعات والفوضى ضمن هاذين الاتجاهين بنسبة 2.1% الذين يناقشون مواضيع اجتماعية مع رفاقهم ويمكن أن تكون الإجابات عن هذين الاتجاهين سببها عدم فهم السؤال أو كان القصد عكس ما كان يقصد به في الاستمارة لمحدودية ثقافية بعض المبحوثين.

إذن نستخلص من هذا الجدول أن جل أفراد العينة لديهم رغبة كبيرة في العيش بسلام ووثام في المجتمع نظرا لتأثرهم بالمواضيع التي يناقشونها مع أصدقائهم المتصوفة وخاصة المواضيع الصوفية التي تعمل على تربية أتباع التصوف على مبادئ التسامح وإخراجهم من حظيرة الشهوات النفسية التي تجعل الفرد يعيش دائما في كنف الصراعات لتحقيق تلك الشهوات لكن النقاشات التي تدور بين المريدين حولها تدور حول ذكر الله والتوجه إليه سلوكا ومنهجيا بالإعتماد على منهج المحبة والسلام والتسامح والانفتاح ونبذ العنف والعيش مع أطياف المجتمع في سكينه وسلام ورحابة صدر وأخلاق متكاملة، وتعد كل من الزاويتين التيجانية والشاذلية من أهم المراكز العلمية المرموقة والينابيع الصوفية الصافية والمنارات الدينية الشامخة التي يؤمها الطلاب المريدين من كل حدبا وصوب لإسهامهم في تعميق الممارسات الدينية المبنية على وحدة المذهب والعقيدة والسلوك كما يحرص جل شيوخ هاته الطرق التي تجمع المصادر على علو همتهم في العلم والتربية الموصلة إلى العمل الصالح لدى مريديهم الذين يركزون في نقاشاتهم على المحافظة على السنة وإخماد البدع التي تضر بالمجتمع، في طيات هذا النقاش نجد جوانب تربوية عامة توضح أهمية التربية الصوفية ودورها في تحسين سلوك المرید فجملة المواضيع والقضايا التي يعالجها المریدون هي مواضيع تربوية صوفية تركز على تطهير القلوب من مختلف الأمراض الباطنية إلى جانب تحديد هاته الأمراض وأسبابها وبواعث هذه الأمراض والبحث في الطرق الكفيلة لتطهير القلوب منها، يؤكد بعض المريدين الذين صادفناهم أثناء هاته الدراسة على أن السالك لطريق أهل التصوف لا بد أن يجاهد نفسه بكل حزم وتأكيد قصد تخلصها من قيود الغفلة وصلقلها بألوان مختلفة من العبادات التي تزيل عن القلب غشاوة الغفلة وترهب النفس لمغبة الوقوع في صدمات وصراعات تؤدي إلى العيش في ظروف تعثرها الفوضى والمشاكل وتتقوى بصيرته بنصائح زملائه من المريدين وتشتد عزيمته وإرادته وتتجلى له الحقائق في الرغبة في العيش بسلام ومحبة وتسامح .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 57: يمثل توزيع المبحوثين و زيارتهم للأصدقاء والأحباب المنتمين للطريقة حسب العلاقة مع غير المنتمين إلى التصوف

المجموع		لا		قليلا		نعم		القيام بزيارة الأصدقاء والأحباب المنتمين إلى نفس الطريقة الرؤية للعلاقة مع الآخرين الذين لا ينتمون إلى الصوفية
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
14.0	42	--	-	12.8	12	14.6	30	علاقة محبة
31.0	93	--	-	56.4	53	19.4	40	علاقة أخوة في الدين
50.0	150	--	-	28.7	27	59.7	123	علاقة تسامحيه
5.0	15	--	-	2.1	2	6.3	13	علاقة نبذ وإقصاء
100	300	100	0	100	94	100	206	المجموع



الشكل رقم 52: زيارات المريدين للأصدقاء والأحباب المنتمين للطريقة حسب العلاقة مع غير المنتمين إلى التصوف يوضح هذا الجدول توزيع المبحوثين و زيارتهم لأصدقائهم وأحبابهم حسب علاقاتهم مع غير المنتمين للتصوف، تفيد النتائج المحصل عنها من هذا الجدول أن أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 50.0% وهم أفراد العينة الذين لديهم علاقة تسامحيه مع غير المنتمين للتصوف ضمن هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة هي 59.7% وهم المبحوثين الذين دائما ما يزورون الأصدقاء والأحباب المنتمين لنفس الطريقة كان هذا بالنسبة للطريقتين موضوع الدراسة مقارنة بالاتجاه الذي يمثل أفراد العينة الذين لديهم علاقة أخوة في الدين مع غير المنتمين للتصوف وأعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه هي 56.4% وهم المبحوثين الذين قليلا ما يزورون الأصدقاء والأحباب كل أعطى أعدارا عن قلة الزيارة، ثم أعلى نسبة في الاتجاه الذي يمثل أفراد العينة الذين لديهم علاقة

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

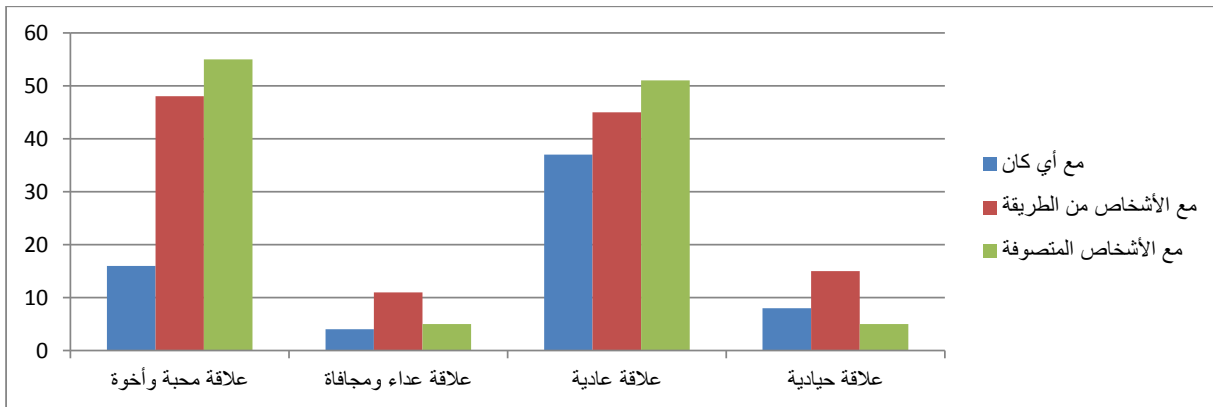
محبة مع غير المنتمين للتصوف هي 14.6% تمثل المبحوثين الذين دائما ما يزورون الأصدقاء والأحباب من نفس الطريقة المنتمين لها، أما أعلى نسبة في الاتجاه الأخير وتمثل أقل نسبة في هذا الجدول هي 6.3% وهم المبحوثين الذين لديهم علاقة نبذ وإقصاء مع غير المنتمين للتصوف ودائما ما يزورون الأصدقاء والأحباب من نفس الطريقة المنتمي إليها و الملاحظ أن النسبة التي تمثل المرئدين الذين لا يزورون أصدقائهم الصوفية منعدمة بنسبة 0%.

من خلال هاته القراءة الاحصائية تتضح الفكرة التي توصلنا إليها في الجدول السابق ومؤداها تأثير الصداقة والمواضيع التي تناقش مع الأصدقاء في المواقف اليومية مع غير المنتمين للتصوف وهنا مع غير المنتمين للتصوف لكن الواضح من هذا الجدول أن العلاقة التسامحية مع غير التابعين للتصوف هي الغالبة في رؤية المبحوثين أفراد العينة حول علاقاتهم مع هؤلاء الذين يمكن أن يكونوا أشد المعارضين للتصوف، ويختلف الصوفية في نظرتهم للناقدين لهم والمخارين لمنهجهم، فزيارة هؤلاء المرئدين لبعضهم البعض تتجلى لهم صورة هؤلاء الناقدين والمخارين للتصوف من باب عذرهم بجهلهم وابتعادهم عن فهم باطن الشريعة واقتصارهم على الظاهر فكان ذلك مؤثرا في موقفهم ضد الصوفية ويعطى بعض المرئدين الذين يركزون على زيارة الأصدقاء والأحباب الصوفية حججا ليعذروا بها غير التابعين للتصوف وأن الله قد حجب عن الكثير من خلقه هذا الطريق وأخفى لطائفه عن قلوبهم حتى أنهم ظنوا أن هذه الرياضة هي مجرد صلاح الظاهر دون مشاهدة الباطن وأن هذا الأمر مجرد حيلة بلا حقيقة وأصل، فهاته النظرة قلدها كثير من العوام ومخو عن قلوبهم صفاء الباطن ويرى بعض أفراد العينة الذين يقوم بزيارة أحبابهم وأصدقائهم أن مواضيع نقاشاتهم كثيرا ما تكون عن غير التابعين للتصوف ويقولون أن علاقاتهم بهم هي أخوة في الدين ولا ينبذونهم ومتسامحين معهم كثيرا بحجة أنهم لم يفهموا كلمات الصوفية على حقيقتها، وأن ما لديهم من علوم ومعارف إنما هو ناشئ عن الكشف والشهود فاطلعوا على حقائق لا يمكن فهمها على ما هي عليه لمن لم يحصل على الانكشاف فكثير من علماء الصوفية أفتوا بجرمة قراءة كتب الصوفية لغير من هو مؤهل لذلك ويستدل بعض المرئدين بقصة موسى والخضر عليهما السلام وما خصته الله به من كلام ونبوة ووحى و الرسالة وهنا فيه بيان أن العلم أكثر من أن يحيط به فهم الفهماء أو تدركه عقول العقلاء، فيتضح من هذا الحديث أن الصوفية في اجتماعاتهم مع أصدقائهم الصوفية يحاولون التركيز على إعطاء أعداء عن الجاهلين بالتصوف ويرونهم أخوة في الدين وأنهم يجهلون ما في التصوف من صفاء للنفس وتطهيرا لها وأن المرئدين الذين يتخذون مواقف من غير التابعين للتصوف هم جهلة ولم يستوعبوا حقيقة التصوف وشوهوا سمعته وأنهم منتسبين للتصوف فقط كما يقول مشايخ الصوفية هؤلاء الذين لم يصحبوا شيخا ولم يتلقوا أدبا عن كبير في رسالة واضحة عن سماحة هذا المنهج الذي ينقل عدوا الحب والإحساس بالأخوة والتسامح ونبذ العنف من مرئد للآخر ومن جماعة صوفية إلى أخرى .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 58: يمثل توزيع المبحوثين وتفضيلاتهم في عقد صداقات جديدة حسب علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف

المجموع		مع أي كان		مع الأشخاص من الطريقة		مع الأشخاص المتصوفة		التفضيلات في عقد صداقات جديدة	العلاقتة بالاتجاهات التي لا توافق التصوف
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
39.7	119	24.6	16	40.3	48	47.4	55	علاقة محبة وأخوة	
6.7	20	6.2	4	9.2	11	4.3	5	علاقة عداء ومجافاة	
44.3	133	56.9	37	37.8	45	44.0	51	علاقة عادية	
9.3	28	12.3	8	12.6	15	4.3	5	علاقة حيادية	
100	300	100	65	100	119	100	116	المجموع	



الشكل رقم 55: تفضيلات المرئدين في عقد صداقات جديدة حسب علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف

بين هذا الجدول توزيع أفراد العينة وتفضيلاتهم لعقد صداقات جديدة حسب علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف فأعلى نسبة في هذا الجدول هي 44.3% تمثل الاتجاه العام وهم أفراد العينة الذي يرون أن علاقتهم مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف عادية جدا ضمن هذا الاتجاه أعلى نسبة هي 44.0% هم المبحوثين الذين يفضلون المتصوفة في عقد علاقات صداقة، بينما نجد أعلى نسبة في الاتجاه الثاني وهي 47.4% هم المبحوثين الذين لديهم علاقة محبة وأخوة مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف ويفضلون عقد صداقات مع المتصوفة كذلك، أما الاتجاه الثالث فيمثل أفراد العينة الذين لديهم علاقة حيادية مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف نجد أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 12.6% هم المبحوثين الذين

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

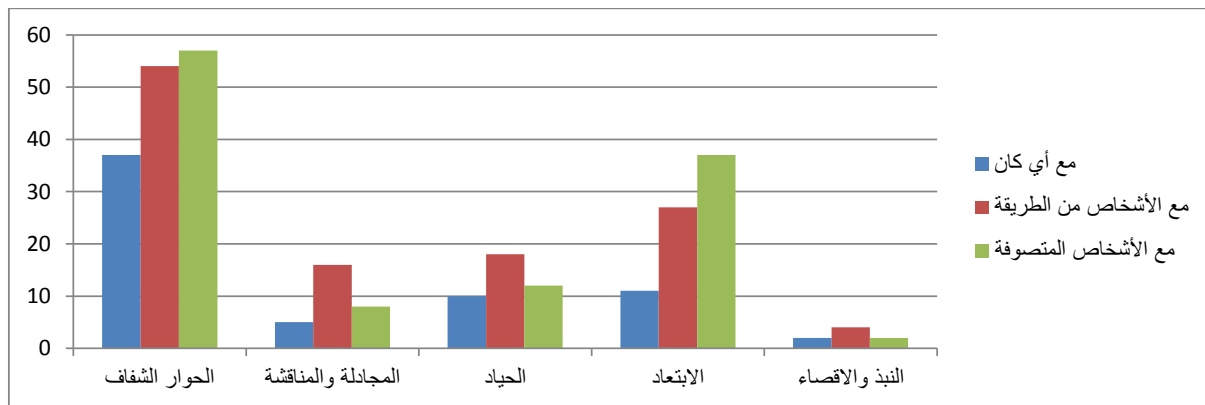
يفضلون عقد صدقات مع المريدين من نفس الطريقة وأقل نسبة في هذا الجدول نجدتها ضمن الاتجاه الذي يمثل أفراد العينة الذين يرون أن علاقتهم مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف هي علاقة عداء ومخافات وهي 9.2% هم المبحوثين الذين يفضلون عقد صدقات مع الأشخاص من نفس الطريقة .

من خلال القراءة الاحصائية لهذا الجدول يتبين أن أغلب أفراد العينة يفضلون عقد صدقات مع المتصوفة من نفس الطريقة أو من طريقة أخرى هذا ما أثر على رأيهم في علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف الذي كان يعبر عن محبة وأخوة وعدم معاداة ومخافة من هنا نلمس الدور الذي يمكن أن يلعبه التصوف في حياة المريدين في ضوء ما تواجهه الأمة الإسلامية من تحديات داخلها وخارجيا تعمل على التفرقة بين أطراف المجتمع واللعب على هذا الوتر وهو التفرقة بين توجهات الأمة الواحدة فالنتائج التي تحصلنا عليها تلخص مدى أهمية التصوف في التأثير على المرید وتحسين صورة الآخر من خلال تعاليم الدين الإسلامي الذي يلعب التصوف فيها دورا كبيرا في تحسين نظرة المرید وجماعته لما حوله وبناء شخصية مسلمة وترسيخ الهوية الإسلامية ومواجهة الأزمات المعاصرة، فجعل الآراء التي أبداها أفراد العينة تتم عن رفض لما وصل إليه المجتمع المسلم من تفرقة وتشردم وتطرف وغلو فأغلب الذين يفضلون عقد صدقات مع المتصوفة ينظرون إلى الآخر الذي لا يوافق التصوف في فكره بنظرة أخوة تسامحية وأنه يجب الأخذ بيده وتصويبه إلى الطريق الحق، في فرصة لإبراز الوجه الحضاري للإسلام الذي يدعو إلى المحبة ويرفض التشدد والغلو ويرى أغلب المريدين أن ما يكتنهُ الآخر للتصوف يعود إلى تدني المستوى المعرفي والجهل بالأحكام الشرعية وإغفال البعد الروحي في تربية النشأ وغياب القيم الروحية وابتعادهم عن المعين الصافي للدين الإسلامي المرتكز على الإيمان والإحسان، فيشدد أغلب أفراد العينة أن المشكل في ما يحدث في المجتمع هو انسحاب الملتزمين المتصوفة من الحياة العامة وتركهم الساحة للمتطرفين الذين أثروا على الشباب باسم الإسلام، الأمر الذي أوقفهم في اتخاذ مواقف ضد التصوف وسبب الأذى للمتصوفة، فيركز هؤلاء المريدين على لم شمل الأمة وتقديم الإسلام الصحيح الذي يوحد الجهود لعيش في حب وأخوة وفي رحاب الثقافة المعتدلة المنفتحة من أجل انقاذ الأمة من المعاناة وحديث المتصوفة في جلساتهم يدور حول نصحتهم لبعضهم على التربية السلمية مما يحد من عوامل الغلو والتطرف الذي يبعدها عن المنهج الإسلامي القويم .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 59: يمثل توزيع المبحوثين وتفضيلاتهم في عقد صداقات جديدة حسب معاملتهم لأشخاص مختلفين معهم فكريا

المجموع		مع أي كان		مع الأشخاص من الطريقة		مع الأشخاص المتصوفة		التفضيلات في عقد صداقات جديدة
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
49.3	148	56.9	37	45.4	54	49.1	57	طبيعة المعاملة لشخص مختلف مع الفكري للتصوف
9.7	29	7.7	5	13.4	16	6.9	8	الحوار الشفاف
13.3	40	15.4	10	15.1	18	10.3	12	المجادلة والمناقشة
25.0	75	16.9	11	22.7	27	31.9	37	الحياد
2.7	8	3.1	2	3.4	4	1.7	2	الابتعاد
100	300	100	65	100	119	100	116	النبد والاقصاء
								المجموع



الشكل رقم 55: تفضيلات المرئيين في عقد صداقات جديدة حسب معاملتهم لأشخاص مختلفين معهم فكريا
 يبين هذا الجدول توزيع أفراد العينة وتفضيلاتهم في عقد صداقات جديدة حسب معاملاتهم لأشخاص مختلفين معهم فكريا فالغالب في هذا الجدول هو الاتجاه الأول نسبة 49.3% هم المبحوثين الذين يفضلون الحوار الشفاف مع الأشخاص المختلفين معهم فكريا في الجانب الصوفي ضمن هذا نجد أعلى نسبة هي 49.1% تمثل الأفراد الذين يفضلون عقد صداقات مع المتصوفة

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

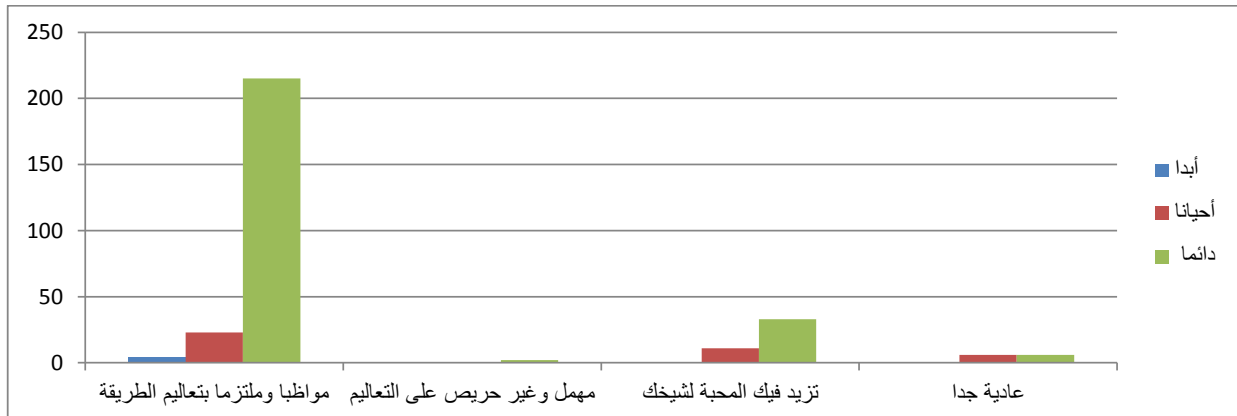
أما الاتجاه الثاني من حيث النسبة وهم المحدثين الذين يفضلون الابتعاد عند الحوار مع المختلفين فكريا معهم في قضية التصوف ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 31.9% كأعلى نسبة تمثل الأفراد الذين يفضلون عقد صدقات مع المتصوفة أما الاتجاه الذي يليه من خلال النسبة هم أفراد العينة الذين فضلوا الحياد في تعاملهم مع المختلفين معهم فكريا في قضية التصوف نجد أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 15.1% هم المحدثين الذين فضلوا عقد صدقات مع المتصوفة من نفس الطريقة وأقل نسبة في هذا الجدول هم على التوالي الذين فضلوا المجادلة والنقاش بنسبة 13.4% ويفضلون المتصوفة من نفس الطريقة الصوفية في عقد صدقاتهم ثم الذين فضلوا النبذ والإقصاء كأقل نسبة في هذا الجدول وهي 3.4% كأعلى نسبة في هذا الاتجاه يفضلون أشخاص من نفس الطريقة كأصدقاء.

إذن من خلال القراءة الإحصائية هذا الجدول نستطيع القول أن أغلب المريدين يفضلون صدقات مع المتصوفة في نظرة إلى أنهم على منهج سوى وأن هذا المنهج خالي من الغلو والتفريط وأن الوسطية إحدى الخصائص العامة له وأنها إحدى معالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها فهي أمة العدل والاعتدال فيرى أغلب المريدين أن الذين هم لا يتفقون معهم في الجانب الفكري للتصوف تكون معاملتهم بحوار شفاف وذلك راجع لمقدار تدين المريدين وأصحابه الذين يعيش معهم مما يشكل له قوة أو ضعفا في الحوار، فمن المشاهد أن من كانت جرعته من التدين الصوفي قوية وكان أصدقائه والوسط الذي نشأ فيه شديد الالتزام بالتصوف، يكون مرهف الحس لأي مخالفة أو تقصير يراه حتى أنه ليعجب أن يوجد مسلم لاحظ له من قيام الليل أو صيام النهار وكذلك في قضية معاملته مع أشخاص من غير المتصوفة تكون هذه معاملة بقلب واسع وتعاطف كبير ونظرة طيبة وفي مقابل هذا نجد المريدين الذين قل زاده من التدين علما وعملا أو أصدقائه من المتصوفة تجرأ على محارم الله أو تنكروا لشرائعه يعتبر التمسك بالحد الأدنى من الدين ضربا من التعصب أو التشدد ولا يتفاهم مع الأشخاص المختلفين معه في الجانب الفكري للتصوف ويرى أن المسألة هي تشدد وغلوا في الدين ويكون الحوار مبنيا على الجدال والمناقشة العقيمة التي لا تفضي إلا إلى زيادة المسافة بينهم وزاد استغراب هؤلاء بل انكارهم للتصوف بل اتهامهم لكل من يتبع المنهج الصوفي ومن حقائق الحياة أن الناس يتفاوتون في قضية التقوى، كذلك يتفاوت المريدون في فكرهم وتعاملهم مع الأشخاص غير التابعين للتصوف فمنهم المتساهل ومنهم المتشدد المعسر فيمكن أن يكون المريدين متطرف إذا تعصب لرأيه ولم يعترف بالرأي الآخر وهنا ينكر جميع المريدين على المريدين صاحب هذا الاتجاه ما أنكره على خصومهم و متهمينهم وهو محاولة الحجر على آراء المخالفين والغائها وأنه لا يجب فرض الرأي على الآخر بالعصى الغليظة فهناك الاتهام بالابتداع أو الاستهتار بالدين أو الكفر والمروق فهذا الإرهاب الفكري أشد تخويفا وتهديدا من الإرهاب الحسي ولا يجب السكوت عنه من طرف المريدين والمشايخ على حسب رأي المريدين.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 60: يمثل توزيع المبحوثين و دعوتهم الآخريين إلى السلم والأمن في المجتمع حسب ما تؤدي إليه علاقتهم بالأحباب والاصدقاء من نفس الطريقة

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		الدعوة للآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع علاقتك مع الأحباب والأصدقاء من نفس الطريقة تجعلك
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
80.7	242	100	4	57.5	23	84.0	215	مواظبا وملتزما بتعاليم الطريقة
0.7	2	--	-	--	-	0.8	2	مهمل وغير حريص على التعاليم
14.7	44	--	-	27.5	11	12.9	33	تزيد فيك المحبة لشيخك
4.0	12	--	-	15.0	6	2.3	6	عادية جدا
100	300	100	4	100	40	100	256	المجموع



الشكل رقم 56: دعوة المريدين للآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع حسب ما تؤدي إليه علاقتهم بالأحباب والاصدقاء من نفس الطريقة

يبين هذا الجدول توزيع المريدين ودعوتهم الآخريين إلى السلم والأمن في المجتمع حسب ما تؤدي إليه علاقتهم بالأحباب والأصدقاء من نفس الطريقة فأعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 80.7% وهم المبحوثين الذين يرون أن علاقتهم بالأصدقاء والأحباب من نفس الطريقة تجعلهم مواظبين وملتزمين بتعاليم الطريقة التي ينتمون إليها أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 84.0% وهم المبحوثين الذين دائما ما يدعون إلى السلم والأمن في المجتمع مقارنة بالاتجاه الآخر الذي يمثل أفراد العينة الذين

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

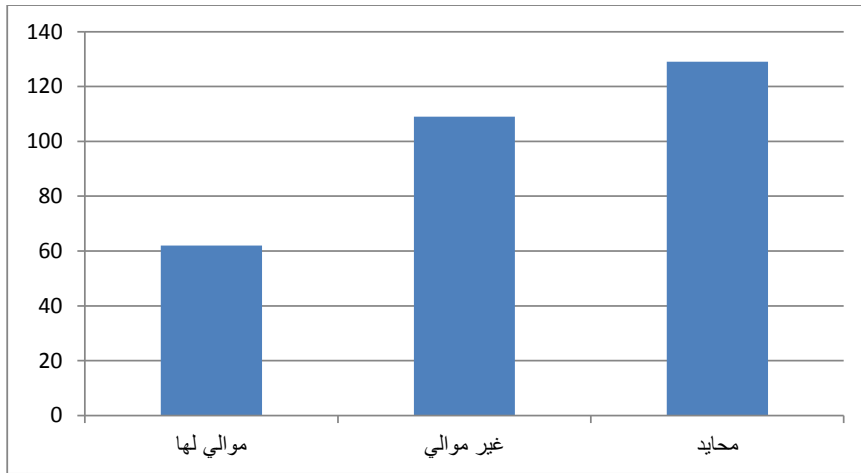
يرون أن علاقتهم مع الأصدقاء والأصدقاء من نفس الطريقة تزيد من حبههم لمشايخهم أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه هي 27.5% وهم المبحوثين الذين أحيانا ما يدعون إلى السلم والأمن في المجتمع ثالث اتجاه حسب النسبة الذي يرى أن العلاقة مع الأحبة والأصدقاء عادية جدا نجد ضمن نسبة 15.0% وهم المبحوثين الذين أحيانا ما يدعون إلى السلم والأمن في المجتمع وأقل هي 0.8% هم المبحوثين الذين يرون أن العلاقة مع الأحبة والأصدقاء تؤدي إلى الإهمال وعدم الرضى على تعاليم الصوفية ودائما ما يدعون إلى السلم والأمن في المجتمع.

من خلال النتائج المحصل عنها في هاته القراءة الاحصائية يتضح أن أغلب المرئدين يعتقدون أن علاقتهم مع أصدقائهم وأحببتهم تؤدي بهم إلى المواظبة والالتزام بتعاليم الطريقة المنتمين إليها مما يؤدي إلى الدعوة إلى السلم والأمن في المجتمع ومعالجة ظواهر التطرف لا تكون بالفرقة ولا تتم بالهجوم الاعلامي والاقتصار على أساليب التفرغ والتشجيع كما لا يقتصر على المعالجة الأمنية مهما كانت فاعلة وقوية بل لا بد من الدراسة الدقيقة والمستفيضة التي تتسم بالعلمية والموضوعية والتخصص، حتى أن المرئد لا بد أن يتعظ في نفيه عن اللأمن برجوعه إلى ما جاء في القرآن والسنة و ما جاء في المنهج الصوفي المتسامح، من أجل الوصول إلى تشخيص دقيق يصلح لعلاج المشاكل التي تؤدي إلى اللأمن فمن أسباب المشاكل الاجتماعية وأسباب اللأمن هي أسباب بيولوجية أسباب نفسية اجتماعية والاضطراب العصبي كالقلق والاكتئاب فنجد أن الدعوة إلى السلم والأمن تناول كل الجوانب السياسية والأمنية والاجتماعية والتربوية والتعليمية، فحل المرئدين يتحملون مسؤولية تحقيق الاستقرار والمبادرة من أجل الاسهام في الأمن والسلم، فالذين يرون أن الأصدقاء والأحباب يدعمونهم كذلك يجعلون تنسيق الجهود وتوزيع الأدوار ممكنا والعمل على خلق بيئة آمنة مناسبة وتوحيد القيم للجيل القادم، وإشاعة قيم التسامح وتقبل الآخر وتقليل الفجوة بين شرائح المجتمع كل هذا يؤدي إلى السلم والأمن وكذلك تنمية روح المواطنة والالتزام الأخلاقي وحملات التحسيس بالملك العام والمحافظة عليه كنوع من احلال الأمن والسلم ويركز أغلب المرئدين على أن جبر الضرر لا بد أن يكون من خلال تكاتف الجهود والمصالحة مع النفس ولا بد أن نبحت عن الحق في حرية التعبير والحق في امتلاك رأي الآخر و أن نعمل برأي مشايخنا المعتدلين فكريا للبحث على السلم والأمن والوصول إليه في المجتمع .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 61: يوضح توزيع أفراد العينة حسب علاقتهم بالتغيرات الحاصلة في البلاد

النسبة	التكرار	علاقتك بالتغيرات الحاصلة في الأنظمة السياسية للبلاد
20,7 %	62	موالي لها
36,3 %	109	غير موالي
43,0 %	129	محايد
100 %	300	المجموع



الشكل رقم 57: علاقة المرئيين بالتغيرات الحاصلة في البلاد

بين هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب علاقتهم بالتغيرات الحاصلة في البلاد، فأعلى نسبة سجلت في هذا الجدول هي 43.0 % من المبحوثين الذين كانت إجاباتهم محايدة في قضية علاقتهم بالتغيرات الحاصلة في البلاد وكانت إجاباتهم متفاوتة بخصوص هذا السؤال فمنهم من يرى أن الشيخ هو الذي يرد على هذا السؤال وهو الزعيم والقائد الملهم وأنهم مرتبطون بالتصوف وأن التصوف جاء ليربط صلتهم بالخالق بشكل حميمي وشخصي وأنهم مهتمون بتعلم القرآن وتعلم الثقافة الإسلامية وأنهم يركزون على الممارسات الثقافية والقواعد السلوكية، الغاية منها بلوغ الكمال الروحي فلا علاقة لهم بالسياسة، ثم بالدرجة الثانية نجد غير الموالين للتغيرات الحاصلة في البلاد بنسبة 36,3 % لعدم رضاهم بالعنف الذي يحصل مع التغيير، فهم يؤمنون بالتغيرات السلمية والمحبة وأن تعزز هاته التغيرات بقيم التسامح بحيث يجب الآخر ويقبله لأن القيم التي ترسّنها الطريقتين موضوع

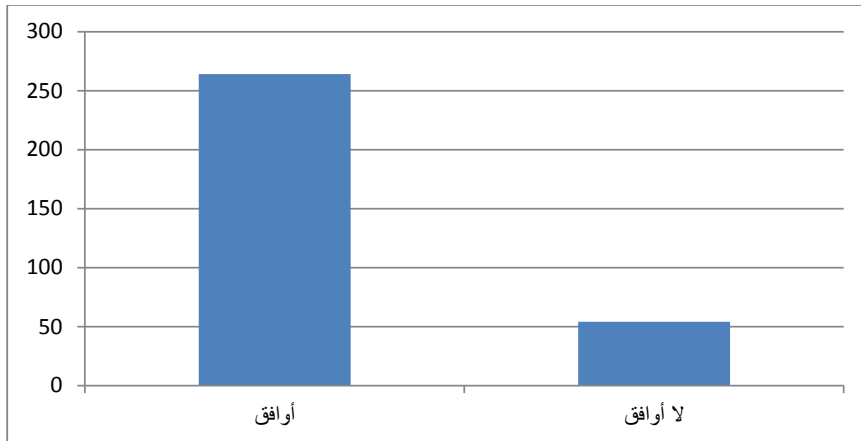
عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الدراسة في ذهن الأتباع هي كذلك، ونجد بدرجة أقل الذين هم مؤيدون لهاته التغيرات التي تحصل في البلاد لأن في رأيهم المجتمعات لا بد لها من مخاض كي تتحسن ظروف الشعوب ويرون أنه بإمكان الصوفية أن توائم بين الإسلام وبين القيم الدينية وبين التصور العلماني في فضائه الواسع.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 62: يمثل توزيع المبحوثين بانتماهم للطرق الصوفية عليهم الموالاة للسلطة

النسبة	التكرار	بانتماك للطريقة الصوفية عليك الموالاة للسلطة الحاكمة
65.7 %	197	أوافق
34.3 %	103	لا أوافق
100 %	300	المجموع



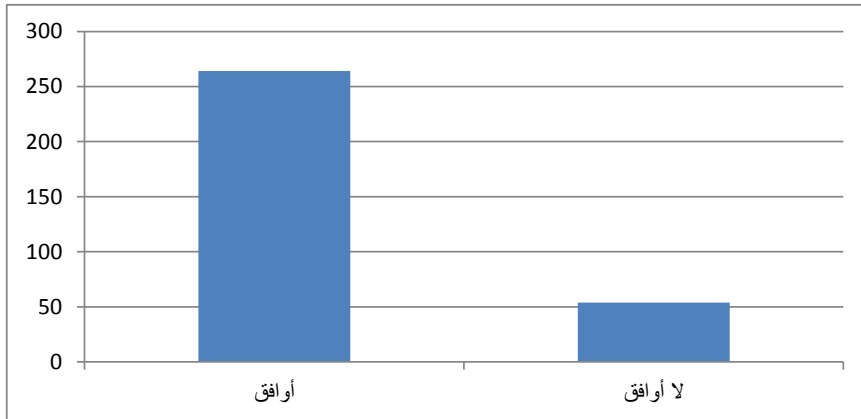
الشكل رقم 58: انتماء المريدين للطرق الصوفية عليهم الموالاة للسلطة

من خلال هذا الجدول يتبين أن أغلب أفراد العينة بنسبة 65,7 % يرون أن موالاتهم للسلطة الحاكمة سببه انتمائهم للطرق الصوفية، من خلال إجاباتهم نستخلص أن الطريقة الصوفية سواء التيجانية أو الشاذلية أحدثت ترسبات لقيم سياسية في عقول المريديها، كانت هاته القيم إيجابية مبنية على الزهد فيما لدى السلطة من منافع وأموال ومناصب ومصالح، لكن نجد عبر التاريخ هاته الطرق أفراداً من النخبة قد انطوا تحت لواء السلطة، من سياسيين وولات ووزراء وقيادات في الجيش ومثقفين كبار، لا يرفضون طلباً للشيخ الذي يشبه الزعيم الملهم لديهم ، يؤثر فيهم وكلامه مطاع ومسموع لدرجة كبيرة تصل إلى حد الخضوع في قضية الولاء للسلطة أما نسبة 34,3 % فتمثل أفراد العينة الذين لا يوافقون مسألة أنهم أتباع التصوف فهم موالون للسلطة بل يرون أن ولاءهم جاء حباً في الوطن عملاً بمقولة حب الوطن من الإيمان، وكذلك من أجل استقرار البلاد و المصلحة العامة أولى من الضيقة الخاصة .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجدول رقم 63: يمثل توزيع أفراد العينة حسب تأثير الانتماء للطريقة الصوفية على الدفاع عن مصالح البلاد

النسبة	التكرار	بانتمائك للطريقة الصوفية عليك أن تدافع عن مصالح بلدك في كل مرة
82.0%	246	أوافق
18.0%	54	لا أوافق
100%	300	المجموع



الشكل رقم 59: تأثير الانتماء للطريقة الصوفية على الدفاع عن مصالح البلاد

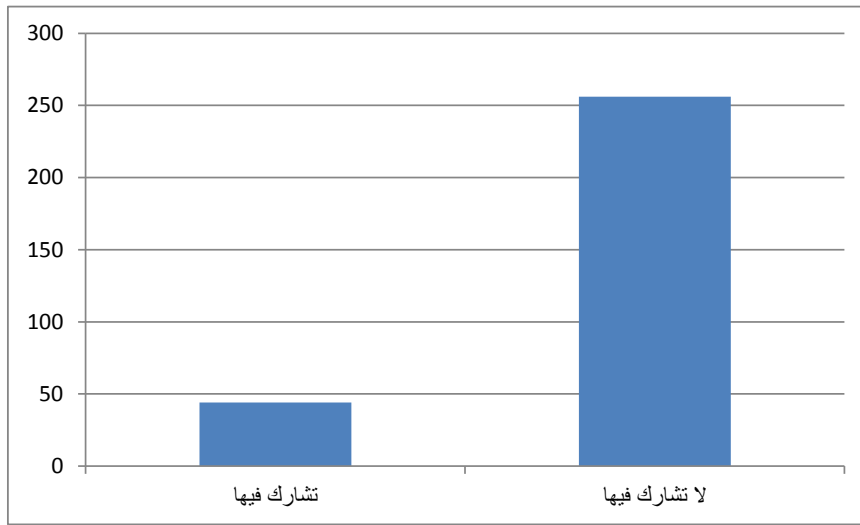
يوضح هذا الجدول تأثير الانتماء للطريقة الصوفية على الدفاع عن مصالح البلاد، فأعلى نسبة سجلت هي 82.0% الذين يوافقون على ذلك، ففي نظر المريدين أن المسلم أخوا المسلم ويهمه أمره ومن لم يهتم بأمر بلده وأهله فليس منهم كقاعدة يطبقها الصوفية فيما بينهم، والأحاديث التي استدلت بها المريدون أفراد العينة مجملها تصب في قالب واحد هي أن الصوفي أو المرید لا بد أن يكون له دور في مجتمعه وألا يكون في برج عالي عنهم، ونجد أغلب المريدين يسعون جاهدين لنبذ الفرقة وهذا نابع من تعاليم المتصوفة حتى يبقى الحفاظ على الوطن وألا يكون ثمث شرح في الدين والمجتمع والقضية الإسلامية، ونسجل نسبة 18.00% هم الذين لا يوافقون على هذا الطرح لأنهم يناون عن كل سؤال مؤداه للسياسة أو الحديث عن الدولة أو

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

البلاد، ويعتبرها حوضاً فيما لا يعنيه وأنه ليس من اختصاصه ولا يحق التدخل فيه، بل ونجد شيوخاً ومقدمين وأساتذة في الزاوية يجذرون أتباعهم من ذلك ويوجهونهم للابتعاد عن هذا ذلك .

الجدول رقم 64: يمثل سلوك المريدين في حال نشوب مشاكل ضد أمور متعلقة بشؤون البلاد

النسبة	التكرار	في حال ما إن نشبت مشاكل ضد أمور متعلقة بشؤون البلاد
14.7%	44	تشارك فيها
85.3%	256	لا تشارك فيها
100%	300	المجموع



الشكل رقم 60 : سلوك المريدين في حال نشوب مشاكل ضد أمور متعلقة بشؤون البلاد

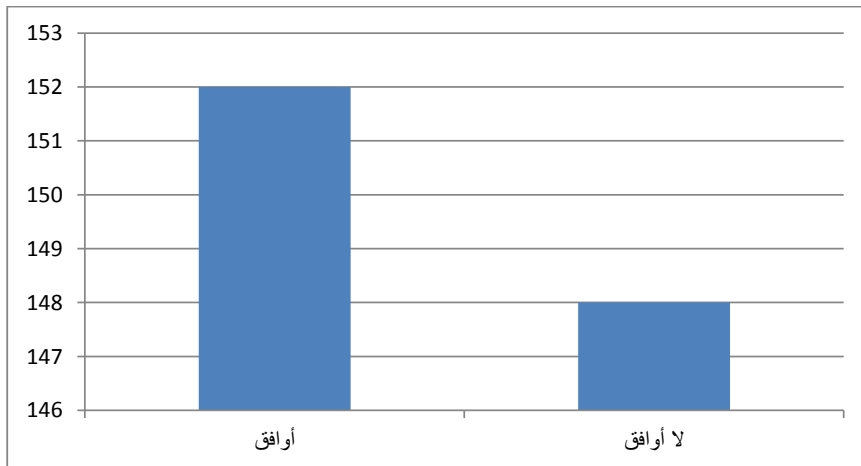
يبين هذا الجدول سلوك المريدين في حال نشوب مشاكل ضد أمور متعلقة بشؤون البلاد، فسجلت أعلى نسبة هنا وهي 85.3% الذين لا يشاركون في هاته المشاكل، لأن أغلبهم يرون أن التصوف يمكن أن يكون الطريق الأمثل والأفضل بالنسبة لحل هاته المشاكل لا ضلوع فيها، ويستدل أغلب المريدين الذين صادفناهم بالتجربة التركية التي انتجت في النهاية حزب الرفاه وحزب العدالة والتنمية الذي يحكم في تركيا الآن، ويرى مشايخ الطريقة التيجانية والشاذلية أنه بإمكان الصوفية أن توائم بين الإسلام وبين قيم الديمقراطية بعيدة عن الفوضى غير الخلاقة وعدم عصيان أولياء الأمور، أما ما نسبته 14.7% تمثل المبحوثين الذين صرحوا بمشاركتهم في المشاكل التي تقوم والمتعلقة بشؤون البلاد، يرون أنه لا بد من المشاركة فيها بقصد أنهم

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

لا بد من المشاركة في التغيير الذي يحصل في المجتمع، لكن التغيير الفعال الذي يؤدي إلى الاستقرار وليس بأساليب العنف والنهب والتخريب وإلحاق الضرر بالأفراد، بل بالنصح والتوجيه والارشاد .

الجدول رقم 65: رأي المبحوثين حول سبب امتناعهم عن المشاركة في المظاهرات ضد النظام هل سببه انتمائهم للطريقة الصوفية

النسبة	التكرار	الطريقة الصوفية التي تنتمي إليها تمنعك من المشاركة في مظاهرات ضد نظام الحكم
50.7%	152	أوافق
49.3%	148	لا أوافق
100%	300	المجموع



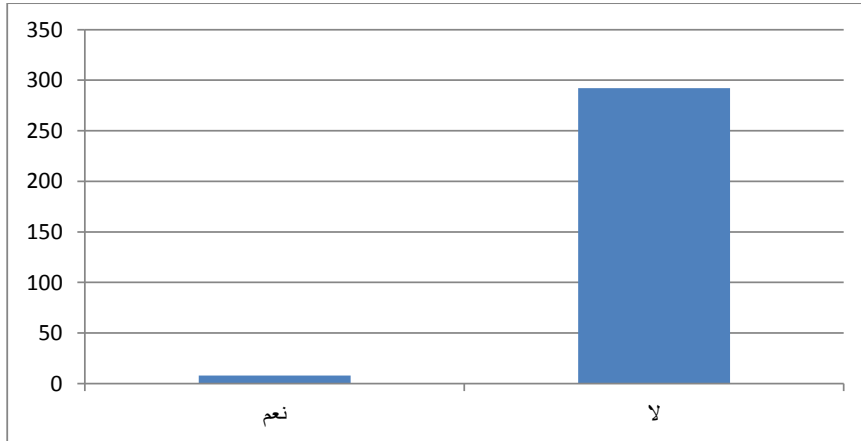
الشكل رقم 61: سبب امتناع المريدين عن المشاركة في المظاهرات ضد النظام هل سببه انتمائهم للطريقة الصوفية بين هذا الجدول رأي المريدين حول امتناعهم عن المشاركة في المظاهرات ضد النظام وهل سببه انتمائهم للطريقة الصوفية، كانت النتائج متقاربة ما بين مؤيد ورافض لهاته الفكرة، فما نسبته 50.7% من مجموع المبحوثين موافق على أن سبب عدم التظاهر ضد نظام البلاد هو الانتماء للطريقة الصوفية فلا نجد طريقة صوفية تناهض السلطة حتى لو كانت هاته السلطة جائرة، فينصح المشايخ بعدم التدخل في الصراعات والمشادات مع السلطة، أما الطرف الثاني الذي يرى سبب عدم التظاهر ضد نظام الحكم

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

ليس الانتماء للطريقة الصوفية ما نسبته 49.3% بل سببه قناعات تملئها التربية الاسلامية بل يصرح الباحثون أن يتم المشاركة في دفع الظلم ومحاربة الفساد ورد المظالم لأهلها وقول الحق والجهار به وإنكار المنكر والنصح للامة والخاصة.

الجدول رقم 66: يمثل رأي الباحثين في قضية انتمائهم السياسي

هل لديك انتماء سياسي	التكرار	النسبة
نعم	8	2.7%
لا	292	97.3%
المجموع	300	100%



الشكل رقم 62: رأي الباحثين في قضية انتمائهم السياسي

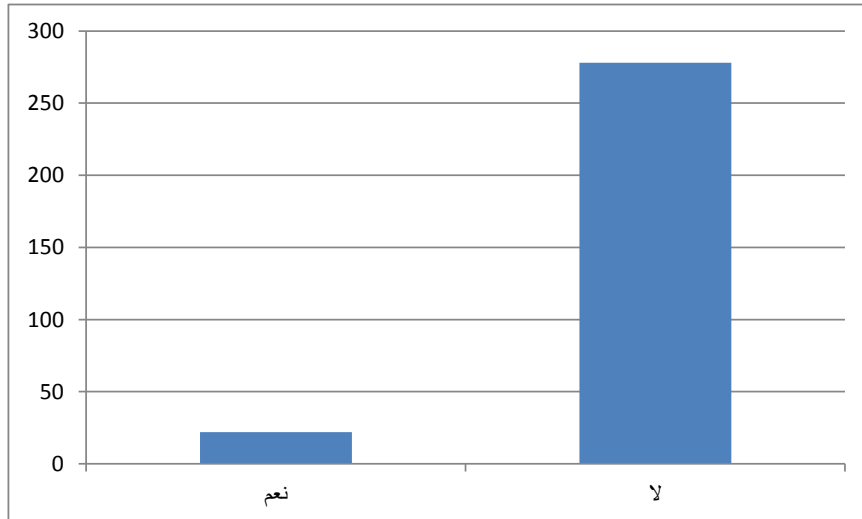
يوضح هذا الجدول رأي الباحثين في قضية انتمائهم السياسي، فأغلب أفراد العينة بنسبة 97.3% لا ينتمون إلى أي جهة حزبية أو سياسية كانت وما يحدث في البلاد العربية والاسلامية أكثرها، من تشجيع الحكومات للتصوف وجعله هو المهيمن على الشارع الاسلامي بغيت ضرب بعض التيارات الاسلامية وإقصائها، وهذا ليس من ذنب التصوف لكن ما نلمسه من رأي الباحثين مؤداه عدم التدخل في الواقع السياسي تحت ذريعة أننا نحن الصوفية لا نتدخل في السياسة، لكن رأي الأقلية أنه ليس هذا هو المنهج ولا هذه الحقيقة الصوفية واستدلوا بأمثلة صوفية ثارت من أجل البلاد مثل عمر المختار في ليبيا وعبد القادر

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

الجزائري في الجزائر ودمشق أليسوا هؤلاء صوفيين كتبوا أسمائهم بأحرف من ذهب في التاريخ بل هم من مشايخ التصوف ويجب الاقتداء بهم .

الجدول رقم 67: يمثل رأي المبحوثين في قضية نشاطهم الجمعي في المجتمع

النسبة	التكرار	هل تنتمي إلى احدى الجمعيات الناشطة في المجتمع
7.3%	22	نعم
92.7%	278	لا
100%	300	المجموع



الشكل رقم 64: يمثل رأي المبحوثين في قضية نشاطهم الجمعي في المجتمع

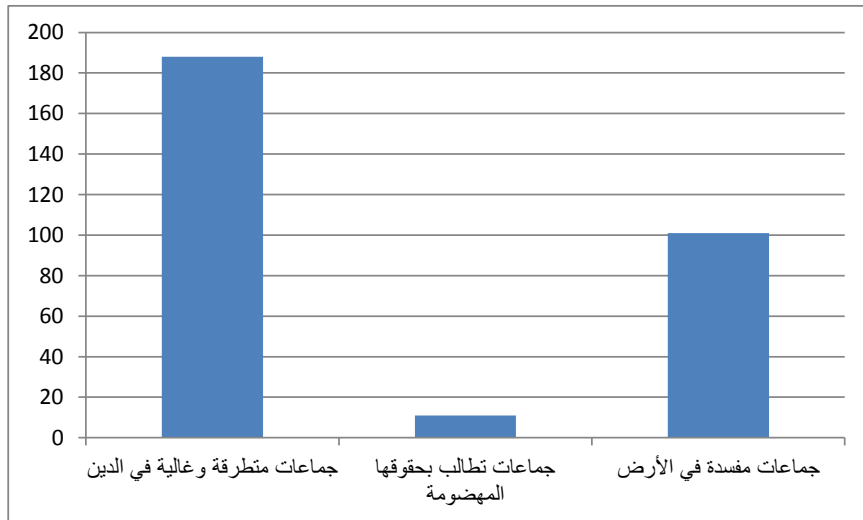
يبين هذا الجدول رأي المبحوثين في قضية انتمائهم ونشاطهم الجمعي، فأغلب المردين بنسبة 92.7% لا ينتمون إلى أي جمعية أو نشاط جمعي في المجتمع نفس الملاحظات التي سجلناها في جدول الانتماء الحزبي نسجلها هنا، فيرى هؤلاء المردين أن الانتماء للطريقة الصوفية كاف ويغني عن الانتماء لجمعية ونشاطها فعمل الجمعيات تلخصه مجملًا نشاطات الزاوية، وأن الجمعيات هاته تعزز من قيم التسلط داخل الجماعة ما تحاربه الزاوية في نظر المبحوثين بل تعمل الطريقة الصوفية على توطيد

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

قيم التمسك والتعاون ووحدة الهدف والمصير والانتماء للجماعة والولاء لها، فالانتماء للتصوف يعني المرید عن انتمائه الحزبي أو الجمعي، أما ما نسبته 7.3% تمثل أفراد العينة الذين هم منخرطون في جمعيات خيرية لبعدهم مسافتهم عن الزاوية وحبهم للعمل الخيري أو تفرض عليهم مناصبهم هذا الانخراط.

الجدول رقم 69: بين رأي أفراد العينة في الجماعات التي تمارس العنف اللفظي والغير اللفظي في المجتمع

النسبة	التكرار	ما هو رأيك في الجماعات التي تمارس العنف اللفظي والغير اللفظي في المجتمع
62,7%	188	جماعات متطرفة وغالية في الدين
3,7%	11	جماعات تطالب بحقوقها المهضومة
33,7%	101	جماعات مفسدة في الأرض
100%	300	المجموع



الشكل رقم 65: رأي المریدين في الجماعات التي تمارس العنف اللفظي والغير اللفظي في المجتمع

يوضح هذا الجدول رأي أفراد العينة في الجماعات التي تمارس العنف اللفظي وغير اللفظي في المجتمع، فأعلى نسبة في هذا الجدول هي 62.7% تمثل رأي أفراد العينة الذين يرون أن الجماعات التي تمارس العنف في المجتمع هم جماعات متطرفة وغالية في الدين باسم الدين، فرأي هؤلاء المبحوثين أن هناك جماعات تعمل بمؤلاء المغرر بهم ممن يقومون بأعمال العنف والتطرف مستفيدة من ذلك ولها مصلح في إشاعة الخراب والدمار والتخويف وزرع الرعب في المجتمع حتى تسوغ ممارستها العنيفة

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

وتدخلاتها في شؤون الآخرين واختراق السيادات وحقوق الأفراد، فتخف اللهجة في آراء المبحوثين المتبقين والذين يرون أن هؤلاء جماعات تطالب بحقوقها المهضومة لكن بنسبة قليلة جدا مما نلمسه هنا من روح للتسامح وإعطاء الاعذار خوفا من الخطء في الحكم عليهم، ونسجل رأيا آخر للمبحوثين الذي يرى أنهم جماعة مفسدة في الارض، فهاته جرأة وتناول للقضية من شعور غير متوازن وغير مسؤول بل يجب أن تحتهد كل الاطراف في توجيه النزاعات الشبابية الحماسية المعترضة على الظلم والتعدي ما جعل الجو خصبا للتطرف والعنف في رأي بعض المريرين .

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

خلاصة واستنتاجات

من خلال تحليل وتفسير المعطيات الإحصائية الواردة في الجدول، والخاصة بالفرضية الجزئية الثالثة وكذا من خلال التحقيقات الميدانية من تحليلات سوسيولوجية

- تبين أن التزام أفراد العينة بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد يرسخ فكرة أن سبب الموالات للسلطة هو انتمائهم للطريقة الصوفية ما أشارت إليه نسبة 65.8% التي تمثل المبحوثين الذين يرون أن سبب الولاء للسلطة الحاكمة هو الانتماء للطريقة الصوفية وأكدوا على التزامهم بالوعد الذي قطعوه لشيخوهم بخصوص الورد فالتصوف الجديد ولد من رحم السياسة ثم حركة دينية رحية لم تقف عند حد شرادم الزهاد والمتنسكين بل امتثلت في طرائق لها قاعدتها الشعبية الجماهيرية فكلما كان الشيخ ذو أهلية للدعوة والارشاد وله الإذن بالمشيخة ما يؤدي بالمرید بطبيعة الحال إلى احترام الشيخ والأخذ بنصحه والتركيز والعمل على ما يأمر به كذلك التقوى وأداء ما افترضه الله من فروض وعبادات والتوبة.

- تبين أن التزام المریدين بالعهد الذي قطعوه لشيخوهم بخصوص الورد يؤدي إلى الاحساس بالفخر والولاء لانتمائهم للوطن فأغلب المبحوثين يشعرون بالفخر بولائهم وانتمائهم للوطن بنسبة 99.3% وملتزمين بالعهد الذي قطعوه لشيخوهم فيما يخص الالتزام بالورد إن هاته الزوايا لازالت تؤدي دورا اجتماعيا وسياسيا وثقافيا وأن الدولة تعتمد على الشعور الديني وقوة الرباط الروحي لدى المشايخ مع مریديهم لفرض وجودهم تلقائيا، إن الوزن الروحي والمعنوي الذي تمثله الشخصيات الدينية والمشايخ الصوفية لمریديهم إنما كان انطلاقا من الزوايا والمساجد وأماكن العبادة والتعليم والعناية بالمعوزين والتحكيم بين الناس.

- تبين أن التزام المریدين بالعهد الذي قطعوه لشيخوهم بخصوص الورد يجعلهم يفضلون الحوار الشفاف في معاملتهم مع الأشخاص المختلفين معهم في فكر التصوف فما نسبته 49.3% تمثل أفراد العينة الذين يفضلون الحوار الشفاف مع الأشخاص المختلفين معهم فكاريا في قضية التصوف، ويلتزمون بالعهد الذي قطعوه لشيخوهم سواء في الطريقة التيجانية أو الشاذلية بخصوص الالتزام بالورد، فالذكر مقام شريف ومكانته مرموقة عند الصوفية فهو الذي يثمر المقامات كلها من البقظة إلى الشهود ويثمر المعارف والأحوال التي يثمر إليها السالكون والتي لا سبيل إلى نيلها وأخذ بركاتها إلا من شجرة الذكر التي خص بها المشايخ مریديهم ما جعلهم يفضلون الحوار الشفاف في تعاملاتهم.

- تبين أن الأذكار التي يذكرها المبحوثين تعدل من رأيهم في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف ما توضحه نسبة 85.3% وهم أفراد العينة الذين دائما ما يدعون الآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع و يواظبون على الأذكار

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

والأوراد الواردة عن شيخ الطريقة المنتمين إليها، نظرا لما يحظى به الشيخ الصوفي من مكانة رفيعة أهلته لأن يكون مصدرا للأدكار والأوراد التي يرددها المريدون في كل مرة فنجد أن هؤلاء المشايخ قد جمعوا بين الفقه والأحوال الباطنية وتكلموا في القضايا التي تتعلق بالسلم والأمن والدعوة له من خلال ما جاء في النصوص الدينية التي تحث على ذلك والتسامح ونبد العنف والدعوة الى الأمن في المجتمع وعدم السكوت عن الباطل ومحاولة تغييره، مما اثر نفسيا وأخلاقيا على نفوس المريدين فعملوا على إرساء هاته القواعد الداعمة للأمن والسلم وأصبحت مرجعا أساسيا في حياتهم.

- تبين أن الأدكار التي يذكروها المريدون توضح بأن رأيهم في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف كانت محايدة فأغلب المبحوثين بنسبة 50.3% يلتزمون دائما بالأدكار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومحايدون في إبداء رأيهم في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف فأغلب المريدين فضلوا عدم الخوض في هذا الموضوع وفضلوا الحياد في رأيهم تجاه غير المقتنعين بالتصوف لأنهم يرون أن الصمت في هذا الموضوع عبادة ويرون أن صمت اللسان من منازل العامة وأرباب السلوك فيرجعون أن هذا الصمت عن رأيهم تجاه غير المقتنعين بالتصوف المهدف منه السلامة من الآفات لا ينتبه إليها الناس ويحذر المشايخ الصوفية مريديهم من خطر الكلام وبالأخص في هذا الشأن.

- تبين أن مواظبة المريدين على أداء الأوراد تجعلهم يبنون علاقاتهم مع الآخرين على أساس المحبة والمؤاخاة ما توضحه نسبة 61.0% الذين يبنون علاقاتهم مع الآخرين على أساس المحبة والمؤاخاة ضمن ودائما ما يقومون بأداء الذكر مع الجماعة وعلى أساس التعاون والتعايش بدرجة أقل، نستطيع القول أن أداء الأوراد في الصوفية تعتبر التزاما ووفاء فيدمون عليها بدون انقطاع وهي أذكار يلقتها الشيخ للمريد، منها الصباحية ومنها المسائية فيكون وقت المريد مملوء بالأدكار .

- تبين أن المواظبة على تلاوة القرآن تحدد العلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف فأغلب المريدين لديهم علاقة تسامحية مع غير المنتمين للتصوف ما توضحه نسبة 55.3% وتمثل المريدين الذين دائما ما يواظبون على قراءة القرآن و لديهم علاقة أخوة في الدين مع غير المنتمين للتصوف وعلاقة محبة ما جعلنا نستخلص أن تأثير قراءة القرآن على علاقة المريدين بغير التابعين للتصوف كبيرة وذلك للحاجة الملحة والذاتية للوسطية في التعامل مع الآخر وما يمليه القرآن الكريم في ذلك، فالذات الإنسانية بحاجة ماسة للفهم المعتدل السليم مع الآخر فإذا كان عنوان الذات القومية والطائفية فإنه لا يمكن لهاته الذات من إدراك الحقائق وحسن التعامل مع الآخر .

- تبين أن مواظبة المريدين على تلاوة القرآن تحثهم على نصحتهم للأشخاص الذين يقومون بسلوك العنف بنسبة 67.7% التي تعبر عن المريدين الذين يواظبون على قراءة القرآن ودائما ما ينصحون الأفراد أثناء قيامهم بسلوكات عنف في المجتمع نستخلص أن الزاوية وكأنها مؤسسة إعلامية تروية تقع عليها مسؤولية كبيرة في تبصير الشباب بخطورة

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

- الفكر المتشدد والتصدي له من خلال النهي عن السلوكات التي تنبؤ عن ذلك، وبيان قيمة التسامح التي نجدها في تعاليم ديننا الحنيف وفي آيات القران الكريم والدعوة إلى الحكمة والموعظة الحسنة من طرف المريرين.
- تبين أن تلاوة المريرين للحزب الراتب مع الجماعة يجعل المريرين يرغبون في العيش بسلام في المجتمع ما تشير إليه النتائج و هي 98.0% وهم المريرين الذين دائما ما يقرؤون الحزب الراتب مع الجماعة وذلك دائما يوم الجمعة بعد صلاة العصر ويريدون العيش بسلام، يتضح أن قراءة القرآن تعطى صبغة سليمة نظرا لما جاء به القرآن من آيات داعية للتراحم والتأمن والتسامح كذلك قضية قراءته في كنف الجماعة يعطى للمرير نوعا من الإحساس بقوة الجماعة التي تحته دائما على الأعمال الصالحة الخيرة.
- تبين أن تلاوة المريرين للحزب الراتب مع الجماعة تساعدهم على اختيار الحلول السلمية في تصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم ولها علاقة بالسياسة ما تدل عليه نسبة 84.3% وهم أفراد العينة الذين اختاروا الحلول السلمية في تصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم و دائما ما يتلون الحزب الراتب مع الجماعة التي تنتمون إليها والشيخ هو الأمر النهائي في كل شيء مما يجعل المريرين يرجعون له في قضاياهم ونزاعاتهم فالأرجح أن كل المشاكل حتى التي تعلق بالسياسة وبالنظام يتم الرجوع إلى الشيخ.
- تبين أن حضور المريرين للاحتفالات التي تقام في الزاوية والمناسبات الخاصة بالطريقة تزرع فيهم ثقافة النصح للأشخاص الذين يقومون بسلوك العنف في المجتمع ما تبينه نسبة 67.7% وتمثل أفراد العينة الذين دائما ما ينصحون الأشخاص الذين يقومون بسلوكات عنف في المجتمع و دائما ما يحضرون احتفالات ومناسبات الطريقة التي ينتمون إليها، فالنصح والإرشاد يعد من القضايا الرئيسية التي يهتم لها المريرين هذا نابع من التزود الحاصل للمريرين بالتربية الروحية الحقيقية التي يتلقوها في اجتماعاتهم واحتفالاتهم ومناسباتهم التي يحث فيها مشايخ ومرجعيات هاته الطرق الصوفية على التحلي بروح المسؤولية تجاه الأفراد داخل المجتمع والتصدي لسلوكات العنف التي تهددهم.
- تبين أن حضور المريرين للاحتفالات والمناسبات الخاصة بالطريقة تشجع على القيام بتعبئة النفوس والعقول من أجل نبذ العنف حسب منصب كل واحد ما تصادق عليه نسبة 79.3% هم أفراد العينة الذين دائما ما يقومون بتعبئة النفوس من أجل نبذ العنف حسب مناصبهم و دائما ما يحضرون إلى مناسبات واحتفالات الطريقة المقامة في الزاوية سواء التيجانية أو الشاذلية. فالمريرين الذين يحضرون إلى الاحتفالات والمناسبات لديهم دراية بقضية العنف ومعرفة أهميتها على التأثير على الأفراد فنجدهم يتصدون لها بتعبئة النفوس من أجل نبذ العنف كل من منصبه ومستواه ويؤكد هؤلاء على أنه لا بد أن يكون هناك انفتاح على معالجة قضايا العنف والتصدي لها.
- تبين أن تفضيلات المريرين في اختبار أصدقائهم تحدد علاقاتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف ما تدل عليه نسبة 50.0% من أفراد العينة الذين لديهم علاقة تسامحية مع الذين لا ينتمون إلى التصوف و يفضلون عقد صدقات مع المتصوفة من نفس السبيل أو من طريقة أخرى فيرى أغلب المريرين أن علاقته بغير التابعين للتصوف تسامحية وأن

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

أصدقاتهم من نفس السبيل، فهؤلاء نجدهم على مستوى راقى من الأخلاق وسلوكاتهم نقيه تمثل الطهر والعفاف والروح النبيلة التي اكتسبوها عبر مراحل تصوفهم ومخاطبتهم لأصدقاتهم من نفس المنهج والتي تنعكس على علاقاتهم مع غير التابعين للتصوف في تعامل تسامحي تصالحي راقى يكون مؤديا لرسالة تامة غير منقوصة عن مدى وسطية المتصوفة.

- تبين أن تفضيلات المريدين في اختيار الأصدقاء يحدد طبيعة تصرفاتهم مع غير المنتمين للتصوف في حالة حدوث خلاف ما تبينه نسبة 75.0% وتمثل أفراد العينة الذين يفضلون الحوار بشكل عادي مع المنتمين للتصوف في حالة حدوث خلاف ويفضلون عقد الصداقات مع المتصوفة وعقد الصداقات من طرف المريدين يتركز على المريدين كذلك مما يؤثر على نفسية المريد في التعامل مع المشاحنات والمشاجرات التي تحصل دائما مع المنتمين لطوائف ومذاهب أخرى، رغم أنه من الممكن أن يعد السلوك العدواني أمر طبيعي عند العديد من المريدين لما يمكن أن يتلقاه من إهانة أو كلام جارح عن توجهه أو عن الصوفية جمعا.

- تبين أن المواضيع التي يناقشونها المريدون مع الأصدقاء المتصوفة تزيد من محاربتهم لسلوك العنف في المجتمع ما تدل عليه نسبة 88.4% هم المبحوثين الذين دائما ما يحاربون سلوكات العنف في المجتمع ويناقشون مع الأصدقاء المتصوفة مواضيع اجتماعية مقارنة ويناقشون مواضيع صوفية فيما بينهم، تبين أن جل أفراد العينة لديهم مشارب مختلفة في المطالعة منها يستمد المريد السلوكات العنيفة التي يجب التصدي لها ووضع أنشطة توعوية للكف منها وتدعوا إلى نبذ العنف والتسامح من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .

- تبين أن المواضيع التي يناقشها المريدين مع الأصدقاء المتصوفة تجعلهم يرغبون في العيش بسلام حيال عيشتهم بالمجتمع ما توضح نسبة 98.0% تمثل رغبة المبحوثين في العيش بسلام في المجتمع ويناقشون مواضيع صوفية بحتة مع أصدقاتهم فجل أفراد العينة لديهم رغبة كبيرة في العيش بسلام ووثام في المجتمع نظرا لتأثرهم بالمواضيع التي يناقشونها مع أصدقاتهم المتصوفة وخاصة المواضيع الصوفية التي تعمل على تربية أتباع التصوف على مبادئ التسامح وإخراجهم من حظيرة الشهوات النفسية التي تجعل الفرد يعيش دائما في كنف الصراعات لتحقيق تلك الشهوات.

- تبين أن زيارة المريدين لأصدقاتهم وأحبائهم تؤثر على علاقاتهم مع غير المنتمين للتصوف ما تبينه نسبة 59.7% وهم المريدين الذين لديهم علاقة تسامحية مع غير المنتمين للتصوف ودائما ما يزورون الأصدقاء والأحباب المنتمين لنفس الطريقة وهذا بالنسبة للطريقتين موضوع الدراسة وكذلك علاقة أخوة في الدين مع هؤلاء الذين يمكن أن يكونوا أشد المعارضين للتصوف، ويختلف الصوفية في نظرتهم للناقدين لهم والمخاربن لمنهجهم.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

- تبين أن تفضيلات المريدين في عقد صدقات جديدة تؤثر على علاقاتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف ما تؤكد عليه نسبة 44.3% وهم أفراد العينة الذي يرون أن علاقاتهم مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف عادية جدا ويفضلون المتصوفة في عقد علاقات صداقة وكذلك علاقة محبة وأخوة مع هاته الاتجاهات التي لا توافق التصوف في بعض الاحيان وعدم معادتهم ومخافتهم من هنا نلمس الدور الذي يمكن أن يلعبه التصوف في حياة المريدين في عدم التفرقة بين توجهات الأمة الواحدة.
- تبين أن تفضيلات المريدين في عقد صدقات جديدة تهذب من تعامل المرید لأشخاص مختلفين معهم فكريا ما تدل عليه نسبة 49.3% وهم المبحوثين الذين يفضلون الحوار الشفاف مع الأشخاص المختلفين معهم فكريا في الجانب الصوفي ويفضلون عقد صدقات مع المتصوفة من نفس الطريقة أو من خارجها كأصدقاء، في نظرة إلى أنهم على منهج سوى وأن هذا المنهج خالي من الغلو والتفريط وأن الوسطية إحدى الخصائص العامة له وأنها إحدى معالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها فهي أمة العدل والاعتدال مما يشكل للمريد قوة في الحوار.
- تبين أن علاقة المرید بالأحباب والأصدقاء من نفس الطريقة تجعله مواظبا وملتزما بتعاليم الطريقة الصوفية ما يؤثر أيضا على دعوته دائما الآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع ما تدل عليه نسبة 80.7% وهم المبحوثين الذين يرون أن علاقاتهم بالأصدقاء والأحباب من نفس الطريقة تجعلهم مواظبين وملتزمين بتعاليم الطريقة التي ينتمون إليها و دائما ما يدعون إلى السلم والأمن في المجتمع و معالجة ظواهر التطرف لا تكون بالفزعة ولا تتم بالهجوم الاعلامي والاقتصار على أساليب التقريع والتشنيع بل بالرفق واللين.
- تبين أن علاقة المريدين بالتغيرات الحاصلة في البلاد محايمة وعدم الافصاح عن أي شيء فيما يخص عذا السؤال فما نسبته 43.0% من المبحوثين الذين كانت إجاباتهم محايمة في قضية علاقاتهم بالتغيرات الحاصلة في البلاد وكانت إجاباتهم متفاوتة بخصوص هذا السؤال فمنهم من يرى أن الشيخ هو الذي يرد على هذا السؤال وهو الزعيم والقائد الملهم وأنهم مرتبطين بالتصوف وأن التصوف جاء لربط صلتهم بالخالق بشكل حميمي وشخصي وأنهم مهتمون بتعلم القرآن وتعلم الثقافة الإسلامية وأنهم يركزون على الممارسات الثقافية والقواعد السلوكية، الغاية منها بلوغ الكمال الروحي فلا علاقة لهم بالسياسة.
- تبين أن أغلب المريدين يرون أن موالاتهم للسلطة الحاكمة سببه انتمائهم للطرق الصوفية بنسبة 65,7% من خلال إجابتهم نستخلص أن الطريقة الصوفية سواء التيجانية أو الشاذلية أحدثت ترسبات لقيم سياسية في عقول مریدیها، كانت هاته القيم إيجابية مبنية على الزهد فيما لدى السلطة من منافع وأموال ومناصب ومصالح، لكن نجد عبر

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

التاريخ هاته الطرق أفرادا من النخبة قد انطوا تحت لواء السلطة، من سياسيين وولات ووزراء وقيادات في الجيش ومتقنين كبار، لا يرفضون طلبا للشيخ الذي يشبه الزعيم الملهم لديهم ، يؤثر فيهم وكلامه مطاع ومسموع لدرجة كبيرة تصل إلى حد الخضوع في قضية الولاء للسلطة

- تبين أن أغلب المريدين يوافقون على أن الانتماء للطريق الصوفية يدفعهم إلى الدفاع عن مصالح البلاد، ما توضحه نسبة 82.0% الذين يوافقون على ذلك، ففي نظر المريدين أن المسلم أخوا المسلم وبهمه أمره ومن لم يهتم بأمر بلده وأهله فليس منهم كقاعدة يطبقها الصوفية فيما بينهم، والأحاديث التي استدلت بها المريدون أفراد العينة مجملها تصب في قالب واحد هي أن الصوفي أو المرید لابد أن يكون له دور في مجتمعه وألا يكون في برج عالي عنهم، ونجد أغلب المريدين يسعون جاهدين لنبذ الفرقة وهذا نابع من تعاليم المتصوفة حتى يبقى الحفاظ على الوطن وألا يكون ثمث شرح في الدين والمجتمع والقضية الإسلامية.

- تبين أن أغلب المريدين لا يشاركون ضد أمور متعلقة بشؤون البلاد في حال نشوب مشاكل، ما دلت عليه نسبة 85.3% الذين لا يشاركون في هاته المشاكل، لأن أغلبهم يرون أن التصوف يمكن أن يكون الطريق الأمثل والأفضل بالنسبة لحل هاته المشاكل لا ضلوع فيها، ويستدل أغلب المريدين الذين صادفناهم بالتجربة التركية التي انتجت في النهاية حزب الرفاه وحزب العدالة والتنمية الذي يحكم في تركيا الآن، ويرى مشايخ الطريقة التيجانية والشاذلية أنه بإمكان الصوفية أن توائم بين الاسلام وبين قيم الديمقراطية بعيدة عن الفوضى غير الخلافة وعدم عصيان أولياء الأمور.

- تبين أن المريدين انقسمت آراءهم ما بين مؤيد ورافض حول امتناعهم عن المشاركة في المظاهرات ضد النظام وهل سببه انتمائهم للطريقة الصوفية، كانت النتائج متقاربة لهاته الفكرة، والاتجاه الغالب هو من يرى أن سبب عدم التمثيل ضد نظام البلاد هو الانتماء للطريقة الصوفية فلا نجد طريقة صوفية تناهض السلطة حتى لو كانت هاته السلطة جائرة، فينصح المشايخ بعدم التدخل في الصراعات والمشاتات مع السلطة.

- تبين أنه ينعدم تماما انتماء المريدين إلى جهة سياسية، ما دلت عليه نسبة 97.3% لا ينتمون إلى أي جهة حزبية أو سياسية كانت وما يحدث في البلاد العربية والاسلامية أكثرها، من تشجيع الحكومات للتصوف وجعله هو المهيمن على الشارع الاسلامي بغيت ضرب بعض التيارات الاسلامية وإقصائها، وهذا ليس من ذنب التصوف لكن ما نلمسه من رأي المبحوثين مؤداه عدم التدخل في الواقع السياسي تحت ذريعة أننا نحن الصوفية لا نتدخل في السياسة.

عرض وتحليل معطيات الفرضيات

- تبين أن المبحوثين ليس لديهم أي انتماء أو نشاط جمعي، ما نسبته 92.7% لا ينتمون إلى أي جمعية أو نشاط جمعي، فيرى هؤلاء المریدون أن الانتماء للطريقة الصوفية كاف ويغني عن الانتماء لجمعية ونشاطها فعمل الجمعيات تلخصه مجملا نشاطات الزاوية، وأن الجمعيات هاته تعزز من قيم التسلط داخل الجماعة ما تحاربه الزاوية في نظر المبحوثين بل تعمل الطريقة الصوفية على توطيد قيم التمسك والتعاون ووحدة الهدف والمصير والانتماء للجماعة والولاء لها.
- تبين أن المریدين يرون أن الجماعات التي تمارس العنف اللفظي وغير اللفظي في المجتمع هم جماعات متطرفة وغالية في الدين باسم الدين ما تصادق عليه نسبة 62.7% فرأي هؤلاء المبحوثين أن هناك جماعات تعمل بهؤلاء المرير بهم ممن يقومون بأعمال العنف والتطرف مستفيدة من ذلك ولها مصلح في إشاعة الخراب والدمار والتخويف وزرع الرعب في المجتمع حتى تسوغ ممارستها العنيفة وتدخلاتها في شؤون الآخرين واختراق السیادات وحقوق الأفراد.

خلاصة واستنتاجات عامة

أولاً: النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى.

بعد تحليل المعطيات احصائياً وسوسولوجياً توصلنا إلى جملة من النتائج نوردتها فيما يلي:

- أن اتباع أحد الوالدين للطريقة المنتمي إليها سواء الطريقة التيجانية أو الشاذلية يؤثر في علاقة المريد مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف وعلاقتهم عادية جداً مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف أو والديهم حتى طرق أخرى كالرحمانية أو الهبرية وأن أغلب أفراد العينة الذين يتبع أحد أوليائهم منهجاً صوفياً لديهم علاقات عادية أحياناً وعلاقة محبة وأخوة أحياناً أخرى مما يعطي لنا انطباعاً من أن الأسرة المتصوفة تؤثر على أبنائها من خلال إيمانها بالآخر ومن خلال الأيمان بالاختلاف من حيث هو أصل الوحدة
- أن علاقة أولياء المريدين بالطريقة المنتمين إليها تؤثر على علاقة المريدين مع الذين لا ينتمون إلى التصوف فعلاقة الوالد بالتصوف تؤثر في تربية وتنشئة الأبناء ، وأن معظم أولياء المبحوثين مريدين ملتزمين بطريقة صوفية معينة من المريدين أولياءهم مريدين ملتزمين في الطريقة المنتمي إليها سواء التيجانية أو الشاذلية أو يمثل والديهم علاقة مشيخة بالطريقة أو مقدمين أو محبين وأن تربية الصوفي المريد الملتزم لأبنائه من وجهة نظرنا كانت نتاجاً لفكر صوفي حاصل جمع عدة تجارب روحية متباينة تعددت وتنوعت سواء في الطريقة التيجانية أو الشاذلية في المنهج والسلوك وفي اللغة والتعبير والقول والفعل فكان السلوك لدى الأبناء تسامحياً مع الذين لا ينتمون إلى الطريق الصوفي لأن تربية الأب المريد تكون فكراً وسلوكياً.
- أن مساهمة الوالد في اتباع الأبناء للطريقة الصوفية يؤثر على علاقتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف فعلاقتهم تسامحية مع الذي لا ينتمون إلى التصوف و مساهمة والديهم كبيرة في اتباع الطريقة الصوفية سواء الطريقة الشاذلية أو التيجانية وأن هذا التأثير هو سريان أحوال من شيخ عارف بالله إلى مريد يبتغي السلوك الذي بدوره يكتسبه الأبناء من خلال تربية الآباء والذي ينعكس في سلوكهم ومخالطتهم للأصحاب والرفاق غير التابعين للمنهج الصوفي.
- أن حرص الوالدين على إبتاع الطريقة الصوفية يؤثر على طريقة التعامل مع الأشخاص المختلفين مع المريدين فكراً في قضية التصوف فالعامل في الحوار يكون بطريقة شفافة مع الأشخاص المختلفين فكراً مع المريدين وأسرههم حريصين جداً على اتباعهم للطريقة ويحاولون التدخل في قضية اتباع الطريقة مما انعكس على حوارهم الشفاف مع المختلفين فكراً معهم .
- الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة يؤدي بالمريد إلى الدعوة للسلم والأمن في المجتمع فأغلب المريدين يدعون دائماً للسلم والأمن الاجتماعي ويقتدون دائماً بسلوكات أوليائهم في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة وهذا بالنسبة للطرق محل الدراسة.

خلاصة واستنتاجات عامة

- كذلك الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة يؤدي بالمريد في التفكير بالعيش في المجتمع بسلام إن لم نقل جميع المريدين هذا أملهم هذا نابع من الاقتداء دائما بالوالد فيما يتعلق بسلوكاته تجاه الطريقة المتبعة سواءا التيجانية أو الشاذلية فالتنشئة الصوفية في حد ذاتها تعطي أولية للسلام تعليميا وتربية، ويحاول الوالد المريد أن يبنى أفكار أبناءه على منهج الحوار الذي يعد من أبرز السبل لتحقيق السلام.
- و الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة يؤدي بالمريدين إلى تعبئة النفوس والعقول لنبذ العنف في المجتمع وكل من خلال مجال عمله ومناصبه ومكانته الاجتماعية متأثرين بسلوكات أوليائهم فيما يخص الطريقة الصوفية المتبعة ما يوضح أن نشأة هذه القيمة الروحية في محاولة إصلاح المجتمع من طرف مريدي الطرق الصوفية ويشجع عليها الأولياء، وكذلك بواعث ساهمت في انبعائه في أنفس أولياء المريدين وترسيخها ونقلها للأبناء كان مصدرها القرآن والسنة أولا ثم الطريقة الصوفية التي تلقنها للإتباع فكلاهما يضمن ما يؤكد انغراس هذه القيم الدينية التي تكاد تندثر.
- وأن الاقتداء بسلوكات الوالد في ما يتعلق بالطريقة الصوفية المتبعة يزيد من إيمان المريد بثقافة السلم في مجتمعه فأغلب المريدين لديهم ميول لإرساء ثقافة السلم في المجتمع وإيمانهم بها، فتقليد الوالد يكون في جميع التزاماته تجاه الطريقة الصوفية المتبعة سواءا التيجانية أو الشاذلية محل الدراسة من أذكار يومية وعبادات وتكون هاته الأذكار مستمد من القرآن الكريم للارتقاء بالنفس ودوام محبة الشيخ دون انقطاع.
- وتقليد أحد الوالدين في اتباع الطريقة الصوفية أحد الأسباب التي أدت بحرص بالمريدين على إتباع الطريقة من شأنه التأثير في بناء العلاقات مع الآخرين، فبناء العلاقات لدى المريدين أساسه المحبة والمؤاخاة فكان سبب اتباع الطريق الصوفي لهؤلاء عدة أشياء تقليد أحد الأولياء والتأثر به لتحقيق الاستقرار الروحي والبحث عن التربية الروحية وبناء العلاقات على أساس التعاون والتعايش مع الآخرين فبناء العلاقات مع الآخرين من طرف المتصوفة أسبابه كثيرة زيادة على تقليد الوالد إذا كان صوفيا أو الاقتداء به في شتى المجالات، وكذلك إذا كان الوالد ليس صوفيا فتأثير جماعة الرفاق الصوفية أو شيخ الطريقة قد يؤثر على شخصية المريد في ربط علاقاته مع الذين لا علاقة لهم بالتصوف. بغض النظر عن الأب إذا كان صوفيا.
- أنه إذا كان سبب الحرص على إتباع الطريقة الصوفية راجع لتقليد أحد الأولياء يؤدي هذا إلى الدعوة إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل فأغلب المريدين يدعون دائما إلى السلم والأمن من خلال مجال العمل الذي يقومون به في حياتهم اليومية وكان سبب حرصهم في اتباع الطريقة الصوفية تقليد أحد الأولياء والبحث عن الراحة النفسية والروحية وعلى التربية والتهديب الروحي.

خلاصة واستنتاجات عامة

- أنه إذا كان سبب الحرص على اتباع الطريقة تقليد أحد الوالدين يدفع هذا بالأبناء المريدين إلى النصح عند رؤية العنف في المجتمع، فأغلب المريدين دائما ما ينصحون ويحاولون النهي عن العنف عند رؤيته بالكف عنه ويقلدون أولياءهم تقليد أعمى فيما يخص إبتاعهم للطريقة فنجد قد تأثروا في إبتاعهم للطريقة الصوفية بتربية أولياءهم الذين حرصوا على تلقينهم تعاليم الدين الإسلامي وحثهم على الابتعاد على العنف لأن سببه الغضب والفظاظة.
- أنه إذا كان سبب الحرص على إبتاع الطريقة الصوفية هو التأثر بشيخ الطريقة أو الرفاق يؤدي هذا بالحكمة والروية في الحكم على رأي غير المقتنعين بالتصوف فجعل المريدين الذين صادفناهم أجابوا بالحياذ حيال وجهات نظر غير المقتنعين بالتصوف فأتباع الطريقة يمكن أن يكون قد تركوا الإجابة الشيخ في هذا السياق متأثرين به وأنهم على قناعة تامة بأن التصوف والزوايا على حق في قضية الفكر والعقيدة والمفاهيم وأنه يجب أن تقف الزوايا والمتصوفة لتصحيح المفاهيم للقضاء على وجهات نظر غير المقتنعين بالتصوف وأن آراءهم تقضى على التعصب الطائفي والمذهبي المؤدية إلى التطرف.

خلاصة واستنتاجات عامة

ثانياً: النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية.

بعد تحليل المعطيات احصائياً وسوسولوجياً توصلنا إلى جملة من النتائج نوردتها فيما يلي:

- إن نوع الكتب التي يفضلها المبحوثين أثناء المطالعة تؤدي بهم إلى محاربة سلوكيات العنف في المجتمع فالذين يطالعون الكتب الأدبية و الذين يطالعون الكتب الدينية والذين يطالعون كتب علمية نجدهم يحاربون سلوكيات العنف في المجتمع فنجد أن أغلب المريدين يتمتعون بدرجة علمية لا يستهان بها لدرجة أن أغلبهم يطالع، فالمطالعة هي الوسيلة الأساسية لتثقيفهم وتوعيتهم بما يدور، وتنقلهم إلى النضج الفكري والعقلي وتكوين شخصية بأبعادها المختلفة مما ينتج عنه حكمة في التعامل مع المواقف والسلوكيات في المجتمع.
- إن مطالعة كتب المتصوفة تحدد علاقة المريد بالتغيرات الحاصلة في الأنظمة السياسية للبلاد مما جعلتهم يصرحون بالحياذ في إبداء رأيهم حول التغيرات الحاصلة في الأنظمة السياسية للبلاد ويرجعون ذلك إلى إلزامية التكتّم وعدم إبداء الرأي في هذا السياق وأنه ليس من شأنهم بل من شأن شيخهم هو اللي ينوب عنهم في هذا الأمر، نستطيع القول أن المريدين الأكثر تعليماً والأكثر مطالعة لكتب المتصوفة لديهم خبرات ومهارات لم تتوفر عند غيرهم من الذين لا يطالعون كتب المتصوفة ويكون الولاء التام لمشايخهم.
- كذلك مطالعة كتب المتصوفة تفيد المريدين في إبداء حكمة حيال تصرفه مع الخلافات التي تصادفه و المنتمين لطوائف أخرى، حيث أن الحوار يكون بشكل عادي جداً مع المنتمين للطوائف أخرى في حالة نشوب خلاف فالمريدين دائماً ما يطالعون كتب المتصوفة والكتب الدينية بصفة عامة ما جعلتهم يبدون هدوء كبيراً في تعاملهم مع الآخر.
- إن مطالعة كتب المتصوفة توضح أكثر الحالة النفسية للمريد حيال قضية العنف في المجتمع فالمريدين الذين يشعرون بإحباط وتلهل نفسياتهم حيال قضايا العنف في المجتمع ويطالعون كتب المتصوفة بتفاوت نسبي في كمية المطالعة وأوسع دائرة المعارف والثقافة ما أثر على نفسياتهم وجعلهم لا يشعرون بالارتياح إزاء قضايا العنف في المجتمع ويردون هذا إلى التنشئة الخاطئة للأجيال .
- فالحرص على قراءة كتب الطريقة الصوفية المنتمي إليها يؤدي إلى حب الوطن رغم الظروف الراهنة ويحرصون على مطالعة كتب التصوف الخاصة بطريقتهم سواء التيجانية أو الشاذلية أي جميع أفراد العينة، فحب الوطن لدى المتصوفة جزء لا يتجزأ من تربيته الصالحة الموجهة حيث أن واحد من أهم غايات التربية لديهم مساعدة النشأ وأبنائهم على تنمية مشاعر الانتماء للمجتمع والوطن.

خلاصة واستنتاجات عامة

- وحرص على قراءة كتب الطريقة الصوفية المنتمي إليها يؤدي بالمريد إلى حسن التصرف حيال المشكلات التي تعترضه فجل المريدين يفضلون الحلول السلمية عند تعرضهم لمشاكل ولها علاقة بالسياسة ويحرصون على قراءة كتب الطريقة المنتمي إليها ما أكد على أن طريقة تفكيرهم واهتماماتها منصبة على معيشتهم وأمورها الدنيوية خاصة في حق المساواة في الدولة أكثر من شيء آخر وأنه لا بد من احترام المرجعيات الدينية وتبجيل دورها في حفظ السلم الاجتماعي ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة وترسيخ روح التسامح بين أتباع التصوف أو حتى مختلف الطوائف الدينية.
- وأن عدد الكتب التي يطالعها الباحثون الخاصة بالطريقة الصوفية المتبعة يزيد من احساسهم بالفخر والولاء للوطن فأغلبهم يطالع ثلاثة كتب فأكثر، فالشعور بالانتماء للوطن والفخر والاعتزاز بذلك من أهم دعائمه والتي تحافظ على استقراره ونموه في هذا يشير اتباع الطريقة التيجانية والشاذلية إلى مدى شعورهم بالانتماء إلى وطنهم وهذا راجع إلى تشبعهم بمبادئ الصوفية الحقبة التي تحث على ذلك وهذا موثق في كتب الصوفية الخاصة بالطريقتين، والتي تحث أيضا على الدفاع عن مصالح الوطن والشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء له والمحافظة على ممتلكاته.
- كذلك عدد الكتب التي يتم مطالعتها من طرف المريدين الخاصة بالطريقة الصوفية المتبعة يؤدي بتمسكهم بانتمائهم لطريقتهم الصوفية ما أدى بموالاتهم للسلطة وأغلبهم يطالع ثلاث كتب خاصة بالطريقة التي ينتمي إليها، فأغلب المريدين يوافقون على الموالاتة للسلطة .
- و عدد الكتب التي يطالعها المريدين والتي تخص الطريقة الصوفية المنتمي إليها تحدد علاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف فأغلبهم لديهم علاقة عادية جدا بالاتجاهات التي لا توافق التصوف و يطالعونها كتابين خاصين بالطريقة المنتمي إليها، أو يطالعون ثلاث كتب أو العدد غير محدود ما يبين الاتفاق بين الصوفية والاتجاهات الأخرى فيما يخص أمور العقيدة، لكن الصوفية لا يقعون في أخطاء سلوكية فهم مسالمون مع أتباع الاتجاهات الأخرى ولا يعتدون على أحد حتى وإن كان هناك خلافا فكري مع من لا يتفقون معهم أيضا من خلال ما قرأه هؤلاء المريدين في كتب طرقهم الصوفية التيجانية منها والشاذلية على اختلاف ألوانها وأعدادها لا يقومون بإكراه الغير في الدين بل لديهم طريقة مسالمة في الدعوة إلى ذلك ويؤمنون بعدم الاعتراض وحرية الدين.
- وجود فائدة مرجوة من المطالعة وهي الدعوة الدائمة للمريدين إلى السلم والأمن في المجتمع ويطالعون الكتب بغرض الإشباع المعرفي أو بغرض الفضول أو بغرض زيادة الرصيد المعرفي في البحث عن المعلومة ، فقضية العنف أو السلم ليس لها خصائص هيكلية أو كامنة في ثقافات أو شعوب أخرى لذا فإن ثقافة العنف مثل ثقافة السلم، تشير بأشكال ودرجات مختلفة لدى كافة الشعوب، ونجد أن أغلب مريدي الطرق الصوفية يطالعون كتب التصوف

خلاصة واستنتاجات عامة

باختلاف الغرض من ذلك إلا أننا نجد لديهم تكوين ثقافة تركز على إرث ديني يهدف إلى إشاعة المحبة ونشر السلم بالنظر إلى معوقات هذا السلم في المجتمع ومحاولاتهم واضحة في النأي بالمجتمعات المسلمة التي تتواجد فيها عن التنازع - تظهر أنواع الكتب التي يركز عليها المریدون في المطالعة إلى زيادة الفهم المعمق للأمر المتعلقة بعلاقتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف وتزيد من تحسين النظرة إليهم وأن علاقتهم عادية مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف فالتركيز في المطالعة كان على قراءة كتب المحققين وعلاقتهم مبنية على المحبة والأخوة مع الذين لا يوافقون التصوف ويقروون الكتب الخاصة بالصحابة وكتب حديثة إن المطالعة تشكل شغفا كبيرا لدى العديد من المریدين الذين يهتمون بالمزيد من العلم الشرعي والثقافة ويقتنع جميع من صادفناه من هاته الدراسة أن للمطالعة أهمية كبيرة في حياة الإنسان و دون القراءة سواء لكتب المحققين أو كتب الصوفية أو الكتب الحديثة لا يمكن فهم أي عقيدة أو فكر ولن يستطيع المرید كذلك إبداء رأيه أو توجهه دون فهم معمق للأمر من خلالها يستطيع فهم قيمة نفسه ومكانته في جماعته.

- إن المواضيع التي تثير انتباه المریدين أثناء المطالعة تحدد مدى التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية فدائما ما يلتزمون بالقوانين والمعايير الاجتماعية و يشد انتباههم أثناء المطالعة كتب تعلم كيفيات الورد والأذكار ويشد انتباههم أثناء المطالعة كتب التصوف بصفة عامة ويطالعون كذلك كتب الفقه وأصوله، فيجب طاعة المریدين لهاته القوانين للمصلحة المرجوة في التزامهم والمفسدة المتوقعة عند عدم ذلك فنجد جميع المریدين يتبعون النص الشرعي وعلمائهم ومشايخهم ويعلم هؤلاء المتصوفة أن مخالفة هاته القوانين قد يحدث بسببها الضرر إما عليهم وإما على غيرهم ولا يرجع هؤلاء والمریدين إلى اجتهاد الناس في هاته القوانين والمعايير الاجتماعية لأنه لا ينضبط لديهم لاختلاف أحوالهم وتقديراتهم بقدر ما يرجعون ذلك إلى أمهات كتب التصوف والفقه وأصوله وحتى رأي مشايخهم و مرجعياتهم الصوفية وكتبهم المتواترة عليهم

- نجد أن المواضيع التي تشد انتباه المریدين أثناء المطالعة تحدد طبيعة معاملتهم للمختلفين فكثيرا معهم في التصوف فيفضل حل المبحوثين الحوار الشفاف مع الأشخاص الذين يختلفون فكثيرا معهم و يشد انتباههم أثناء المطالعة دائما كتب التوحيد وكتب المتصوفة بصفة عامة، وكتب تعليم الورد والأذكار بدرجة أقل، نلاحظ أن كتب التوحيد لها التأثير الكبير على المریدين بحيث فضلوا الحوار الشفاف في التعامل مع المختلفين معهم فكثيرا في التصوف رغم ما يتهمهم به الكثير من أتباع الاتجاهات الأخرى وما يحاولون إلصاقه بهم من تهم البدع والشرك بأرباب التصوف وبكل ما يخالفهم في المنهج والسلوك.

خلاصة واستنتاجات عامة

- إن المواضيع التي تشد انتباه المريدين أثناء المطالعة تحدد رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف ويرون أن الجماعات التي تمارس العنف هي جماعات متطرفة وغالية في الدين، ويشد انتباههم أثناء المطالعة كتب تعليم الورد والأذكار الخاصة بالطريقة المتبعة (التيجانية والشاذلية) وبدرجة أقل كتب الفقه وأصوله، ويطالعون كتب التصوف بصفة عامة كذلك، إضافة إلى ما سبق يفخر بعض المريدين بأن للصوفية تاريخا مشرفا في مواجهة الاستعمار في الجزائر، وبأنهم لم يتورطوا أبدا في حمل السلاح ضد أي فصيلة أو توجه كما أنهم يلتزمون الصمت وقت الفتن ويطيعون الحكام دوما ليحافظوا على استقرار البلاد.
- إن متابعة المريدين للأمور الخاصة بالطريقة الصوفية المتبعة عن طريق الأنترنت تساعدهم في إبداء رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف فأغلب المريدين الذين يركزون في الأنترنت على مواضيع الطريقة من خلال الأشرطة الوثائقية وتحميل كتب ومقالات تخص الطريقة يرون أن الجماعات التي تمارس العنف في المجتمع بأنها جماعة متطرفة وغالية في الدين من خلال هذا يمكن القول أن السنوات الأخيرة شهدت انتعاش كبيرا للأدب والتراث الصوفي بفضل الأنترنت وبفضل البروز الثقافي والسياسي لهذه الطائفة هذا ما يدل على بوادر نهضة صوفية جديدة في العالمين العربي والإسلامي وتمتعهم باتساع الرؤية من خلال الاحتكاك عبر الإنترنت.
- و متابعة المبحوثين للأمور الخاصة بالطريقة الصوفية المتبعة عن طريق الأنترنت يحدد مدى التزامهم بالقوانين والمعايير الاجتماعية فأغلب المريدين الذين دائما ما يلتزمون بالقوانين والمعايير الاجتماعية يركزون على متابعة الأشرطة الوثائقية الخاصة بالتصوف عن طريق الأنترنت وعلى المحاضرات والدروس السمعية البصرية عبر تصفحهم لمواقع الأنترنت بدرجة أقل ويركزون كذلك على المحاضرات والدروس الخاصة بالتصوف، ويمكن القول هنا أن الحضور الصوفي في الأنترنت لا بأس به تركز على توضيح التصوف كذلك التعريف بأهم شخصيات التصوف وإظهارها اعلاميا.
- وكذلك متابعة المبحوثين للأمور الخاصة بالطريقة الصوفية المنتمي إليها عن طريق الأنترنت تحدد موقفهم في تعاملهم مع المنتمين لطائفة أخرى فأغلب المريدين فضلوا التهاور بشكل عادي مع المتخاصم معه من طائفة أخرى و يتابعون أمور طريقتهم من خلال الأشرطة الوثائقية عبر الأنترنت وقراءة الكتب والمقالات ، ولعل الطريق الأمثل لمساعدتهم في مواجهة هذا الأمر هو أن يتم التركيز في التنشئة على المعايير والضوابط وعلى الأسس والمنطلقات فيتعلم المريد عن دينه من المواقع الخاصة بذلك من الأنترنت ولا بد أن يتم توجيهه للمواقع التي من شأنها أن يجد فيها ضالته بذلك تساعده على اكتساب الكثير من المعلومات وتجعله قادرا على التحرز من أي حديث أو شبهة أو موقف يضره ويضر دينه وعدم تراكم الأخطاء.

خلاصة واستنتاجات عامة

- نستخلص أن متابعة المریدین لدروس مشایخ الطريقة المنتمی إليها تمکنهم من الاقتناع بالدفاع عن مصالح بلدهم لأنهم ینتمون لطريقة صوفية فجل المبحوثین يدافعون عن مصالح البلاد لانتمائهم لطريقة صوفية ويتابعون دروس ومحاضرات مشایخ طریقتهم ویحسون بالوطنية والانتماء لهذا الوطن فالدين الاسلامي حث على حب الوطن والدفاع عن مصالحه فنجده يذكر المحبين لأوطانهم في مواطن كثيرة.
- أن أغلب المبحوثین يرجعون في قضية التحكيم إلى شيخ الطريقة الصوفية المنتمی إليها في حالة نشوب مشاكل مع أحد الأشخاص أو وجهة معينة ولقد فضل المبحوثین اختيار الاحتكام إلى شيخ الطريقة مما يوضح أن الأدوار التي يلعبها شيخ الطريقة مازالت قائمة كفك الخصومات والنزاعات وإصلاح ذات البين والتوحيد بينهما فلا يجد المریدون حلا إلا اللجوء إلى الشيخ وهو موقف نابع من حاجة المرید لرجل الدين أو الأشراف من مشایخ الطريقة، خصوصا إذا اشتهروا بالصلاح والتقاء وهي ملاحظة لمسناها في الطريقتين محل الدراسة.
- اتضح أن تصرف المریدین يكون سلميا حيال المشاكل التي تواجههم والتي لها علاقة بالنظام واختيار المبحوثین الحلول السلمية تجاه هذه المشاكل في دلالة على أن أغلب المریدین بهمهم استقرار البلاد ولا يهمهم المصالح الضيقة الشخصية فمن خلال هذا نستقي أنهم استطاعوا أن يوفقوا بين المحافظة على النقاء الروحي والخلقي وتطبيعه في حياتهم وتقديم مصلحة البلاد وأمنها، إن المبحوثین يقومون بأدوار حيوية في المجتمع تعمل في غالبها على الاستقرار والسلم والتسامح ولحاجتهم إلى الهدوء والسكينة وما يمليه عليهم منهجهم القاضي بالحرية والتغيير بدون المساس بمصالح الشعب وأنهم مارسوا حق تغيير المنكر الذي كفلته لهم الشريعة الإسلامية.
- إن متابعة المبحوثین لدروس مشایخ الطريقة تجعل نفسياتهم مهلهلة حيال قضايا العنف في المجتمع نظرا لما تخلله محاضرات المشایخ ودروسهم في مجملها تلخص مدي أهمية الوسطية والاعتدال وما يحصل في الأمة من مظاهر الظلم والاستبداد مما يرهب المریدین من الواقع المعاش وما شعور المریدین بعدم الارتياح مما يقع من قضايا العنف لخير دليل على ذلك والجزائر واحدة من الدول التي أصبحت تعاني من قوة الانتشار والتسارع الرهيب في ظهور الظواهر الاجرامية باختلاف أنواعها واختلاف مجالاتها وتتعدد أنماطها وأساليبها، الأمر الذي جعل أغلب مشایخ الطرق الصوفية تحاول جاهدة للتصدي لهذا العنف الذي جعل الفرد الجزائري يعيش حالة من الرعب وعدم الشعور بالاستقرار والأمان.
- إن متابعة المبحوثین لدروس مشایخ الطريقة الصوفية التابعین لها توضح رأيهم في الجماعات التي تمارس العنف بأنها جماعات متطرفة وغالية في الدين من خلال تشبعهم بدروس المشایخ الخاصة بالطريقة المتبعة، فنجد أن الفكر الصوفي

خلاصة واستنتاجات عامة

قد بدأ يظهر كبديل وراذع للأفكار التي تؤدي إلى التطرف وإلى العنف وفساد المجتمعات، فالتصوف كما يبينه شيوخ الزوايا لمريدهم هو وجه آخر للإسلام الذي شوهته الأفكار المتطرفة الساعية للانتشار عبر التفجيرات والتقتيل والعنف مهددة استقرار البلاد وأنه هو الحل لاحتواء حماسة بعض الشباب.

خلاصة واستنتاجات عامة

ثالثا: النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة

بعد تحليل المعطيات احصائياً وسوسيلوجيا توصلنا إلى جملة من النتائج نوردتها فيما يلي:

- أن التزام المريدين بالعهد الذي عاهدوه لشيخوهم بخصوص الورد يرسخ فكرة أن سبب الموالاة للسلطة هو انتمائهم للطريقة الصوفية وأكدوا على التزامهم بالوعد الذي قطعوه لشيخوهم بخصوص الورد فالتصوف الجديد ولد من رحم السياسة ثم حركة دينية رحيمة لم تقف عند حد شرادم الزهاد والمتنسكين بل امتثلت في طرائق لها قاعدتها الشعبية الجماهيرية فكلما كان الشيخ ذو أهلية للدعوة والارشاد وله الإذن بالمشيخة ما يؤدي بالمريد بطبيعة الحال إلى احترام الشيخ والأخذ بنصحه والتركيز والعمل على ما يأمر به كذلك التقوى وأداء ما افترضه الله من فروض وعبادات والتوبة.
- أن التزام المريدين بالعهد الذي قطعوه لشيخوهم بخصوص الورد يؤدي إلى الاحساس بالفخر والولاء لانتمائهم للوطن وتبين أن هاته الزوايا لازالت تؤدي دورا اجتماعيا وسياسيا وثقافيا وأن الدولة تعتمد على الشعور الديني وقوة الرباط الروحي لدى المشايخ مع مريديهم لفرض وجودهم تلقائيا وتبين أيضا بأن الوزن الروحي والمعنوي الذي تتمله الشخصيات الدينية والمشايخ الصوفية لمريديهم إنما كان انطلاقا من الزوايا والمساجد وأماكن العبادة والتعليم والعناية بالمعوزين والتحكيم بين الناس.
- إن التزام المريدين بالعهد الذي قطعوه لشيخوهم بخصوص الورد يحثهم على اختيار لغة الحوار الشفاف في معاملتهم مع الأشخاص المختلفين معهم في فكر التصوف مما أكد أن الذكر مقام شريف ومكانته مرموقة عند الصوفية فهو الذي يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى الشهود ويثمر المعارف والأحوال التي ثمر إليها السالكون والتي لا سبيل إلى نيلها وأخذ بركاتها إلا من شجرة الذكر التي خص بها المشايخ مريديهم ما جعلهم يفضلون الحوار الشفاف في تعاملاتهم.
- أن الأذكار التي يذكرها المبحوثين تعدل من رأيهم في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف فدائما ما يدعوا المريدون الآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع من خلال المواظبة على الأذكار والأوراد الواردة عن شيخ الطريقة المنتمين إليها نظرا لما يحظى به الشيخ الصوفي من مكانة رفيعة أهله لأن يكون مصدرا للأذكار والأوراد التي يرددها المريدون في كل مرة فنجد أن هؤلاء المشايخ قد جمعوا بين الفقه والأحوال الباطنية وتكلموا في القضايا التي تتعلق بالسلم والأمن والدعوة له من خلال ما جاء في النصوص الدينية التي تحث على ذلك والتسامح ونبد العنف والدعوة إلى الأمن في

خلاصة واستنتاجات عامة

- المجتمع وعدم السكوت عن الباطل ومحاولة تغييره، مما أثر نفسيا وأخلاقيا على نفوس المريدين فعملوا على إرساء هاته القواعد الداعمة للأمن والسلم وأصبحت مرجعا أساسيا في حياتهم.
- أن الأذكار التي يذكرها المريدون توضح بأن رأيهم في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف كانت محايدة بعيدة عن التحريج والرشق فالالتزام بالأذكار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرف المريدين جعلت إبداء رأيهم محايد في وجهات نظر غير المنتمين للتصوف في التصوف فأغلب المريدين فضلوا عدم الخوض في هذا الموضوع لأنهم يرون أن الصمت في هذا الموضوع عبادة ويرون أن صمت اللسان من منازل العامة وأرباب السلوك فيرجعون أن هذا الصمت عن رأيهم تجاه غير المقتنعين بالتصوف المهدف منه السلامة من الآفات لا ينتبه إليها الناس ويجدر المشايخ الصوفية مريديهم من خطر الكلام وبالأخص في هذا الشأن.
- إن مواظبة المريدين على أداء الأوراد تجعلهم يبنون علاقاتهم مع الآخرين على أساس المحبة والمؤاخاة وعلى أساس التعاون والتعايش مما يؤكد أن أداء الأوراد في الصوفية تعتبر التزاما ووفاء فيدمون عليها بدون انقطاع وهي أذكار يلقتها الشيخ للمريد، منها الصباحية ومنها المسائية فيكون وقت المريد مملوء بالأذكار .
- كذلك المواظبة على تلاوة القرآن تحدد العلاقة مع الذين لا ينتمون إلى التصوف فأغلب المريدين لديهم علاقة تساهمية مع غير المنتمين للتصوف و لديهم علاقة أخوة في الدين مع غير المنتمين للتصوف وعلاقة محبة ما جعلنا نستخلص أن تأثير قراءة القرآن على علاقة المريدين بغير التابعين للتصوف كبيرة وذلك للحاجة الملحة والذاتية للوسطية في التعامل مع الآخر وما يمليه القرآن الكريم في ذلك، فالذات الإنسانية بحاجة ماسة للفهم المعتدل السليم مع الآخر فإذا كان عنوان الذات القومية والطائفية فإنه لا يمكن لهاته الذات من إدراك الحقائق وحسن التعامل مع الآخر .
- أن مواظبة المريدين على تلاوة القرآن تحثهم على نصحتهم للأشخاص الذين يقومون بسلوك العنف نستخلص أن الزاوية وكأنها مؤسسة إعلامية تربوية تقع عليها مسؤولية كبيرة في تبصير الشباب بخطورة الفكر المتشدد والتصدي له من خلال النهي عن السلوكات التي تنبؤ عن ذلك، وبيان قيمة التسامح التي نَجدها في تعاليم ديننا الحنيف وفي آيات القران الكريم والدعوة إلى الحكمة والموعظة الحسنة من طرف المريدين.
- أن تلاوة المريدين للحزب الراتب مع الجماعة يعزز من رغبة المريدين في العيش بسلام في المجتمع وذلك دائما يوم الجمعة بعد صلاة العصر ، يتضح أن قراءة القرآن تعطى صبغة سليمة سلمية نظرا لما جاء به القرآن من آيات داعية

خلاصة واستنتاجات عامة

- للتزام والتآمن والتسامح كذلك قضية قراءته في كنف الجماعة يعطى للمريد نوعا من الإحساس بقوة الجماعة التي تحته دائما على الأعمال الصالحة الخيرة.
- أن تلاوة المريد للقرآن مع الجماعة تساعدهم على اختيار الحلول السلمية في تصرفهم حيال المشكلات التي تعترضهم ولها علاقة بالسياسة والشيخ هو الأمر النهائي في كل شيء مما يجعل المبحوثين يرجعون له في قضاياهم ونزاعاتهم فالأرجح أن كل المشاكل حتى التي تعلق بالسياسة وبالنظام يتم الرجوع إلى الشيخ لإبداء رأيه فيها.
 - أن حضور المريد للاحتفالات التي تقام في الزاوية والمناسبات الخاصة بالطريقة تزرع فيهم ثقافة النصح للأشخاص الذين يقومون بسلوك العنف في المجتمع ما أكد أن النصح والإرشاد يعد من القضايا الرئيسية التي يهتم بها المريدون هذا نابع من تزودهم بالتربية الروحية الحقيقية التي يتلقونها في اجتماعاتهم واحتفالاتهم ومناسباتهم التي يبحث فيها مشايخ ومرجعيات هاته الطرق الصوفية على التحلي بروح المسؤولية تجاه الأفراد داخل المجتمع والتصدي لسلوكات العنف التي تهددهم.
 - وتأكد أيضا أن حضور المريد للاحتفالات والمناسبات الخاصة بالطريقة تشجعهم على القيام بتعبئة النفوس والعقول من أجل نبذ العنف حسب منصب كل واحد منهم، فالمريدون الذين يحضرون إلى الاحتفالات والمناسبات لديهم دراية بقضية العنف ومعرفة أهميتها على التأثير على الأفراد فنجدهم يتصدون لها بتعبئة النفوس من أجل نبذ العنف كل من منصبه ومستواه ويؤكد هؤلاء على أنه لا بد أن يكون هناك انفتاح على معالجة قضايا العنف والتصدي لها.
 - أن تفضيلات المبحوثين في اختبار أصدقائهم تحدد علاقاتهم مع الذين لا ينتمون إلى التصوف فنجد أغلبهم لديه علاقة تسامحية مع الذين لا ينتمون إلى التصوف و يفضلون عقد صداقات مع المتصوفة من نفس السبيل أو من طريقة أخرى ، فهؤلاء نجدهم على مستوى راقى من الأخلاق وسلوكاتهم نقيه تمثل الطهر والعفاف والروح النبيلة التي اكتسبوها عبر مراحل تصوفهم ومخالطتهم لأصدقائهم من نفس المنهج والتي تنعكس على علاقاتهم مع غير التابعين التصوف في تعامل تسامحي تصالحي راقى يكون مؤديا لرسالة تامة غير منقوصة عن مدى وسطية المتصوفة.
 - أن تفضيلات المريد في اختيار الأصدقاء يحدد طبيعة تصرفاتهم مع غير المنتمين للتصوف في حالة حدوث خلاف فيفضلون الحوار بشكل عادي مع غير المنتمين للتصوف في حالة حدوث خلاف ويفضلون عقد الصداقات مع المتصوفة وعقد الصداقات من طرف المريد يتركز على المريد ما أكد على أن هذا يؤثر على نفسية المريد في التعامل مع المشاحنات والمشاجرات التي تحصل دائما مع المنتمين لطوائف ومذاهب أخرى، رغم أنه من الممكن أن

خلاصة واستنتاجات عامة

- يعد السلوك العدواني أمر طبيعي عند العديد من المريدين لما يمكن أن يتلقاه من إهانة أو كلام جارح عن توجهه أو عن الصوفية جمعاء.
- كذلك فالمواضع التي يناقشونها المريدون مع الأصدقاء المتصوفة تزيد من محاربتهم لسلوك العنف في المجتمع ويناقشون مع الأصدقاء المتصوفة مواضيع اجتماعية ويناقشون مواضيع صوفية فيما بينهم، ويتبن أن جل أفراد العينة لديهم مشارب مختلفة في المطالعة منها يستمد المرید السلوكات العنيفة التي يجب التصدي لها ووضع أنشطة توعوية للكف منها وتدعوا إلى نبذ العنف والتسامح من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .
 - أن المواضيع التي يناقشها المريدين مع الأصدقاء المتصوفة تجعلهم يرغبون في العيش بسلام حيال عيشتهم بالمجتمع ويناقشون مواضيع صوفية بحتة مع أصدقائهم فجل أفراد العينة لديهم رغبة كبيرة في العيش بسلام ووثام في المجتمع نظرا لتأثرهم بالمواضع التي يناقشونها مع أصدقائهم المتصوفة وخاصة المواضيع الصوفية التي تعمل على تربية أتباع التصوف على مبادئ التسامح وإخراجهم من حظيرة الشهوات النفسية التي تجعل الفرد يعيش دائما في كنف الصراعات لتحقيق تلك الشهوات.
 - أن زيارة المريدين لأصدقائهم وأحبائهم تؤثر على علاقاتهم مع غير المنتمين للتصوف فوجد لديهم علاقة تساهلية مع غير المنتمين للتصوف ودائما ما يزورون الأصدقاء والأحباب المنتمين لنفس الطريقة وهذا بالنسبة للطريقتين موضوع الدراسة وكذلك علاقة أخوة في الدين مع هؤلاء الذين يمكن أن يكونوا أشد المعارضين للتصوف، ويختلف الصوفية في نظرهم للناقدين لهم والمحاربين لمنهجهم.
 - نجد أن تفضيلات المريدين في عقد صدقات جديدة تؤثر على علاقاتهم بالاتجاهات التي لا توافق التصوف مما يوضح أن علاقاتهم عادية جدا مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف ويفضلون المتصوفة في عقد علاقات صداقة وكذلك علاقة محبة وأخوة مع هاته الاتجاهات التي لا توافق التصوف في بعض الاحيان وعدم معاداتهم ومخافتهم، يتأكد من هنا الدور الذي يمكن أن يلعبه التصوف في حياة المريدين في عدم التفرقة بين توجهات الأمة الواحدة.
 - كذلك تفضيلات المريدين في عقد صدقات جديدة تهدب من تعامل المرید لأشخاص مختلفين فكريا معهم فيفضلون الحوار الشفاف معهم ويفضلون عقد صدقات مع المتصوفة من نفس الطريقة أو من خارجها كأصدقاء، في نظرة إلى أنهم على منهج سوى وأن هذا المنهج خالي من الغلو والتفريط وأن الوسطية إحدى الخصائص العامة له وأنها إحدى المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها فهي أمة العدل والاعتدال مما يشكل للمرید قوة في الحوار.

خلاصة واستنتاجات عامة

- أن علاقة المريد بالأحباب والأصدقاء من نفس الطريقة تجعله مواظبا وملتزمًا بتعاليم الطريقة الصوفية ما يؤثر أيضا على دعوته دائما الآخرين إلى السلم والأمن في المجتمع و معالجة ظواهر التطرف لا تكون بالفرعة ولا تتم بالمهجوم الاعلامي والاقتصار على أساليب التقريع والتشنيع بل بالرفق واللين.
- نجد أن المريدين أكدوا على أن الشيخ هو الكفيل في الرد عن القضايا التي تتعلق بعلاقة المريدين بالتغيرات الحاصلة في البلاد فإجاباتهم كانت محايدة وعدم الافصاح عن أي شيء فيما يخص هذا السؤال فأغلبهم يرى أن الشيخ هو الزعيم والقائد الملهم ينوب عنهم في عديد الامور وأنهم مرتبطين بالتصوف وأن التصوف جاء لربط صلتهم بالخالق بشكل حميمي وشخصي وأنهم مهتمون بتعلم القرآن وتعلم الثقافة الإسلامية وأنهم يركزون على الممارسات الثقافية والقواعد السلوكية، الغاية منها بلوغ الكمال الروحي فلا علاقة لهم بالسياسة.
- أن أغلب المريدين يرون أن موالاتهم للسلطة الحاكمة سببه انتمائهم للطرق الصوفية نستخلص أن الطريقة الصوفية سواء التيجانية أو الشاذلية أحدثت ترسبات لقيم سياسية في عقول المريديها، هاته القيم إيجابية مبنية على الزهد فيما لدى السلطة من منافع وأموال ومناصب ومصالح، لكن نجد عبر التاريخ هاته الطرق أفرادا من النخبة قد انطوا تحت لواء السلطة، من سياسيين وولات ووزراء وقيادات في الجيش و مثقفين كبار، لا يرفضون طلبا للشيخ الذي يشبه الزعيم الملهم لديهم ، يؤثر فيهم وكلامه مطاع ومسموع لدرجة كبيرة تصل إلى حد الخضوع في قضية الولاء للسلطة
- أن أغلب المريدين يوافقون على أن الانتماء للطريق الصوفية يدفعهم إلى الدفاع عن مصالح البلاد، ففي نظر المريدين أن المسلم أخو المسلم ويهمه أمره ومن لم يهتم بأمور بلده وأهله فليس منهم كقاعدة يطبقها الصوفية فيما بينهم والأحاديث التي استدلت بها المريدون أفراد العينة مجملها تصب في قالب واحد هي أن الصوفي أو المريد لا بد أن يكون له دور في مجتمعه وألا يكون في برج عالي عنهم، ونجد أغلب المريدين يسعون جاهدين لنبذ الفرقة وهذا نابع من تعاليم المتصوفة حتى يبقى الحفاظ على الوطن وألا يكون ثم شرخ في الدين والمجتمع والقضية الإسلامية.
- أن أغلب المريدين لا يشاركون في مظاهرات ضد أمور متعلقة بشؤون البلاد في حال نشوب مشاكل لأن أغلبهم يرون أن التصوف يمكن أن يكون الطريق الأمثل والأفضل بالنسبة لهم لحل هاته المشاكل لا الضلوع فيها، ويستدل أغلب المريدين الذين صادفناهم بالتجربة التركية التي انتجت في النهاية حزب الرفاه وحزب العدالة والتنمية الذي يحكم في تركيا الآن، ويرى مشايخ الطريقة التيجانية والشاذلية أنه بإمكان الصوفية أن توائم بين الإسلام وبين قيم الديمقراطية بعيدة عن الفوضى غير الخلاقة وعدم عصيان أولياء الأمور.

خلاصة واستنتاجات عامة

- تبين أن المريدين انقسمت آراءهم ما بين مؤيد ورافض حول امتناعهم عن المشاركة في المظاهرات ضد النظام وهل سببه انتمائهم للطريقة الصوفية، كانت النتائج متقاربة لماته الفكرة، وكّد الاتجاه الغالب وهو من يرى أن سبب عدم التمثير ضد نظام البلاد هو الانتماء للطريقة الصوفية فلا نجد طريقة صوفية تناهض السلطة حتى لو كانت هاته السلطة جائرة، فينصح المشايخ بعدم التدخل في الصراعات والمشادات مع السلطة.
- كذلك أنه ينعلم تماماً انتماء المريدين إلى جهة سياسية ولا ينتمون إلى أي جهة حزبية كانت وما يحدث في البلاد العربية والاسلامية أكثرها، من تشجيع الحكومات للتصوف وجعله هو المهيم على الشارع الاسلامي بغيت ضرب بعض التيارات الاسلامية وإقصائها، وهذا ليس من ذنب التصوف لكن ما نلمسه من رأي المبحوثين مؤداه عدم التدخل في الواقع السياسي تحت ذريعة أننا نحن الصوفية لا نتدخل في السياسة.
- أن المبحوثين ليس لديهم أي انتماء أو نشاط جمعي، مما يؤكد على أن الانتماء للطريقة الصوفية كاف ويغني المريدين عن الانتماء لجمعية ونشاطها، فعمل الجمعيات تلخصه مجملاً نشاطات الزاوية، وأن الجمعيات هاته تعزز من قيم التسلط داخل الجماعة ما تحاربه الزاوية في نظر المبحوثين بل تعمل الطريقة الصوفية على توطيد قيم التمسك والتعاون ووحدة الهدف والمصير والانتماء للجماعة والولاء لها.
- أن المريدين يرون أن الجماعات التي تمارس العنف اللفظي وغير اللفظي في المجتمع هم جماعات متطرفة وغالية في الدين باسم الدين وأن هناك جماعات تعمل بمؤلاء المغرّر بهم ممن يقومون بأعمال العنف والتطرف مستفيدة من ذلك ولها مصلح في إشاعة الخراب والدمار والتخويف وزرع الرعب في المجتمع حتى تسوغ ممارستها العنيفة وتدخلاها في شؤون الآخرين واختراق السیادات وحقوق الأفراد.
- وكخلاصة عامة يساهم الآباء في نقل القيم الدينية الصوفية وتلقينها لأبنائهم وهذا ما ينعكس على سلوكياتهم وأفعالهم فأغلب المريدين الذين يتبع أحد أوليائهم منهجا صوفيا لديهم علاقات عادية أحيانا وعلاقة محبة وأخوة أحيانا أخرى مع الاتجاهات التي لا توافق التصوف يعطي لنا انطبعا من أن الأسرة المتصوفة تؤثر على أبنائها من خلال إيمانها بالآخر ومن خلال الإيمان بالاختلاف من حيث هو أصل الوحدة وتساهم الأفكار والتوجهات الدينية المستنبطة من المنهج الصوفي المستمدة من الكتب الصوفية الأصلية للمشايخ من الحث على الرجوع إلى الأخذ من كتب العلماء والمشايخ سواء أفرادا أو في حلقات المساجد للقضاء على أساسيات التطرف الذي تفشى في المجتمع بسبب هذه الأمور الدخيلة وأن القضاء على هذه السلوكات غير السوية لابد من التركيز على اقتناء الكتب التي يطالعها هؤلاء الشباب وحلقات الذكر في الرباطات والزوايا التي ترسخ ثقافة السلم الاجتماعي لديهم، تساهم كذلك

خلاصة واستنتاجات عامة

الأذكار والأوراد في الالتزام الديني والتهذيب الروحي فبداية الطريق تتمثل في تزكية النفس وتطهير القلب والهدف تحقيق الحب الإلهي والوصول إلى معرفة الله تعالى فإن وصل العبد إلى هاته المراتب تشبع بسلوك سوي في تعامله مع غيره من الأشخاص المختلفين في فكر التصوف معهم لأن الأصل من هذا الورد هو صحبة الذاكرين والتمسك بالعمل الصالح الأمر الذي أدى إلى اتخاذ سبيل السلم في علاقاتهم وممارساتهم في حياتهم الاجتماعية.

الإستنتاج العام

الاستنتاج العام

إن موضوع دراستنا تطرق لظاهرة الطرق الصوفية بمنظور سوسيو ديني، وركزنا في هذه الدراسة المعمقة على الطريقة التيجانية والطريقة الشاذلية كدراسة ميدانية من الناحية التربوية الدينية ومدى تأثير التربية الروحية الصوفية على انتشار ثقافة السلم في المجتمع بالتالي فإن ارتباط القيم بالدين ليس رغبة ذاتية أو ملاً فلسفياً وإنما هو حقيقة واقعية لدين هو مصدر القيم و نقصد هنا الدين الإسلامي فتربطه رابطة قوية بالقيم، هنا يمكننا القول بأن في النظام الإسلامي تؤدي القيم الدينية دوراً كبيراً على النظم الاجتماعية فالنظام الصوفي مؤسس على قيم إسلامية ما زاد من ترسيخ التربية الروحية لدى الموردين.

إن للزاوية التيجانية و الشاذلية دور فعال تؤديه في المجتمع، على اعتبار أنها بناء اجتماعياً له وظيفته داخل المجتمع فبالرغم من بساطة طرق التعليم فيها ووسائله إلا أن هذه الطرق والوسائل أثناء ممارستها تحمل قيماً تربوية و أخلاقية فلا تقدم تعليم فقط وإنما تعطي علماً و تربية انطلاقاً من الالتزام الآباء الموردين في نقل القيم الدينية الصوفية وتلقينها لأبنائهم وكذلك قراءة الكتب الصوفية الأصلية للمشايخ و الالتزام بالأذكار والأوراد كالالتزام ديني و التهذيب الروحي في إطار الولاء للشيخ الذي يعتبر القدوة الحسنة و المعلم فيتعلم الفرد احترام الجماعة و التأقلم معها وفق القوانين والظروف السائدة وفي المقابل تحترم الجماعة الفرد و تحضنه و تقيمه و تحميه من آفات المجتمع من خلال الوفاق الذي بين المرشد و شيخه وزاويته أو طريقته، تتجلى فعالية هذه المؤسسة الدينية وما لها من تأثير على الذهنية الاجتماعية و الجماعية لما تحمله من قيم و معايير وأهداف تربوية لأن التعليم فيها محوره الرئيسي القرآن الكريم أي كتاب الله و سنة نبيه عليه أفضل الصلاة و السلام والذي يحظى بتقديس الجميع ومنه تستمد قوتها الروحية التي تسعى لترسيخها في الفرد لإنشاء جيل محافظ ملتزم منضبط مسالماً يساعد هذا الجيل على التأثير في المجتمع بنشر القيم التسامحية التصالحية وفق ما تمليه عليهم تربيتهم الروحية المستنبطة من المبادئ الإسلامية ولا يجيدون عنها طائعين مختارين، فبعد التربية الروحية و التعليم الديني نجد المرشد يمارس دوره الإيجابي في المجتمع كفرد صالحاً متصالح مع ذاته ومع المجتمع يفيد وطنه، وإذا كان البيت الأسري يحقق تربية الطفل و تهذيبه قبل أن يكون في طريقه إلى المدرسة والجامعة فإن الطرق الصوفية تساهم أيضاً في تكوين الفكر السليم و الخلق القويم فإنه يقع على عاتق هذه المؤسسة التعليمية و مناهجها بصفة عامة مسؤولية تحصين الأبناء من الموجات الفكرية المتطرفة و الوصول بالأجيال إلى بر الأمان بحيث يكون المرشد إنساناً سوياً وصاحب تفكير إيجابي يصب في خدمة مجتمعه و عليه يتوقف صلاح المجتمع و فساده مرهون بالدور التربوي الذي تؤديه هذه الطرق لخلق مجتمع آمن و تعميق الفكر الوسطي من خلال حث مريدها على الالتزام بأداء الأذكار والأوراد و تلقينهم الفكر الصوفي المعتدل و حثهم على الولاء لمشايخ و مرجعيات الطريقة وعلى نقل القيم الدينية للأبناء لذلك يمثل النسق التربوي أحد الأنساق الاجتماعية المهمة التي تؤدي دوراً حيوياً ومهما في المحافظة على بناء مجتمع مسالماً بعيداً عن التعصب و الغلو و التطرف عاملة

الإستنتاج العام

على استقراره، حيث يؤدي النظام التربوي الصوفي وظيفة مهمة في بناء المجتمع و تجانسه من خلال ما يقوم به من تعليم ونقل لقيم دينية سامية رفيعة من مرید لآخر فتحاول هاته المؤسسة تبصير المریدین بخطورة الفكر المتشدد و بیان قيمة التسامح والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فالزوايا أماكن تواجد الخیرین فوجود الفرد داخلها يحدث في نفسه ألفا يردده إليه إن بعد ويشد إليه إن دنا فهو في بعده و دنوه قريبا بروحه وجسده ويتأثر بمن حوله فيختار الصحبة الطيبة التي تعينه على فضائل الأخلاق وقيام السلوك فنجد الطريقة التيجانية و الشاذلية يقدمون في محاضراتهم و مجالسهم أصحاب الفكر الوسطي من العلماء والدعاة المخلصين فينشرون الفهم الصحيح للإسلام وهو الفكر الذي يقوم على قاعدة التوازن والاعتدال والتوسط ونشر قيم الخير والعدل بالحسنى و الكلمة الطيبة، مما يجعل مجالسة المریدین للمشايخ يتأثرون بفكرهم وهذا دائما من خلال اجتماعاتهم التي تقام في الزاوية وحضورهم للاحتفالات والمناسبات ويؤكدون على أنه لا يجب ربط الإسلام بالعنف والتطرف لأن تلك العلاقة غير صحيحة ولأن مبادئ وقيم الإسلام بعيدة كل البعد عن التطرف والعنف ولأن العنف ظهر بظهور حركات إسلامية أثرت سلبا على المجتمعات الإسلامية وأنه لا بد من التصدي له بكل الطرق وكل من منبره، وفي المناسبات التي تقام في الزوايا يتم فيها شرح وتنوير الآخر بمحقيقة الإسلام السمحة ومحاولة النهي عن العنف وتتم الدعوة فيها إلى التصدي له ووضع إجراءات وقائية شاملة لمحاربة العنف لأن شبحه سعى جاهدا لزعة استقرار البلاد كما أن هاته المجالس تدعو إلى وعي الزوايا والطرق الصوفية بأهمية الموضوع ووضع خطط محكمة من أجل حماية أفكارها وتوجهات أفرادها من جميع التهديدات و يتحدثون عن هذا العدو اللدود وهو العنف وكيف يتم التصدي له، فيحثون المریدین على مواجهته بالحجة والعقل وبالمناقشة العلمية الهادئة بعيدا عن التعصب حتى تبقى الزاوية تقوم بدورها العملي الذي جاءت من أجله التوعية والتربية على القيم ونبتذ العنف بكل أشكاله والالتزام الثابت على هذه الأدوار .

فالوسطية التي تسعى الزاوية التيجانية و الشاذلية على ترسيخها في فكر مرديها هي حاجة ذاتية و إنسانية وتعتبر أهم المزايا المنهج الاسلامي وصفات الأمة المسلمة في سبيل تحقيق التوازن بين الفرد و الجماعة وبين الدين والدنيا وبين الروحانية والمادية فما توصلنا إليه من خلال هاته الدراسة نلخصه فيما يلي

- أن التربية الروحية التي تملئها الطرق الصوفية وترسخها في أذهان مرديها تعطي لنا أخلاقا فاضلة ومبادئ سامية مادامت ملتزمة بما يملئها عليها كتاب الله وسنة نبيه
- أن وسطية الإسلام تمثلها سلوكات وأفكار المریدین وتعاملهم فيما بينهم وأنه يتم نقلها إلى الآخر طواعية
- أن غرس قيم التسامح و الإيمان بالتعددية لدى المتصوفة تتيح الفرصة الكاملة للحوار الحر مع الآخر داخل المجتمع الواحد فتقوم الاعوجاج الفكري بالحجة والاقناع بطرق سلمية

الإستنتاج العام

- أن الإسلام القويم الذي يتشبع به المریدون لم يمنعهم من التعامل مع الاتجاهات التي ترفض الفكر الصوفي في دلالة عل أنهم مسلمين
- أن نشر المنهج الوسطي الصوفي يمنع من الغلو والتطرف والإرهاب الذي يؤدي إلى تردي الأوضاع بين الناس ومن شأنه إيقاظ الوعي و الإحساس بالمسؤولية بالنصح والإرشاد و الرفق واللين والاحتواء والاحترام.
- ضرورة نقل هاته القيم إلى أبناء المتصوفة و غير المتصوفة التي تدعوا إلى الفكر الوسطي كي تكون هاته الطرق الصوفية قادرة على ممارسة دورها بفاعلية في التوعية و التنقيف الديني والتصدي لبعض المظاهر الفهم الخاطئ للإسلام .
- أن التربية الروحية الصوفية تقوم أساسا على الخير والعدل و الاحسان والمعروف وسلامة الصدر والحرية والمسؤولية واحترام الآخر .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم

- الأحاديث النبوية

المراجع باللغة العربية:

أولاً: الكتب:

- إبراهيم سعد الدين، مدخل إلى فهم مصر معهد الإنماء العربي، بيروت، بط، 1981.

- إبراهيم ياسين إبراهيم، المدخل إلى التصوف الفلسفي دراسة روحية سيكوميثافريقية، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، المنصورة 2006.

- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط1، المكتب الإسلامي بيروت، بط، 1392 هـ.

- ابن الأثير، المختار من مناقب الأخيار، مركز زايد للتراث والتاريخ، ج2، ط1، 2003.

- ابن الجوزي أبو الفرج، صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط1، 1986.

- ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار وائل للنشر، ط1 القاهرة، 1966.

- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الحديث، مج2، القاهرة، 2005 .

- ابن القيم الجوزية، الروح- المسألة السابعة عشر-، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1982.

- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، ج2، بط، بيروت، 1995.

- ابن عجيبة عبد الله أحمد، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دت .

- ابن عجيبة، إيقاظ المهتم في شرح الحكم، المكتبة التوفيقية، ط1، القاهرة، 2008.

- ابن محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، المحلى، ج1، دار الفكر، دت.

- ابن منظور، لسان العرب، ج10، ج14، دار الطباعة والنشر، بيروت، 1968 .

- ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار الفكر، ط3، بيروت، 1994.

- ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، مطبعة الحلبي، ط2، مصر، 1955.

- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، مؤسسة دار الشعب، بط، القاهرة، 1989.

- أبو القاسم القشيري، تحقيق معروف مصطفى زريق، الرسالة القشيرية في علم التصوف، المكتبة العصرية ط1، بيروت، لبنان، 2005.

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10هـ-14هـ/16م-20م، ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998.

- أبو طالب المكي، قوت القلوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005.

- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ج11، ط1، 2001.

- أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ج1، دار التأصيل، ط1، 1422 هـ .

- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بط، بس.

- أبو عمران الشيخ، قراءات في كتاب ذكرى العاقل وتبنيه الغافل للأمير عبد القادر، أشغال الملتقى الثقافي الوطني حول الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديث، جامعة معسكر، 1999.

- أبو مدين شعيب، الحكم الغوثية، دار الافاق العربية، ج1، ب ط، مصر، 1986.

- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف، مكتبة الثقافة الدينية، بط، 2002.

- أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، ج1، بط، مصر، 1979.

- أبي نصر السراج الطوسي، اللُّمَع، دار الكتب الحديثة، ج1، ط2، مصر، 1986.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد الشرباصي، يسألونك في الدنيا والحياة، دار الجليل، بيروت، ط2، 1977.
- أحمد النقشبندی، الطرق الصوفية، تحقيق: أديب نصر الله، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 1992.
- أحمد بن حجر الهيثمي، موارد الظمان إلى زوائد ابن حيان، المطبعة السلفية، بط، بت.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، ج8، القاهرة.
- أحمد حصر، اعترافات علماء الاجتماع (عقم النظرية و حضور المنهج في علم الاجتماع) ، دار النشر الدولي، الرياض ، بط، 1993.
- أحمد زروق، قواعد التصوف، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان، 2007.
- أحمد عبد الكريم السايح، الحكيم الترمذي ونظريته في السلوك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.
- أحمد هني، المديونية، موفم للنشر، بط، الجزائر، 1992.
- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بط، 1983.
- إسماعيل سعيد القاضي، أصول التربية الإسلامية، علم الكتاب، القاهرة، ط1، 2002.
- إسماعيل محمود، سوسولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار، سينا للنشر، بيروت، ط1، 2000 .
- آية الله الملائ زين العابدين، أنوار الولاية، مؤسسة آل البيت، بط، إيران، 1409هـ
- إيمانويل كانت ترجمة عثمان انيس، مشروع السلام الدائم، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1952
- البغدادي الخطيب أبو بكر، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، ج7، ط1، 2001.
- بوزيد محمد، محاضرات في الأثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، مصر، 1978.
- بولس الفغالي، الرحمة في العهد الجديد، المطبعة البولسية جونيه، لبنان، بط، 1999.
- البوني أحمد بن علي، شمس المعارف الكبرى، المكتبة الشعبية، ج1، ط1، بيروت، 1985.
- بيار فيو ترجمة الأب إلياس زحلاوي، المجتمع والعنف، منشورات المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1993.
- تحسين أحمد، منهجية البحث العلمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، بط، بس.
- تركي إبراهيم محمد، التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007.
- تركي رابع، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975 .
- توفيق حداد و زملاؤه، التربية العامة، دار وائل للنشر، القاهرة، 1977.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار اللبناني، ط1، 1978.
- الجنيد، السر في انفس الصوفية، ضمن رسائل الجنيد، دار جوامع الكلم، ط2، القاهرة، 1998.
- الجيلاني عبد القادر، سر الأسرار ومظهر الأنوار، دار السنابل، ط3، دمشق، 1994.
- الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2010.
- جيمس فرينزر، الغصن الذهبي، ترجمه كمال أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ج2، 1971.
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1967.
- حسن عبد الحميد أحمد رشوان، تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع، الإسكندرية، المكتب الجامعي، ط4، 2003.
- حسن عبد العالي، تربية الطفل في الإسلام، مؤتمر التربية الإسلامية التربية والتعليم في ظل الإسلام بيروت، بس.
- حسن علي مصطفى حمدان، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي، قسنطينة، مؤسسة الإسرائ، ط1، 1991.
- حسن ملا عثمان، الطفولة في الإسلام مكانتها وأسس تربية الطفل، دار المريخ، ط1، الرياض.
- الحكيم الترمذي، المسائل المكونة، دار التراث العربي، القاهرة، 1980 .

قائمة المصادر والمراجع

- ر. فالترز، ترجمة ابراهيم خورشيد، أفلاطون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، الجزائر، ط3، بدون سنة.
- الرازي يحيى بن معاذ، جواهر التصوف، مكتبة الآداب، القاهرة، 2000 .
- رونيه أوبير، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، 1967.
- سعاد الحكيم، تاج العارفين الجنيد، دار الشروق، ج1، ط3، القاهرة، 2007،
- سعيد إسماعيل علي، أوضاع المرين العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، بط، 1979
- سعيد حوى، تربيتنا الروحية، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 1399هـ.
- سعيد حوى، تربيتنا الروحية، مطبعة رحاب، ط1، الجزائر، 1996.
- سعيد مراد، التصوف الإسلامي رياضة روحية خالصة، دار العين، القاهرة، بط، 2007.
- السلمي محمد بن الحسين، طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003 .
- سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الاسلام، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط1993، 4.
- سمير السعيد، الحسين بن منصور الحلاج، حياته، شعره، نثره، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، والترجمة 1996.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1978.
- السيد محمد عقيل المهدي، دراسة في الطرق الصوفية، دار الحديث، القاهرة، ط2، بدون سنة.
- السيد يوسف هاشم الرفاعي، الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة، دار النشر غير موجودة، الكويت، ط1، 1999.
- شاخت وبوزورث، تراث الإسلام (ترجمة فؤاد زكريا)، ج2، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، ط2، 1988.
- صالح عبد العزيز، التربية الحديثة مادتها مبادئها تطبيقاتها العملية، الجزء الثالث، دار المعارف، مصر، 1969.
- الطالب بن عبد الرحيم بن أحمد التجاني، الكتابات القرآنية بندرومة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983.
- عامر النجار، الطرق الصوفية، مكتبة الأجلو مصرية، القاهرة، بدون سنة.
- عبد الحكيم حسن العيلي، الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الاسلام، دار الفكر العربي، الكويت، 1983.
- عبد الحليم خلدون الكناني، تخريج المعلمين حسب التربية الإسلامية من سلسلة التعليم الإسلامي لمنهج وإعداد المعلم، مكنتات عكاظ ط1، جدة، 1404 هـ.
- عبد الحليم عويس، فقه التاريخ، دار الصحوة، ط1، القاهرة، 1986.
- عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ب ط، ليبيا، 1984.
- عبد الرحمان ابن خلدون، شفاء السائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1996.
- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العلمية، لبنان ط1، 1993 .
- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1995.
- عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت 1404هـ.
- عبد الرزاق نوفل، بين يدي الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ب ط، لبنان، بس.
- عبد الرشيد عبد العزيز سالم، التربية الإسلامية وطرق تدريسها، دار البحوث العلمية، ط2، الكويت 1499 هـ .
- عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، وهران، 2007.

قائمة المصادر والمراجع

- عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، (ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين)، المؤسسة الوطنية للكتاب، بط، الجزائر 1986.
- عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، ج2، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت، 1997.
- عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مطابع مصر، ط1، 1864.
- عبد القادر الشطي، حقيقة السلفية مذهب أهل الحق الصوفية، دار هومة، الحلفة، 2002.
- عبد القادر الشحلي، أخلاقيات الحوار، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، 1993.
- عبد القادر مقام، ثقافة السلم قانون استعادة الوثام المدني في الجزائر نموذجاً، دار الغرب، 2002.
- عبد الكريم الخطيب، الإنسان في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، ط1، 1979.
- عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى، الجزائر، 2005.
- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ط1، 1981.
- عبد الله الأمين، دراسة في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1986.
- عبد الله عبد الرزاق، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 2004.
- عبد الله محمد الشريف، مناهج البحث العلمي، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر الإسكندرية، 1996.
- عرفان عبد المجيد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجليل، بيروت، ط1، 1993.
- عقيل حسن عقيل، فلسفة مناهج البحث، مكتبة مدبولي للطباعة و النشر، القاهرة، 1999.
- علالي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط، الصادر من طرف وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.
- على بن أحمد الواحددي، أسباب النزول، دار الكتب العالمية، ط1، 1990.
- علي الجمبلاطي، الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية، دار النهضة، ط1، مصر، د ت.
- عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء، الطباعة الشعبية للجيش، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.
- غاستون ميلاري ترجمة بسيم نصر، مدخل إلى التربية، عالم الكتاب، القاهرة، د ت.
- الغزالي أبو حامد، الأربعين في أصول الدين، تحقيق مصطفى أبو العلا، دار الأوزبكية، بط، القاهرة 1984.
- الغزالي، تهذيب الإحياء، ج1، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1989.
- الغزالي، كيمياء السعادة، وكالة المطبوعات، ط2، الكويت، 1977.
- الغزالي، منهاج العابدين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1989.
- فاضل الأنصاري، قصة الطوائف الإسلامية بين المذهبية والطائفية، دار الكنوز الأدبية، لبنان، ط1 2000.
- فتحي يكن، كيف تدعو إلى الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1980.
- الفرد بل، الفرق الإسلامي في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط3، 1987.
- قدور إبراهيم عمار، زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها ونشأتها، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط11، 1997.
- القطب محمد القطب طبلية، الإسلام وحقوق الإنسان، دار الفكر العربي، ط2، 1994.
- قمرآوي محمد، محاضرة في التربية والسلم، مخبر التربية والتنمية، دار الغرب، وهران، 2002.
- ليليا بن سالم (وآخرون)، الأنثروبولوجيا وتاريخ حالة المغرب، ترجمة عبد الأحد البشني، دار توبقال المغرب، 1988.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، 1965.
- محفوظ نحناح، الجزائر المنشودة، دار النبأ، الجزائر، 1989.

قائمة المصادر والمراجع

- محمد إبراهيم الغيومى، محاضرات في منهج الدين المقارن، المعهد العالى للدراسات الإسلامية، 2007 .
- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع القيمي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1981.
- محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم، دار هومة، الجزائر، 2005.
- محمد الغزالي، هذا ديننا، دار الكتب، الجزائر، ط 1، 1988.
- محمد الكلاباذي أبو بكر، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العالمية، ط2، 2010.
- محمد أمان بن علي الجامي، أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام، الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء، بط، القاهرة، 1404هـ.
- محمد بن أحمد الصالح، الطفل في الشريعة الإسلامية، مطبعة نخضة مصر، ط1، القاهرة، 1996.
- محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، 2007.
- محمد بن محمد الغزالي، خلاصة التصانيف، مطبعة النجاح، ط1، مصر، 1909.
- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، مج5، 2010.
- محمد بن يحيى التاذي الحنبلي، قلائد الجواهر، مطبعة الحنفي، بط، مصر، 1998.
- محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب 1964.
- محمد خليفة حسن أحمد، دراسات في التاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، بيروت، بط، 1975.
- محمد رأفت سعيد، الرسول المعلم ومنهجه في التعليم، دار الهدى للنشر، ط1، الرياض، 1402هـ.
- محمد سلامة محمد غباري، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين، دار الفكر العربي، بط، 1998.
- محمد شديد، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، بط، 1979.
- محمد شفيق، البحث العلمي، المكتبة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001.
- محمد عبد القادر أحمد، طرق تعليم التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1980.
- محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة.
- محمد علي أبو زيان، تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987.
- محمد علي ظمناوي، مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، مطبعة الفيصل للاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، 1983.
- محمد علي، بترو العامي، الكتاب المقدس في الميزان، الدار الإسلامية، بيروت، 1990.
- محمد قطب، دراسات قرآنية، دار الشروق، ب ط، جدة، 1987.
- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج1، دار الشروق، جدة، ط1، 1981.
- محمد قطب، هل نحن مسلمون، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1986.
- محمد مبارك الميلبي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- محمد ناصر الدين الالباني، صحيح الجامع الصغير، ج4، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1399هـ.
- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989.
- محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، دار النصر، بط، الإسكندرية، 1989.
- محمود بن الشريف، الإسلام والأسرة، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، ط1، 1972.
- مختار الطاهر فيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الجرافيكى للطباعة والنشر، باتنة ط1 1999.
- مذكور إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بط، 1975.
- مزيان محمد، كلمة التحرير لمجلة التربية وثقافة السلم، دار الغرب، وهران، بط، 2002.

قائمة المصادر والمراجع

- مسلم ابن الحجاج، صحيح مسلم ، ج4، دار طيبة، ط1، الرياض، 2006.
- مصطفى الباري، جوانب من الحياة الاجتماعية في الإسلام، منشورات الهداية، ط2، تونس، 1404هـ.
- مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، مطبعة الفيصل للاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية الكويت، 1985.
- مقداد يلجن ويوسف القاضي، علم النفس التربوي في الإسلام، دار المريخ ، بط، الرياض، 1401هـ.
- ملكيان مصطفى ترجمة عبد الجبار الرفاعي وحيدر نجف، العقلانية والمعنوية مقاربات في فلسفة الدين مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد ط1، 2010 .

- منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، نشأة المعارف بالإسكندرية، ب ت.
- نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي الاسلامي وأثره في تحرير الجزائر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990.
- يسرى دعييس، الإرهاب، دار المعارف المصرية، بط، القاهرة، 1998
- يوسف القرضاوي، التربية الإسلامية ومدرسة حسن ألبنا، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1979.
- يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، الجنيد البغدادي حياته آثاره، دار الكتب والوثائق الوطنية، ط1، بغداد 1977.

ثانيا : الرسائل الجامعية

- بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري، التجانية العلوية والقادرية، أطروحة لنيل الدكتوراه تخصص ثقافة شعبية، جامعة أبو بكر بقائد، تلمسان 2008-2009 .
- بوعتو بشير، تاريخ التصوف في الجزائر دراسة وصفية تحليلية للطرق الحديديّة و الهبرة و الرحمانية والأوسية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه تخصص علم الاجتماع، جامعة الجزائر 02، (2012،2011) .
- تواتي خضرون، القيم الدينية للطرق الصوفية والتنشئة الاجتماعية، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع التربوي الديني، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2012/2013.
- زيزاح سعيدة، الطريقة في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية في المجتمع الجزائري المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص علم اجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2، 2012/2013.
- سعيد عيادي، التنشئة السياسية بين المدرسة والبيئة الثقافية، رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1990-1991.
- الطاهر بوغازي، النسق القيمي للأسرة والمدرسة والتوافق والتحليلي المدرسين لتلاميذ السنة التاسعة أساسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في علم النفس وعلوم التربية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2010/2011.
- عبد العزيز رأس مال، الولاية و الرباط بين شرف النسب و كرامة المناقب - دراسة للفضاءات الروحية للسماحات (أولاد سيدي أحمد المجذوب - أولاد سيدي الشيخ - أولاد التاج) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع - جامعة الجزائر - كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية (2008-2009).
- عبد القادر مقام، ثقافة السلم في المجتمعات المجتمع الجزائري نموذجاً، أطروحة مكتملة لنيل درجة شهادة الدكتوراه في العلوم الانسانية تخصص انثروبولوجيا، جامعة تلمسان، 2008-2009.
- محمد رؤوف القاسمي الحسني، مؤسسة زاوية الهامل، المسار التاريخي و التحولات الهيكلية، دراسة سوسولوجية-منوغرافية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006-2007 .

ثالثا: المجالات:

- إمام عبد الفتاح إمام، مسيرة الديمقراطية رؤية فلسفية"، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، أكتوبر 1993.
- رشيد بن مالك، السميائية نظرية لتحليل الخطاب، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة والآداب جامعة وهران، العدد 04 يونيو 1996.
- زيزاح سعيدة ، بوخدوني صبيحة ، الزوايا من منظور سوسيو ثقافي، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد 01، جامعة الأغواط 2006_2007.

قائمة المصادر والمراجع

- ساعد خميسي، حول حقيقة التصوف، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاجتماعية، قسنطينة، مطبعة البعث، العدد12، 2002.
- سعاد الحكيم، التصوف يحقق التقارب بين المذاهب، مجلة العربي، العدد579، فبراير 2007.
- الصالحين الحفيفي، دور التعليم الديني في الحفاظ على التراث، مجلة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامي قسنطينة، مطبعة البعث، العدد23، 2004.
- عبد القادر هني، اللسانيات النبوية في مطلع القرن العشرين، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 11 ماي 1997.
- علي محمد مختار، دور المسجد في الإسلام، مجلة دعوة الحق، شهرية، العدد، 14، 1400هـ.
- عمار طالبي، التصوف عند ابن خلدون من خلال كتاب "شفاء السائل لتهديب المسائل" مجلة الخطاب الصوفي، عدد خاص الأول حول الخطاب الصوفي بين الرؤية الجمالية والبعد الصوفي، جامعة الجزائر، 2007.
- العياشي عنصر، المجتمع والعنف، مجلة انسانيات، العدد10/ 2000، وهران.
- محمد بوعيداد، أهم الأحداث في حياة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، عدد 1983/75، الجزائر.
- محمد جواد رضا، ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة، عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الثالث، 1976.
- محمود بوعيداد، أهم الأحداث في حياة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، العدد1983/75، الجزائر.
- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت، عدد 256، يناير 2001.
- نجيب بن خيرة، الزوايا في الجزائر وفريضة التعليم الغائبة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد08، قسنطينة، مطبعة البعث، 2001.
- نذير حمادو، دور الزوايا في بناء الشخصية الروحية والوطنية، رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 2، فيفري 2010.
- يحيى بوعزيز "أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و20 مجلة الثقافة، عدد 63، 1981.
- رابعا : الندوات و الملتقيات**
- أبو عمران الشيخ، قراءات في كتاب ذكرى العاقل وتنبية الغافل للأمير عبد القادر، أشغال الملتقى الثقافي الوطني حول الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديث، جامعة معسكر، 1999، نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي الاسلامي وأثره في تحرير الجزائر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990،
- بن مزيان بن شرقي، محاضرة بعنوان الأسس التربوية لمفهوم السلام في الفلسفة الغربية الحديثة، تحليل لفكرة السلام العالمي عند إيمانويل كانط الملتقى الوطني حول التربية وثقافة السلم، جامعة وهران، 2002.
- بوعشة مبارك، الاصلاحات الهيكلية وأثرها على العمالة في الجزائر، الملتقى الدولي حول الاصلاحات الاقتصادية والمسألة الاجتماعية جامعة منتوري، قسنطينة، 29/30 أبريل، 2000.
- جورج جبور، تأملات موجزة في العلاقة بين الأديان، ورقة مقدمة إلى الندوة الدولية عن الإسلام والسلام، تونس 15-17/04/2003.
- عبد الحق محي، الحركة الصوفية وأثرها على الإسلام، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين، عين ماضي الأغواط، أيام: 23/24/25 نوفمبر 2006.
- عبد القادر بوعرفة، إشكالية السلام العالمي عند إيمانويل كانت الثابت والمتغير، بحث الملتقى الوطني حول التربية والسلم سلسلة إصدارات التربية والتنمية، دار الغرب، وهران، 2002.
- عبد الحق محي، الحركة الصوفية وأثرها على الإسلام، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين أيام: 23/24/25 نوفمبر 2006، عين ماضي الأغواط.

قائمة المصادر والمراجع

- فريد كورتل، ظاهرة الفقر في الجزائر، الملتقى الدولي حول الفقر والتعاون، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة أبو بكر تلمسان أيام 23/24/ أكتوبر، 2001.
- لخت حسين، أهمية التربية الروحية في نبذ العنف والتشدد والتطرف، أعمال الندوة العلمية الدولية حول دور أهل التصوف في حماية المجتمعات من التطرف، دار أبي رقرق، الرباط، المغرب، 10-11/07/2015
- محمد الفيصل آل سعود، القرآن الكريم أساس التربية الإسلامية، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي، ط1، مكة المكرمة 1983.
- محمد بن أبو شهبة، بحوث مؤتمر رسالة المسجد في صدر الإسلام، دار عكاظ، جدة، رابطة العالم الإسلامي، 1999.
- محمد بن هلال، الملتقى الوطني الثاني للقادرية حول حقيقة التصوف، من 26 إلى 29 مارس ورقلة 2002، الأمل للطباعة، ورقلة 2005.
- محمد سلام مذکور، التعليم في الإسلام ماضيه وحاضره، من سلسلة بحوث المؤتمر العلمي للتعليم الإسلامي، ط1، 1403هـ/1983.
- محمد مزيان، ثقافة السلم تحديات نفسية وحضارية، محاضرات الملتقى الوطني حول التربية وثقافة السلم، جامعة وهران، 2002.
- محمود محمد عمارة، تربية النشأ في ظل الإسلام، إدارة الصحافة والنشر، مكة، العدد 26، 1404هـ.
- منصور عبد الحق، السلم وسيلة أو غاية، محاضرة اصدارات مخبر التربية والتنمية، دار الغرب، وهران 2002.
- مولاي بودخيلي محمد، نحو استراتيجية تربوية لبناء سلم ثقافي، محاضرة الملتقى الوطني حول التربية وثقافة السلم، جامعة وهران، 2002.

خامسا: الدساتير والقوانين

- دستور 1989.
- قانون العقوبات الجزائري.
- قانون الوثام المدني، رسائل وتصريحات تأييد رئيس الجمهورية، مطبعة رئاسة الجمهورية، 1999.

سادسا : المواقع الالكترونية

- يحي أوهيبة، مدن الاغواط، موقع دفاتر ثقافية، بتاريخ 2012/10/17، على الساعة 18:30
- فيصل قريشي، علم النفس الاسلامي، الموقع الالكتروني <http://www.acofps.com> يوم 2016/10/15 على الساعة 11.30

المراجع باللغة الأجنبية

- Abdelghani Megherbi, le Monde Muslman de la Naissance à la Renaissance, édition du parti, Alger, 1977.
- Amin Hussein, le livre du Muslman désesparé pour enter dans le 3éme Millénaire tradition Richard Jacquemond, Editions Casbah, Alger, 1997.
- Chaib Aissa Khaled, Le Président Genèse Du Renouveau National, Edition E nag, 2000.
- Cnf , guenon René, le renne de la quantité et les signes des temps, Gallimard, 1945.
- Dc St Pierre, Projet De Paix Perpétuelle 1717-1719.
- Déclaration Officielle De 1 ONU Sur La Culture De Paix.
- Dictionnaire de la langue pédagogique, P. FOULQUIE, P.O.F, 1971.

قائمة المصادر والمراجع

- Edward TYLOR, LA CIVILISATION PRIMITIVE, Traduit de l'Anglais sur la deuxième édition ,Ancienne Librairie Schleicher,Paris ,1920 .
- Encyclopédie Universales, La Non-Violence ,France, 1998.
- G.DELANDSCHERE, Introduction à La recherche en éducation Armand, C Olin, Bourrelier 4 edition ,1976.
- kouassi N Guessan, etat de droit et protection du citoyen. L'harmattan. Paris. 2003.
- Larousse, Imprimerie Maury-Malsherbe, Paris, 1994.
- Loui Rinn, Marabout et khouan, adolphe jourdan, Libraire- éditeur, 1884.
- Thierry Armand,C .Ezzouar, Fondamentalisme, Fanatisme ,Terrorisme quels dangers pour la paix, Colloque d'Abidjan sur la paix ,violence et démocratie en Afrique du 09 au 11.01.2002

الملاحق



الخليفة العام للطريقة التيجانية على بلعربي

الملاحق

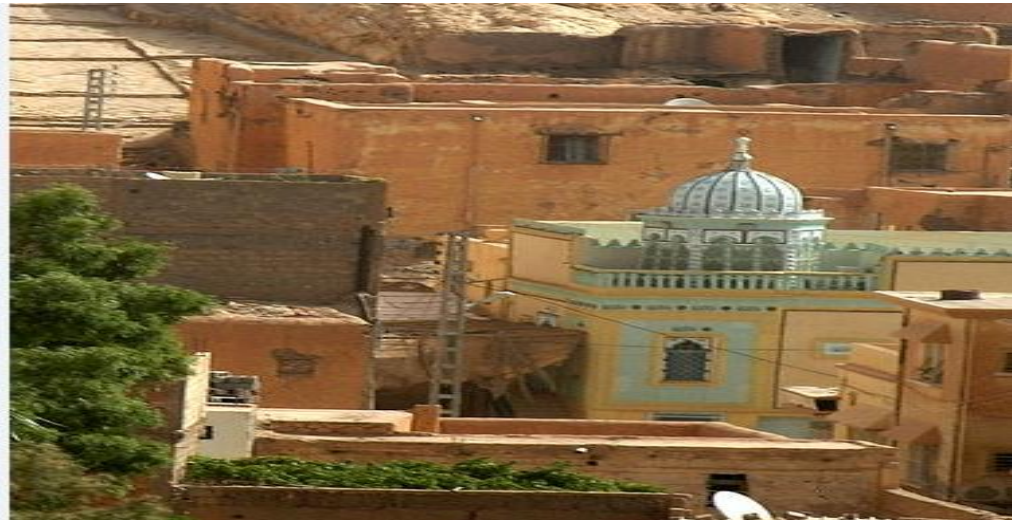


شيخ الطريقة الشاذلية محمد يريك

الملاحق



مقر الخلافة التيجانية بعين ماضي



مقر الزاوية الشاذلية بشارع الحجاج بالأغواط

الملاحق



المعلم التاريخي كوردان التابع للطريقة التيجانية



طريقة التدريس بكتاتيب بالزاوية التيجانية